فتح القدير

الجامع
بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف
الإمام محمد بن علي الشوكاني
١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه
محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه
د. عبد الرحمن بن محمد العمري

الجزء العاشر

دار ابن الجوزي

فتح القدير

١٠

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشوكاني، محمد علي
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير./ محمد علي الشوكاني؛ محمد صبحي حلاق؛ عبد الرحمن بن محمد العيزري.- الدمام، ١٤٤٢هـ
١٠مج.
ردمك: ٩ - ٧٤ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٨ - ٨٤ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١٠)
١ - القرآن - تفسير أ. حلاق، محمد صبحي (محقق) ب. العيزري، عبد الرحمن بن محمد (محقق) ج. العنوان
ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٤٢/٤٠٧٩

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ

الباركود الدولي: 9786038298749

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي : ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

فتح القدير

الجامع
بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف
الإمام محمد بن علي الشوكاني
١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه
محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه
د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء العاشر

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح

هي تسع وعشرون آية أو ثمان وعشرون[١] آية وهي مكية.

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير[٢] قال: نزلت سورة ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾؛ أي: سورة نوح بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إرسال نوح عليه السلام إلى قومه]:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى
لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ قد تقدّم أن نوحاً أوّل[٣] رسول أرسله الله،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه ابن الضريس في «فضائله» رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٤٠)، والبيهقي في «دلائل النبوية» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٦)، ومسلم رقم (١٩٤)، وأحمد رقم (١٢١٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وهو نوح[(١)] بن لامك بن متوشلخ بن أَخْنوخ بن قينان بن شيث بن آدم، وقد تقدّم مدّة لبثه في قومه، وبيان جميع عمره، وبيان السنّ التي أرسل وهو فيها في سورة العنكبوت ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾؛ أي: بأن أنذر على أنها مصدرية[(٢)]. ويجوز أن تكون هي المفسرة؛ لأن في الإرسال معنى القول. وقرأ ابن مسعود: «أنذر» بدون أن، وذلك على تقدير القول؛ أي: فقلنا له: أنذر ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: عذاب شديد الألم، وهو عذاب النار.

وقال الكلبي[(٣)]: هو ما نزل بهم من الطوفان.

وجملة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ مستأنفة استئنافاً بيانيّاً على تقدير سؤال، كأنه قيل: فماذا قال نوح؟ فقال: قال لهم إلخ. والمعنى: إني لكم منذر من عقاب الله ومخوّف لكم، ومبين لما فيه نجاتكم.

﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ «أن» هي التفسيرية لنذير، أو هي المصدرية؛ أي: بأنْ اعبدوا الله ولا تشركوا به غيره، واتقوه؛ أي: اجتنبوا ما يوقعكم في عذابه، وأطيعونِ فيما آمركم به فإنِّي رسول إليكم من عند الله.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ هذا جواب الأمر، و«من» للتبعيض؛ أي: بعض ذنوبكم، وهو ما سلف منها قبل طاعة الرسول وإجابة دعوته.

وقال السديّ[(٤)]: المعنى: يغفر لكم ذنوبكم، فتكون «من» على هذا زائدة[(٥)]، وقيل: المراد بالبعض: ما لا يتعلق بحقوق العباد، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: يؤخر موتكم إلى الأمد الأقصى الذي قدّره الله لكم بشرط الإيمان والطاعة فوق ما قدّره لكم، على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان، وقيل: التأخير بمعنى البركة في أعمارهم أن آمنوا، وعدم البركة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/٢٤٨).
(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١٠)، و«الفريد» (٤/ ٥٣٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٢).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٩٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٥٠)، و«النكت والعيون» (٦/ ٩٨ ـ ٩٩).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٣٧).

فيها إن لم يؤمنوا. قال مقاتل[١]: يؤخركم إلى منتهى آجالكم.

وقال الزجّاج[٢]: أي: يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب. وقال الفراء[٣]: المعنى لا يميتكم غرقاً ولا حرقاً ولا قتلاً.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾؛ أي: ما قدّره لكم على تقدير بقائكم على الكفر من العذاب إذا جاء، وأنتم باقون على الكفر لا يؤخر بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة. وقيل: المعنى: إنّ أجل الله، وهو الموت إذا جاء لا يمكنكم الإيمان.

وقيل: المعنى: إذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: شيئاً من العلم لسارعتم إلى ما أمرتكم به، أو لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي: قال نوح منادياً لربه، وحاكياً له ما جرى بينه وبين قومه، وهو أعلم به منه، إنّي دعوت قومي إلى ما أمرتني بأن أدعوهم إليه من الإيمان دعاءً دائماً في الليل والنهار من غير تقصير ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ عما دعوتهم إليه وبُعداً عنه.

قال مقاتل[٤]: يعني: تباعداً مِنْ الإيمان، وإسناد الزيادة إلى الدعاء لكونه سببها، كما في قوله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. قرأ الجمهور[٥]: «دعائيَ» بفتح الياء، وقرأ الكوفيون، ويعقوب، والدوري عن أبي عَمْرو بإسكانها[٦]، والاستثناء[٧] مفرّغ.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة، وهو الإيمان بك، والطاعة لك ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا صوتي ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾؛ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني، وقيل: جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامي، فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سدّ الآذان.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٥١). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٢٨).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٧). (٤) «الوسيط» (٤/ ٣٥٦).

(٥) «النشر» (٢١/ ٣٩١)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«التبصرة» (ص٧٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة الدوري عن أبي عمرو بالفتح.

(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٥٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٠٢).

وقيل: هو كناية عن العداوة، يقال: لبس فلان ثياب العداوة، وقيل: استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيدعوهم ﴿وَأَصَرُّواْ﴾؛ أي: استمروا على الكفر، ولم يقلعوا عنه ولا تابوا منه ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عَنْ قبول الحق، وعن امتثال ما أمرهم به ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ شديداً.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾؛ أي: مُظهراً لهم[١] الدعوة مجاهراً لهم بها [٤/١٧٩] ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾؛ أي: دعوتُهم معلناً لهم بالدعاء ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾؛ أي: وأسررت لهم الدعوة إسراراً كثيراً، قيل: المعنى: أن يدعو الرجل بعد الرجل يكلمه سرّاً فيما بينه وبينه، والمقصود أنه دعاهم على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة، فلم ينجع ذلك فيهم.

قال مجاهد[٢]: معنى أعلنت: صحتُ، وقيل: معنى ﴿وَأَسۡرَرۡتُ﴾: أتيتهم في منازلهم فدعوتهم فيها. وانتصاب[٣] جهاراً على المصدرية؛ لأن الدعاء يكون جهاراً ويكون غير جهار، فالجهار نوع من الدعاء كقولهم: قعد القُرْفصاء، ويجوز أن يكون نعت مصدر محذوف؛ أي: دعاء جهاراً، وأن يكون مصدراً في موضع الحال؛ أي: مجاهراً، ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: الدلالة على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ[٤] من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من أحدهما.

قرأ الجمهور[٥]: «إِنّيْ» بسكون الياء، وقرأ أبو عَمْرو والحرميون بفتحها[٦].

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾؛ أي: سلوه المغفرة من ذنوبكم السابقة بإخلاص النية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾؛ أي: كثير المغفرة للمذنبين، وقيل: معنى استغفروا: تُوبوا عَنْ الكفر إنه كان غفاراً للتائبين.

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾؛ أي: يُرسل ماء السماء عليكم، ففيه إضمار، وقيل: المراد بالسماء: المطر، كما في قول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٥٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٩٣) بسند صحيح.
(٣) «الفريد» (٤/ ٥٣٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١١).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٥٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٠٢).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٩١)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

إذا نــزلَ الــســمــاءُ بــأرضِ قــومٍ   رعَــيْــنَــاه وإنْ كــانــوا غِــضَــابــا[١]

والمدرار[٢]: الدرور، وهو التحلّب بالمطر، وانتصابه[٣] إما على الحال من السماء، ولم يؤنث، لأن مفعالاً لا يؤنث؛ تقول: امرأة مئناث ومذكار، أو على أنه نعت لمصدر محذوف؛ أي: إرسالاً مدراراً، وقد تقدّم الكلام عليه في سورة الأنعام، وجزم يرسل لكونه جواب الأمر.

[من آثار الاستغفار في الآية دليل على أن الاستغفار من أعظم أسباب حصول الرزق]:

وفي هذه الآية دليل على أن الاستغفار من أعظم أسباب المطر وحصول أنواع الأرزاق، ولهذا قال: ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ﴾؛ يعني: بساتين ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ جارية.

قال عطاء[٤]: المعنى: يكثر أموالكم وأولادكم. أعلمهم نوح عليه السلام أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا.

﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾؛ أي: أيّ عُذرٍ لكم في ترك الرجاء، والرجاء هنا بمعنى الخوف؛ أي: ما لكم لا تخافون الله، والوقار: «العظمة» من التوقير، وهو التعظيم.

والمعنى: لا تخافون حقّ عظمته، فتوحدونه وتطيعونه، و﴿لَا تَرۡجُونَ﴾ في محل نصب[٥] على الحال من ضمير المخاطبين، والعامل فيه معنى الاستقرار في لكم، ومن إطلاق الرجاء على الخوف قول الهذلي[٦]:

إذا لسعتْه النحلُ لم يرجُ لسْعُها

وقال سعيد بن جبير[٧]، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح: ما لكم لا ترجون لله ثواباً، ولا تخافون منه عقاباً.

---

(١) قائله معاوية بن مالك. «خزانة الأدب» (٤/ ١٥٦)، وفيه سقط بدل نزل.
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣١٠).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١١)، و«الفريد» (٤/ ٥٣٤).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٣٥٨).
(٥) «الفريد» (٤/ ٥٣٤).
(٦) انظر: «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨١).
(٧) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١).

وقال مجاهد[١]، والضحاك[٢]: ما لكم لا تبالون لله عظمة.

قال قطرب[٣]: هذه لغة حجازية. وهُذيل، وخزاعة، ومُضر يقولون: لم أرج: لم أبل.

وقال قتادة[٤]: ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان.

وقال ابن كيسان[٥]: ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً.

وقال ابن زيد[٦]: ما لكم لا تؤدّون لله طاعة.

وقال الحسن[٧]: ما لكم لا تعرفون لله حقّاً، ولا تشكرون له نعمة.

وجملة: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في محل نصب[٨] على الحال؛ أي: والحال أنه سبحانه قد خلقكم على أطوار مختلفة: نطفة، ثم مضغة، ثم علقة إلى تمام الخلق، كما تقدّم بيانه في سورة المؤمنين، والطور في اللغة[٩]: المرّة، وقال ابن الأنباري[١٠]: الطور: الحال، وجمعه أطوار، وقيل: أطواراً صبياناً، ثم شباناً، ثم شيوخاً، وقيل: الأطوار اختلافهم في الأفعال والأقوال والأخلاق.

والمعنى: كيف تُقصّرون في توقير مَنْ خلقكم على هذه الأطوار البديعة؟

[كمال قدرة الله وبديع صنعه]:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ الخطاب لمن يصلح له، والمراد: الاستدلال بخلق السمٰوات على كمال قدرته وبديع صنعه، وأنه الحقيق بالعبادة، والطباق: المتطابقة بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٩٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٩٥) بسند حسن.
(٣) «الوسيط» (٤/ ٣٥٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في (٢٣/ ٢٩٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣١٩) بسند صحيح.
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣١).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٩٧) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٦).
(٨) «الفريد» (٤/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).
(٩) «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٠)، و«الصحاح» (٢/ ٧٢٧).
(١٠) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٨).

قال الحسن[١]: خلق الله سبع سمٰوات على سبع أرضين بين كل سماء وسماء، وأرض وأرض خلق وأمر، وقد تقدّم تحقيق هذا في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وانتصاب[٢] طباقاً على المصدرية، تقول طابقه مطابقة وطباقاً، أو حال بمعنى ذات طباق، فحذف ذات وأقام طباقاً مقامه، وأجاز الفراء[٣] في غير القرآن جرّ طباقاً على النعت.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ أي: منوّراً لوجه الأرض، وجعل القمر في السمٰوات مع كونها في سماء الدنيا؛ لأنّها إذا كانت في إحداهنّ فهي فيهنّ، كذا قال ابن كيسان[٤].

قال الأخفش[٥]: كما تقول: أتاني بنو تميم، والمراد: بعضهم. وقال قطرب[٦]: فيهنّ بمعنى معهنّ؛ أي: خلق القمر والشمس مع خلق السمٰوات والأرض، كما في قول امرئ القيس[٧]:

وهل يَنْعَمَنْ مَنْ كان آخرَ عهده ... ثلاثينَ شهراً في ثلاثةِ أحوالِ

أي: مع ثلاثة أحوال.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ أي: كالمُصباح لأهل الأرض؛ ليتوصّلوا بذلك إلى التصرّف فيما يحتاجون إليه من المعاش.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ يعني: آدم خلقه الله من أديم الأرض، والمعنى: أنشأكم منها إنشاءً، فاستعير[٨] الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين، ونباتاً إما مصدر لأنبت على حذف الزوائد، أو مصدر لفعل محذوف؛ أي: أنبتكم من الأرض، فنبتم نباتاً.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٢).
(٢) «الفريد» (٤/ ٥٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٢).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٨).
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧١٥).
(٥) «مجمع البيان» (٢٩/ ٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٥٧).
(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص٢٧).
وفيه: وهل يَعمَنْ من كان أحدث عهده.
(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٦٤).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٤).

وقال الخليل[١]، والزجاج[٢]: هو مصدر محمول على المعنى؛ لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتاً. وقيل المعنى: والله أنبت لكم من الأرض النبات، فنباتاً على هذا مفعول به. قال ابن بحر[٣]: أنبتهم في الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛ يعني: يخرجكم منها بالبعث يوم القيامة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ أي: فرشها وبسطها لكم تتقلبون عليها تقلبكم على بُسطكم في بيوتكم ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ أي: طرقاً واسعة، والفجاج: جمع فَجّ، وهو الطريق الواسع، كذا قال الفراء[٤]، وغيره، وقيل الفج: المسلك بين الجبلين، وقد مضى تحقيق هذا في سورة الأنبياء وفي سورة الحج مستوفى.

وقد أخرج ابن المنذر[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ قال: لئلا يسمعوا ما يقول ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال: ليتنكروا، فلا يعرفهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ قال: تركوا التوبة.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر[٦] عنه ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال: غطوا وجوههم لئلا يروا نوحاً ولا يسمعوا كلامه.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبيهقي في الشعب[٧] عنه أيضاً في قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا تعلمون لله عظمةً.

وأخرج ابنُ جرير، والبيهقي[٨] عنه أيضاً ﴿وَقَارًا﴾ قال: عظمة. وفي قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣٠).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٨).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٩).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٩).
(٧) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٧) ـ والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٢٩).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٩٥)، والبيهقي رقم (٧٢٨) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم[١] عنه أيضاً في الآية قال: لا تخافون لله عظمة.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٢] عنه أيضاً قال: لا تخشون له عقاباً ولا ترجون له ثواباً.

وأخرج عبدُ الرزاق في «المصنّف» عن عليّ بن أبي طالب[٣]: «أن النبيّ ﷺ رأى ناساً يغتسلون عُراةً ليس عليهم أُزُرْ، فوقف، فنادى بأعلى صوته ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة» عن عبد الله بن عمرو[٤] قال: الشمس والقمر، وجوههما قِبل السماء وأقفيتهما قِبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك عليكم أنه من كتاب الله ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة» عن عبد الله بن عمر[٥] قال: تضيء لأهل السمٰوات، كما تضيء لأهل الأرض.

وأخرج عبد بن حميد عن شهر بن حوشب[٦] قال: اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار وقد كان بينهما بعض العُتْب، فتعاتبا فذهب ذلك، فقال عبد الله بن عمرو لكعب: سلني عما شئت، فلا تسألني عن شيء إلّا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن، فقال له: أرأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السمٰوات السبع، كما هو في الأرض؟ قال: نعم ألم تروا إلى قول الله ﴿خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه عن ابن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٤)، وابن جرير (٢٣/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم في «التغليق» (٤/ ٣٤٨، ٣٤٩) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٠).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١١٠٢).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣١٩)، وأبو الشيخ رقم (٦١٧) بسند حسن.
(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٢٠) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٠).

عباس[١] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال: وجهه في السماء إلى العرش وقفاه إلى الأرض.

وأخرج عبد بن حميد من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه[٢] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال: خلق فيهنّ حين خلقهنّ ضياء لأهل الأرض، وليس في السماء من ضوئه شيء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر[٣] عنه أيضاً ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال: طرقاً مختلفة.

[دعاء نوح عليهم بالهلاك]:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ أي: استمرّوا على عصياني ولم يجيبوا [٤/١٨٠] دعوتي، شكاهم إلى الله ﷻ، وأخبره بأنهم عصوه ولم يتبعوه، وهو أعلم بذلك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: اتبع الأصاغر رؤساءهم[٤]؛ وأهل الثروة منهم الذين لم يزدهم كثرة المال والولد إلّا ضلالاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

قرأ أهل المدينة، والشام، وعاصم: «ووَلَدُه» بفتح[٥] الواو واللام.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ رقم (٦١٦)، والحاكم (٢/ ٥٠٢، ٥٠٣) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٣٠١) بسند صحيح.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦٠).

(٥) «التيسير» (ص٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١١)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٧٢).

وقرأ الباقون بسكون اللام(١)، وهي لغة في الولد، ويجوز أن يكون جمعاً، وقد تقدّم تحقيقه، ومعنى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾: أنهم استمرّوا على اتباعهم لا أنهم أحدثوا الاتباع.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾؛ أي: مكراً كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكُبار، وكُبَّار مثل عجيب وعُجَاب وعُجَّاب، وجميل وجمال وجُمّال. قال المبرد(٢): كُبّاراً بالتشديد للمبالغة، ومثل كباراً قُرّاء لكثير القراءة، وأنشد ابن السكِّيت(٣):

بيضاءُ تصطادُ القلوبَ وتستبِي ... بالحسنِ قلبَ المسلمِ القُرّاءِ

قرأ الجمهور(٤): «كُبَّاراً» بالتشديد. وقرأ ابن محيصن، وحميد، ومجاهد بالتخفيف(٥). قال أبو بكر(٦): هو جمع كبير كأنه جعل مكراً مكان ذنوب أو أفاعيل، فلذلك وصفه بالجمع. وقال عيسى بن عمر(٧): هي لغة يمانية.

واختلف في مكرهم هذا ما هو؟ فقيل: هو تحريشهم(٨) سفلتهم على قتل نوح، وقيل(٩): هو تغريرهم على الناس بما أوتوا من المال والولد حتى قال الضعفة: لولا أنهم على الحق لما أوتوا هذه النعم.

وقال الكلبي(١٠): هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد. وقال مقاتل(١١): هو قول كبرائهم لأتباعهم لا تذرنّ آلهتكم، وقيل: مكرهم: كفرهم ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: لا تتركوا عبادة آلهتكم، وهي الأصنام والصور التي كانت لهم ثم عبدتها العرب مَنْ بعدهم، وبهذا قال الجمهور(١٢).

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. ويلزم مَنْ قرأ بسكون اللّام ضم الواو.
(٢) «زاد المسير» (٨/ ٣٧٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦١).
(٣) «إصلاح المنطق» (ص١٢٤).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٧٣)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٠٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٨٥).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٦٧).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٥).
(٧) «البحر المحيط» (٢٨٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٦٧). القراءة بالتخفيف قراءة شاذة.
(٨) «الكشاف» (٦/ ٢١٨).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٦١).
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، و«الوسيط» (٤/ ٣٦٠).
(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦١)، و«الوسيط» (٤/ ٣٦٠).
(١٢) «جامع البيان» (٢٣/ ٣٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦١).

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾؛ أي: لا تتركوا عبادة هذه.

قال محمد بن كعب(١): هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صوّرتم صورهم كان أنشط لكم وأسوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم من بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك الوقت، وسُمّيت هذه الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوّروها على صورة أولئك القوم.

وقال عروة بن الزبير(٢) وغيره: إن هذه كانت أسماء لأولاد آدم، وكان ودّ أكبرهم. قال الماوردي(٣): فأما ودّ، فهو أوّل صنم معبود، سمي ودّاً لودّهم له، وكان بعد قوم نوح لكلْب بدومة الجندل في قول ابن عباس، وعطاء، ومقاتل، وفيه يقول شاعرهم:

حياك ودٌّ فإنَّا لا يحلُّ لنا ... لهوُ النساءِ وإنَّ الدِّينَ قد غَرَبا(٤)

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر، وأما يغوث فكان لغطيف مِنْ مراد بالجرف مِنْ سبأ في قول قتادة. وقال المهدوي(٥): لمراد ثم لغطفان؛ وأما يعوق فكان لهمدان في قول قتادة، وعكرمة، وعطاء.

وقال الثعلبي(٦): كان لكهلان بن سبأ، ثم توارثوه حتى صار في همدان، وفيه يقول مالك بن نمط(٧) الهمداني:

يريشُ اللهُ في الدنيا ويُبْرِي ... ولا يُبْرِي يعوقُ ولا يريشُ

وأما نَسْر فكان لذي الكُلاع مِنْ حمير في قول قتادة(٨)، ومقاتل(٩).

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٦٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦٢).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٣٢).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٤ ـ ١٠٥).
(٤) قائله النابغة الذبياني وهو في «ديوانه» (ص١٠١)، وفيه: حيَّاك ربي، بدل حيَّاك ودَّ.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٠٤).
(٦) في «تفسيره» (١٠/ ٤٦ ـ ٤٧).
(٧) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٦).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٠٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٢٠) بسند صحيح.
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٥).

قرأ الجمهور[(١)]: «وَدّاً» بفتح الواو. وقرأ نافع[(٢)] بضمها. قال الليث[(٣)]: ودّ بضم الواو صنم لقريش، وبفتحها صنم كان لقوم نوح، وبه سمي عمرو بن ودّ.

قال في «الصحاح»[(٤)]، والوَدّ بالفتح: الوتد في لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها في الدال.

وقرأ الجمهور[(٥)]: «ولا يغوثَ ويعوقَ» بغير تنوين، فإن كانا عربيين، فالمنع من الصرف للعلمية ووزن الفعل، وإن كانا عجميين، فللعجمة والعلمية. وقرأ الأعمش «ولا يغوثاً ويعوقاً» بالصرف[(٦)]. قال ابن عطية[(٧)]: وذلك وهم. ووجه تخصيص هذه الأصنام بالذكر مع دخولها تحت الآلهة؛ لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؛ أي: أضلّ كبراؤهم ورؤساؤهم كثيراً من الناس.

وقيل: الضمير راجع إلى الأصنام؛ أي: ضلّ بسببها كثير من الناس كقول إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وأجرى عليهم ضمير من يعقل لاعتقاد الكفار الذين يعبدونها أنها تعقل ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ معطوف على ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم.

وقال أبو حيان[(٨)]: إنه معطوف على قد أضلوا، ومعنى: ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ إلّا عذاباً، كذا قال ابن بحر[(٩)]، واستدلّ على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]، وقيل: إلّا خسراناً، وقيل: إلّا فتنة بالمال والولد، وقيل: الضياع، وقيل: ضلالاً في مكرهم.

﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ «ما» مزيدة للتأكيد.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٠٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. ومع نافع قرأ أبو جعفر.
(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٤٤).
(٤) «الصحاح» (٢/ ٥٤٩).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٩).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٦٢). وهي قراءة شاذة.
(٧) في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٢٧).
(٨) في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٧).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٥).

والمعنى: من خطيئاتهم؛ أي: من أجلها وبسببها أغرقوا بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ عقب ذلك، وهي نار الآخرة، وقيل: عذاب القبر. قرأ الجمهور[١]: «خطيئاتهم» على جمع السلامة، وقرأ أبو عمرو: «خطاياهم» على جمع[٢] التكسير، وقرأ الجحدري، وعمرو بن عبيد، والأعمش، وأبو حيوة، وأشهب العقيلي: «خطيئتهم» على الإفراد[٣].

قال الضحاك[٤] عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في جانب.

[دعوة نوح الساحقة الماحقة]:

قرأ الجمهور[٥]: «أُغْرِقوا» من أغرق، وقرأ زيد بن عليّ[٦]: «غُرِّقوا» بالتشديد ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾؛ أي: لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله ويدفعه عنهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ معطوف على ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ لما أيس نوح عليه السلام من إيمانهم وإقلاعهم عن الكفر دعا عليهم بالهلاك.

قال قتادة[٧]: دعا عليهم بعد أن أوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فأجاب الله دعوته وأغرقهم.

وقال محمد بن كعب[٨]، ومقاتل[٩]، والربيع بن أنس[١٠]، وابن زيد[١٠]، وعطية[١٠]: إنما قال هذا حين أخرج الله كلّ مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم،

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩١)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٧٢). القراءة بالإفراد شاذة.
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣٣).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٨٦)، و«الكشاف» (٦/ ٢١٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٧٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٨٨). وهي قراءة شاذة.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٠٨) بسند صحيح.
(٨) ذكره عنهم ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٢٨).
(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٨).

وأعقم أرحام النساء وأصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة، وقيل: بأربعين[١].

قال قتادة[٢]: لم يكن فيهم صبيّ وقت العذاب.

وقال الحسن[٣]، وأبو العالية[٤]: لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذاباً من الله لهم، وعدلاً فيهم، ولكن أهلك ذرّيتهم وأطفالهم بغير عذاب، ثم أهلكهم بالعذاب.

ومعنى ﴿دَيَّارًا﴾: مَنْ يسكن الديار، وأصله ديوار على فيعال، من دار يدور، فقلبت الواو ياء وأدغمت إحداهما في الأخرى، مثل القيام أصله قيوام، وقال القتيبي[٥]: أصله من الدار؛ أي: نازل بالدار، يقال: ما بالدار ديار؛ أي: أحد، وقيل الديار: صاحب الديار، والمعنى: لا تدع أحداً منهم إلّا أهلكته.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾؛ أي: إنْ تتركهم على الأرض يضلوا عبادك عن طريق الحقّ ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ أي: إلّا فاجراً بترك طاعتك كفّاراً لنعمتك؛ أي: كثير الكفران لها، والمعنى: إلّا من سيفجر ويكفر.

ثم لما دعا على الكافرين أتبعه بالدعاء لنفسه ووالديه والمؤمنين، فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين، وأبوه لامك بن متوشلخ، كما تقدّم، وأمه سمحاء بنت أنوش، وقيل: أراد آدم وحواء. وقال سعيد بن جبير[٦]: أراد بوالديه: أباه وجدّه.

وقرأ سعيدُ بن جبير[٧]: «ولوالدِي» بكسر الدال على الإفراد.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ قال الضحاك[٨]، والكلبي[٩]: يعني مسجده، وقيل: منزله الذي هو ساكن فيه، وقيل: سفينته، وقيل: لمن دخل في دينه، وانتصاب[١٠] ﴿مُؤْمِنًا﴾ على الحال؛ أي: لمن دخل بيتي متصفاً بصفة الإيمان، فيخرج مَنْ دخله غير متصف بهذه الصفة كامرأته وولده الذي قال: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٤٣].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٨).
(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٤٧).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٨).
(٥) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٨٨).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٦).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٧٠). والقراءة بالإفراد شاذة.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٠٨) من طريق الثوري، به.
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٠).
(١٠) «الفريد» (٤/ ٥٣٨).

ثم عمّم الدعوة، فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: واغفر لكل متصف بالإيمان من الذكور والإناث.

[الدعاء عام يشمل كل كافر ومشرك]:

ثم عاد إلى الدعاء على الكافرين، فقال: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾؛ أي: لا تزد المتصفين بالظلم إلّا هلاكاً، وخسراناً ودماراً وقد شمل دعاؤه هذا كل ظالم إلى يوم القيامة، كما شمل دعاؤه للمؤمنين والمؤمنات كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: هذه الأصنام كانت تُعْبد في زمن نوح.

وأخرج البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عنه[٢] قال: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب. أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهُذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمْير لآل ذي الكُلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم الذي كانوا يجلسون فيه أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٠٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٩٢٠).

سُورَةُ الجِنِّ

هي ثمان وعشرون آية.

وهي مكية. قال القرطبي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، [٤/١٨١] والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الجن بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن عائشة، وابن الزبير مثله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣)﴾.

قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ قرأ الجمهور[٤]: «أُوحي» رباعياً. وقرأ ابن أبي عبلة،

---

(١) في «تفسيره» (٢٧٣/٢١).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (١٤٣/٧، ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٢٩٦/٨).

(٤) «البحر المحيط» (٢٩٢/١٠)، و«تفسير الرازي» (١٥٣/٣٠).

وأبو إياس، والعتكي عن أبي عمرو: «وحي»[(١)] ثلاثياً، وهما لغتان.

[اختلفوا هل رأى النبي ﷺ الجن؟]:

واختُلف هل رآهم النبيّ ﷺ أم لم يرهم؟ فظاهر القرآن أنّه لم يرهم؛ لأن المعنى: قل يا محمد لأمتك: أوحي إليّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ومثله قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح[(٢)] عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجنّ وما رآهم.

قال عكرمة[(٣)]: والسورة التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ هي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؛ أي: سورة العلق. وقد تقدّم في سورة الأحقاف ذكر ما يفيد زيادة في هذا.

قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هذا هو القائم مقام الفاعل، ولهذا فُتحت[(٤)] أنّ، والضمير للشأن، وعند الكوفيين والأخفش[(٥)] يجوز أن يكون القائم مقام الفاعل الجارّ والمجرور، والنفر: اسمٌ للجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة.

قال الضحاك[(٦)]: والجنّ ولد الجانّ وليسوا شياطين. وقال الحسن[(٧)]: إنهم ولد إبليس. قيل: هم أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية، وقيل: نوع من الأرواح المجرّدة، وقيل: هي النفوس البشرية المفارقة لأبدانها.

وقد اختلف[(٨)] أهلُ العلم في دخول مؤمني الجنّ الجنة، كما يدخل عصاتهم النار لقوله في سورة تبارك: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] وقول الجنّ فيما سيأتي في هذه السورة، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٢). هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن أبي عَمْرو.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٤٩)، والترمذي رقم (٣٣٢٣).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٤).

(٤) «التبيان» (٢/ ١٢٤٣)، و«الفريد» (٤/ ٥٤٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١٣).

(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧١٦).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٩).

(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٠٩).

(٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٥٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٧٧).

[الجن: ١٥] وغير ذلك من الآيات، فقال الحسن[1]: يدخلون الجنّة، وقال مجاهد[2]: لا يدخلونها، وإنْ صرفوا عن النار.

والأوّل أولى لقوله في سورة الرحمٰن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٥٦] وفي سورة الرحمٰن آيات غير هذه تدل على ذلك فراجعها.

وقد قدّمنا أن الحق أنه لم يرسل الله إليهم رسلاً منهم، بل الرسل جميعاً من الإنس، وإن أشعر قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الزمر: ٧١] بخلاف هذا، فهو مدفوع الظاهر بآيات كثيرة في الكتاب العزيز دالة على أن الله سبحانه لم يرسل الرسل إلّا من بني آدم، وهذه الأبحاث الكلام فيها يطول، والمراد: الإشارة بأخصر عبارة.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾؛ أي: قالوا لقومهم لما رجعوا إليهم؛ أي: سمعنا كلاماً مقروءاً عجباً في فصاحته وبلاغته.

وقيل: عجباً في مواعظه، وقيل: في بركته، و﴿عَجَبًا﴾ مصدر[3] وصف به للمبالغة، أو على حذف المضاف؛ أي: ذا عجب، أو المصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: معجباً.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾؛ أي: إلى مراشد الأمور، وهي الحقّ والصواب، وقيل: إلى معرفة الله، والجملة صفة أخرى للقرآن.

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: صدّقنا به بأنه من عند الله ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ من خلقه، ولا نتخذ معه إلٰهاً آخر؛ لأنه المتفرّد بالربوبية، وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجنّ بسماع القرآن مرّةً واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرّات متعدّدة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم لا جرم صرعهم الله أذلّ مصرع، وقتلهم أقبح مقتل، ولعذاب الآخرة أشدّ لو كانوا يعلمون.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وحفص، وعلقمة،

---

(١)(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٩).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٨٤)، و«الفريد» (٤/ ٥٤١).

ويحيى بن وثّاب، والأعمش، وخلف، والسلمي: «وأنّه تعالى» بفتح أنّ[١].

وكذا قرءوا فيما بعدها مما هو معطوف عليها، وذلك أحد عشر موضعاً[٢] إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩].

وقرأ الباقون[٣] بالكسر في هذه المواضع كلها إلّا في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] فإنّهم اتفقوا[٤] على الفتح.

أما مَنْ قرأ بالفتح في هذه المواضع، فعلى العطف على محل الجار، والمجرور في ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ كأنه قيل: فصدّقناه، وصدّقنا أنه تعالى جدّ ربنا إلخ.

وأما مَنْ قرأ بالكسر في هذه المواضع، فعلى العطف على إنّا سمعنا؛ أي: فقالوا: إنا سمعنا قرآناً، وقالوا: إنه تعالى جدّ ربنا إلى آخره. واختار أبو حاتم[٥]، وأبو عبيد قراءة الكسر؛ لأنه كله من كلام الجنّ ومما هو محكيّ عنهم بقوله: فقالوا: إنا سمعنا.

وقرأ أبو جعفر[٦]، وشعبة بالفتح في ثلاثة مواضع، وهي: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ قالا: لأنه من الوحي، وكسرا ما بقي لأنه من كلام الجنّ. وقرأ الجمهور[٧]: «وأنّه لما قام عبد الله» بالفتح؛ لأنه معطوف على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾.

وقرأ نافع، وابن عامر، وشيبة، وزرّ بن حبيش، وأبو بكر، والمفضّل عن عاصم بالكسر[٨] في هذا الموضع عطفاً على فآمنا به بذلك التقدير السابق، واتفقوا

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٧٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«التيسير» (ص٢١٥).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٠).

(٣) وهو الصواب. «التيسير» (ص٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٩)، و«جامع البيان» (٢٧/ ٣١٧).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٠).

(٦) «النشر» (٢/ ٣٩١).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٦)، و«التيسير» (ص٣٩٢)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٩).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة. ما ذكره المؤلف من هذه القراءات يُستدرك عليه أنَّ ما عزاه لشعبة كقراءة أبي جعفر فشاذ، وكذا ما عزاه لابن عامر من الكسر في (إنّه لما) شاذ أيضاً «النشر» (٢/ ٣٩٢).

على الفتح في ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾، كما اتفقوا[١] على الفتح في ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ [الجن: ١٨] وفي ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الجن: ١٦] واتفقوا على الكسر في ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ [الجن: ٢٠] و﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ﴾ [الجن: ٢٥] و﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ﴾ [الجن: ٢١].

والجَدّ عند أهل[٢] اللغة «العظَمةُ» والجلال، يقال: جدّ في عيني؛ أي: عَظُم، فالمعنى: ارتفع عظمةُ ربِّنا وجلاله، وبه قال عكرمة[٣]، ومجاهد[٤].

وقال الحسن[٥]: المراد تعالى غناه، ومنه قيل للحظ: جَدّ؛ ورجل مجدود؛ أي: محظوظ، وفي الحديث: «ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ»[٦] قال أبو عبيد[٧]، والخليل[٨]؛ أي: لا ينفع ذا الغنى منك الغنى؛ أي: إنما تنفعه الطاعة، وقال القرظيّ[٨]، والضحاك[٩]: جَدّه: آلاؤه ونعمه على خلقه. وقال أبو عبيدة[٩]، والأخفش[١٠]: ملكه وسلطانه. وقال السديّ: أمره.

وقال سعيد بن جبير[١١]: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي: تعالى ربنا، وقيل: جدّه قدرتُه. وقال محمد بن عليّ بن الحسين[١٢]، وابنه جعفر الصادق، والربيع بن أنس[١٣]: ليس لله جدّ، وإنما قالته الجنّ للجهالة.

قرأ الجمهور[١٤]: «جَدّ» بفتح الجيم، وقرأ عكرمة، وأبو حيوة، ومحمد بن

---

(١) «حجة القراءات» (ص٧٢٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩١).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٥٥)، و«الصحاح» (٢/ ٤٥٢).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣١٣)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٢١) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤) من طريق فضيل، به.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣١٤)، وعبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٢/ ٣٢٥) من طريق سفيان، به.
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٠٥/ ٤٧٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨١).
(٨) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٨).
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٢).
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ١١٠).
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨١).
(١٢) ذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٨).
(١٣) «النكت والعيون» (٦/ ١١٠).
(١٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٤)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١٥٥). قراءة الجمهور في كلمة (جَدّ) هي المتواترة وما عداها فشاذ.

السميفع بكسر الجيم[١]، وهو ضدّ الهزل، وقرأ أبو الأشهب[٢] «جَدَي ربنا»؛ أي: جدواه ومنفعته.

وروي عن عكرمة أيضاً أنه قرأ بتنوين[٣]: «جدٌّ» ورفع: «ربُّنا» على أنه بدل من جدّ.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ هذا بيان لتعالي جدّه سبحانه. قال الزجاج[٤]: تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولداً، وكأن الجن نبَّهوا بهذا على خطأ الكفار الذين ينسبون إلى الله الصاحبة والولد، ونزّهوا الله سبحانه عنهما.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ الضمير في أنه للحديث، أو الأمر، وسفيهُنا يجوز أن يكون اسم كان، (ويقول) الخبر، ويجوز أَنْ يكون سفيهنا فاعلِ يقول، والجملة خبر كان، واسمها ضمير يرجع إلى الحديث، أو الأمر، ويجوز أن تكون كان زائدة[٥]، ومرادهم بسفيههم عصاتهم ومشركوهم.

وقال مجاهد[٦]، وابن جريج[٧]، وقتادة[٨]: أرادوا به إبليس.

والشطط: الغلوّ في الكفر. وقال أبو مالك[٩]: الجَور، وقال الكلبي[٩]: الكذب، وأصله البعد عن القصد ومجاوزة الحدّ، ومنه قول الشاعر:

بأيةِ حالٍ حكَموا فيك فاشتطُّوا وما ذاكَ إلّا حيثُ يَمَّمَكَ الوخْطُ[١٠]

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾؛ أي: إنّا حسبنا أن الإنس والجنّ كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكاً وصاحبة وولداً، فلذلك صدّقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم، وبطلان ما كنا نظنه بهم من الصدق،

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. (٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٨٧).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٣٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٨٧).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٣٤).
(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٠) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٠) بسند صحيح.
(٩) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١١٠).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٣).

وانتصاب[١] ﴿كَذِبًا﴾ على أنه مصدر مؤكد ليقول؛ لأن الكذب نوع من القول، أو صفة لمصدر محذوف؛ أي: قولاً كذباً.

وقرأ يعقوب، والجحدري، وابن أبي إسحاق «أَنْ لن تقوّل»[٢] من التقوّل، فيكون على هذه القراءة كذباً مفعول به.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال الحسن[٣]، وابن زيد[٤]، وغيرهما: كان العرب إذا نزل الرجل بوادٍ قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، فيبيت في جواره حتى يصبح، فنزلت هذه الآية.

قال مقاتل[٥]: كان أوّل من تعوّذ بالجنّ قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ أي: زاد رجالُ الجنّ مَنْ تعوذ بهم من رجال الإنس رهقاً؛ أي: سفهاً وطغياناً، أو تكبراً وعتوّاً، أو زاد المستعيذون من رجال الإنس من استعاذوا بهم من رجال الجنّ رهقاً؛ لأن المستعاذ بهم كانوا يقولون: سُدْنا الجنّ والإنس. وبالأوّل قال مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وبالثاني قال أبو العالية، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد[٨].

والرَّهَق[٩] في كلام العرب: الإثمُ وغشيان المحارم، ورجل رَهِقٌ: إذا كان كذلك، ومنه قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧]؛ أي: تغشاهم، ومنه قول الأعشى[١٠]:

---

(١) «الفريد» (٤/ ٥٤٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٤).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٨٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٣). قراءة يعقوب ومَنْ معه قراءة متواترة.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٢) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٤) بسند صحيح.
(٥) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٣٤).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٨) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٨) بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ١١١).
(٩) «تهذيب اللغة» (٥/ ٣٩٧)، و«الصحاح» (٤/ ١٤٨٦).
(١٠) «ديوان الأعشى» (ص٤١٥).

لا شيءَ ينفعُني مِنْ دونِ رؤيتِها هل يشتفي عاشِقٌ ما لم يُصبْ رَهَقاً [٤/ ١٨٢]

يعني: إثماً. وقيل: الرهق: الخوفُ؛ أي: أن الجنّ زادت الإنس بهذا التعوّذ بهم خوفاً منهم، وقيل: كان الرجل من الإنس يقول: أعوذ بفلان من سادات العرب من جنّ هذا الوادي، ويؤيد هذا ما قيل من أن لفظ رجال لا يطلق على الجنّ، فيكون قوله: ﴿بِرِجَالٍ﴾ وصفاً لمن يستعيذون به من رجال الإنس؛ أي: يعوذون بهم من شرّ الجنِّ، وهذا فيه بُعد، وإطلاق لفظ رجال على الجنّ على تسليم عدم صحته لغة لا مانع من إطلاقه(١) عليهم هنا مِنْ باب المشاكلة.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ هذا من قول الجنّ للإنس؛ أي: وإن الجنّ ظنوا كما ظننتم أيها الإنس أنه لا بعثَ.

وقيل: المعنى: وإنّ الإنس ظنوا، كما ظننتم أيها الجنّ، والمعنى: أنهم لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون.

[الطريق إلى السماء محروسة بحرس شديد]:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هذا من قول الجنّ أيضاً؛ أي: طلبنا خبرها، كما جرت به عادتنا ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة يحرسونها عن استراق السمع، والحرس جمع حارس، و﴿شَدِيدًا﴾ صفة لحرساً؛ أي: قوياً ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب، وهو الشعلة المقتبسة من نار الكوكب، كما تقدّم بيانه في تفسير قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] ومحل قوله: ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ النصب(٢) على أنه ثاني مفعولي وجدنا؛ لأنه يتعدّى إلى مفعولين.

ويجوز أن يكون متعدّياً إلى مفعول واحد، فيكون محل الجملة النصب(٣) على الحال بتقدير قد، وحرساً منصوب على التمييز، ووصفه بالمفرد اعتباراً باللفظ، كما يقال: السلف الصالح؛ أي: الصالحين.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: وأنا كنا معشر الجنّ قبل هذا نقعد من

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٨٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٨٩).

(٢) «الفريد» (٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٩٠ ـ ٤٩١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

السماء مقاعد للسمع؛ أي: مواضع نقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء، وللسمع متعلق بنقعد؛ أي: لأجل السمع، أو بمضمر هو صفة لمقاعد؛ أي: مقاعد كائنة للسمع، والمقاعد: جَمْعُ مقعد اسمُ مكان، وذلك أن مردة الجنّ كانوا يفعلون ذلك؛ ليسمعوا من الملائكة أخبار السماء؛ فيلقونها إلى الكهنة، فحرسها الله سبحانه ببعثه رسوله ﷺ بالشُّهب المُحْرِقة، وهو معنى قوله: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي: أرصُد له ليُرمى به، أو لأجله لمنعه من السماع.

وقوله: ﴿الْآنَ﴾ هو ظرف(١) للحال، واستُعير للاستقبال، وانتصاب رصداً على أنه صفة لشهاباً، أو مفعول له، وهو مفرد ويجوز أن يكون اسم جمع كالحرس.

وقد اختلفوا هل كانت الشياطين تُرمى بالشهب قبل المبعث أم لا؟ فقال قوم: لم يكن ذلك. وحكى الواحدي(٢) عن معمر قال: قلتُ للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلتُ: أفرأيت قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ الآية، قال: غُلّظت وشُدّد أمرها حين بعث محمد ﷺ.

قال ابنُ قتيبة(٣): إنّ الرجم قد كان قبل مبعثه، ولكنّه لم يكن مثله في شدّة الحراسة بعد مبعثه، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال، فلما بُعث منعوا من ذلك أصلاً.

وقال عبد الملك بن سابور(٤): لم تكن السماء تُحرس في الفترة بين عيسى ومحمد، فلما بعث محمد ﷺ حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب، ومنعت من الدنوّ إلى السماء.

وقال نافع بن جبير(٥): كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا تُرمى، فلما بعث رسول الله ﷺ رميت بالشهب، وقد تقدّم البحث عن هذا.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؛ أي: لا ندري أشرّ

---

(١) «حاشية الشهاب» (٨/ ٢٥٧)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٩٢).
(٢) في «الوسيط» (٤/ ٣٦٥). (٣) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٣٣٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٧).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٣) إلى الواقدي وأبو نعيم في «الدلائل»، عن أُبي بن كعب.

أريد بأهل الأرض بسبب هذه الحراسة للسماء، أم أراد بهم ربهم رشداً؛ أي: خيراً.

قال ابن زيد(١): قال إبليس: لا ندري أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذاباً، أو يُرسل إليهم رسولاً؟ وارتفاع ﴿أَشَرٌّ﴾ على الاشتغال(٢)، أو على الابتداء، وخبره ما بعده، والأوّل أولى، والجملة سادّة مسدّ مفعولي ندري، والأولى أن هذا من قول(٣) الجنّ فيما بينهم، وليس من قول إبليس كما قال ابن زيد.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ أي: قال بعض لبعض لما دعوا أصحابَهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ: وأنا كنّا قبل استماع القرآن منا الموصوفون بالصلاح ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قوم دون ذلك؛ أي: دون الموصوفين بالصلاح.

وقيل: أراد بالصالحين: المؤمنين، وبمن هم دون ذلك الكافرين، والأوّل أولى.

ومعنى ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ أي: جماعات متفرقة، وأصنافاً مختلفة، والقِدّة: القطعة من الشيء، وصار القوم قِدداً: إذا تفرقت أحوالهم، ومنه قول الشاعر:

القابضُ الباسطُ الهادِي لطاعتِه ... في فتنةِ الناسِ إذْ أهواؤُهم قِدَدُ(٤)

والمعنى: كنا ذوي طرائق قدداً، أو كانت طرائقنا طرائق قِدداً، أو كنا مثل طرائق قدداً ومن هذا قول لَبيد(٥):

لم تبلغ العينُ كلَّ نَهْمَتِها ... يومَ تمسي الجيادُ كالقِدَدِ

وقوله أيضاً:

ولقد قلتُ وزيدٌ حاسِرٌ ... يومَ ولَّتْ خيلُ عمروٍ قِدَداً(٦)

قال السديّ(٧)، والضحاك: أدياناً مختلفة، وقال قتادة(٨): أهواء متباينة.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٨) بسند صحيح.
(٢) «الفريد» (٤/ ٥٤٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٤).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٨٩).
(٤) البيت للراعي النميري وهو في «ديوانه» (ص٦٣).
(٥) «ديوان لبيد» (ص٥٠). وفي الديوان «ليلة تمسي».
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٩١) بدون نسبة.
(٧) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١١٣).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٢) بسند صحيح.

وقال سعيد بن المسيب[١]: كانوا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وكذا قال مجاهد[٢].

قال الحسن[٣]: الجنّ أمثالكم قَدَرية، ومُرجئة، ورافضة، وشيعة، وكذا قال السديّ[٤].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الظنّ هنا بمعنى: العلم واليقين؛ أي: وأَنَّا علمنا أن الشأن لن نعجز الله في الأرض أينما كنا فيها، ولن نفوته إن أراد بنا أمراً ﴿وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا﴾؛ أي: هاربين منها، فهو مصدر في موضع الحال.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ يعنون: القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وصدّقنا أَنَّه من عند الله ولم نُكذّب به، كما كذبت به كفرةُ الإنس.

﴿فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا﴾؛ أي: لا يخاف نقصاً في عمله وثوابه، ولا ظلماً ومكروهاً يغشاه، والبخس: النقصان، والرهق: العدوان والطغيان.

والمعنى: لا يخاف[٥] أن ينقص من حسناته، ولا أن يزاد في سيئاته، وقد تقدّم تحقيق الرهق قريباً.

قرأ الجمهور[٦]: «بَخْساً» بسكون الخاء. وقرأ يحيى بن وثّاب[٧] بفتحها. وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش: «فلا يخفْ»[٨] جزماً على جواب الشرط، ولا وجه لهذا بعد دخول الفاء، والتقدير: فهو لا يخاف، والأمر ظاهر.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣١) بسند صحيح.

(٣) ذكره عن الحسن والسدي البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٨٠).

(٤) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٣٣٢) بسند صحيح.

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٩)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١٥٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥٢٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٩٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٩). وقراءة يحيى بن وثّاب شاذة.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٩٨). القراءة بجزم (يخف) شاذة.

وقد أخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وغيرهم عن ابن عباس(١) قال: انطلق النبيّ ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلّا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها؛ لتعرفوا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبيّ ﷺ، وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وإنما أوحي إليه قولُ الجنّ.

وأخرج ابن مردويه(٢) عن ابن مسعود في قوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال: كانوا من جنّ نصيبين.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ قال: آلاؤه وعظمته.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم(٤) عنه في الآية قال: أمره وقُدْرته.

وأخرج ابن مردويه، والديلمي، قال السيوطي(٥): بسندٍ واهٍ عن أبي موسى(٦) الأشعري مرفوعاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ قال: إبليس.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي في «الضعفاء»، والطبراني،

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٢٧١)، والبخاري رقم (٧٧٣، ٤٩٢١)، ومسلم رقم (٤٤٩)، والترمذي رقم (٣٣٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٢٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٣)، والطبراني رقم (١٢٤٤٦)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٧١) ـ وأبو نعيم رقم (١٧٧)، والبيهقي (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٠).

(٥) في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٨).

(٦) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٧١٩٨)، وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٧٥).

وأبو الشيخ في «العَظَمة»، وابن مردويه، وابن عساكر عن عكرمة بن أبي السائب[١] الأنصاري قال: خرجتُ مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أوّل ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب، فأخذ حَمَلاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي أنا جارك، فنادى منادٍ يا سِرْحان أرسله، فأتى الحَمَلُ يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: إثماً.

وأخرج ابن مردويه[٣] عنه قال: كان القوم في الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ ما فيه، فلا يكون بشيء أشدّ ولعاً منهم بهم، فذلك قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن ابن عباس[٤] قال: كانت الشياطين لهم مقاعد في السماء يسمعون فيها الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقّاً، وأما ما زادوا فيكون باطلاً، فلما بُعث رسول الله ﷺ مُنعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك. فقال لهم: ما هذا إلّا من أمر [٤/١٨٣] قد حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين بمكة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٤٩)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٠١)، والطبراني (ج١٩ رقم ٤٣٠)، وأبو الشيخ رقم (١١١٧)، وابن مردويه ـ كما في «الإصابة» (٥/ ٥٧٨) ـ وابن عساكر في «تاريخه» (٢٥/ ٣٣١، ٣٣٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٩) فيه عبد الرحمٰن بن إسحاق الكوني وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٢٢) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٨٨)، وأحمد رقم (٢٤٨٢)، والترمذي رقم (٣٣٢٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٣٣٢٤)، وابن جرير (٢٣/ ٥٠٠)، والطبراني رقم (١٢٤٣١)، وأبو نعيم رقم (١٧٧)، والبيهقي (٢/ ٣٣٩، ٣٤٠). وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[١] عنه في قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: منا المسلم ومنا المشرك، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أهواءً شتى.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قال: لا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادة في سيئاته.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾.

[توجيهات إلهية للرسول عليه السلام]:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

[قسط إذا ظلم وأقسط إذا عدل]:

قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ هم الذين آمنوا بالنبيّ ﷺ ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾؛ أي: الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق ومالوا إلى طريق الباطل، يقال: قَسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣٠) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٠) ـ بسند صحيح.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدٗا﴾؛ أي: قصدوا طريق الحق. قال الفراء[1]: أمّوا الهدى ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾؛ أي: وقوداً للنار توقد بهم، كما توقد بكفرة الإنس.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هذا ليس من قول الجنّ بل هو معطوف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] والمعنى: وأوحي إليّ أن الشأن لو استقام الجنّ أو الإنس، أو كلاهما على الطريقة، وهي طريقة الإسلام، وقد قدّمنا أن القراء اتفقوا على فتح «أَنَّ» هٰهنا.

قال ابن الأنباري[2]: والفتحُ هنا على إضمار يمين تأويلها، والله أن لو استقاموا على الطريقة كما فعل، يقال في الكلام: والله لو قمتَ لقمتُ، كما في قول الشاعر:

أما واللّهِ أنْ لو كنتَ حُرّاً ... ولا بالْحُرِّ أنتَ ولا العتِيقِ[3]

قال: أو على أُوحي إليّ أنه استمع، وأن لو استقاموا، أو على آمنا به؛ أي: آمنا به، وبأن لو استقاموا. قرأ الجمهور[4] بكسر الواو من: «لو» لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن وثاب، والأعمش بضمها[5].

﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾؛ أي: كثيراً واسعاً. قال مقاتل[6]: ماء كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رُفع عنهم المطر سبع سنين.

وقال ابن قتيبة[7]: المعنى لو آمنوا جميعاً لوسّعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق مثلاً؛ لأنّ الخير كله والرزق بالمطر، وهذا كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ [المائدة: ٦٥] الآية، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجٗا ٢

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٣).
(٢) في «الوقف والابتداء» (٢/ ٩٥١ ـ ٩٥٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٤)، وانظر: «خزانة الأدب» (٤/ ١٤١).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥٢٤).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٣).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٣٦٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٤١).
(٧) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٩١).

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣] وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] الآية.

وقيل: المعنى: وأن لو استقام أبوهم على عبادته، وسجد لآدم ولم يكفر، وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم، واختار هذا الزجاج(١). والماء الغَدَقُ: هو الكثير في لغة العرب.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لنختبرهم، فنعلم كيف شكرهم على تلك النعم.

وقال الكلبي(٢): المعنى وأن لو استقاموا على الطريقة التي هم عليها من الكفر، فكانوا كلهم كفاراً، لأوسعنا أرزاقهم مكراً بهم واستدراجاً حتى يفتنوا بها، فنعذبهم في الدنيا والآخرة. وبه(٣) قال الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمٰن، والثمالي، ويمان بن زيان، وابن كيسان، وأبو مجلز، واستدلوا بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] الآية، والأوّل أولى.

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: ومن يعرض عن القرآن، أو عن العبادة، أو عن الموعظة، أو عن جميع ذلك يسلكه؛ أي: يدخله عذاباً صعداً؛ أي: شاقّاً صعباً.

قرأ الجمهور(٤): «نَسْلُكه» بالنون مفتوحة. وقرأ الكوفيون، وأبو عمرو في رواية عنه بالياء التحتية(٥)، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٦)، وأبو حاتم لقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ ولم يقل عن ذكرنا.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٥).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٤١).

(٣) انظر هذه الأقوال في: «روح المعاني» (٢٧/ ٥٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٩٥)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٤) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٢)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٩٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٠).

(٥) «التيسير» (ص٢١٥)، و«النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٠).

(٦) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦).

وقرأ مسلم بن جندب، وطلحة بن مصرّف، والأعرج بضم[(١)] النون وكسر اللام من أسلكه، وقراءة الجمهور[(٢)] من سلكه.

والصّعَد في اللغة[(٣)]: المشقة، تقول تَصعّد بي الأمر: إذا شقّ عليك، وهو مصدر صَعِد، يقال: صَعِد صَعَداً وصُعوداً، فوُصف به العذاب مبالغة؛ لأنه يتصعَّد المعذَّب؛ أي: يعلوه ويغلبه فلا يطيقه.

قال أبو عبيدة[(٤)]: الصَّعَد مصدر؛ أي: عذاباً ذا صعد. وقال عكرمة[(٥)]: الصعد: هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حُدر إلى جهنم، كما في قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] والصعود: العقبة الكئود.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قد قدّمنا اتفاق القراء هنا على الفتح، فهو معطوف على أنه استمع؛ أي: وأُوحي إليّ أنَّ المساجد مختصة بالله. وقال الخليل[(٦)]: التقدير: ولأن المساجد. والمساجد: المواضع التي بُنيت للصلاة فيها.

قال سعيد بن جبير[(٧)]: قالت الجنّ: كيف لنا أن نأتي المساجد، ونشهد معك الصلاة، ونحن ناءون عنك؟ فنزلت. وقال الحسن[(٨)]: أراد بها كل البقاع؛ لأن الأرض كلها مسجد.

وقال سعيد بن المسيب[(٩)]، وطلق بن حبيب: أراد بالمساجد: الأعضاء التي يَسْجدُ عليها العبد، وهي القدمان والركبتان واليدان والجبهة، يقول: هذه أعضاء أنعم الله بها عليك، فلا تسجد بها لغيره فتجحد نعمة الله، وكذا قال عطاء[(١٠)].

وقيل: المساجد: هي الصلاة؛ لأن السجود من جملة أركانها، قاله الحسن[(١١)]. ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ من خلقه كائناً ما كان.

---

(١) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠١).
(٢) تقدم ذكره.
(٣) «تهذيب اللغة» (٢/ ٦)، و«الصحاح» (٢/ ٤٩٧).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٧).
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٣٩).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٤٠) بسند ضعيف لإرساله.
(٨) «الوسيط» (٤/ ٣٦٧).
(٩) انظر: «زاد المسير» (٨/ ٣٨٢)، و«الوسيط» (٤/ ٣٦٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٤٢).
(١٠) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٣٩).
(١١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١٣).

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ قد قدّمنا أن الجمهور قرءوا هنا بفتح «أن»، عطفاً على أنه استمع؛ أي: وأوحي إليّ أنّ الشأن لما قام عبد الله، وهو النبيّ ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾؛ أي: يدعوا الله ويعبده، وذلك ببطن نخلة، كما تقدّم حين قام رسول الله ﷺ يصلي ويتلو القرآن، وقد قدّمنا أيضاً قراءة من قرأ بكسر: «إن» هنا، وفيها غموض وبعد عن المعنى المراد.

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾؛ أي: كاد الجنّ يكونون على رسول الله ﷺ لبداً؛ أي: متراكمين[1] من ازدحامهم عليه لسماع القرآن منه.

قال الزجاج[2]: ومعنى ﴿لِبَدًا﴾: يركب بعضُهم بعضاً، ومن هذا اشتقاق هذه اللِّبود التي تُفرش.

قرأ الجمهور[3]: «لِبَداً» بكسر اللام وفتح الباء. وقرأ مجاهد، وابن محيصن، وهشام بضم اللام[4] وفتح الباء، وقرأ أبو حيوة، ومحمد بن السميفع، والعقيلي، والجحدري بضم[5] الباء واللام. وقرأ الحسن، وأبو العالية، والأعرج بضم اللام[6] وتشديد الباء مفتوحة. فعلى القراءة الأولى المعنى ما ذكرناه، وعلى قراءة ضم اللام يكون المعنى كثيراً، كما في قوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦] وقيل: المعنى: كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حَرْداً على النبيّ ﷺ.

وقال الحسن[7]، وقتادة[8]، وابن زيد[9]: لما قام عبد الله محمد بالدعوة، تلبّدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلّا أن ينصره ويتم نوره.

---

(١) «جامع البيان» (٢٣/ ٣٤٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٣٦).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٨٣)، و«فتح الباري» (٨/ ٥١٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٢).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠٧).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤).
(٦) «فتح الباري» (٨/ ٥١٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٥). لهشام وجهان، الوجه الأول بضم اللّام وفتح الباء، والوجه الثاني كقراءة باقي العشرة بكسر اللّام وفتح الباء، وأمّا بقية القراءات التي ذكرها المؤلف فشاذة «النشر» (٢/ ٣٩٢).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٤٦) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٤٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٣) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٤٥) بسند صحيح.

واختار هذا ابن جرير[١].

قال مجاهد[٢]: ﴿لِبَدًا﴾؛ أي: جماعات، وهو من تلبّد[٣] الشيء على الشيء؛ أي: اجتمع، ومنه اللِّبْد الذي يُفرش لتراكم صوفه، وكل شيء ألصقته إلصاقاً شديداً، فقد لبّدته، ويقال للشعر الذي على ظهر الأسد: لِبْدة، وجمعها لِبَد، ويقال للجراد الكثير: لِبدَ؛ ويطلق اللُبَد بضم اللام وفتح الباء على الشيء الدائم، ومنه قيل لنسر لقمان: لبد لطول بقائه، وهو المقصود بقول النابغة[٤]:

أَخْنَى عليها الذي أَخْنى على لُبَدِ[٥]

قال ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: قال عبد الله[٦]: إنما أدعو ربي وأعبده ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من خلقه.

قرأ الجمهور[٧]: «قال» وقرأ عاصم[٨]، وحمزة «قل» على الأمر.

وسبب[٩] نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا فنحن نجيرك.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرّاً ولا أسوق إليكم خيراً.

وقيل: الضَرّ: الكُفْر، والرَشَد: الهدى، والأوّل أولى لوقوع النكرتين في سياق النفي، فهما يعمان كل ضرر وكل رشد في الدنيا والدين.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: لا يدفع عني أحد عذابه إن أنزله بي

---

(١) في «جامع البيان» (٢٣/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٠).
(٣) «الصحاح» (٢/ ٥٣٣)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ١٢٩).
(٤) «ديوان النابغة» (ص٣١).
(٥) وصدر البيت:

أضحت خَلاءً وأمسى أهْلها احتملوا

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٠٤).
(٧) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٤٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٢).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٠٥).

﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: مَلْجأ ومعدلاً وحِرْزاً، والملتحد معناه في اللغة: الممال؛ أي: موضعاً أميل إليه.

قال قتادة[(١)]: مولىً. وقال السديّ[(٢)]: حِرْزاً، وقال الكلبي[(٣)]: مدخلاً في الأرض مثل السّرَب، وقيل: مذهباً ومسلكاً، والمعنى متقارب، ومنه قول الشاعر:

يا لهفَ نفسي ولَهْفي غيرُ مُجديةٍ ... عنِّي وما مِنْ قضاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ[(٤)]

والاستثناء[(٥)] في قوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هو من قوله لا أملك؛ أي: لا أملك ضرّاً ولا رشداً إلّا التبليغ من الله، فإن فيه أعظم الرشد، أو من ملتحداً؛ أي: لن أجد من دونه ملجأ إلّا التبليغ.

قال مقاتل[(٦)]: ذلك الذي يجيرني من عذابه.

وقال قتادة[(٧)]: إلّا بلاغاً من الله، فذلك الذي أملكه [١٨٤/ ٤] بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما.

قال الفراء[(٨)]: لكن أبلغكم ما أرسلت به، فهو على هذا منقطع.

وقال الزجّاج[(٩)]: هو منصوب على البدل من قوله: ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: ولن أجد من دونه ملتحداً إلّا أن أبلغ ما يأتي من الله، وقوله: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ معطوف على بلاغاً؛ أي: إلّا بلاغاً مِنْ الله، وإلّا رسالاته التي أرسلني بها إليكم، أو إلّا أن أبلغ عن الله، وأعمل برسالاته، فآخذ نفسي بما آمر به غيري.

وقيل: الرسالات معطوفة[(١٠)] على الاسم الشريف؛ أي: إلّا بلاغاً عن الله وعن رسالاته، كذا قال أبو حيان[(١١)] ورجحه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٥).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٤٣).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٤٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٠٥).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٠٥).
(٥) وهو استثناء منقطع. «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠٧).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٦٨).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٥٠) بسند صحيح.
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٣٧).
(١٠) «الفريد» (٤/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥١٠).
(١١) في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٣).

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأمر بالتوحيد لأن السياق فيه.

﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ الجمهور[(١)] بكسر: «إِنَّ» على أنها جملة مستأنفة. وقُرئ بفتح[(٢)] الهمزة؛ لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء[(٣)]، والتقدير: فجزاؤه أن له نار جهنم، أو فحكمه أن له نار جهنم، وانتصاب ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ على الحال؛ أي: في النار، أو في جهنم، والجمع باعتبار معنى ﴿مَن﴾.

كما أن التوحيد في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ باعتبار لفظها. وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ تأكيد لمعنى الخلود؛ أي: خالدين فيها بلا نهاية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾؛ يعني: من العذاب في الدنيا أو في الآخرة. والمعنى لا يزالون على ما هم عليه من الإصرار على الكفر وعداوة النبي ﷺ والمؤمنين حتى إذا رأوا الذي يوعدون به ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾؛ أي: من هو أضعف جنداً ينتصر به، وأقلّ عدداً أهم أم المؤمنون؟

[يؤمر الرسول أن يتجرد وينفض يديه من أمر الغيب]:

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾؛ أي: ما أدري أقريب حصول ما توعدون من العذاب ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً ومُدّةً.

أمره الله سبحانه أن يقول لهم هذا القول لمّا قالوا له: متى يكون هذا الذي توعدنا به؟ قال عطاء[(٤)]: يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلّا الله وحده، والمعنى: أن علم وقت العذاب علمُ غيبٍ لا يعلمه إلّا الله.

قرأ الجمهور[(٥)]: «ربي» بإسكان الياء. وقرأ الحَرَمِيَّان[(٦)]، وأبو عَمْرو

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٩٨)، و«التبصرة» (ص٧١٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥١١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٣)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٦٠). القراءة بفتح الهمزة شاذة.
(٣) «الكشاف» (٦/ ٢٣٤).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٣٦٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٨٥).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٣).
(٦) هما نافع المدني، وابن كثير المكي.

بفتحها[١]، و﴿مَنْ﴾ في ﴿مَنْ أَضْعَفُ﴾ موصولة، وأضعف[٢] خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو أضعف، والجملة صلة الموصول، ويجوز أن تكون استفهامية[٣] مرتفعة على الابتداء، وأضعف خبرها، والجملة في محل نصب[٤] سادة مسدّ مفعولي أدري.

وقوله: ﴿أَقَرِيبٌ﴾ خبر مقدّم، ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ الجمهور[٥] بالرفع على أنه بدل من ربي، أو بيان له، أو خبر مبتدأ محذوف، والجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها من عدم الدراية. وقرئ بالنصب[٦] على المدح. وقرأ السريّ[٧]: «عَلِمَ الغيبَ» بصيغة الفعل ونصب الغيب.

والفاء في ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ لترتيب[٨] عدم الإظهار على تفرّده بعلم الغيب؛ أي: لا يطلع على الغيب الذي يعلمه، وهو ما غاب عَنْ العباد أحداً منهم.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ أي: إلّا من اصطفاه من الرسل، أو من ارتضاه منهم لإظهاره على بعض غيبه؛ ليكون ذلك دالاً على نبوّته.

قال القرطبي[٩]: قال العلماء: لمّا تمدّح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضى من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يَضْرب بالحصى، وينظر في الكف، ويزجر

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٠٦). وقرأ بفتحها أبو جعفر كذلك.

(٢) «الفريد» (٤/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥١٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٥١٢)، و«الفريد» (٤/ ٥٤٧).

(٥) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٣).

(٦) «روح المعاني» (٢٧/ ٥٦٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٩٩)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٤٢٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٠٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٩٩).

• والذي في مصادر القراءات السُّدي. وهو الصواب وما ذكره الشوكاني (السري) فهو تصحيف.

(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٥١٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤١٤).

(٩) في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٨).

بالطير ممّن ارتضاه من رسول، فيطلعه على ما يشاء من غيبه، فهو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

وقال سعيد بن جبير(١): ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ هو جبريل، وفيه بُعْد.

وقيل: المراد بقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه يطلعه على بعض غيبه، وهو ما يتعلق برسالته كالمعجزة، وأحكام التكاليف، وجزاء الأعمال، وما يبينه من أحوال الآخرة، لا ما لا يتعلق برسالته من الغيوب، كوقت قيام الساعة ونحوه.

قال الواحدي(٢): وفي هذا دليل على أن من ادّعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن.

قال في «الكشاف»(٣): وفي هذا إبطال للكرامات(٤)، لأنّ الذين تضاف إليهم، وإنْ كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وإبطال للكهانة والتنجيم؛ لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله في السخط.

قال الرازي(٥): وعندي لا دلالة في الآية على شيء مما قالوه إذْ لا صيغة عموم في غيبه، فتحمل على غيب واحد، وهو وقت القيامة لأنه واقع بعد قوله: ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ الآية. فإن قيل: فما معنى الاستثناء حينئذٍ؟ قلنا: لعله إذا قربت القيامة يظهره، وكيف لا؟ وقد قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).

(٢) في «الوسيط» (٤/ ٣٦٩).

(٣) الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٢٣٥).

(٤) وإبطالها مذهب المعتزلة، وأمّا إثباتها فهو مذهب أهل السُّنَّة، وهي لا تنحصر في الإخبار بالغيب.
وقال ابن المنير في «الإنصاف»: ادعى عامّاً واستدل خاصّاً، فإن دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطلاع الولي على الغيب خاصة، ولا يكون كرامة وخارق للعادة إلا الاطلاع على الغيب لا غير، وما القدرية إلا ولهم شبهة في إبطالها، وذلك أن الله ﷻ لا يتخذ منهم وليّاً أبداً، وهم لم يحدثوا بذلك أشياعهم قط، فلا جرم أنهم يستمرون على الإنكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية، وهي مسلوبة عنهم اتفاقاً، وأمّا سلب الإيمان فمسألة خلاف، فما أطمع من يكون إيمانه مسألة خلاف وهو يريد الكرامة؛ لأنّه لم يؤتها، والله الموفق.

(٥) في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

[الفرقان: ٢٥] فتعلم الملائكة حينئذٍ قيام القيامة، أو هو استثناء منقطع؛ أي: مَنْ ارتضاه من رسول يجعل من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شرّ مردة الجنّ والإنس[١].

ويدلّ[٢] على أنه ليس المراد به لا يطلع أحداً على شيء من المغيبات أنه ثبت، كما يقارب التواتر أن شِقّاً وسطيحاً كانا كاهنين وقد عرّفا بحديث النبيّ ﷺ قبل ظهوره، وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع إليهما كسرى.

فثبت[٣] أنّ الله تعالى قد يُطلع غيرَ الرسل على شيء من المغيبات، وأيضاً أطبق أهل الملل على أن معبر الرؤيا يُخْبر عن أمور مستقبلة، ويكون صادقاً فيها، وأيضاً قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنةً من بغداد إلى خراسان، وسألها عن أمور مستقبلة، فأخبرته بها، فوقعت على وفق كلامها. قال[٤]: وأخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل، فكانت على وفق خبرها.

وبالغ أبو البركات[٥] في كتاب «التعبير» في شرح حالها وقال: فحصت عن حالها ثلاثين سنة، فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً.

وأيضاً فإنّا نشاهد ذلك في أصحاب الإلهامات الصادقة، وقد يوجد ذلك في السحرة أيضاً، وقد نرى الأحكام النجومية مطابقة، وإن كانت قد تتخلف، ولو قلنا: إنّ القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرّق الطعن إلى القرآن، فيكون التأويل ما ذكرنا، انتهى كلامه[٦].

[الشوكاني يفنّد أدلة الرازي وأقواله]:

قلتُ: أما قوله إذ لا صيغة عموم في غيبه، فباطل، فإن إضافة المصدر واسم

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٠/ ١٦٨)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٢) قاله الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٩).

(٣) قاله الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٩).

(٤) القائل هو فخر الدين الرازيّ في: «تفسير الرازي» (٣٠/ ١٦٩).

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٩).

(٦) الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

الجنس[١] من صيغ العموم، كما صرّح به أئمة الأصول وغيرهم. وأما قوله: أو هو استثناء منقطع[٢]، فمجرّد دعوى يأباه النظم القرآني.

وأما قوله: إن شقاً وسطيحاً إلخ، فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع، ويلقون ما يسمعونه إلى الكهان، فيخلطون الصدق بالكذب، كما ثبت في الحديث الصحيح. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ [الصافات: ١٠] ونحوها من الآيات، فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة، وأنه كان طريقاً لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى مُنعوا ذلك بالبعثة المحمدية. وقالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩] فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بأدلته، فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم، فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية.

وأما حديث المرأة الذي أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاه عنها من الأخبار لكان مِنْ باب ما ورد في الحديث[٣]: «إن في هذه الأمة محدّثين، وإن منهم عمر» فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا انقضاء لها.

وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله في آخر كلامه: فلو قلنا: إن القرآن يدلّ على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيقال له: ما هذه بأوّل زلة مِنْ زلاتك، وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه ونظائر نبض بها عرق فلسفتك، وركضَ بها الشيطانُ الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك، يا عجباً لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة ونحوه موجباً لتطرّق الطعن إلى القرآن وما أحسنَ ما قاله بعض أدباء عصرنا:

وإذا رامتِ الذبابةُ للشمـ ... ـسِ غطاءً مدَّتْ عليها جناحا

وقلتُ من أبيات:

مهبَّ رياحٍ سدَّه بجناحِ ... وقابَلَ بالمصباحِ ضوءَ صباحِ[٤]

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/٥١٣)، و«البحر المحيط» (١٠/٣٠٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٧/٥١٣)، و«البحر المحيط» (١٠/٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٣/٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) قائله الشوكاني وهو في ديوانه «أسلاك الجوهر» (ص١٢١).

[ما قرره الشوكاني مع ذكر الأدلة على ذلك وهو الصواب]:

فإن قلت: إذن قد تقرّر بهذا الدليل القرآني أن الله يُظْهر مَنْ ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه، فهل للرسول الذي أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته؟ قلتُ: نعم، ولا مانع من ذلك. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ من هذا ما لا يخفى على عارف بالسُّنَّة المطهرة، فمن ذلك ما صحّ أنه قام مقاماً أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة، وما ترك شيئاً مما يتعلق بالفتن ونحوها، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله ﷺ بما يحدث من الفتن[(١)] بعده، حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا إليه.

وثبت في الصحيح[(٢)] وغيره «أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر، فقال: إن بينك وبينها باباً، فقال عمر: هل يفتح أو يكسر؟ فقال: بل يكسر، فعلم عمر أنه الباب، وأن كسره قتله»، كما في الحديث الصحيح[(٣)] المعروف أنه قيل لحذيفة: هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال: نعم كان يعلم أن دون غدٍ الليلة.

وكذلك ما ثبت من إخباره لأبي ذرّ[(٤)] بما يحدث له، وإخباره لعليّ بن أبي طالب بخبر ذي الثدية[(٥)]، ونحو هذا مما يكثر تعدده، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقلّ.

وإذا تقرّر هذا فلا مانع من أن يختصّ بعض صلحاء هذه الأمة بشيء [٤/١٨٥] من أخبار الغيب التي أظهرها الله لرسوله، وأظهرها رسوله لبعض أمته، وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الرّباني بواسطة الجناب النبويّ.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٢، ٢٣، ٢٤/ ٢٨٩١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦/ ١٤٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦/ ٢٨٩٣).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٥)، وابن حبان رقم (٦٦٣٥)، والحاكم (٣/ ٣١٥) وسكت عنه، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٥٦)، ومسلم رقم (١٤٧/ ١٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١/ ٨٥٦٨)، والبيهقي (٨/ ١٧١) في «دلائله» (٦/ ٤٠١، ٤٠٢).

ثم ذكر سبحانه أنه يحفظ ذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسول فقال: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ والجملة تقرير للإظهار المستفاد من الاستثناء، والمعنى: أنه يجعل سبحانه بين يدي الرسول ومَنْ خلفه حرساً من الملائكة يحرسونه من تعرّض الشياطين؛ لما أظهره عليه من الغيب، أو يجعل بين يدي الوحي وخلفه حرساً من الملائكة يحوطونه من أن تسترقه الشياطين، فتلقيه إلى الكهنة، والمراد من جميع الجوانب.

قال الضحاك(١): ما بعث الله نبيّاً إلّا ومعه ملائكة يحفظونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملَك، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا: هذا شيطان فاحذره، وإن جاءه الملك قالوا: هذا رسول ربك.

قال ابن زيد(٢): ﴿رَصَدًا﴾؛ أي: حفظة يحفظون النبيّ ﷺ من أمامه وورائه من الجنّ والشياطين. قال قتادة(٣)، وسعيد بن المسيب(٤): هم أربعة من الملائكة حفظة.

وقال الفراء(٥): المراد جبريل.

قال في «الصحاح»(٦): الرَصَد: القوم يَرْصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، والراصدُ للشيء: الراقب له، يقال: رصدَه يرصُده رَصْداً ورصَداً، والترصّد: الترقّب، والمرْصَد: موضع الرَصْد.

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ اللام متعلق بـ«يسلك»، والمراد به: العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل، وأنْ هي المخففة من الثقيلة(٧)، واسمها ضمير الشأن، والخبر الجملة، والرسالات عبارة عن الغيب الذي أريد إظهاره لمن ارتضاه الله من رسول، وضمير أبلغوا يعود إلى الرصد.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٥٣) بسند ضعيف.
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٠). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٦).
(٦) «الصحاح» (٢/ ٤٧٤).
(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ٥١٥)، و«الفريد» (٤/ ٥٤٨).

وقال قتادة[(١)]، ومقاتل[(٢)]: ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة، وفيه حذف تتعلق به اللام؛ أي: أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ.

وقيل: ليعلم محمد أن جبريل ومَنْ معه قد أبلغوا إليه رسالات ربه، قاله سعيد بن جبير[(٣)]. وقيل: ليعلم الرسل أن الملائكة قد بلَّغوا رسالات ربهم. وقيل: ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم من غير تخليط[(٤)].

وقال ابن قتيبة[(٥)]: أي: ليعلم الجنّ أن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم.

وقال مجاهد[(٦)]: ليَعلم من كذّب الرسلَ أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.

قرأ الجمهور[(٧)]: «ليَعلم» بفتح التحتية على البناء للفاعل. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، ويعقوب، وزيد بن علي بضمها[(٨)] على البناء للمفعول؛ أي: ليُعْلَم الناس أن الرسل قد أبلغوا.

وقال الزجاج[(٩)]: ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته؛ أي: ليعلم ذلك عن مشاهدة كما علمه غيباً.

وقرأ ابن أبي عبلة، والزهري بضم الياء[(١٠)] وكسر اللام.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: بما عند الرصد من الملائكة، أو بما عند الرسل

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٥٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٣) بسند صحيح.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١١).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٣).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣١١).
(٥) في «تفسير غريب القرآن» له (ص٤٩٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٥٥) بسند صحيح.
(٧) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣١١ ـ ٣١٢)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٨٦). قرأ رويس عن يعقوب بضم الياء التحتية مع فتح اللّام على البناء للمفعول، وقرأ باقي العشرة بفتح الياء على البناء للفاعل ومنهم روح عن يعقوب، أما ضم الياء مع كسر اللّام فقراءة شاذة «النشر» (٢/ ٣٩٢).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٣٨).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٦٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٢٣).

المبلغين لرسالاته، والجملة في محل نصب[١] على الحال من فاعل ﴿يَسْلُكُ﴾ بإضمار قد؛ أي: والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال. قال سعيد بن جبير[٢]: ليعلم أن ربهم قد أحاط بما لديهم فبلّغوا رسالاته.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ من جميع الأشياء التي كانت والتي ستكون، وهو معطوف على أحاط، وعدداً يجوز أن يكون منتصباً على التمييز[٣] محوّلاً من المفعول به؛ أي: وأحصى عدد كلِّ شيءٍ، كما في قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] ويجوز أن يكون منصوباً على المصدرية[٤]، أو في موضع الحال: معدوداً.

والمعنى: أن علمه سبحانه بالأشياء ليس على وجه الإجمال، بل على وجه التفصيل؛ أي: أحصى كلّ فرد من مخلوقاته على حدة.

وقد أخرج ابن جرير[٥] عن ابن عباس قال: ﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ العادلون عن الحقّ.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه في قوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قال: أقاموا ما أمروا به ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ قال: مَعيناً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن السديّ[٧] قال: قال عمر: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: حيثما كان الماء كان المال، وحيثما كان المال كانت الفتنة.

وأخرج ابن جرير[٨] عن ابن عباس ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: لنبتليهم به. وفي قوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال: شُقةٌ من العذاب يصعد فيها.

وأخرج هناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه[٩] عنه في قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال: جبلاً في جهنم.

---

(١) «روح المعاني» (٥/ ٥٢٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٥٦) بسند صحيح.
(٣) «الفريد» (٤/ ٥٤٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٥).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٥٢٣)، و«الفريد» (٤/ ٥٤٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٣٣٣) بسند ضعيف.
(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٥) إلى ابن أبي حاتم.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣٧) من طريق المطلب بن زياد، به.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٣٥، ٣٣٩) بسند ضعيف.
(٩) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٢٧٩)، والحاكم (٢/ ٥٠٤)، وابن جرير (٢٣/ ٣٣٩) بسند حسن.

وأخرج ابن جرير[١] عنه أيضاً ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال: لا راحة فيه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ قال: لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلّا المسجد الحرام ومسجد إيلياء ببيت المقدس.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن مسعود[٣] قال: «خرج رسول الله ﷺ قبل الهجرة إلى نواحي مكة، فخط لي خطاً، وقال: «لا تحدثن شيئاً حتى آتيك، ثم قال: لا يهولنك شيئاً تراه»، فتقدم شيئاً؛ ثم جلس، فإذا رجال سود كأنهم رجال الزُّطّ، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] في الآية قال: لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه، ودنوا منه، فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول، فجعل يقرئه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والضياء في «المختارة»[٥] عنه أيضاً في الآية قال: «لما أتى الجنّ إلى رسول الله، وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، فعجبوا من طواعية أصحابه، فقالوا لقومهم: لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً».

وأخرج ابن المنذر[٦] عنه أيضاً: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾؛ أي: يدعو الله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال: أعواناً.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٣٣٩) بسند صحيح، عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٥٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٢٦٢، ٢٦٣).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٤٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه الترمذي بإثر الحديث رقم (٣٣٢٣)، وابن جرير (٢٣/ ٣٤٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٤)، والضياء (١٠/ ٧٤ ـ ٧٥ رقم ٦٦، ٦٧). وهو حديث صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٨).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٤٩)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٧٠).

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه(١) عنه أيضاً ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ قال: أعلم الله الرسول من الغيب الوحي، وأظهره عليه مما أوحي إليه من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه(٢) عنه أيضاً ﴿رَصَدًا﴾ قال: هي مُعقِّبات من الملائكة يحفظون رسولَ الله من الشياطين حتى يُبيّن الذي أرسل إليهم به، وذلك حتى يقول أهل الشرك: قد أبلغوا رسالات ربهم.

وأخرج ابن مردويه(٣) عنه أيضاً قال: ما أنزل الله على نبيه آية من القرآن إلّا ومعها أربعة من الملائكة يحفظونها، حتى يؤدّوها إلى رسول الله ﷺ، ثم قرأ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾؛ يعني: الملائكة الأربعة ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٩).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٩).

سورة المزمّل

هي تسع عشرة آية، وقيل: عشرون آية وهي مكيَّة.

قال الماوردي[١]: كلها في قول الحسن، وعكرمة، وجابر[١]، قال: وقال ابن عباس، وقتادة: إلّا آيتين منها ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: ١٠ ـ ١١] والتي تليها.

وقال الثعلبي[٢]: إلّا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [المزمل: ٢٠] إلى آخر السورة، فإنه نزل بالمدينة.

وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٣] قال: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بمكَّة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج النحاس[٥] عن ابن عباس قال: نزلت سورة المزّمل بمكة إلّا آيتين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠].

وأخرج البزّار، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في «الدلائل» عن جابر[٦] قال: اجتمعت قريش في دار الندوة، فقالوا: سمّوا هذا الرجل اسماً تصدّون الناس عنه، فقالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن؛ قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون؛ قالوا: ساحر، قالوا: ليس بساحر، فتفرّق المشركون على ذلك، فبلغ النبي ﷺ، فتزمّل في ثيابه وتدثر فيها، فأتاه جبريل، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

قال البزار بعد إخراجه من طريق مُعلّى بن عبد الرحمٰن: إن مُعلّى قد حدّث

---

(١) في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٤).
(٢) في «تفسيره» (١٠/ ٥٨).
(٣) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣١١).
(٥) أخرجه النحاس (ص٧٥).
(٦) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٧٦ ـ كشف)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٩٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): وفيه معلى بن عبد الرحمٰن الواسطي، وهو كذاب.

عنه جماعة من أهل العلم، واحتملوا حديثه، لكنه إذا تفرّد بالأحاديث لا يتابع عليها.

وأخرج أبو داود، والبيهقي في السنن عن ابن عباس[(١)] قال: «بتّ عند خالتي ميمونة، فقام النبيّ ﷺ يصلي من الليل، فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر، فحزرت قيامه في كل ركعة بقدر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ [٤/١٨٦] تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي، والتزمل: التلفف في الثوب. قرأ الجمهور[(٢)]: «المزمّل» بالإدغام. وقرأ أبيّ: «المتزمل» على الأصل[(٣)]. وقرأ عكرمة بتخفيف[(٤)] الزاي، ومثل هذه القراءة قول امرئ القيس[(٥)]:

كأنّ ثَبيرا في أفانين وبله ... كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّل

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٣٦٥)، والبيهقي (٣/٨). وهو حديث صحيح.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣١١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٨٨).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣١١).
القراءة المتواترة قراءة الجمهور، أما قراءة أبيّ فهي شاذة لمخالفة الرسم وقراءة عكرمة قراءة شاذة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣١١).

(٥) وهو في «ديوانه» (ص٢٥).

وهذا الخطاب[١] للنبيّ ﷺ، وقد اختُلف في معناه، فقال جماعة: إنه كان يتزمل ﷺ بثيابه في أوّل ما جاءه جبريل بالوحي فَرَقاً منه حتى أنس به، وقيل: المعنى: يا أيها المزمل بالنبوّة، والملتزم للرسالة. وبهذا قال عكرمة[٢] وكان يقرأ: «يا أيها المزَمَّل» بتخفيف الزاي وفتح الميم مشدّدة اسم مفعول، وقيل: المعنى: يا أيها المزمل بالقرآن.

وقال الضحاك[٣]: تزمل بثيابه لمنامه، وقيل: بلغه من المشركين سوء قول، فتزمّل في ثيابه وتدثر، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

وقد ثبت أن النبيّ ﷺ لما سمع صوت الملَك، ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله، وقال: «زمّلوني دثروني»، وكان خطابه ﷺ بهذا الخطاب في أول نزول الوحي. ثم بعد ذلك خوطب بالنبوّة والرسالة.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: قم للصلاة في الليل[٤].

قرأ الجمهور[٥]: «قُمِ» بكسر الميم لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو السمّال[٦] بضمها اتباعاً لضمة القاف. قال عثمان بن جنّي[٧]: الغرض بهذه الحركة الهرب من التقاء الساكنين فبأيّ حركة تحرك فقد وقع الغرض. وانتصاب[٨] ﴿ٱلَّيْلَ﴾ على الظرفية. وقيل: إن معنى قم: صلّ، عبر[٩] به عنه واستعير له.

واختلف هل كان هذا القيام الذي أمر به فرضاً عليه أو نفلاً؟ وسيأتي إن شاء الله ما روي في ذلك.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٧١).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٥).

(٤) وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٨٨) عن السُّدي.

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥٣٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٠١).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٦٣). والقراءة بالضم قراءة شاذة.

(٧) في «المحتسب» (٢/ ٣٣٥).

(٨) «الفريد» (٤/ ٥٥١ ـ ٥٥٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٩).

(٩) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠).

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الليل[١]؛ أي: صلّ الليل كلَّه إلّا يسيراً منه، والقليل من الشيء هو ما دون النصف، وقيل: ما دون السدس، وقيل: ما دون العشر. وقال مقاتل[٢]، والكلبي: المراد بالقليل هنا: الثلث، وقد أغنانا عن هذا الاختلاف قوله ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ إلخ، وانتصاب نصفه على أنه بدل من الليل.

قال الزجاج[٣]: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾: بدل من الليل، و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: استثناء من النصف، والضمير في منه وعليه عائد إلى النصف. والمعنى: قم نصف الليل، أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد عليه قليلاً إلى الثلثين، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن نصفه بدل من قوله قليلاً، فيكون المعنى: قم الليل إلّا نصفه، أو أقلّ من نصفه، أو أكثر من نصفه، قال الأخفش[٤]: نصفه؛ أي: أو نصفه، كما يقال: أعطه درهماً درهمين ثلاثة، يريد، أو درهمين، أو ثلاثة.

قال الواحدي[٥]: قال المفسرون: أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد على النصف إلى الثلثين، جعل له سعة في مدة قيامه في الليل، وخيَّره في هذه الساعات للقيام، فكان النبيّ ﷺ وطائفة معه يقومون على هذه المقادير، وشقّ ذلك عليهم، فكان الرجل لا يدري كم صلّى، أو كم بقي من الليل، فكان يقوم الليل كله حتى خفف الله عنهم، وقيل: الضميران في منه وعليه راجعان للأقل من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصفه، أو قم أنقص من ذلك الأقلّ، أو أزيد منه قليلاً، وهو بعيد جداً، والظاهر أن نصفه بدل من قليلاً، والضميران راجعان إلى النصف المبدل من قليلاً.

[وقد نسخ هذا القيام ولكن اختلفوا في ناسخه]:

واختلف في الناسخ لهذا الأمر، فقيل[٦]: هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣١٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٦٠).
(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٦).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٣٩).
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧١٦ ـ ٧١٧).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٣٧١).
(٦) قاله ابن عباس. «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٥٥).

مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠] إلى آخر السورة، وقيل[١]: هو قوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] وقيل[٢]: هو قوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠] وقيل: هو منسوخ بالصلوات الخمس، وبهذا قال مقاتل[٣]، والشافعي[٤]، وابن كيسان[٥]، وقيل: هو قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وذهب الحسن[٦]، وابن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قَدْر حلب شاة.

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾؛ أي: اقرأه على مهل مع تدبّر.

قال الضحاك[٧]: اقرأه حَرْفاً حَرْفاً. قال الزجّاج[٨]: هو أن يبيّن جميع الحروف، ويوفّي حقها من الإشباع. وأصل الترتيل: التنضيد، والتنسيق، وحسن النظام، وتأكيد الفعل بالمصدر يدلّ على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة[٩].

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل.

قال قتادة[١٠]: ﴿ثَقِيلًا﴾، والله فرائضه وحدوده. قال مجاهد[١١]: حلاله وحرامه. قال الحسن[١٢]: العمل به. قال أبو العالية[١٣]: ثقيلاً بالوعد والوعيد، والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب[١٤]: ثقيل على المنافقين والكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم، وسبّ آلهتهم. وقال السديّ[١٥]: ثقيل بمعنى: كريم؛ من قولهم: فلان ثقيل عليّ؛ أي: يكرم عليّ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٢٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» عن ابن عباس.
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٠).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٣).
(٦) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١٣٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٨٩).
(٧) «تفسير السمرقندي» (٣/ ٤١٦).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٠).
(٩) «الوسيط» (٤/ ٣٧٢).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٤) بسند صحيح.
(١١) «الوسيط» (٤/ ٣٧٢).
(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٦٥) بسند صحيح.
(١٣) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٤٦).
(١٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٢٤).
(١٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٧).

قال الفراء[١]: ثقيلاً: رزيناً ليس بالخفيف السفساف؛ لأنه كلام ربنا. وقال الحسين بن الفضل[٢]: ثقيلاً: لا يحمله إلّا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد، وقيل: وصفه بكونه ثقيلاً حقيقة لما ثبت[٣] أن النبيّ ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها على الأرض، فما تستطيع أن تتحرّك حتى يُسرّي عنه.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: ساعاته وأوقاته؛ لأنها تنشأ أوّلاً فأوّلاً، يقال: نشأ الشيء ينشأ: إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شيء، فهو ناشئ، وأنشأه الله فنشأ، ومنه نشأت السحاب: إذا بدأت، فناشئة فاعلة مِنْ نشأ ينشأ، فهي ناشئة.

قال الزجاج[٤]: ناشئة الليل كل ما نشأ منه؛ أي: حدَثَ، فهو ناشئة، قال الواحدي[٥]: قال المفسِّرون: الليل كله ناشئة، والمراد: أن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم الموصوف. وقيل: إن ناشئة الليل هي النفس التي تنشأ من مضجعها للعبادة؛ أي: تنهض، مِنْ نشأ من مكانه: إذا نهض. وقيل: الناشئة بالحبشية قيام الليل، وقيل: إنما يقال لقيام الليل ناشئة: إذا كان بعد نوم.

قال ابن الأعرابي[٦]: إذا نمت من أوّل الليل ثم قمت فتلك المنشأة والنشأة، ومنه ناشئة الليل. قيل: وناشئة الليل هي ما بين المغرب والعشاء، لأن معنى نشأ ابتدأ، ومنه قول نُصيب:

ولولا أنْ يُقَالَ صَبا نُصيبٌ لقلْتُ بنفسيَ النَّشْءَ الصِّغارا[٧]

قال عكرمة[٨]، وعطاء: إن ناشئة الليل: بدوّ الليل. وقال مجاهد[٩] وغيره: هي في الليل كله؛ لأنه ينشأ بعد النهار، واختار هذا مالك[١٠].

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٧).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤).
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٥) وصححه ووافقه الذهبي. وهو من حديث عائشة ﵂.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٠).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٣٧٢).
(٦) «تهذيب اللغة» (١١/ ٤١٧)، و«الصحاح» (١/ ٧٧ ـ ٧٨).
(٧) قائله نصيب بن رباح. وهو في «ديوانه» (ص٨٨).
(٨) «زاد المسير» (٨/ ٣٩١).
(٩) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٦٥).
(١٠) مالك بن أنس ﵁. «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٢٧).

وقال ابن كيسان[١]: هي القيام من آخر الليل.

قال في «الصحاح»: ناشئة الليل: أوّل ساعاته.

وقال الحسن[٢]: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ قرأ الجمهور[٣]: «وَطْأً» بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختار هذه القراءة أبو حاتم[٤].

وقرأ أبو العالية، وابن أبي إسحاق، ومجاهد، وأبو عَمْرو، وابن عامر، وحميد، وابن محيصن، والمغيرة، وأبو حيوة بكسر[٥] الواو وفتح الطاء ممدودة، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٦].

فالمعنى على القراءة الأولى: أن الصلاة في ناشئة الليل أثقل على المصلي من صلاة النهار؛ لأنّ الليل للنوم.

قال ابن قتيبة[٧]: المعنى: أنّها أثقل على المصلي مِنْ ساعات النهار، من قول العرب: اشتدّت على القوم وطأة السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم منه، ومنه قوله ﷺ: «اللَّهمّ اشدد وطأتك على مُضَر»[٨] والمعنى على القراءة الثانية: أنها أشدّ مواطأة؛ أي: موافقة، من قولهم: واطأتُ فلاناً على كذا مواطأة ووطاء: إذا وافقته عليه.

قال مجاهد[٩]، وابن أبي مليكة[١٠]: أي أشد موافقةً بين السمع والبصر، والقلب واللسان لانقطاع الأصوات والحركات فيها، ومنه ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]؛ أي: ليوافقوا.

---

(١) «زاد المسير» (٨/ ٣٨٨). (٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٧).

(٣) «التيسير» (ص٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٧٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٤).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٨).

(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ١٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٤).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٨). (٧) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٨٤).

(٨) أخرجه البخاري رقم (٣٣٨٦)، ومسلم رقم (٢٩٤/ ٦٧٥)، وأبو داود رقم (١٤٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٧٢) بسند صحيح.

(١٠) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٤).

وقال الأخفش[(١)]: أشدّ قياماً. وقال الفرّاء؛ أي: أثبت للعمل، وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقتُ الفراغ عن الاشتغال بالمعاش، فعبادته تدوم ولا تنقطع.

وقال الكلبي[(٢)]: أشدّ نشاطاً.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾؛ أي: وأشدّ مقالاً، وأثبت قراءةً لحضور القلب فيها وهدوء الأصوات، وأشدّ استقامة واستمراراً على الصواب؛ لأن الأصوات فيها هادئة والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه.

قال قتادة[(٣)]، ومجاهد[(٤)]: أي أصوب للقراءة، وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم. قال أبو عليّ الفارسي[(٥)]: أقوم قيلاً؛ أي: أشدّ استقامة لفراغ البال بالليل. قال الكلبي[(٦)]: أي: أبين قولاً بالقرآن. وقال عكرمة[(٧)]: أي: أتمّ نشاطاً وإخلاصاً وأكثر بركةً. وقال ابن زيد[(٨)]: أجدر أن يتفقه في القرآن، وقيل: أعجل إجابة للدعاء.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ قرأ الجمهور[(٩)]: «سَبْحاً» بالحاء المهملة؛ أي: تصرفاً في حوائجك، وإقبالاً وإدباراً، وذهاباً ومجيئاً، والسَّبْحُ: الجري والدوران، [٤/١٨٧] ومنه السباحة في الماء لتقلّبه بيديه ورجليه، وفرس سابح؛ أي: شديد الجَرْي. وقيل: السبحُ: الفراغُ؛ أي: إن لك فراغاً بالنهار للحاجات، فصلّ بالليل.

قال ابن قتيبة[(١٠)]: أي تصرّفاً، وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك. وقال الخليلُ[(١١)]: إن لك في النهار سَبْحاً؛ أي: نوماً، والتسبّح التمدُّد. قال الزجاج[(١٢)]:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٩).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٩٨).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٧٤) بسند صحيح.
(٥) في «الحجة» (٦/ ١٢٧).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٩).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٤) بدون نسبة.
(٩) «جامع البيان» (٢٣/ ٣٧٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٠٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣١٥).
(١٠) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٨٤).
(١١) انظر: «كتاب العين» (ص٤٠٥).
(١٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٠).

المعنى إنْ فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للاستدراك. وقرأ يحيى بن يعمُر، وأبو وائل، وابن أبي عبلة: «سَبْخاً» بالخاء المعجمة[(١)]، قيل: ومعنى هذه القراءة: الخفة والسعة والاستراحة.

قال الأصمعي[(٢)]: يقال: سبَّخ الله عنك الحمى؛ أي: خفّفها، وسَبَخ الحَرُّ: فتر وخَفّ، ومِنْه قول الشاعر:

فسبِّخْ عليك الهمَّ واعلمْ بأنَّهُ إذا قَدَّرَ الرحمٰنُ شيئاً فكائِنُ[(٣)]

أي: خفّف عنك الهمّ. والتسبيخ مِنْ القطن ما ينسج بعد النّدفْ، ومنه قول الأخطل[(٤)]:

فأرسَلُوهُنّ يذرِيْنَ الترابَ كما تذري سبائخُ قُطْنٍ نَدْفَ أوتارِ

قال ثعلب[(٥)]: السَّبْخُ بالخاء المعجمة: التردّدُ والاضطراب، والسبخ: السكون.

وقال أبو عَمْرو[(٦)]: السّبخُ: النومُ والفراغ.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: ادعه بأسمائه الحسنى، وقيل: اقرأ باسم ربك في ابتداء صلاتك، وقيل: اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته، وتبعد عن معصيته، وقيل: المعنى: دم على ذكر ربك ليلاً ونهاراً، واستكثر من ذلك.

وقال الكلبي[(٧)]: المعنى: صلّ لربك.

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾؛ أي: انقطع إليه انقطاعاً بالاشتغال بعبادته، والتبتل: الانقطاعُ، يقال: بتلت الشيء؛ أي: قطعتهُ وميّزتهُ من غيره، وصدقة بتلة؛ أي: منقطعة مِنْ مال صاحبها، ويقال للراهب متبتّل: لانقطاعه عن الناس، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٩٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٩). وهي قراءة شاذة.

(٢) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٤٢٣).

(٣) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٤٢٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٣١).

(٤) وهو في «ديوانه» (ص١١٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٣).

(٦) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٤٢٣). (٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٨).

تُضيءُ الظلامَ بالعشاءِ كأنَّها منارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتِّلِ[(١)]

ووضع تبتيلاً مكان تبتلاً لرعاية الفواصل. قال الواحدي[(٢)]: والتبتل: رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، وابن عامر بجرّ «ربِّ» على النعت[(٣)] لرِّبك، أو البدل منه، أو البيان له.

وقرأ الباقون برفعه على أنه مبتدأ[(٤)]، وخبره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أو على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو ربّ المشرق، وقرأ زيد بن عليّ بنصبه على المدح.

وقرأ الجمهور[(٥)]: «المشرق والمغرب» مُفْردين، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس «المشارق والمغارب» على الجمع[(٦)]، وقد قدّمنا تفسير المشرق والمغرب، والمشرقين والمغربين، والمشارق والمغارب.

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾؛ أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية، فاتخذه وكيلاً؛ أي: قائماً بأمورك، وعوّل عليه في جميعها، وقيل: كفيلاً بما وعدك من الجزاء والنصر.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من ذلك ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾؛ أي: لا تتعرّض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم.

وقيل: الهجر الجميل: الذي لا جزع فيه، وهذا كان قبل الأمر بالقتال.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: دعني وإيّاهم، ولا تَهْتم بهم فإنِّي أكفيك أمرهم وأنتقم لك منهم. قيل: نزلت في المُطعمين يوم بدر، وهم عشرة وقد تقدّم ذكرهم. وقال يحيى بن سلام[(٧)]: هم بنو المغيرة. وقال سعيد بن جبير[(٨)]: أُخبرت أنهم اثنا عشر.

---

(١) البيت لامرئ القيس. وهو في «ديوانه» (ص١٧).
(٢) في «الوسيط» (٤/ ٣٧٤).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«التيسير» (ص٢١٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٧). وكذلك قرأ يعقوب وخلف بالجرِّ.
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥٢٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤١٩).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣١٦)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١٧٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٠٦).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بجمع «المشارق والمغارب» في هذه السورة قراءة شاذة.
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٢٩).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٣٥).

﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾؛ أي: أرباب الغنى والسعة والترفّه واللذة في الدنيا ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾؛ أي: تمهيلاً قليلاً على أنه نعت لمصدر محذوف، أو زماناً قليلاً على أنه صفة لزمان محذوف، والمعنى: أمهلهم إلى انقضاء آجالهم.

وقيل: إلى نزول عقوبة الدنيا بهم كيوم بدر، والأول أَوْلى لقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ وما بعده، فإنّه وعيد لهم بعذاب الآخرة، والأنكال: جمع نِكْل، وهو القيد، كذا قال الحسن[(١)]، ومجاهد[(٢)]، وغيرهما. وقال الكلبي[(٣)]: الأنكال: الأغلال، والأوّل أعرف في اللغة[(٤)]، ومنه قول الخنساء:

أَتَـوْكَ فـقـطَّـعْـتَ أنـكـالَـهـم وقـد كُـنَّ قَـبْـلَـكَ لا تُـقْـطَـعُ[(٥)]

وقال مقاتل[(٦)]: هي أنواع العذاب الشديد. وقال أبو عمران الجوني[(٧)]: هي قيود لا تحلّ.

﴿وَجَحِيمًا﴾؛ أي: ناراً مؤجّجةً ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾؛ أي: لا يسوغ في الحَلْق بل ينشب فيه، فلا ينزل، ولا يَخْرج. قال مجاهد[(٨)]: هو الزقّوم.

وقال الزجّاج[(٩)]: هو الضريعُ، كما قال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] قال: وهو شوك العوسج، قال عكرمة[(١٠)]: هو شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج، والغُصّة: الشجا في الحلق، وهو ما يَنْشَب فيه من عَظْم أو غيره، وجمعها غُصَصٌ[(١١)] ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: ونوعاً آخر من العذاب غير ما ذُكر.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ انتصاب الظرف إمّا بذرني، أو بالاستقرار المتعلّق به لدينا، أو هو صفة لعذاب، فيتعلّق بمحذوف؛ أي: عذاباً واقعاً يوم ترجف، أو متعلّق بأليم.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٨٢)، وهنَّاد في «الزهد» رقم (٢٦٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٥٩٥) من طريق مبارك، به.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٨٣) من طريق سفيان، به.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦). (٤) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٢٤٥).
(٥) «ديوان الخنساء» (ص٩٢) والذي في «الديوان»: دعاك بدل أتوك.
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٠). (٧) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٢ ـ ٢٣).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٨٤) بسند صحيح.
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٢). (١٠) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٠).
(١١) «تهذيب اللغة» (١٦/ ٤٠)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٤٧).

قرأ الجمهور[١]: «تَرجُف» بفتح التاء وضم الجيم مبنيّاً للفاعل، وقرأ زيد بن عليّ على البناء للمفعول[٢]، مأخوذ من أرجفها، والمعنى: تتحرّك وتضطرب بمن عليها، والرجْفةُ: الزلزلة والرعدة الشديدة ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾؛ أي: وتكون الجبال، وإنما عبّر عنه بالماضي[٣] لتحقق وقوعه، والكثيب: الرمل المجتمع، والمهيل[٤]: الذي يمرّ تحت الأرجل.

قال الواحدي[٥]؛ أي: رَمْلاً سائلاً يقال لكل شيء أرسلته إرسالاً من تراب، أو طعام: أَهيله هيلاً. قال الضحاك[٦]، والكلبي[٧]: المهيل: الذي إذا وطئته بالقدم زلّ من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهال. ومنه قول حسان[٨]:

عرفتُ ديارَ زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحْي في الوَرقِ القشيبِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ الخطاب لأهل مكة أو لكفار العرب أو لجميع الكفار، والرسول محمد ﷺ، والمعنى: يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾؛ يعني: موسى ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ الذي أرسلناه إليه وكذّبه، ولم يؤمن بما جاء به، ومحل الكاف[٩] النصب على أنها نعت لمصدر محذوف.

والمعنى: إنا أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتموه، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾؛ أي: شديداً ثقيلاً غليظاً، والمعنى: عاقبنا فرعون عقوبةً شديدةً غليظة بالغرق؛ وفيه تخويف لأهل مكة أنه سينزل بهم من العقوبة مثل ما نزل به، وإنْ اختلف نوع العقوبة.

قال الزجّاج[١٠]؛ أي: ثقيلاً غليظاً، ومنه قيل للمطر: وابل. وقال

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣١٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٠٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٦٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣١٧). وهي قراءة شاذة.
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٤).
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٨٠ ـ ٧٨١).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٣٧٦).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٠).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٠).
(٨) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٢).
(٩) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢٠)، و«الفريد» (٤/ ٥٥٥).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٢).

الأخفش[١]: شديداً، والمعنى متقارب، ومنه طعام وبيل: إذا كان لا يُسْتمرأ، ومنه قول الخنساء[٢]:

لـقـد أَكَـلَـتْ بـجـيـلـةُ يـومَ لاقـتْ   فـوارَس مـالـك أَكْـلاً وبـيـلا

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: كيف تقون أنفسكم؟ ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: إن بقيتم على كفركم ﴿يَوْمًا﴾؛ أي: عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ لشدّة هوله؛ أي: يصيّر الولدان شيوخاً، والشيب جمع أشيب، وهذا يجوز أن يكون حقيقة، وأنهم يصيرون كذلك، أو تمثيلاً؛ لأن مَنْ شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت أعضاؤه، وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوّة، وفي هذا تقريع لهم شديد، وتوبيخ[٣] عظيم.

قال الحسن[٤]: أي: كيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إنْ كفرتم؟ وكذا قرأ ابن مسعود[٥]، وعطية، ويوماً مفعول به لتتقون.

قال ابن الأنباري[٦]: ومنهم من نصب (اليوم) بـ﴿كَفَرْتُمْ﴾، وهذا قبيح، والولدان: الصبيان.

ثم زاد في وصف ذلك اليوم بالشدّة، فقال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾؛ أي: متشققة به لشدّته وعظيم هوله، والجملة صفة أخرى ليوم، والباء سببية، وقيل: هي بمعنى في؛ أي: منفطر فيه، وقيل: بمعنى اللّام؛ أي: منفطر له، وإنما قال: منفطر ولم يقل: «منفطرة» لتنزيل السماء منزلة شيء لكونها قد تغيرت، ولم يبق منها إلّا ما يُعبّر عنه بالشيء.

وقال أبو عَمْرو بن العلاء[٧]: لم يقل: منفطرة؛ لأنّ مجازها السقف، كما قال الشاعر:

فـلـو رفـعَ الـسـمـاءُ إلـيـه قـومـاً   لـحـقْـنـا بـالـسـمـاءِ وبـالـسـحـابِ[٨]

---

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٥/ ١٨٤٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٠).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٤٠).
(٤) «النشر» (٢/ ٢٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٤٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٦).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٦) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٥٣).
(٧) «تفسير الرازي» (٣٠/ ١٨٤)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٤).
(٨) البيت للفرزدق. وهو في «ديوانه» (ص٣٣).
بورواية: ولو رفع الإله، بدل: فلو رفع السماء.

فيكون هذا، كما في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وقال الفرّاء[١]: السماء تُذكّر وتؤنث. وقال أبو عليّ الفارسي[٢]: هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] قال أيضاً: أي: السماء ذات انفطار. كقولهم امرأة مرضع؛ أي: ذات إرضاع على طريق النسب، وانفطارها لنزول الملائكة، كما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥] وقيل: منفطر به؛ أي: بالله، والمراد: بأمره، والأوّل أولى.

﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾؛ أي: وكان وعد الله بما وعد به من البعث والحساب وغير ذلك كائناً لا محالة، والمصدر مضاف إلى فاعله، أو وكان وعد اليوم مفعولاً، فالمصدر مضاف إلى مفعوله.

وقال مقاتل[٣]: كان وعده أَنْ يظهر دينه على الدين كله.

وقد أخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، ومحمد بن نصر في «كتاب الصلاة» والبيهقي في «سننه» عن سعد بن هشام[٤] قال: قلتُ لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله، قالت: ألستَ تقرأ هذه السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أولّ هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، [٤/١٨٨] وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوّعاً من بعد فرضه، وقد روي هذا الحديث عنها من طرق.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، ومحمد بن نصر، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه» عن ابن

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٩).
(٢) «زاد المسير» (٨/ ٣٩٤).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٣١).
(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٤٢٦٩)، ومسلم رقم (٧٤٦)، وأبو داود رقم (١٣٤٢)، والنسائي رقم (١٦٠٠)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٢ ـ ٣)، والبيهقي (١/ ٣٥٨).

عباس[١] قال: لما نزلت أوّل المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أوّلها وآخرها نحو من سنة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن نصر عن أبي عبد الرحمٰن السُلمي[٢] قال: لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] فاستراح الناس.

وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن نصر، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طريق عكرمة عن ابن عباس[٣] قال: في المزمل ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ﴾ نسختها الآية التي فيها: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزمل: ٢٠] وناشئة الليل أوّله كان صلاتهم أوّل الليل، يقول: هذا أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من قيام الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ، وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ هو أجدر أنْ يفقه قراءة القرآن، وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يقول: فراغاً طويلاً.

وأخرج الحاكم وصححه[٤] عنه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ قال: زُمّلتَ هذا الأمر فَقُمْ به.

وأخرج ابن المنذر[٥] عنه في الآية أيضاً قال: يتزمل بالثياب.

وأخرج الفريابي، عن أبي صالح[٦] عنه أيضاً ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ قال: تقرأ آيتين ثلاثاً ثم تقطع لا تهدر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن منيع في مسنده، وابن المنذر،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ١١٨)، وابن جرير (٢٣/ ٣٥٨، ٣٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٦٦)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٣)، والطبراني رقم (١٢٨٧٧)، والحاكم (٢/ ٥٠٥)، والبيهقي (٢/ ٥٠٠)، والحديث عند أبي داود رقم (١٣٠٥). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٦٢)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٣) مرسلاً.

(٣) أخرجه محمد بن نصر (ص١١)، والبيهقي (٢/ ٥٠٠)، والأثر عند أبي داود رقم (١٣٠٤). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٥).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٤).

وابن أبي حاتم، ومحمد بن نصر[١] عنه أيضاً: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ قال: بيّنه تبييناً.

وأخرج العسكري في «المواعظ»[٢] عن عليّ بن أبي طالب مرفوعاً نحوه.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن نصر، والحاكم وصححه عن عائشة[٣]: «أن النبيّ ﷺ كان إذا أوحي إليه، وهو على ناقته وضعت جِرانَها، فما تستطيع أن تتحرّك حتى يُسرَّى عنه، وتلت ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن نصر، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: قيام الليل بلسان الحبشة إذا قام الرجل قالوا: نشأ.

وأخرج البيهقي[٥] عنه قال: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أوّله.

وأخرج ابن المنذر، وابن نصر[٦] عنه أيضاً قال: الليل كله ناشئة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٧] قال: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ بالحبشة: قيامُ الليل.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن نصر، والبيهقي في «سننه» عن أنس بن مالك[٨] قال: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ ما بين المغرب والعشاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكُنى عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ قال: السبح: الفراغُ للحاجة والنوم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٠)، وابن منيع ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٦٧)، ومحمد بن نصر (ص٥٢٢٦).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٤).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٤٨٦٨)، وابن جرير (٢٣/ ٣٦٥)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٧٢٦)، والحاكم (٢/ ٥٠٥). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٦٦)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٠)، والبيهقي (٣/ ٢٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه البيهقي (٢/ ٥٠٠).

(٦) أخرجه ابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٠).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤٧١)، والحاكم (٢/ ٥٠٥).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ١٩٧)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٠)، والبيهقي (٣/ ٢٠).

(٩) أخرجه ابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١١).

وأخرج أبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل» عن عائشة(١) قالت: لما نزلت: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ لم يكن إلّا يسيراً حتى كانت وقعة بدر.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود(٢) ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قال: قيوداً.

وأخرج عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عباس(٣) ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شجرةُ الزقوم(٤).

وأخرج الحاكم وصححه(٥) عنه في قوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ قال: المهيل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك آخره.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم(٦) عنه أيضاً ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ قال: الرمل السائل، وفي قوله: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ قال: شديداً.

وأخرجَ الطبرانيُّ، وابنُ مردويه(٧) عَنْه أيضاً «أَنَّ رسول الله ﷺ قرأ ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ قال: ذلك يوم القيامة، وذلك يوم يقول الله لآدم: قم، فابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: مِنْ كم يا ربّ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، وينجو واحد، فاشتدّ ذلك على المسلمين، فقال حين أبصر ذلك في وجوههم: إن بني آدم كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، إنه لا يموت رجل منهم حتّى يرثه لصلبه ألف رجل، ففيهم وفي أَشباههم جُنّة لكم».

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٤٥٧٨)، وابن جرير (٢٣/ ٣٨١)، والحاكم (٤/ ٥٩٤، ٥٩٥)، والبيهقي (٣/ ٩٥، ٩٦) بسند رجاله ثقات، غير أن فيه عنعنة ابن إسحاق.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٩).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٨٤)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٠٥)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (٨٣)، والحاكم (٢/ ٥٠٥)، كلهم عن ابن عباس قال: له شوكٌ يأخذ بالحَلْقِ، لا يدخل ولا يخرج.

(٤) بهذا اللفظ أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٩٥).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٥، ٥٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٨٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٥١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه الطبراني رقم (١٢٠٣٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف.

وأخرج ابن المنذر[١] عن ابن مسعود نحوه بأخصر منه.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ قال: ممتلئة بلسان الحبشة.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٣] عنه قال: مُثْقلة موقرة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً في الآية قال: يعني: تشقق السماء.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝٢٠﴾.

الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ إلى ما تقدّم من الآيات، والتذكرة: الموعظة، والإشارة إلى جميع آيات القرآن، لا إلى ما في هذه السورة فقط.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: اتخذ بالطاعة التي أهم أنواعها التوحيد إلى ربِّه طريقاً توصله إلى الجنة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾ معنى أدنى: أقلّ، استعير له الأدنى؛ لأن المسافة بين السنين إذا دنت قلّ ما بينهما ﴿وَنِصْفَهُۥ﴾ معطوف على أدنى ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾ معطوف على نصفه، والمعنى: أن الله يعلم أن رسوله ﷺ يقوم أقلّ من ثلثي الليل، ويقوم نصفه، ويقوم ثلثه، وبالنصب[٥] قرأ ابن كثير، والكوفيون، وقرأ الجمهور[٦]: «ونصفِه وثلثِه» بالجر عطفاً على ثلثي الليل.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٩١).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢١).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢١).

(٥) «التيسير» (ص٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٣٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٥).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

والمعنى: أن الله يعلم أن رسولَه ﷺ يقوم أقلّ من ثلثي الليل، وأقلّ من نصفه، وأقلّ من ثلثه، واختار قراءة الجمهور أبو عبيد[١] وأبو حاتم لقوله: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه؟

وقال الفرّاء[٢]: القراءة الأولى أشبه بالصواب؛ لأنه قال: أقلّ من ثلثي الليل، ثم فسّر نفس القلة.

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ معطوف على الضمير في تقوم؛ أي: وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾؛ أي: يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، ويختص بذلك دون غيره، وأنتم لا تعلمون ذلك على الحقيقة.

قال عطاء[٣]: يريد لا يفوته علم ما تفعلون؛ أي: أنه يعلم مقادير الليل والنهار، فيعلم قدر الذي تقومونه من الليل.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ أَنْ لن تُطيقوا علم مقادير الليل والنهار على الحقيقة، وفي أن ضمير[٤] شأن محذوف، وقيل: المعنى: لن تطيقوا قيام الليل.

قال القرطبي[٥]: والأوّل أصحّ، فإن قيام الليل ما فرض كله قط، قال مقاتل[٦] وغيره: لما نزل ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ [المزمل: ٢ ـ ٤] شقّ ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ، فانتفخت أقدامهم وانتقعت ألوانُهم، فرحمهم الله، وخفف عنهم[٧] فقال: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾؛ أي: علم أنْ لن تحصوه؛ لأنكم إن زدتم ثقل عليكم واحتجتم إلى تكلف ما ليس فرضاً، وإن نقصتم شق ذلك عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾؛ أي: فعاد عليكم بالعفو، ورخص لكم في ترك القيام.

وقيل: فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم، وأصل التوبة الرجوع، كما تقدّم؛ فالمعنى: رجع بكم من التثقيل إلى التخفيف، ومِنْ العسر إلى اليسر.

---

(١) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٩).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٧).
(٤) «الفريد» (٤/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧).
(٥) في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٤).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٥).
(٧) «الوسيط» (٤/ ٣٧٧).

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾؛ أي: فاقرءوا في الصلاة بالليل ما خف عليكم، وتيسّر لكم منه من غير أن ترقبوا وقتاً.

قال الحسن[1]: هو ما نقرأ في صلاة المغرب والعشاء. قال السديّ[2]: ما تيسّر منه هو مائة آية. قال الحسن[3] أيضاً: من قرأ مائة آية في ليلة لم يُحاجُّه القرآن.

وقال كعب: مَنْ قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين، وقال سعيد[4]: خمسون آية، وقيل[5]: معنى ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾: فصلوا ما تيسّر لكم من صلاة الليل، والصلاة تسمى قرآناً كقوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [الإسراء: ٧٨].

[الأولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حق الرسول ﷺ وفي حق أمته]:

قيل: إن هذه الآية نسخت قيام الليل ونصفه، والنقصان من النصف والزيادة عليه، فيحتمل أن يكون ما تضمنته هذه الآية فرضاً ثابتاً، ويحتمل أن يكون منسوخاً لقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الشافعي[6]: الواجب طلب الاستدلال بالسُّنَّة على أحد المعنيين. فوجدنا سُنَّة رسول الله ﷺ تدلّ على أن لا واجب من الصلاة إلّا الخمس. وقد ذهب قوم إلى أن قيام الليل نسخ[7] في حقه ﷺ وفي حق أمته.

وقيل: نسخ التقدير بمقدار وبقي أصل الوجوب. وقيل: إنه نسخ في حق الأمة، وبقي فرضاً في حقه ﷺ، والأولى القول بنسخ قيام الليل على العموم في حقه ﷺ وفي حق أمته، [٤/١٨٩] وليس في قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ ما يدل على بقاء شيء من الوجوب؛ لأنه إن كان المراد به القراءة من القرآن، فقد وجدت في صلاة المغرب والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة، وإن كان المراد به: الصلاة

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٧).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٩٦) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٩٦) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٩٦) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٩٧) عن قتادة بسند صحيح.
(٦) في «أحكام القرآن» للشافعي (١/ ٥٥).
(٧) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١٣٠).

من الليل، فقد وجدت صلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء وما يتبعهما من التطوّع.

وأيضاً الأحاديث الصحيحة المصرّحة بقول السائل لرسول الله ﷺ: هل عليّ غيرها؛ يعني: الصلوات الخمس؟ فقال: «لا، إلّا أن تطوّع»[١] تدل على عدم وجوب غيرها. فارتفع بهذا وجوب قيام الليل، وصلاته على الأمة، كما ارتفع وجوب ذلك على النبيّ ﷺ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الواحدي[٢]: قال المفسرون في قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ كان هذا في صدر الإسلام، ثم نُسخ بالصلوات الخمس عن المؤمنين، وثبت على النبيّ ﷺ خاصة، وذلك قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

ثم ذكر سبحانه عذرهم فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يسافرون[٣] فيها للتجارة والأرباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم؛ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: المجاهدين، فلا يطيقون قيام الليل. ذكر سبحانه ها هنا ثلاثة أسباب مقتضية للترخيص، ورفع وجوب قيام الليل، فرفعه عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي تنوب بعضهم.

ثم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص فقال: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ وقد سبق تفسيره قريباً، والتكرير للتأكيد.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ يعني: المفروضة، وهي الخمس لوقتها.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ يعني: الواجبة في الأموال. وقال الحارث[٤] العُكْلي: هي صدقة الفطر؛ لأنّ زكاة الأموال وجبت بعد ذلك، وقيل: صدقة التطوّع، وقيل: كل أفعال الخير.

﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾؛ أي: أنفقوا في سبيل الخير من أموالكم إنفاقاً حسناً، وقد مضى تفسيره في سورة الحديد.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٦)، ومسلم رقم (١١/٩٢٨)، وأبو داود رقم (٣٩١)، والنسائي (١/ ٢٢٧، ٢٢٨) من حديث طلحة بن عبيد الله.

(٢) في «الوسيط» (٤/ ٣٧٨).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٧٠).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٣).

قال زيد بن أسلم[١]: القرض الحسن: النفقةُ على الأهل، وقيل: النفقة في الجهاد، وقيل: هو إخراج الزكاة المفترضة على وجه حسن، فيكون تفسيراً لقوله ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ والأوّل أولى لقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإن ظاهره العموم؛ أي: أيّ خير كان مما ذُكر ومما لم يذكر ﴿هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ مما تؤخرونه إلى عند الموت، أو توصون به ليخرج بعد موتكم، وانتصاب ﴿خَيْرًا﴾ على أنه ثاني مفعولي تجدوه، وضمير ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل، وبالنصب قرأ الجمهور[٢]، وقرأ أبو السمّال، وابن السميفع بالرفع[٣] على أن يكون هو مبتدأ، وخير خبره.

والجملة في محل نصب[٤] على أنها ثاني مفعولي تجدوه.

قال أبو زيد: وهي لغة تميم يرفعون ما بعد ضمير الفصل، وأنشد سيبويه[٥]:

تحنُّ إلى ليلى وأنتَ تركْتَها ... وكنتَ عليها بالملَا أنتَ أقدَرُ

وقرأ الجمهور[٦] أيضاً «وأعظَمَ» بالنصب عطفاً على خيراً، وقرأ أبو السمّال، وابن السميفع بالرفع[٧]، كما قرأ برفع «خيرٌ»، وانتصاب «أجراً» على التمييز.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، فإنكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾؛ أي: كثير المغفرة لمن استغفره، كثير الرحمة لمن استرحمه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني عن ابن عباس[٨]، عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/٣٩٨) بسند صحيح.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢١)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١٨٨)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٢٤).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٢١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٩). المتواتر هو نصب (خيراً) و(أعظَمَ) أمّا القراءة بالرفع فشاذة.

(٤) «الفريد» (٤/ ٥٥٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٨).

(٥) ذكره ابن حبان في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢١).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢١)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١٨٨).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٩).

(٨) أخرجه الطبراني رقم (١٠٩٤٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): «وفيه عبد الرحمٰن بن طاوس ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا».

النبي ﷺ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: «مائة آية» قال ابن كثير[١]: وهذا حديث غريب جدّاً لم أره إلّا في معجم الطبراني.

وأخرج الدارقطني، والبيهقي في سننه، وحسناه عن قيس بن أبي حازم[٢] قال: صليت خلف ابن عباس، فقرأ في أوّل ركعة بالحمد لله ربّ العالمين، وأوّل آية من البقرة، ثم ركع، فلما انصرفنا أقبل علينا، فقال: إن الله يقول: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

وأخرج أحمد، والبيهقي في «سننه» عن أبي سعيد[٣] قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسّر».

وقد قدّمنا في البحث الأوّل من هذه السورة ما روي أن هذه الآيات المذكورة هنا هي الناسخة لوجوب قيام الليل، فارجع إليه.

(١) في «تفسيره» (١٤/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٣٨)، والبيهقي (٢/ ٤٠).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٠٩٩٨)، والبيهقي (٢/ ٦٠) بسند صحيح.

سُورَةُ المُدَّثِّر

هي ست وخمسون آية، وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة المدثر بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وسيأتي أنّ أوّل هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾.

قال الواحدي[٤]: قال المفسرون: لما بدئ رسول الله ﷺ بالوحي أتاه جبريل، فرآه رسول الله ﷺ على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففزع ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق دخل على خديجة، ودعا بماء، فصبّه عليه، وقال: «دثّروني

(١) «زاد المسير» (٨/ ٣٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٤).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

دثّروني»، فدثروه بقطيفة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ومعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: يا أيها الذي قد تدثّر بثيابه؛ أي: تغشّى بها، وأصله المتدثر، فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما.

وقد قرأ الجمهورُ[١] بالإدغام، وقرأ أُبيٌّ «المتدثّر» على الأصل[٢]، والدِّثار: هو ما يلبس فوق الشعار، والشِّعار: هو الذي يلي الجسد، وقال عكرمة[٣]: المعنى: يا أيها المدثر بالنبوّة وأثقالها.

قال ابنُ العربي[٤]: وهذا مجاز بعيد لأنه لم يكن نبيّاً إذ ذاك ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؛ أي: انهض فخوّف أهلَ مكة وحذّرهم العذابَ إن لم يُسْلموا، أو قم من مضجعك، أو قم قيام عزم وتصميم، وقيل: الإنذار هنا: هو إعلامهم بنبوّته، وقيل: إعلامهم بالتوحيد.

وقال الفرّاء[٥]: المعنى قم فصلّ، وأمر بالصلاة ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورِك بالتكبير، وهو وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار، وأعظم من أن يكون له صاحبة أو ولد.

قال ابن العربي[٦]: المراد به: تكبير التقديس والتنزيه بخلع الأضداد والأنداد والأصنام، ولا يتخذ وليّاً غيره ولا يُعبد سواه، ولا يُرى لغيره فعلاً إلّا له ولا نعمة إلّا منه.

قال الزجاج[٧]: إن الفاء في ﴿فَكَبِّرْ﴾ دخلت على معنى الجزاء، كما دخلت في فأنذر.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢٥)، و«البيان» (٢/ ٤٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٥٤). القراءةُ المتواترة هي قراءة الجمهور، وقراءة أُبيّ شاذة مخالفة للرسم.
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٥١٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٩٩).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٠٤) من طريق عبد الأعلى، به.
(٤) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٧٣).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٠).
(٦) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٧٣).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٥).

وقال ابن جنّي[١]: هو كقولك: زيداً فاضربْ؛ أي: زيداً اضرب، فالفاء زائدة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ المراد بها: الثياب الملبوسة على ما هو المعنى اللُّغوي، أمره الله سبحانه بتطهير ثيابه، وحفظها عن النجاسات، وإزالة ما وقع فيها منها، وقيل: المراد بالثياب: العمل، وقيل: القلب، وقيل: النفس، وقيل: الجسم، وقيل: الأهل، وقيل: الدين، وقيل: الأخلاق.

قال مجاهد[٢]، وابن زيد[٣]، وأبو رزين[٤]؛ أي: عملك فأصلح.

وقال قتادة[٥]: نفسَك فطهّر مِنْ الذنب، والثياب عبارة عن النفس.

وقال سعيد بن جبير[٦]: قلبك فطهّر، ومن هذا قول امرئ القيس[٧]:

فَسُلِّي ثيابي من ثيابِكَ تَنْسُلِ

وقال عكرمة[٨]: المعنى: البسها على غير غَدْرِ وغير فجرة. وقال: أما سمعت قول الشاعر:

وإني بحمدِ اللّه لا ثوبَ فاجرٍ لبستُ ولا مِنْ غدرةٍ أتقنَّعُ[٩]

والشاعر هو غيلان بن سلمة الثقفي، ومِنْ إطلاق الثياب على النفس قول عنترة[١٠]:

فشككْتَ بالرمحِ الطويلِ ثيابهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

وقول الآخر:

---

(١) في «سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ٢٦٠).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٠٨) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٠).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٠٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤١٧) من طريق جرير، به.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٠٧) بسند صحيح.
(٦) «زاد المسير» (٨/ ٤٠١).
(٧) «ديوان امرئ القيس» (ص١٣).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٠٥) من طريق عكرمة، عن ابن عباس.
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٠).
(١٠) «ديوان عنترة» (ص٢٦)، وفيه الأصم بدل: الطويل.

ثِـيـابُ بـنـي عـوفٍ طَـهَـارَى نـقـيـةٌ[(١)]

وقال الحسن[(٢)]، والقرظي: إن المعنى: وأخلاقك فطهّر؛ لأن خُلق الإنسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه، ومنه قول الشاعر:

ويـحـيـى لا يُـلَامُ بـسـوءِ خُـلْـقٍ ويـحـيـى طـاهـرُ الأثـوابِ حـرُّ[(٣)]

وقال الزجاج[(٤)]: المعنى: وثيابك فقصّر؛ لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسات إذا انجرّ على الأرض، وبه قال طاوس، والأوّل أولى؛ لأنه المعنى الحقيقي.

وليس في استعمال الثياب مجاز عن غيرها لعلاقة مع قرينة ما يدلّ على أنه المراد عند الإطلاق، وليس في مثل هذا الأصل أعني: الحمل على الحقيقة عند الإطلاق خلاف، وفي الآية دليل على وجوب طهارة الثياب في الصلاة.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرجز معناه في اللغة[(٥)]: العذاب، وفيه لغتان كسر الراء وضمها، وسُمّي الشرك وعبادة الأوثان رجزاً لأنها سبب الرجز.

قرأ الجمهور[(٦)]: «الرِجْز» بكسر الراء. وقرأ الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وحفص، وابن مُحيصن بضمها[(٧)].

وقال مجاهد[(٨)]، وعكرمة: الرجز: الأوثان، كما في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠] وبه قال ابن زيد[(٩)].

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص٨٣).
وعجز البيت:
وأوجُـهـهُـمْ عـنـد الـمـشـاهـد غُـرَّانُ

(٢) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٢).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٥).

(٥) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٦١٠)، و«الصحاح» (٣/ ٨٧٨ ـ ٨٧٩).

(٦) «النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«التيسير» (ص٢١٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٠١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٧).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان وممّن قرأ بالضم أبو جعفر ويعقوب.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١١) من طريق جابر، عن مجاهد وعكرمة.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١١) بسند صحيح.

وقال إبراهيم النخعي[١]: الرجز: المأثم، والهجر: الترك. وقال قتادة[٢]: الرجز: إساف ونائلة، وهما صنمان كانا عند البيت. وقال أبو العالية[٣]، والربيع، والكسائي[٤]: الرُجْز بالضم: الوثن، وبالكسر: العذاب. وقال السديّ: الرجز بضم الراء الوعيد، والأوّل أولى.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ قرأ الجمهور[٥]: «ولا تَمْنُنْ» بفك الإدغام، وقرأ الحسن، وأبو اليمان، والأشهب العقيلي بالإدغام[٦].

وقرأ الجمهور[٧]: «تستكثرُ» بالرفع على أنه حال، [٤/١٩٠] أي: ولا تمنن حال كونك مُستكثراً، وقيل: على حذف أنْ، والأصل ولا تمنن أن تستكثرَ، فلمّا حُذفت رفع. قال الكسائي[٨]: فإذا حذف أَنْ رفع الفعل.

وقرأ يحيى بن وثّاب، والأعمش «تستكثرَ» بالنصب[٩] على تقدير أَنْ، وبقاء عملها، ويؤيد هذه القراءة قراءة ابن مسعود[١٠] «ولا تمنن أَنْ تستكثر» بزيادة أن. وقرأ الحسن أيضاً، وابن أبي عَبْلة «تستكثرْ» بالجزم[١١] على أنه بدل من تمنن، كما في قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩]، وقول الشاعر:

متى تأتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارِنا تجدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تأجَّجَا[١٢]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١١ ـ ٤١٢) من طريق سفيان، به.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٥).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥) عن أبي العالية والربيع.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٧).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٨).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٢٧). القراءة بالإدغام شاذة.
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٩). القراءة بالرفع في كلمة «تستكثرُ» هي قراءة المتواترة وما عداها فشاذ.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٩).
(٩) «المحتسب» (٢/ ٣٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٩).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٧٣).
(١١) «المحتسب» (٢/ ٧٣٧)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٦٤٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٤).
(١٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٢٧).

أو الجزم لإجراء الوصل مجرى الوقف كما في قول امرئ القيس(١):

فاليومَ أشربْ غَيْرَ مستحقِبٍ إثْماً من اللهِ ولا واغلِ

بتسكين أشربْ. وقد اعترض على هذه القراءة؛ لأن قوله تستكثر لا يصح أن يكون بدلاً من تمنن؛ لأن المنّ غير الاستكثار، ولا يصح أن يكون جواباً للنهي.

واختلف السلف(٢) في معنى الآية، فقيل: المعنى: لا تمنن على ربك بما تتحمّله من أعباء النبوّة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير، وقيل: لا تعط عطية تلتمس فيها أفضل منها، قاله عكرمة(٣)، وقتادة. قال الضحاك(٤): هذا حرّمه الله على رسوله؛ لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجلّ الأخلاق، وأباحه لأمته.

وقال مجاهد(٥): لا تضعف أن تستكثر من الخير، من قولك: حبل متين: إذا كان ضعيفاً.

وقال الربيع بن أنس(٦): لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير. وقال ابن كيسان(٧): لا تستكثر عملاً فتراه من نفسك، إنما عملك منّةٌ من الله عليك إذ جعل لك سبيلاً إلى عبادته. وقيل(٨): لا تمنن بالنبوّة، والقرآن على الناس، فتأخذ منهم أجراً تستكثره. وقال محمد بن كعب(٩): لا تعط مالك مصانعةً.

وقال زيد بن أسلم(١٠): إذا أعطيت عطية فأعطها لربك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾؛ أي: لوجه ربِّك، فاصبر على طاعته وفرائضه، والمعنى: لأجل ربك وثوابه. وقال مقاتل(١١)، ومجاهد(١٢): اصبر على الأذى والتكذيب.

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص٨١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤١٤ ـ ٤١٦)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٧٧).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٣٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٥).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١٥) بسند صحيح.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٦).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٦٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٤١٦) عن ابن زيد بسند صحيح.

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٧).

(١٠) «زاد المسير» (٨/ ٢٦٥).

(١١) «الوسيط» (٤/ ٣٨١).

(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١٧) بسند صحيح.

وقال ابن زيد[(١)]: حُمّلتَ أمراً عظيماً، فحاربتك العربُ والعجم، فاصبر عليه لله.

وقيل: اصبر تحت[(٢)] موارد القضاء لله، وقيل: فاصبر على البلوى[(٣)]، وقيل: على الأوامر والنواهي.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ الناقور[(٤)] فاعول مِنْ النّقْر كأنّه من شأنه أن يُنْقَر فيه للتصويت، والنقر[(٥)] في كلام العرب: الصوتُ، ومنه قول امرئ القيس[(٦)]:

أُخَفِّضُهُ بالنّقْرِ لما عَلَوْتُهُ[(٧)]

ويقولون: نَقَّر باسم الرجل: إذا دعاه، والمراد هنا النفخ في الصور، والمراد: النفخة الثانية، وقيل: الأولى، وقد تقدّم الكلام في هذا في سورة الأنعام وسورة النحل، والفاء للسببية، كأنه قيل: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أمرهم، والعامل في (إذا) ما دلّ عليه قوله: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإن معناه[(٨)]: عَسُر الأمر عليهم، وقيل: العامل فيه ما دل عليه ﴿فَذَٰلِكَ﴾ لأنه إشارة إلى النّقْر، ويومئذٍ بدل من إذا، أو مبتدأ، وخبره يوم عسير، والجملة خبر ﴿فَذَٰلِكَ﴾، وقيل: هو ظرف للخبر؛ لأن التقدير وقوع يوم عسير.

قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد لعُسْره عليهم؛ لأن كونه غير يسير، قد فهم من قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾؛ أي: دعني، وهي كلمة تهديد ووعيد، والمعنى:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤١٧) بسند صحيح.

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٦). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٧٠).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٢٠ ـ ٨٢١).

(٥) «تهذيب اللغة» (٩/ ٩٧)، و«الصحاح» (٢/ ٨٣٥).

(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص٧٥).

(٧) وعجز البيت:

وَيَرفَعُ طَرفاً غيرَ جافٍ غَضيضِ

قال شارح الديوان: أي: لما نزلت إليه فركبته أبدى شدّة الحركة والنشاط، فجعلت أُخفّضه بالنقر؛ أي: أسكّنه، والنقر: صوت يسكَّن به الفرس.

• وغضيض؛ أي: لا يجفو نظره عن شخص، ولا يفضه عنه.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٤٦).

دعني والذي خلقته حال كونه وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، هذا على أن ﴿وَحِيدًا﴾ منتصب[١] على الحال من الموصول، أو من الضمير العائد إليه المحذوف، ويجوز أن يكون[٢] حالاً من الياء في ذرني؛ أي: دعني وحدي معه، فإنّي أكفيك في الانتقام منه، والأوّل أولى.

قال المفسِّرون[٣]: وهو الوليد بن المغيرة. قال مقاتل[٤]: يقول: خلّ بيني وبينه، فأنا أنفرد بهلكته، وإنما خُصَّ بالذكر لمزيد كفره، وعظيم جحوده لنعم الله عليه.

وقيل: أراد بالوحيد: الذي لا يُعرف أبوه[٥]، وكان يقال في الوليد بن المغيرة: إنه دعيّ.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾؛ أي: كثيراً، أو يُمدّ بالزيادة والنماء شيئاً بعد شيء.

قال الزجّاج[٦]: مالاً غير منقطع عنه، وقد كان الوليد بن المغيرة مشهوراً بكثرة المال على اختلاف أنواعه، قيل: كان يحصل له من غَلّة أمواله ألف ألف دينار[٧]، وقيل: أربعة آلاف دينار[٨]، وقيل: ألف دينار[٩].

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾؛ أي: وجعلتُ له بنين حضوراً بمكةَ معه لا يسافرون، ولا يحتاجون إلى التفرّق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم.

قال الضحاك[١٠]: كانوا سبعة ولدوا بمكة، وخمسة ولدوا بالطائف. وقال سعيد بن جبير[١١]: كانوا ثلاثة عشر ولداً. وقال مقاتل[١٢]: كانوا سبعة كلهم رجال، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد، فما زال الوليد بعد نزول

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٥٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ١٢٤)، و«الفريد» (٤/ ٥٦٣).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٧١)، و«الوسيط» (٤/ ٣٨١).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٣٨٢).
(٥) «تفسير الرازي» (٣٠/ ١٩٨).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤١).
(٧) قاله الثوري. «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٦).
(٨) قاله قتادة وسفيان الثوري.
«جامع البيان» (٢٣/ ٤٢٣)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٥٨).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٢) عن سعيد بن جبير.
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ١٤٠).
(١١) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٥٨).
(١٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٦).

هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك. وقيل: معنى شهوداً: أنَّه إذا ذُكر ذكروا معه.

وقيل: كانوا يشهدون معه ما كان يشهده، ويقومون بما كان يباشره.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾؛ أي: بسطتُ له في العيش وطول العمر والرياسة في قريش، والتمهيد عند العرب: التوطئةُ، ومنه مَهْد الصبيّ. وقال مجاهد[١]: إنه المال بعضه فوق بعض كما يُمهّد الفراش.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾؛ أي: يطمع بعد هذا كله في الزيادة؛ لكثرة حرصه وشدة طمعه مع كفرانه للنعم، وإشراكه بالله.

قال الحسن[٢]: لم يطمع أن أدخله الجنة، وكان يقول: إن كان محمد صادقاً، فما خُلقتْ الجنة إلّا لي. ثم ردعه الله سبحانه وزجره فقال: ﴿كَلَّآۖ﴾؛ أي: لستُ أزيده.

ثم علَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾؛ أي: معانداً لها كافراً بما أنزلناه منها على رسولنا، يقال: عند يَعْنِدُ بالكسر إذا خالف الحق وردّه، وهو يعرفه، فهو عنيد وعاند، والعانِد الذي يجور عن الطريق، ويَعدل عَنْ القصد، ومنه قول الحارثي[٣]:

إذا ركبتُ فاجعلانِي وسطاً   إني كبيرٌ لا أُطِيْقُ الْعُنَّدَا

قال أبو صالح[٤]: «عنيداً» معناه مباعداً. وقال قتادة[٥]: جاحداً. وقال مقاتل[٦]: معرضاً.

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾؛ أي: سأكلّفه مشقةً من العذاب، وهو مَثلٌ لما يلقاه من العذاب الصعب الذي لا يُطاق، وقيل: المعنى: إنّه يُكلّف أن يصعد جبلاً من نار، والإرهاق[٧] في كلام العرب: أن يحمل الإنسان الشيء الثقيل.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٧).
(٢) «زاد المسير» (٤٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٧٤).
(٣) «الصحاح» (٢/ ٥١٣). (٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٤١).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٦) بسند صحيح.
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٤١).
(٧) «تهذيب اللغة» (٥/ ٣٩٧).

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل لما تقدّم من الوعيد؛ أي: إنه فكر في شأن النبيّ ﷺ وما أنزل عليه من القرآن، وقدّر في نفسه؛ أي: هيأ الكلام في نفسه، والعرب تقول: هيأت الشيء: إذا قدّرته، وقدرت الشيء إذا هيأته، وذلك أنه لما سمع القرآن لم يزل يفكر ماذا يقول فيه، وقدّر في نفسه ما يقول، فذمه الله، وقال: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: لُعِن وعُذِّب كيف قدر؛ أي: على أيّ حال قدر ما قدر من الكلام، كما يقال في الكلام: لأضربنه كيف صنع؛ أي: على أيّ حال كانت منه، وقيل: المعنى: قهر وغلب كيف[1] قَدّر؟ ومنه قول الشاعر:

وما ذرفتْ عيناكِ إلّا لِتَضْرِبي ... بِسَهْمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ[2]

وقال الزهري[3]: عُذِّب، وهو من باب الدعاء عليه، والتكرير في قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ للمبالغة والتأكيد.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾؛ أي: بأيّ شيء يدفع القرآن ويقدح فيه، أو فكر في القرآن وتدبر ما هو.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾؛ أي: قطب وجهه لما لم يجد مطعناً يطعن به في القرآن، والعَبْسُ مصدر عَبَس مخففاً، يَعْبِس عَبْساً وعبُوساً: إذا قطَّب.

وقيل: عبس في وجوه المؤمنين، وقيل: عبس في وجه النبيّ ﷺ.

﴿وَبَسَرَ﴾؛ أي: كلَح وجهه وتغيّر، ومنه قول الشاعر:

صَبَحْنَا تميماً غداةَ الجِفَارِ ... بشهباءَ مَلْمُومَةٍ باسِرَهْ[4]

وقول الآخر:

وقد رابني منها صدودٌ رأيتُه ... وإعراضُها عن حاجتِي وبُسُورُها[5]

وقيل: إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة، وظهور البسور في الوجه قبلها، والعرب تقول: وجهٌ باسر إذا تغيّر واسودّ. وقال الراغب[6]: البسر: استعجال الشرّ قبل أوانه نحو بسر الرجل حاجته؛ أي: طلبها في غير أوانها.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٧٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٢٨).
(٢) البيت لامرئ القيس. من معلقته. وهو في «ديوانه» (ص١٣).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٦٧).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٩).
(٥) البيت لتوبة بن الحُمير. وهو في «ديوانه» (ص٣٤).
(٦) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٢٢).

قال[١]: ومنه قوله: ﴿عَبَسَ وَبَسَرَ﴾؛ أي: أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته، وأهل اليمن يقولون: بسَر المركب وأبْسر؛ أي: وقف لا يتقدّم ولا يتأخر، وقد أبسرنا؛ أي: صرنا إلى البسور.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾؛ أي: أعرض عن الحقّ، وذهب إلى أهله، وتعظّم عن أن يؤمن.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾؛ أي: يأثره عن غيره ويرويه عنه.

والسحر: إظهار الباطل في صورة الحقّ، أو الخديعة على ما تقدّم بيانه في سورة البقرة، يقال: أثرت الحديث بأثره إذا ذكرته عن غيرك، ومنه قول الأعشى[٢]:

إنَّ الذي فيه تماريتُما ... بُيِّنَ للسامعِ والآثِرِ

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾؛ يعني: أنه كلام الإنس، وليس بكلام الله، وهو تأكيد لما قبله، وسيأتي أن الوليد بن المغيرة إنما قال هذا القول إرضاء لقومه بعد اعترافه أن له حلاوة، وأن عليه طلاوة إلى آخر كلامه.

ولما قال هذا القول الذي حكاه الله عنه، قال الله ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾؛ أي: سأدخله النار، وسقر من أسماء النار، ومن دركات جهنم، وقيل: إن هذه الجملة بدل من قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

ثم بالغ سبحانه في وصف النار وشدة أمرها فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾؛ أي: وما أعلمك أيّ شيء هي، والعرب تقول: وما أدراك ما كذا: إذا أرادوا المبالغة في أمره، وتعظيم شأنه وتهويل خطبه، و﴿مَا﴾ الأولى[٣] مبتدأ، وجملة: ﴿مَا سَقَرُ﴾ خبر المبتدأ.

ثم فسر حالها، فقال: [٤/ ١٩١] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ والجملة مستأنفة لبيان حال سقر، والكشف عَنْ وصفها، وقيل: هي في محل نصب على الحال، والعامل فيها معنى التعظيم؛ لأن قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ يدل على التعظيم، فكأنه قال: استعظموا سقر في هذه الحال، والأوّل أولى، ومفعول الفعلين محذوف.

---

(١) الراغب في المصدر المتقدم.

(٢) «ديوان الأعشى» (ص١٩١)، وفيه الناظر، بدل: والآثر.

(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٦٤).

قال السديّ[١]: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً.

وقال عطاء[٢]: لا تبقي من فيها حيّاً ولا تذره ميتاً، وقيل: هما لفظان بمعنى واحد، كررا للتأكيد كقولك: صدّ عني وأعرض عني.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «لوّاحةٌ» بالرفع على أنَّه خبر مبتدأ محذوف، وقيل: على أنه نعت لسقر، والأوّل أولى. وقرأ الحسن، وعطية العوفي، ونصر بن عاصم، وعيسى بن عُمر، وابن أبي عَبْلة، وزيد بن عليّ بالنصب[٤] على الحال أو الاختصاص[٥] للتهويل، يقال: لاح يلوح؛ أي: ظهر، والمعنى: أنها تَظْهر للبشر.

قال الحسن[٦]: تلوح لهم جهنم حتى يرونها عياناً كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] وقيل: معنى ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي: مُغيّرة لهم ومسوّدة. قال مجاهد[٧]: والعرب تقول: لاحه الحر والبرد والسُقْم والحزن: إذا غيّره، وهذا أرجح من الأوّل، وإليه ذهب جمهور المفسرين[٨]، ومنه قول الشاعر:

وتعجبُ هندٌ أنْ رَأَتْنِيَ شاحِبَاً ... تقولُ لشيءٍ لوَّحَتْهُ السَّمَائِمُ[٩]

أي: غيرته، ومنه قول رؤبة بن العجاج[١٠]:

لوَّحَ منه بعدَ بُدْنٍ وشَبَقْ ... تلويْحَكَ الضامِرَ يطوي للسَّبَقْ

وقال الأخفش[١١]: المعنى أنها مُعْطشة[١٢] للبشر، وأنشد:

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٠).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٣٨٤).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٣٢)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٠٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٤١٧).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٦٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٧٦). القراءة بالنّصب شاذة.
(٥) ذكره ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص١٦٤).
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٠).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٣٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٤٣).
(٨) «الوسيط» (٤/ ٣٨٤).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٢).
(١٠) «ديوان رؤبة» (ص١٠٤).
(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٤٣).
(١٢) «الصحاح» (١/ ٤٠٢).

سقتْني على لوحٍ منَ الماءِ شَرْبَةً سقاهَا به اللهُ الرِّهامَ الغوادِيا[١]

والمراد بالبشر إما جلدة الإنسان الظاهرة، كما قاله الأكثر، أو المراد به: أهل النار من الإنس، كما قال الأخفش[٢].

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال المفسِّرون[٣]: يقول على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتُها، وقيل: تسعة عشر صنفاً من أصناف الملائكة، وقيل: تسعة عشر صفّاً من صفوفهم.

وقيل: تسعة عشر نقيباً مع كل نقيب جماعة من الملائكة، والأوّل أولى. قال الثعلبي[٤]: ولا ينكر هذا، فإذا كان ملَك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكونوا تسعة عشر على عذاب بعض الخلق. قرأ الجمهور[٥]: «تسعة عشر» بفتح الشين من عشر. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع، وطلحة بن سليمان بإسكانها[٦].

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن جابر بن عبد الله[٧] أن أبا سلمة بن عبد الرحمٰن قال: إن أوّل ما نزل من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ فقال له يحيى بن أبي

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٣).
الرِّهام: المطرة الضعيفة الدائمة وأرهمت السحابة أتت بالرِّهام. «الصحاح» (١/ ٤٠٢).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٤٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٤). (٤) في «تفسيره» (١٠/ ٧٤).

(٥) «النشر» (٢/ ٢٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٣٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٤١٨).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٨)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٧٤).
المتواتر عن أبي جعفر هو إسكان العين لا الشين تخفيفاً، وقرأ باقي العشرة بفتحها وهما قراءتان متواترتان أمَّا الشين فمفتوحة في قراءة العشرة. «النشر» (٢/ ٢٧٩).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٤٩٢٢ ـ ٤٩٢٤، ٤٩٥٤)، ومسلم رقم (١٦١)، والترمذي رقم (٣٣٢٥)، والطيالسي رقم (١٧٩٣)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٢٧)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٤)، وأحمد رقم (١٤٢٨٧، ١٤٢٨٨، ١٤٤٨٣)، وابن الضريس رقم (٢٥)، وابن جرير (٢٣/ ٤٠٠، ٤٠١)، وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٥٤)، وأبو نعيم (١/ ٢١٥)، والبيهقي (٢/ ١٥٥).

قال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ١٧٦): وهذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا؛ لقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء» وهو جبريل حيث أتاه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلَق: ١ ـ ٥] ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملَكُ بعد هذا ووجه الجمع أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة.

كثير: يقولون: إن أوّل ما نزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ أي: سورة العلق. فقال أبو سلمة: سألتُ جابر بن عبد الله عن ذلك، قلت له مثل ما قلتَ، فقال جابر: لا أحدّثنك إلّا ما حدّثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي، فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعتُ رأسي فإذا الملَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحثيت منه رُعْباً، فرجعت، فقلت: دثروني فدثروني، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾».

وسيأتي في سورة اقرأ ما يدل على أنها أوّل سورة أنزلت، والجمع ممكن.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فقال: دثر هذا الأمر، فقم به.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[٢] عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قال: النائم ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ قال: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب باطل ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ قال: الأصنام ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ قال: لا تعط تلتمس بها أفضل منها.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه[٣] عنه أيضاً ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ قال: من الإثم. قال: وهي في كلام العرب نقيّ الثياب.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه أيضاً ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ قال: من الغدر، لا تكن غدّاراً.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، وابن مردويه عن عكرمة[٥] عنه أيضاً أنه سئل عن قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ قال: لا تلبسها على غدرة، ثم قال: ألا تسمعون قول غيلان بن سلمة:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٥٠٦) وصححه.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٠٦)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢/١٣٥) معلقاً، والحاكم (٢/ ٥٠٦) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٦).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٠٦)، وابن المنذر في «الأوسط» رقم (٦٨٦). وقد تقدم.

وإنـي بـحـمـدِ الله لا ثـوبَ فـاجـرٍ   لـبـسـتُ ولا مِـنْ غَـدْرَةٍ أتـقـنَّـعُ

وأخرج الطبراني، والبيهقي في سننه[١] عنه أيضاً ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ قال: لا تعط الرجل عطاءً رجاء أَنْ يعطيك أكثر منه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه[٢] عنه أيضاً ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ قال: الصور ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ قال: شديد.

وأخرج ابن مردويه[٣] عنه أيضاً ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ قال: الوليد بن المغيرة.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل»[٤] عنه أيضاً: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبيّ ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنّه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرّض لما قِبلَه، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، وأنّك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منّي لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمُثْمر أعلاه مُغْدق أسفله، وإنّه ليعلو وما يعلى، وإنّه ليحطم ما تحته؛ قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عَنْ غيره، فنزلت ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾.

وقد أخرج هذا عبد الرزاق[٥] عن عكرمة مرسلاً، وكذا أخرجه[٦] ابن جرير، وابن إسحاق، وابن المنذر، وغير واحد.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عمر بن الخطاب أنه

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (١٢٦٧٢)، والبيهقي (٧/ ٥١).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥١): وفيه عطية العوني وهو ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٠) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٩).
(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦، ٥٠٧)، والبيهقي (٢/ ١٩٨، ١٩٩).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٨) مرسلاً.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٩)، وأبو نعيم (١٨٦) بسند ضعيف.

سئل[١] عن قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: غلة شهر بشهر.

وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس[٢]: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قال: ألف دينار.

وأخرج هناد عن أبي سعيد الخدري[٣] في قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: هو جبل في النار يُكلّفون أن يصعدوا فيه، فكلما وضعوا أيديهم عليه ذابت، فإذا رفعوها عادت كما كانت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٤]: ﴿عَنِيدًا﴾ قال: جحوداً.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي عَنْ أبي سعيد[٥]، عن النبيّ ﷺ قال: «الصعود جبل في النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي وهو كذلك فيه أبداً».

قال الترمذي بعد إخراجه: غريبٌ لا نعرفه إلّا مِنْ حديث ابن لَهيعة عَنْ درّاج.

قال ابن كثير[٦]: وفيه غرابة ونكارة. انتهى، وقد أخرجه جماعة من قول أبي سعيد.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] قال: ﴿صَعُودًا﴾: صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه.

وأخرج ابن المنذر[٨] عنه قال: جبل في النار.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٣) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٩).

(٣) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (٢٨١).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٢٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه أحمد رقم (١١٧١٢)، والترمذي رقم (٢٥٧٦، ٣٣٢٦)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (٢٨)، وابن جرير (٢٣/ ٤٢٧)، وابن حيان رقم (٧٤٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي رقم (٥١٣، ٥٧٧). وهو حديث ضعيف.

(٦) في «تفسيره» (١٤/ ١٨٠).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣١).

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣١).

وأخرج ابن المنذر(١) عنه أيضاً في قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ قال: لا تبقي منهم شيئاً، وإذا بُدّلوا خلقاً آخر لم تذر أن تعاودهم سبيل العذاب الأوّل.

وأخرج عبد بن حميد(٢) عنه أيضاً ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ قال: تلوح الجلد فتحرقه وتغير لونه، فيصير أسود من الليل.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم(٣) عنه أيضاً: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ قال: محرقة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن البراء(٤): أن رهطاً من اليهود سألوا بعض أصحاب النبيّ ﷺ عن خزنة جهنم، فقال: الله ورسوله أعلم، فجاء جبريل، فأخبر النبيّ ﷺ، فنزلت عليه ساعتئذٍ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾.

لما نزل قوله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] قال أبو جهل(٥): أما لمحمد من الأعوان إلّا تسعة عشر يخوّفكم محمد بتسعة عشر، وأنتم الدَّهْم، أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم يخرجون من النار؟ فقال أبو الأشدّ(٦)، وهو رجل من بني جُمح: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة، فأنا أمشي بين أيديكم، فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، ونمضي ندخل

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٨٣) ـ والبيهقي رقم (٥٠٩).
وقال ابن كثير: «هكذا وقع عند ابن أبي حاتم، عن البراء والمشهور، عن جابر بن عبد الله».

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٦).

(٦) «الوسيط» (٤/ ٣٨٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٠٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٣٦).

الجنة، فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ يعني: ما جعلنا المدبِّرين لأمر النار القائمين بعذاب مَنْ فيها إلّا ملائكة، فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم، فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم؟

وقيل: جعلهم ملائكة؛ لأنّهم خلاف جنس(١) المخلوقين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجالس من الرقة والرأفة، وقيل: لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له، وأشدهم بأساً وأقواهم بطشاً ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ أي: ضلالة ﴿لِّلَّذِينَ﴾ استقلوا [٤/١٩٢] عددهم، ومحنة لهم.

والمعنى: ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن إلّا ضلالة ومحنة لهم، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم. وقيل: معنى ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ إلّا عذاباً، كما في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يعذبون.

واللام في قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ متعلق بجعلنا، والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأنّ عدّة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم. قاله قتادة(٢)، والضحاك(٣)، ومجاهد(٤)، وغيرهم.

والمعنى: أن الله جعل عدّة الخزنة هذه العدّة؛ ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوّة محمد ﷺ لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ وقيل: المراد الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وقيل: أراد بالذين آمنوا: المؤمنين من أمة محمد ﷺ، والمعنى: ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم.

وجملة: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مقرّرة لما تقدّم من الاستيقان وازدياد الإيمان، والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدّين، أو في أن عدّة خزنة جهنم تسعة عشر، ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين، ولكنّه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه [شكٌّ].

---

(١) «الكشاف» (٦/٢٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٣٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٣٩) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٣٩) بسند صحيح.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾ المراد بالذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون.

[ما وجه ذكر الذين في قلوبهم مرض والسورة مكية؟]:

والسورة وإن كانت مكية، ولم يكن إذ ذاك نفاق، فهو إخبار بما سيكون(١) في المدينة، أو المراد بالمرض مجرّد حصول الشكّ والريب، وهو كائن في الكفار.

قال الحسين بن الفضل(٢): السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية: الخلاف، والمراد بقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كفار العرب من أهل مكة، وغيرهم، ومعنى ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ﴾: أيّ شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل؟ قال الليث(٣): المثل الحديث، ومنه قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: حديثُها، والخبر عنها.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: مثل ذلك الإضلال المتقدّم ذكره، وهو قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده، والكاف نعت مصدر محذوف ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده.

والمعنى: مثل ذلك الإضلال للكافرين والهداية للمؤمنين، يضلّ الله من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته، وقيل: المعنى: كذلك يضلّ الله عن الجنة من يشاء، ويهدي إليها من يشاء.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾؛ أي: ما يعلم عدد خلقه، ومقدار جموعه من الملائكة، وغيرهم إلّا هو وحده لا يقدر على علم ذلك أحد.

وقال عطاء(٤): يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدّتهم إلّا الله، والمعنى: أنّ خَزنةَ النار، وإن كانوا تسعة عشر، فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلّا الله سبحانه.

ثم رجع سبحانه إلى ذكر سقر فقال: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؛ أي: وما سقر،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٤٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٧٠).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٩). (٣) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٩٥).

(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٨٩).

وما ذُكر من عدد خزنتها إلّا تذكرةً وموعظة للعالم، وقيل: ﴿وَمَا هِيَ﴾؛ أي: الدلائل والحجج والقرآن إلّا تذكرة للبشر.

وقال الزجاج[1]: نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة، وهو بعيد. وقيل: ﴿وَمَا هِيَ﴾؛ أي: عدّة خزنة جهنم إلّا تذكرة للبشر؛ ليعلموا كمال قدرة الله، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار، وقيل: الضمير في ﴿وَمَا هِيَ﴾ يرجع إلى الجنود.

ثم ردع سبحانه المكذبين وزجرهم فقال: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ قال الفراء[2]: كلا صلة للقسم، التقدير؛ أي: والقمر، وقيل: المعنى: حقّاً والقمر. قال ابن جرير[3]: المعنى: ردّ زعم مَنْ زعم أنه يقاوم خزنة جهنم؛ أي: ليس الأمر كما يقول، ثم أقسم على ذلك بالقمر وبما بعده، وهذا هو الظاهر من معنى الآية.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾؛ أي: ولّى. قرأ الجمهور[4]: «إذا» بزيادة الألف، دَبَر بزنة ضَربَ على أنّه ظرف لما يستقبل من الزمان.

وقرأ نافع، وحَفْص، وحمزة: «إذْ» بدون ألف[5]، أدبَر بزنة أكْرَم ظرف لما مضى من الزمان ودَبَر، وأَدْبَر لغتان، كما يقال: أقبل الزمان وقبل الزمان، يقال: دبر الليل وأدبر: إذا تولى ذاهباً.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾؛ أي: أضاء وتبين.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ هذا جواب[6] القَسَم، والضمير راجع إلى سقر؛ أي: إنَّ سقر لإحدى الدواهي، أو البلايا الكبر، والكُبَر جمع كبرى.

وقال مقاتل[7]: إن الكبر اسم من أسماء النار، وقيل: إنها: أي: تكذيبهم لمحمد لإحدى الكُبَر، وقيل: إن قيام الساعة لإحدى الكبر، ومنه قول الشاعر:

يا ابنَ المعلَّى نزلَتْ إحدى الكُبَرْ … داهيةُ الدهرِ وصمَّاءُ الغِبَرْ[8]

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٨).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٤).
(٣) في «تفسيره» (٢٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢).
(٤) «التيسير» (ص٢١٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٧)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٤٢)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «الفريد» (٤/ ٥٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٠).
(٧) «الوسيط» (٤/ ٣٨٥).
(٨) «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٦٧١).

قرأ الجمهور[١]: «لإحدى» بالهمزة، وقرأ نصر بن عاصم، وابن محيصن، وابن كثير في رواية عنه: «إنها لحدى» بدون همزة[٢].

وقال الكلبي[٣]: أراد بالكبر دركات جهنم وأبوابها.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ انتصاب نذيراً على الحال من الضمير في إنها، قاله الزجاج[٤]. وروي[٥] عنه، وعن الكسائي، وأبي عليّ الفارسي أنه حال من قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢]؛ أي: قم يا محمد فأنذر حال كونك نذيراً للبشر.

وقال الفراء[٦]: هو مصدر بمعنى الإنذار منصوب بفعل مقدّر، وقيل: إنه منتصب[٧] على التمييز لإحدى لتضمنها معنى التعظيم كأنه قيل: أعظم الكبر إنذاراً، وقيل: إنه مصدر[٨] منصوب بأنذر المذكور في أوّل السورة، وقيل: منصوب بإضمار أعني، وقيل: منصوب بتقدير: ادع، وقيل: منصوب بتقدير نادِ أو بلّغ، وقيل: إنه مفعول لأجله[٩]، والتقدير: وإنها لإحدى الكبر؛ لأجل إنذار البشر.

قرأ الجمهور[١٠] بالنصب، وقرأ أبيّ بن كعب وابن أبي عَبْلة بالرفع[١١] على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي نذير، أو هو نذير.

وقد اختلف في النذير، فقال الحسن[١٢]: هي النار، وقيل: محمد ﷺ. وقال

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٩٣).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«المحتسب» (١/ ١٢٠)، و«روح المعاني» (٨/ ٧٧). القراءةُ المتواترة هي قراءة الجمهور بالهمزة، أمّا القراءة بحذفها فهي شاذة، وهي رواية شاذة عن ابن كثير. اهـ.

(٣) «الوسيط» (٤/ ٣٨٥).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٩).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٤٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٩٤).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٥).

(٧) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٠)، و«الفريد» (٤/ ٥٦٧).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) «التبيان» (٢/ ١٢٥٠).

(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٢٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٤١٩).

(١١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٦)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٤١٩)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٦٤٤). والقراءة بالرفع قراءة شاذة.

(١٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٢).

أبو رزين[١]: المعنى: أنا نذير لكم منها، وقيل: القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ هو بدل من قوله: ﴿لِّلۡبَشَرِ﴾؛ أي: نذيراً لمن شاء منكم أن يتقدّم إلى الطاعة أو يتأخر عنها.

والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل من آمن وكفر، وقيل: فاعل المشيئة هو الله سبحانه؛ أي: لمن شاء الله أن يتقدّم منكم بالإيمان أو يتأخر بالكفر، والأوّل أولى. وقال السديّ[٢]: لمن شاء منكم أن يتقدّم إلى النار المتقدم ذكرها، أو يتأخر إلى الجنة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] قال: لما سمع أبو جهل ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾. قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أَسمعُ ابنَ أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدَّهْم، أفيعجز كلُّ عشرة منكم أن يبطش برجل من خزنة جهنم؟

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه في قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: قال أبو الأَشدّين: خلوا بيني وبين خزنة جهنم أنا أكفيكم مؤنتهم، قال: وحدّثت أن النبيّ ﷺ وصف خُزّان جهنم فقال: «كأن أعينهم البَرْقُ، وكأن أفواههم الصياصي يجرّون أشعارهم، لهم مثل قوّة الثقلين، يُقبل أحدهم بالأمة من الناس يسوقهم على رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم».

وأخرج الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ عن أبي سعيد الخدري[٥]: «أنّ رسول الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به قال: فصعدت أنا وجبريل إلى السماء الدنيا، فإذا أنا بملك يقال له: إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٤٦)، وابن أبي شيبة (١٣/٤١٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (١٢٨) من طريق إسماعيل، به.

(٢) «النكت والعيون» (٦/١٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/٤٣٦).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (٧٠٩٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤٠٤).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠، ٨١): فيه أبو هارون واسمه عمارة بن جوين. وهو ضعيف جدّاً.

سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف، وتلا هذه الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾».

وأخرج أحمد[١] عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أطّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أصبع إلّا عليه ملك ساجد».

وأخرجه الترمذي، وابن ماجه. قال الترمذي: حسن غريب، ويروى عن أبي ذرّ موقوفاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ قال: دبور ظلامه.

وأخرج مسدّد في «مسنده»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٣] قال: سألتُ ابن عباس عن قوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ فسكت عني حتى إذا كان من آخر الليل وسمع الأذان، ناداني: يا مجاهد هذا حين دَبَر الليل.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ قال: من شاء اتبع طاعة الله ومن شاء تأخر عنها.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾؛ أي: مأخوذة بعملها ومرتهنة به، إما خلصها

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه رقم (٤١٩٠).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه مسدد ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٧٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٤٤٧) من طريق العوفي، عن ابن عباس. بسند ضعيف.

وإما أَوبقها، والرهينة: اسمُ(١) بمعنى الرهن، كالشيمة بمعنى الشيم، وليست صفة، ولو كانت صفة لقيل: رهين؛ لأنّ فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها غَير مَفْكوكة.

﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم، بل يُفكّون بما أحسنوا [٤/١٩٣] مِنْ أعمالهم.

واختلف في تعيينهم(٢)، فقيل: هم الملائكة، وقيل: المؤمنون، وقيل: أولاد المسلمين، وقيل: الذين كانوا عن يمين آدم، وقيل: أصحاب الحقّ، وقيل: هم المعتمدون على الفضل دون العمل، وقيل: هم الذين اختارهم الله لخدمته.

﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ هو في محل(٣) رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة استئناف جواباً عن سؤال نشأ مما قبله، ويجوز أن يكون ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ حالاً من ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾، وأن يكون حالاً(٤) من فاعل ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأن يكون ظرفاً ليتساءلون.

وقوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يجوز أن يكون على بابه؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً، ويجوز أَنْ يكون بمعنى يسألون؛ أي: يسألون غيرهم، نحو دعيته وتداعيته، فعلى الوجه الأوّل يكون ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ متعلقاً بيتساءلون؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين(٥)، وعلى الوجه الثاني تكون «عَنْ» زائدة؛ أي: يسألون المجرمين.

وقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ هو على تقدير القول؛ أي: يتساءلون عن المجرمين يقولون لهم: ما سلككم في سقر؟ أو يسألونهم قائلين لهم: ما سلككم في سقر؟ والجملةُ على كلا التقديرين في محل نصب(٦) على الحال، والمعنى: ما أدخلكم في سقر؟ تقول: سلكتُ الخيط في كذا: إذا دخلته فيه. قال الكلبي(٧): يسأل الرجل من أهل الجنة الرجلَ من أهل النار باسمه، فيقول له: يا فلان ما

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/٧٩)، و«الفريد» (٤/٥٦٨).
(٢) انظر: هذه الأقوال في «جامع البيان» (٢٣/٤٤٩ ـ ٤٥٠)، و«النكت والعيون» (٦/١٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/٣٩٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٨٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥١)، و«الفريد» (٤/٥٦٨).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٩٢). (٦) «روح المعاني» (٢٨/ ٨١).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٣٩٦).

سلكك في النّار؟ وقيل: إن الملائكة يسألون الملائكة عن أقربائهم، فتسأل الملائكة المشركين يقولون لهم: ما سلككم في سقر؟

قال الفراء[١]: في هذا ما يقوّي أن أصحاب اليمين هم الولدان؛ لأنهم لا يعرفون الذنوب.

ثم ذكر سبحانه ما أجاب به أهل النار عليهم فقال: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: من المؤمنين الذين يصلّون لله في الدنيا ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾؛ أي: لم نتصدّق على المساكين، قيل: وهذان مَحْمولان على الصلاة الواجبة والصدقة الواجبة؛ لأنّه لا تعذيب على غير الواجب، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون[٢] بالشرعيات ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾؛ أي: نخالط أهل الباطل في باطلهم.

قال قتادة[٣]: كلما غوى غاوٍ غوينا معه. وقال السديّ[٤]: كنا نكذب مع المكذبين. وقال ابن زيد[٥]: نخوض مع الخائضين في أمر محمد ﷺ، وهو قولهم: كاذب، مجنون، ساحر، شاعر.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ وهو: الموت، كما في قوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾؛ أي: شفاعة الملائكة والنبيين، كما تنفع الصالحين.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ التذكرة: التذكيرُ بمواعظ القرآن، والفاء لترتيب إنكار إعراضهم عَنْ التذكرة على ما قبله من موجبات الإقبال عليها، وانتصاب[٦] معرضين على الحال من الضمير في متعلق الجارّ والمجرور؛ أي: أيّ شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى؟

ثم شبّههم في نفورهم عن القرآن بالحُمُر فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ والجملة

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٥).
(٢) «إرشاد الفحول» (٧٢ ـ ٧٥) ط. ابن كثير. «شرح الكوكب المنير» (١/ ٥١٢)، و«الإبهاج» (١/ ١٨٢)، و«المحصول» (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٤٨). (٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٤٨).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٨).
(٦) «التبيان» (٢/ ١٢٥١)، و«الفريد» (٤/ ٥٦٨).

حال من الضمير في معرضين على التداخل، ومعنى ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: نافرة، يقال: نفر واستنفر، مثل عَجِب واستعجب، والمراد الحُمُر الوحشية. قرأ الجمهور[١]: «مستنفِرة» بكسر الفاء؛ أي: نافرة، وقرأ نافع، وابن عامر بفتحها[٢]؛ أي: منفرة مذعورة، واختار القراءة الثانية أَبو حاتم[٣]، وأبو عُبيد.

قال في «الكشّاف»[٤]: المستنفرة: الشديدة النِّفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له، وحملها عليه.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾؛ أي: مِنْ رُماة يرمونها، والقسور[٥] الرامي، وجمعه قسورة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن كيسان، وقيل: هو الأسد، قاله عطاء والكلبي[٦].

قال ابن عرفة[٧]: من القَسْر بمعنى القهر؛ لأنه يقهر السباع، وقيل: القسورة: أصوات الناس، وقيل: القسورة بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: الرُّماة.

وقال ابنُ الأعرابي[٨]: القَسْورة أوّل الليل؛ أي: فَرّت من ظلمة الليل، وبه قال عكرمة[٩]، والأوّل أولى، وكلّ شديد عند العرب فهو: قسورة، ومنه قول الشاعر:

يا بنتُ كوني خَيْرة لخيِّره   أخوالُها الجنُّ وأهلُ القَسْوَرَهْ[١٠]

ومنه قول لبيد[١١]:

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٣٢)، و«التيسير» (ص٢١٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٢٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ بفتحها أبو جعفر وهما قراءتان متواترتان.

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٩).

(٤) «الكشاف» (٦/ ٢٦٣).

(٥) «الصحاح» (٢/ ٧٩١)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٣٩٨).

(٦) انظر أقوالهم في: «جامع البيان» (٢٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٨)، و«الوسيط» (٤/ ٣٨٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٤١٣).

(٧) «تاج العروس» (قسر).

(٨) «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٩٩).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١).

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٨ ـ ٧٩)، قال: قالت فلانة في الجاهلية.

(١١) «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص٣٥١).

إذا ما هتفْنا هتفةً في نديِّنا أتانا الرجالُ العابدونَ القَساوِرُ

ومن إطلاقه على الأسد قول الشاعر:

مُضمّرٌ تحذرُهُ الأبطالُ كأنه القُسوّر الرِّهالُ(١)

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل: لا يكتفون بتلك التذكرة بل يريد.

قال المفسرون(٢): إن كفار قريش قالوا لمحمد ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنّك رسول الله. والصحف: الكتب واحدتها صحيفة، والمنشّرة: المنشورة المفتوحة، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] قرأ الجمهور(٣): «منشّرة» بالتشديد. وقرأ سعيد بن جبير(٤) بالتخفيف.

وقرأ الجمهور(٥) أيضاً بضم الحاء من صحُف. وقرأ سعيد بن جبير(٦) بإسكانها.

ثم ردعهم الله سبحانه عن هذه المقالة وزجرهم فقال: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ يعني: عذاب الآخرة؛ لأنّهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات، وقيل: كلّا بمعنى حقّاً.

ثم كرّر الردْعَ والزجْر لهم فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾؛ يعني: القرآن، أو حقّاً إنّه تذكرة، والمعنى: أنّه يُتذكر به ويتعظ بمواعظه ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: فمن شاء أن يتعظ به اتعظ.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٨).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٠)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢١٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٢٣).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٠). القراءة بالتخفيف قراءة شاذة.

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٠٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٢٣)، و«تفسير الرازي» (٣/ ٢١٣).

(٦) قال القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٢)، فأمّا تسكين الحاء فتخفيف، وأمّا تسكين النون فشاذ. وانظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٠).

ثم ردّ سبحانه المشيئة إلى نفسه فقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قرأ الجمهور[١]: «يَذْكرون» بالياء التحتية. وقرأ نافع، ويعقوب[٢] بالفوقية، واتفقوا على التخفيف، وقوله «إلّا أن يشاء الله» استثناء مفرّغ[٣] من أعمّ الأحوال.

قال مقاتل[٤]: إلّا أن يشاء الله لهم الهدى.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: هو الحقيق بأن يتقيه المتقون؛ بترك معاصيه والعمل بطاعاته ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: هو الحقيق بأن يغفر للمؤمنين ما فرط منهم من الذنوب، والحقيق بأن يقبل توبة التائبين من العصاة، فيغفر ذنوبهم.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ قال: مأخوذة بعملها.

وأخرج ابن المنذر[٦] عنه في قوله: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ قال: هم المسلمون.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عليّ بن أبي طالب[٧] ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ قال: هم أطفال المسلمين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن ابن عباس ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ قال: الموت.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن أبي موسى الأشعري[٩] في قوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾ قال: هم الرُّماة رجال القسيّ.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٤٨).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر عن يعقوب هو بالتحتية كقراءة الجمهور.
(٣) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٣١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٨٧).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٣٨٨).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٦).
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠، ٣٢٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٨٥)، وابن جرير (٢٣/ ٤٥٠)، والحاكم (٢/ ٥٠٧).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٧).
(٩) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٧٦).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[(١)] قال: القسورة الرجال الرماة القَنْص.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي حمزة[(٢)] قال: قلت لابن عباس: القسورة الأسد، فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هم عصبة الرجال.

وأخرج سفيان بن عيينة، وعبد الرزاق، وابن المنذر عن ابن عباس[(٣)] ﴿مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال: هو رِكْز الناس يعني: أصواتهم.

وأخرج أحمد، والدارمي، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عديّ وصححه، وابن مردويه عن أنس[(٤)] «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ فقال: قال ربكم: أنا أهلٌ أنْ أُتقى فلا يجعل معي إلٰه، فمن اتقاني فلم يجعل معي إلٰهاً، فأنا أهل أن أغفر له».

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس[(٥)] مرفوعاً نحوه.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٧٦).

(٣) أخرجه سفيان بن عيينة في «تفسيره» ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٧٦) ـ وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٢).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٢٤٤٢، ١٣٥٤٩)، والدارمي (٢/ ٣٠٢، ٣٠٣)، والترمذي رقم (٣٣٢٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٣٠)، وابن ماجه رقم (٤٢٩٩)، والبزار ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٩١)، وأبو يعلى رقم (٣٣١٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٩١)، وابن عدي (٣/ ١٢٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٠٨). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٢٢).

سُورَةُ القِيَامَةِ

هي تسع وثلاثون آية وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة القيامة، وفي لفظ سورة لا أقسم بمكة.

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير[٣] قال: أنزلت سورة لا أقسم بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[يوم القيامة وما فيه: حقيقة القيامة وحقيقة النفس اللوامة]:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۢ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۢ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥﴾.

قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال أبو عبيدة[٤]، وجماعة المفسرين[٥]: إن «لا» زائدة، والتقدير: أقسم. قال السمرقندي[٦]: أجمع المفسرون أنّ معنى لا أقسم: أقسم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٢).

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

(٥) «الوسيط» (٤/ ٣٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٠٤).

(٦) في «تفسيره» (٣/ ٤٢٥).

واختلفوا في تفسير لا، فقال بعضهم: هي زائدة[١]، وزيادتها جارية في كلام العرب، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني: أن تسجد، و: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] ومن هذا قول الشاعر:

تذكَّرتُ ليلى فاعترْتني صبابةٌ وكاد صميمُ القلبِ لا يتقطَّعُ[٢]

وقال بعضهم: هي ردّ لكلامهم حيث أنكروا [٤/١٩٤] البعث كأنه قال: ليس الأمر كما ذكرتم، أُقسم بيوم القيامة، وهذا قول الفرّاء[٣]، وكثير[٤] من النحويين، كقول القائل: لا واللهِ، فلا ردٌّ لكلام قد تقدّمها، ومنه قول الشاعر:

فلا وأبيكِ ابنةَ العامريّ لا يدَّعي القومُ أني أفِرّ[٥]

وقيل: هي للنفي، لكن لا لنفي الإقسام، بل لنفي ما ينبيء عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه، كأن معنى لا أقسم بكذا: لا أعظمه بإقسامي به حقّ إعظامه، فإنه حقيق بأكثر من ذلك.

وقيل: إنها لنفي الإقسام لوضوح الأمر، وقد تقدّم الكلام على هذا في تفسير قوله: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] وقرأ الحسن، وابن كثير في رواية عنه، والزهري، وابن هرمز: «لأقسم» بدون ألف[٦] على أن اللام لام الابتداء، والقول الأوّل هو أرجح هذه الأقوال.

وقد اعترض عليه الرازي[٧] بما لا يقدح في قوّته، ولا يفتّ في عضد رجحانه.

وإقسامه سبحانه بيوم القيامة لتعظيمه وتفخيمه، ولله أنْ يقسم بما شاء من مخلوقاته.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٥٧١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٣).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٠). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٤) «التبيان» (٢/ ١٢٥٣)، و«الفريد» (٤/ ٥٧١)، و«أوضح المسالك» (٢/ ١٢٦)، و«شرح الأشموني» (٢/ ٢١٤، ٢١٦).

(٥) البيت لامرئ القيس. وهو في «ديوانه» (ص١٥٤).

(٦) «المحتسب» (٢/ ٣٤١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٥٥١). قرأ قنبل عن ابن كثير وهو وجه للبزي عن ابن كثير (لأقسم) وقرأ باقي العشرة وهو الوجه الثاني للبزي (لا أقسم) وهما متواترتان. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٢).

(٧) في «تفسيره» (٣٠/ ٢١٥).

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ذهب قوم إلى أنه سبحانه أقسم بالنفس اللوّامة، كما أقسم بيوم القيامة، فيكون الكلام في «لا» هذه كالكلام في الأولى، وهذا قول الجمهور[١].

وقال الحسن[٢]: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة. قال الثعلبي[٣]: والصحيح أنّه أقسم بهما جميعاً، ومعنى النفس اللوامة: النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره، أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها. قال الحسن[٤]: هي واللهِ نفس المؤمن، لا يُرى المؤمن إلّا يلوم نفسه ما أردتَ بكذا ما أردت بكذا، والفاجر لا يعاتب نفسه.

قال مجاهد[٥]: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشرّ لم تعمله؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه؟ قال الفرّاء[٦]: ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلّا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت؟ وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل. وعلى هذا فالكلام خارج مخرج المدح للنفس، فيكون الإقسام بها حسناً سائغاً. وقيل: اللوّامة هي الملومة المذمومة، فهي صفة ذمّ، وبهذا احتج من نفى أن يكون قسماً، إذ ليس لنفس العاصي خطر يقسم به.

قال مقاتل[٧]: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله. والأوّل أولى.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ المراد بالإنسان: الجنس، وقيل: الإنسان الكافر، والهمزة للإنكار، و«أن» هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف، والمعنى: أيحسب الإنسان أن الشأن أن لن نجمع عظامه بعد أن صارت رُفاتاً، فنعيدها خلقاً جديداً؟ وذلك حسبان باطل، فإنا نجمعها، وما يدلّ عليه هذا الكلام هو جواب القسم.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٤)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٦٥).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٣٩٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٤١٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) بسند صحيح.
(٣) في «تفسيره» (١٠/ ٨١).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٣) إلى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٠) بسند صحيح.
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨). (٧) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٠).

قال الزجاج[١]: أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة ليجمعنّ العظام للبعث، فهذا جواب القسم.

وقال النحاس[٢]: جواب القسم محذوف؛ أي: ليُبعثنّ، والمعنى: أن الله سبحانه يبعث جميع أجزاء الإنسان، وإنما خصّ العظام لأنها قالب الخلق.

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ بلى إيجاب لما بعد النفي المنسحب إليه الاستفهام، والوقف على هذا اللفظ وقف حسن، ثم يبتدئ الكلام بقوله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ وانتصاب قادرين على الحال[٣]؛ أي: بلى نجمعها قادرين، فالحال من ضمير الفعل المقدّر، وقيل: المعنى: بل نجمعها نقدر قادرين. قال الفراء[٤]: أي نقدر ونقوى قادرين على أكثر من ذلك.

وقال أيضاً: إنه يصلح نصبه على التكرير؛ أي: بلى فليحسبنا قادرين، وقيل التقدير: بلى كنّا قادرين. وقرأ ابن أبي عبلة، وابن السميفع: «بلى قادرون»[٥] على تقدير مبتدأ؛ أي: بلى نحن قادرون، ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾: على أن نجمع بعضها إلى بعض، فنردّها كما كانت مع لطافتها وصغرها، فكيف بكبار الأعضاء، فنبّه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء، وأن الاقتدار على بعثها وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق، فهذا وجه تخصيصها بالذكر، وبهذا قال الزجاج[٦]، وابن قتيبة[٧].

وقال جمهور المفسرين[٨]: إن معنى الآية: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً، كخفّ البعير، وحافر الحمار صفيحة واحدة لا شقوق فيها، فلا يقدر على أن ينتفع بها في الأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة ونحوهما، ولكنا فرقنا أصابعه

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٧).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٥٤)، و«الفريد» (٤/ ٥٧١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٠٨)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢١٧)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٤٤٦). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥١). (٧) في «تأويل مشكل القرآن» له (ص٢٦٩).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٠٩)، و«الوسيط» (٤/ ٣٩١).

لينتفع بها. وقيل: المعنى: بل نقدر على أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان عليها، والأوّل أولى، ومنه قول عنترة(١):

وأَنَّ الـمـوتَ طـوعُ يـدي إذا مـا وصـلـتُ بـنـانَـهـا بـالـهـنـدوانـيْ

فنبّه بالبنان على بقية الأعضاء.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ هو عطف على أيحسب، إما على أنه استفهام مثله، وأضرب(٢) عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا، أو على أنه إيجاب انتقل إليه من الاستفهام. والمعنى: بل يريد الإنسان أن يُقَدّم فجوره فيما بين يديه من الأوقات، وما يستقبله من الزمان، فيقدّم الذنبَ ويؤخر التوبة.

قال ابن الأنباري(٣): يريد أن يفجر ما امتدّ عمره، وليس في نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه. قال مجاهد، والحسن، وعكرمة، والسديّ، وسعيد بن جبير: يقول سوف أتوب، ولا يتوب حتى يأتيه الموت. وهو على أشرّ أحواله(٤).

قال الضحاك(٥): هو الأمل، يقول: سوف أعيش وأصيب من الدنيا، ولا يذكر الموت، والفجور(٦) أصله: الميل عن الحقّ، فيصدق على كل من مال عن الحق بقول أو فعل، ومنه قول الشاعر(٧):

أقـسـمَ بـالـلَّـهِ أبـو حـفـصٍ عُـمـرْ مـا مـسَّـهـا مـن نَـقَـبٍ ولا دَبَـرْ

اغـفـرْ لـه الـلَّـهـمَّ إن كـان فَـجَـرْ(٨)

---

(١) «ديوان عنترة» (ص٧٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٩٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٣٤).

(٣) «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٥٧).

(٤) انظر هذه الأقوال في: «جامع البيان» (٢٣/ ٤٧٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٨١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٦) بسند حسن.

(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٢٦).

(٧) قال الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٢)، ثم وجدت ابن قتيبة قد ذكره وقال إنَّ الفجور التكذيب واستشهد بأن أعرابيّاً قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها، وسأله أن يحمله على غيرها، فلم يحمله فقال الأعرابي.. فذكر الرجز ثم قال: يعني إن كان كذبني بما ذكرت. وانظر: «مشكل تأويل القرآن» (ص٢٦٩).

(٨) انظر: التعليقة المتقدمة.

[مشهد القيامة تشترك فيه الحواس والمشاعر الإنسانية والمشاهد الكونية]:

وجملة: ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ مستأنفة لبيان معنى يفجر، والمعنى: يسأل متى يوم القيامة؟ سؤال استبعاد واستهزاء.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾؛ أي: فزع وتحيّر من بَرِق الرجل: إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. قرأ الجمهور(١): «بَرِق» بكسر الراء.

قال أبو عمرو بن العلاء(٢)، والزجاج(٣) وغيرهما: المعنى تحيّر فلم يطرف، ومنه قول ذي الرّمة(٤):

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرَّضتْ   لعينَيْهِ مَيٌّ سافِراً كاد يَبْرُقُ

وقال الخليل(٥)، والفراء(٦): بَرِق بالكسر: فزع وبُهت وتحيّر، والعرب تقول للإنسان المبهوت: قد بَرِق، فهو بَرِقٌ، وأنشد الفرّاء(٦):

فنَفْسَكَ فانْعَ ولا تَنْعَني   ودَاوِ الكُلُومَ ولا تَبْرِقِ(٧)

أي: لا تفزع من كثرة الكُلوم التي بك.

وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «بَرَقَ» بفتح الراء(٨)؛ أي: لمع بصرُه من شدة شخوصه للموت. قال مجاهد(٩) وغيره: هذا عند الموت، وقيل: بَرِقَ يَبرَقُ شق عينيه وفتحهما. وقال أبو عبيدة(١٠): فتح الراء وكسرها لغتان بمعنى.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٧٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٠).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٤٧٨).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥٢).

(٤) «ديوان ذي الرِّمة» (١/ ٤٦١).

(٥) في «كتاب العين» (ص٦٨).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٠٩).

(٧) البيت لطرفة ابن العبد. وهو في «ديوانه» (ص٧٠).

(٨) «التيسير» (ص٢١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٧٨). الذي قرأ بالفتح هو نافع وأبو جعفر وأما عاصم فالمتواتر عنه كقراءة الجمهور والرواية عن عاصم بالفتح شاذة.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٤٨٠) بسند صحيح.

(١٠) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

[من المشاهد الكونية ليوم القيامة]:

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ قرأ الجمهور[١]: «خَسَفَ» بفتح الخاء والسين مبنيّاً للفاعل.

وقرأ ابن أبي إسحاق، وعيسى، والأعرج، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة بضم الخاء وكسر السين[٢] مبنيّاً للمفعول، ومعنى ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: ذهب ضوؤه، ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا، ويقال: خسف: إذا ذهب جميع ضوئه، وكسف: إذا ذهب بعض ضوئه.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾؛ أي: ذهب ضوؤهما جميعاً، ولم يقل: جمعت لأنّ التأنيث مجازيّ. قاله المبرِّد[٣]. وقال أبو عبيدة[٤]: هو لتغليب المذكر على المؤنث. وقال الكسائي[٥]: حمل على معنى جمع النيران.

وقال الزجاج[٦]، والفراء[٧]: ولم يقل: «جمعت» لأن المعنى جمع بينهما في ذهاب نورهما، وقيل: جمع بينهما في طلوعهما من الغرب أسودين مُكوّرين مظلمين. قال عطاء[٨]: يجمع بينهما يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر فيكوّنان نار الله الكبرى. وقيل: تجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار.

وقرأ ابن مسعود[٩]: «وجُمِعَ بَينَ الشَّمسِ والقَمَرِ».

[لا ملجأ ولا وقاية ولا مفر]:

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؛ أي: يقول عند وقوع هذه الأمور أين المفرّ؛ أي: الفرار، والمفرّ مصدر بمعنى الفرار.

قال الفراء[١٠]: يجوز أن يكون موضع الفرار، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٣٧)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٢٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة على البناء للمفعول شاذة.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٨١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣١).

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٨١)، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٠).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥٢). (٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٨٢) من طريق زيد بن أسلم، به.

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٨١). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩).

أينَ المفرُّ والكِباشُ تَنْتطحْ   وكلَّ كَبْشٍ فرَّ منها يَفْتَضِحْ[١]

قال الماوردي[٢]: يحتمل وجهين:

أحدهما: أين المفرّ من الله سبحانه؟ استحياءً منه.

والثاني: أين المفرّ من جهنم؟ حذراً منها.

قرأ الجمهور[٣]: «أين المَفَرُّ» بفتح الميم والفاء مصدراً، كما تقدّم. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة بفتح الميم[٤] وكسر الفاء على أنه اسم مكان؛ أي: أين مكان الفرار؟

وقال الكسائي[٥]: هما لغتان مثل مَدَب ومَدِب، ومَصَح ومَصِح، وقرأ الزهري[٦] بكسر الميم وفتح الفاء على أن المراد به: الإنسان الجيد الفرار، ومنه قول امرئ القيس[٧]:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدبرٍ معاً   كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السيلُ من عَلِ

أي: جيد الفرّ والكرّ.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾؛ أي: لا جبل ولا حُصن ولا ملجأ من الله. وقال ابن جبير[٨]: لا محيص ولا منعةً. والوزَرُ في اللغة[٩]: ما يلجأ إليه الإنسان من حصن أو جبل أو غيرهما، ومنه قول طرفة[١٠]:

ولقد تعلمُ بَكْرٌ أنَّنا   فاضِلُوا الرأي وفي الرَّوعِ وَزَرْ

وقال آخر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٣)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٥٣).

(٢) في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٣).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٤١٩)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور، وما عداها فقراءات شاذة.

(٤) «المحتسب» (٢/ ٣٤١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٤).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤١).

(٧) «ديوان امرئ القيس» (ص١٩).

(٨) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٤٣)، و«الصحاح» (٢/ ٨٤٥).

(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٤).

(١٠) «ديوان طرفة» (ص٥٦).

لعمري ما للفتى مِنْ وَزَرْ مِنَ الموتِ يُدركُه والكِبَرْ[١]

قال السديّ[٢]: كانوا إذا فزعوا في الدنيا تحصنوا بالجبال، فقال لهم الله: لا وزَر يعصمكم مني يومئذٍ، وكَلّا للردع أو لنفي ما قبلها، أو بمعنى حقاً.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ﴾ [٤/١٩٥]؛ أي: المرجع والمنتهى والمصير لا إلى غيره، وقيل: إليه الحُكم بين العباد لا إلى غيره، وقيل: المستقر: الاستقرار حيث يقرّه الله ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ أي: يُخْبَر يوم القيامة بما عمل من خير وشرّ.

وقال قتادة[٣]: بما عمل من طاعة وما أخر من طاعة فلم يعمل بها. وقال زيد بن أسلم[٤]: بما قدّم من أمواله وما خلّف للورثة. وقال مجاهد[٥]: بأوّل عمله وآخره. وقال الضحاك[٦]: بما قدّم من فرض وأخر من فرض. قال القشيري[٧]: هذا الإنباء يكون يوم القيامة عند وزن الأعمال، ويجوز أن يكون عند الموت.

قال القرطبي[٨]: والأوّل أظهر ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ ارتفاع بصيرة على أنها خبر الإنسان، على نفسه متعلق ببصيرة.

قال الأخفش[٩]: جعله هو البصيرة، كما تقول للرجل: أنت حجة على نفسك، وقيل: المعنى: إن جوارحه تشهد عليه بما عمل، كما في قوله: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] وأنشد الفرّاء[١٠]:

كأنَّ على ذي العقلِ عيناً بصيرةً بمقعدِهِ أو منظرٍ هو ناظِرهْ[١١]

فيكون المعنى: بل جوارح الإنسان عليه شاهدة. قال أبو عبيدة[١٢]،

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ١٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٤).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٣).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٤).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤١٥).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٠) بسند صحيح.
(٦) «زاد المسير» (٨/ ٤٢٠).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤١٥).
(٨) في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٥).
(٩) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٢١).
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١١).
(١١) البيت للفرزدق. وهو في «ديوانه» (ص٢٠٩).
(١٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧).

والقتيبي[١]: إن هذه الهاء في بصيرة هي التي يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة، كما في قولهم: علّامة.

وقيل: المراد بالبصيرة: الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير وشرّ، والتاء على هذا للتأنيث. وقال الحسن[٢]: أي: بصير بعيوب نفسه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾؛ أي: ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك. يقال: معذرة ومعاذير. قال الفرّاء[٣]: أي وإن اعتذر فعليه من يكذب عذره.

وقال الزجاج[٤]: المعاذير: الستور، والواحد معذار؛ أي: وإن أرخى الستور يريد أن يخفي نفسه فنفسه شاهدة عليه، كذا قال الضحاك[٥]، والسديّ[٦]. والستر بلغة اليمن يقال له: معذار، كذا قال المبرد[٧]، ومنه قول الشاعر:

ولكنَّها ضنَّتْ بمنزلِ ساعةٍ ... علينا وأطَّتْ يومَها بالمعاذِرِ[٨]

والأوّل أولى، وبه قال مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، وابن زيد[١٢]، وأبو العالية[١٣]، ومقاتل[١٤]، ومثله قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] وقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] وقول الشاعر:

فما حَسَنٌ أنْ يعذِرَ المرءُ نفسَه ... وليسَ له من سائِرِ الناسِ عاذرُ[١٥]

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ كان رسول الله ﷺ يُحرّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي؛ حرصاً على أن يحفظه ﷺ، فنزلت

---

(١) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٤٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٨). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٥٣).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٣).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٥) بسند حسن.
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٨). (٨) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٤) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٢) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٤) من طريق سفيان، به.
(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩٤) بسند صحيح.
(١٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤١٨).
(١٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٨٣).
(١٥) «شرح ديوان الحماسة» (٣/ ٨٩).

هذه الآية؛ أي: لا تحرّك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي لتأخذه على عَجَلٍ؛ مخافة أن يتفلّت منك، ومثل هذا قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] الآية.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: إثبات قراءته في لسانك.

قال الفرّاء[(١)]: القراءة والقرآن مصدران. وقال قتادة[(٢)]: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: شرائعه وأحكامه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾؛ أي: أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: قراءته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾؛ أي: تفسير ما فيه من الحلال والحرام، وبيان ما أشكل منه.

قال الزجاج[(٣)]: المعنى: علينا أن ننزله عليك قرآناً عربيّاً فيه بيان للناس. وقيل: المعنى: إن علينا أن نبينه بلسانك.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ كلّا للردْع عن العجلة، والترغيب في الأناة، وقيل: هي ردع لمن لا يؤمن بالقرآن وبكونه بيِّناً من الكفار.

قال عطاء[(٤)]: أي: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وبيانه.

قرأ أهل المدينة[(٥)]، والكوفيون «بل تُحبّون» «وتذرون» بالفوقية في الفعلين جميعاً.

وقرأ الباقون[(٦)] بالتحتية فيهما، فعلى القراءة الأولى يكون الخطاب لهم تقريعاً وتوبيخاً[(٧)]، وعلى القراءة الثانية يكون الكلام عائداً إلى الإنسان لأنه بمعنى الناس، والمعنى: تحبون الدنيا، وتتركون ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فلا تعملون لها.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٢).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٠٧) بسند صحيح.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥٣).

(٤) «الوسيط» (٣/ ٣٩٣).

(٥) «التيسير» (ص٢١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٠)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٢٢).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «روح المعاني» (٢٨/ ١٠٨).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: ناعمة غَضّة حسنة، يقال: شجر ناضر، وروض ناضر؛ أي: حسن ناعم، ونَضَارة العيش: حُسْنُه وبهجته.

قال الواحدي[١]، والمفسرون: يقولون: مضيئة مسفرة مشرقة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر؛ أي: إلى خالقها ومالك أمرها ناظرة؛ أي: تنظر إليه، هكذا قال جمهور[٢] أهل العلم، والمراد به: ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أنَّ العباد ينظرون[٣] ربهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر.

[ونظر أهل الجنة إلى وجه الله الكريم مجمع عليه]:

قال ابن كثير[٤]: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام.

وقال مجاهد[٥]: إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب، وروي نحوه عن عكرمة[٦]، وقيل: لا يصح هذا إلّا عن مجاهد وحده.

قال الأزهري[٧]: وقول مجاهد خطأ؛ لأنه لا يقال: نظر إلى كذا بمعنى الانتظار، وإن قول القائل: نظرت إلى فلان ليس إلّا رؤية عين، إذا أرادوا الانتظار قالوا: نظرتُه، كما في قول الشاعر:

فإنَّكما إنْ تَنْظُرَانيَ ساعةً   مِنَ الدهرِ تنفعْني لدى أمِّ جُنْدُبِ[٨]

فإذا أرادوا نظر العين قالوا: نظرت إليه، كما قال الشاعر:

نظرتُ إليها والنجومُ كأنَّها   مصابيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ[٩]

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٣٩٤).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٧).

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، ومسلم رقم (١٨٢/ ٢٩٩) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.
وأخرجه البخاري رقم (٥٥٤)، ومسلم رقم (٢١١، ٢١٢/ ٦٣٣) من حديث جرير.

(٤) في «تفسيره» (١٤/ ١٩٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٠٨) بسند صحيح.

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٦).

(٧) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٣٧١).

(٨) «ديوان امرئ القيس» (ص٤١).

(٩) «ديوان امرئ القيس» (ص٣١).

وقول الآخر:

إِنّي إليكِ لما وعدْتِ لناظِرٌ نظرَ الفقيرِ إلى الغَنيِّ الموسِرِ[(١)]

أي: انظر إليك نظر ذلّ كما ينظر الفقير إلى الغنيّ، وأشعار العرب وكلماتهم في هذا كثيرة جدّاً. ﴿وُجُوهٌ﴾ مبتدأ، وجاز الابتداء[(٢)] به مع كونه نكرة؛ لأن المقام مقام تفصيل، وناضرة صفة لوجوه، ويومئذٍ ظرف لناضرة، ولو لم يكن المقام مقام تفصيل لكان وصف النكرة بقوله: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ مسوّغاً للابتداء بها، ولكن مقام التفصيل بمجرّده مسوّغ للابتداء بالنكرة.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾؛ أي: كالحة عابسة كئيبة.

قال في «الصحاح»[(٣)]: بَسَر الرجلُ وجهه بُسوراً؛ أي: كَلَحَ.

قال السديّ[(٤)]: باسرة؛ أي: متغيرة، وقيل: مُصْفرّة، والمراد بالوجوه هنا: وجوه الكفار.

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ الفاقرة: الداهية العظيمة، يقال: فقرتْه الفاقرةُ؛ أي: كسرت فَقَار ظِهره. قال قتادة[(٥)]: الفاقرة الشرّ، وقال السديّ[(٥)]: الهلاك.

وقال ابن زيد[(٦)]: دخول النّار. وأصل الفاقرة: الوسم على أنف البعير بحديدة، أو نار حتى تخلص إلى العظم، كذا قال الأصمعي[(٧)]، ومن هذا قولهم: قد عمل به الفاقرة. قال النابغة[(٨)]:

أبا لي قبرٌ لا يزالُ مُقَابلي وضربةُ فأسٍ فوقَ رأسيَ فاقِرهْ

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير[(٩)]

---

(١) «ديوان جميل بثينة» (ص١٠٩).
وفيه «بما» بدل: «لما». و«المكثر» بدل: «الموسر».
(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٢)، و«الفريد» (٤/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٤).
(٣) «الصحاح» (٢/ ٥٨٩).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٧).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٧).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥١٢) بسند صحيح.
(٧) «تهذيب اللغة» (٩/ ١١٦). (٨) «ديوان النابغة الذبياني» (ص٧٠).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، والحاكم (٢/ ٥٠٨، ٥٠٩) من طريق جرير، به.

قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: يقسم ربك بما شاء من خلقه، قلت: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال: النفس اللؤوم، قلت: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ قال: لو شاء لجعله خُفّاً أو حافراً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[1] عنه ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال: المذمومة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر[2] عنه أيضاً قال: التي تلومُ على الخير والشرّ تقول: لو فعلتُ كذا وكذا.

وأخرج ابن المنذر[3] عنه أيضاً قال: تندم على ما فات وتلومُ عليه.

وأخرج ابن جرير[4] عنه أيضاً ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ قال: يمضي قُدُماً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[5] عنه في الآية قال: هو الكافر الذي يكذب بالحساب.

وأخرج ابن جرير[6] عنه أيضاً في الآية قال: يعني الأمل، يقول: أعمل ثم أتوب.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «ذمّ الأمل»، والبيهقي في «الشعب»[7] عنه أيضاً في الآية قال: يُقدّم الذنب ويؤخر التوبة.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»[8] عنه أيضاً ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يقول: سوف أتوب ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: يقول متى يومُ القيامة؟ قال: فبيّن له ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٠) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٥) من طريق جرير، به.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨١) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٧٥) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (٢٠٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٦٧٣).

(٨) أخرجه الفريابي ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٥٥)، وابن جرير (٢٣/ ٤٧٧، ٤٧٨)، والحاكم (٢/ ٥٠٩)، والبيهقي رقم (٧٢٣٢) من طريق إسرائيل، به.

وأخرج ابن جرير[١] عنه قال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ يعني: الموت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٢] في قوله: ﴿لَا وَزَرَ﴾ قال: لا حِصْن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿لَا وَزَرَ﴾ قال: لا حِصْن ولا ملجأ، وفي لفظ: لا حرز[٤]، وفي لفظ: لا جبل.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن مسعود[٥] في قوله: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: بما قدّم من عمل، وأَخَّر من سُنّة عُملَ بها مِنْ بعده مِنْ خيرٍ أو شرّ.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] نحوه.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٧] قال: بما قدّم من المعصية وأخّر من الطاعة فينبّأ بذلك.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر[٨] من طرق عنه في قوله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ قال: شهد على نفسه وحده ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ قال: ولو اعتذر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٩] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ قال: سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ قال: ولو تجرّد من ثيابه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس[١٠] قال: كان رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٨٠) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٨٤) من طريق العوفي بسند ضعيف.

(٤) وأخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٨٤) من طريق علي بن أبي طلحة بسند صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٣٤)، وابن جرير (٢٣/ ٤٨٩) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٧).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٧/ ٤٨٩) بسند صحيح.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٤) بسند صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢) بسند صحيح.

(١٠) أخرجه الطيالسي رقم (٢٧٥٠)، وأحمد رقم (٣١٩١)، والبخاري رقم (٥، ٤٩٢٧ ـ ٤٩٢٩، =

يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرّك به لسانه وشفتيه؛ مخافةَ أن يتفلّت منه يريد أن يحفظه، فأنزل الله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: يقول: إنّ علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول: إذا أنزلناه عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أن نبينه بلسانك، وفي لفظ: علينا أن نقرأه، فكان رسول الله ﷺ [٤/١٩٦] بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق. وفي لفظ: استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(١)] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ قال: بيناه ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: اعمل به.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن مسعود[(٢)] في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قال: عُجّلت لهم الدنيا شرّها وخيرها، وغُيّبت الآخرة.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عن ابن عباس ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: ناعمة. وأخرج ابن المنذر، والآجري في «الشريعة»، واللالكائي في «السُّنَّة»، والبيهقي في الرؤية عنه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: يعني: حسنها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: نظرت إلى الخالق.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عنه أيضاً ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها.

وأخرج ابن مردويه[(٥)] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: ينظرون إلى ربهم بلا كيفية، ولا حدّ محدود، ولا صفة معلومة».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة[(٦)] قال: «قال الناس:

= ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم رقم (٤٤٨)، والترمذي رقم (٣٣٢٩)، والنسائي رقم (٩٣٤)، وابن جرير (٢٣/٤٩٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/١٩٦) ـ وفي «فتح الباري» (١/٣٠) ـ والطبراني رقم (١٢٢٩٧)، والبيهقي (٧/٥٦).

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/٥٠٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/٦٨٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٤٩).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٥٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٥٠).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٣٥٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق رقم (٢٠٨٥٦)، وأحمد رقم (٧٧١٧، ٧٩٢٧)، والبخاري رقم (٨٠٦، =

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تُضارُّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة[(١)] نحوه. وقد قدّمنا أن أحاديث الرؤية متواترة فلا نطيل بذكرها، وهي تأتي في مصنف مستقلّ، ولم يتمسك مَنْ نفاها واستبعدها بشيء يصلح للتمسك به لا من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عمر[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه، وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً، وعشية، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾».

وأخرجه أحمد[(٣)] في المسند من حديثه بلفظ: «إنَّ أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرّتين».

وأخرج النسائي، والدارقطني وصححه، وأبو نعيم عن أبي هريرة[(٤)] قال: «قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: هل ترون الشمس في يوم لا غيم فيه، وترون القمر في ليلة لا غيم فيها؟ قلنا: نعم، قال: فإنّكم سترون ربكم ﷻ، حتى إن أحدكم ليحاضر ربَّه محاضرةً، فيقول: عبدي هل تعرفُ ذنب كذا وكذا؟ فيقول: ألم تغفر لي؟ فيقول: بمغفرتي صرتَ إلى هذا».

= ٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، ومسلم رقم (١٨٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٨٨)، والبيهقي (٦٤١) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١١١)، وعبد بن حميد رقم (٨١٧ ـ المنتخب)، والترمذي رقم (٢٥٥٣، ٣٣٣٠)، وابن جرير (٢٣/ ٥١٠)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠١) ـ والآجري رقم (٦٢٠)، والحاكم (٢/ ٥٠٩)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٤) ـ، واللالكائي رقم (٨٤١)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٧٧، ٤٧٨). وهو حديث ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٥٨).

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (٧٧٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٧).

[النهاية التي لا بد منها: النزع الأخير وسكرات الموت]:

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ
يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ
نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾.

قولُه: ﴿كَلَّآ﴾ رَدْع وزجْر؛ أي: بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة، ثم استأنف، فقال: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾؛ أي: بلغت النفس أو الروح التراقي، وهي جمع ترقوة[1]، وهي عَظْم بين ثغرة النّحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، ومثله قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

وقيل: معنى ﴿كَلَّآ﴾: حقّاً؛ أي: حقّاً أن المساق إلى الله إذا بلغت التراقي، والمقصودُ تذكيرهم شدّة الحال عند نزول الموت. قال دُريد بن الصِّمة[2]:

وَرُبَّ كَرِيهَةٍ دافعتُ عنها　　　وقد بلغتْ نفوسُهم التراقي

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾؛ أي: قال من حضر صاحبها؟ مَنْ يُرقيه ويشتفي برقيته؟. قال قتادة[3]: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً، وبه قال أبو قِلابة، ومنه قول الشاعر:

هل للفتَى من بناتِ الموتِ مِنْ واقي　　　أمْ هل له مِنْ حِمَامِ الموتِ مِنْ راقي[4]

وقال أبو الجوزاء[5]: هو مِنْ رِقَى يُرْقَى إذا صَعِد، والمعنى: مَنْ يرقى بروحه

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٦٣).

(٢) كذا نسبه الشوكاني لدريد بن الصِّمَّة. والرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٣٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٣)، وقد نسبه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٤٥٤)، وياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/ ٢٥٨) لعمرة بنت دريد بن الصمة، قالته في قصيدة لها ترثي بها أباها.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٥) بسند صحيح.

(٤) نسبه أبو هلال العسكري في «جمهرة الأمثال» (٢/ ٣٥٩) ليزيد بن خوَّات.

(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ١١٥ ـ ١١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٣٤).

إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقيل: إنه يقول ذلك ملك الموت، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾؛ أي: وأيقن الذي بلغت روحه التراقي أنّه الفراقُ من الدنيا، ومن الأهل والمال والولد.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾؛ أي: التفت ساقهُ بساقه عند نزول الموت به. وقال جمهور المفسرين(١): المعنى تتابعت عليه الشدائد.

وقال الحسن(٢): هما ساقاه إذا التفّتا في الكفن. وقال زيد بن أسلم(٣): التفت ساق الكفن بساق الميت، وقيل: ماتت(٤) رجلاه ويبست ساقاه ولم تحملاه، وقد كان جوّالاً عليهما.

وقال الضحاك(٥): اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يُجهِّزون جسده، والملائكة يُجهِّزون روحه. وبه قال ابن زيد(٦). والعرب لا تذكر الساق إلّا في الشدائد الكبار والمحن العظام، ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق. وقيل: الساق الأوّل: تعذيب روحه عند خروج نفسه، والساق الآخر: شدّة البعث وما بعده.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾؛ أي: إلى خالقك يوم القيامة المرجع، وذلك جُمِع العبادُ إلى الله يساقون إليه ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾؛ أي: لم يصدّقَ بالرسالة ولا بالقرآن، ولا صلى لربِّه، والضمير يرجع إلى الإنسان المذكور في أوّل هذه السورة.

قال قتادة(٧): فلا صدّق بكتاب الله ولا صلى لله، وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه. قال الكسائي(٨): «لا» بمعنى «لم»، وكذا قال الأخفش(٩). والعرب تقول: لا ذهب؛ أي: لم يذهب، وهذا مستفيض في كلام العرب، ومنه:

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٣٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥١٩) من طريق ابن اليمان، به.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٥) عن الحسن.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٥٨).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٢٣) بسند صحيح.
(٨) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٣٧).
(٩) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٢١).

إنْ تـغـفـرِ الـلَّـهـمَّ تـغـفـرْ جَـمّـاً   وأيُّ عـبـدٍ لـك لا ألـمَّـا[١]

﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذّب بالرسول وبما جاء به، وتولّى عن الطاعة والإيمان.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾؛ أي: يتبختر ويختال في مشيته؛ افتخاراً بذلك. وقيل: هو مأخوذ من المطا[٢]، وهو الظهرُ، والمعنى: يَلْوي مَطاه. وقيل: أصله يتمّطط، وهو التمدّد والتثاقل؛ أي: يتثاقل ويتكاسل عَنْ الداعي إلى الحق.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾؛ أي: وليكَ الويلُ، وأصله: أولاك الله ما تكرهه، واللّام مزيدة، كما في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] وهذا تهديد شديد[٣]، والتكرير للتأكيد؛ أي: يتكرر عليك ذلك مرة بعد مرة.

قال الواحدي[٤]: قال المفسِّرون: أخذ رسول الله ﷺ بيد أبي جهل، ثم قال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فقال أبو جهل: بأيّ شيء تهدّدني، لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، وإني لأعزّ أهل هذا الوادي، فنزلت هذه الآية. وقيل معناه: الويل لك، ومنه قول الخنساء:

هـمـمـتُ بـنـفـسي بـعـض الـهـمـومِ   فـأَوْلَـى لـنـفـسـيَ أَوْلَـى لـهـا[٥]

وعلى القول بأنه الويل، قيل: هو من المقلوب[٦] كأنه قيل: أويل لك، ثم أخّر الحرف المعتل. قيل: ومعنى التكرير لهذا اللفظ أربع مرات، والويل لك حيّاً، والويل لك ميتاً، والويل لك يوم البعث، والويل لك يوم تدخل النار. وقيل: المعنى: إن الذمّ لك أولى لك من تركه. وقيل: المعنى: أنت أولى وأجدر بهذا العذاب، قاله ثعلب.

وقال الأصمعي[٧]: أولى في كلام العرب معناه: مقاربة الهلاك. قال

---

(١) أنشد أمية بن أبي الصلت، عند موته. وهو في «ديوانه» (ص١١٤).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٧١).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ١٢١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٣٦).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٩٦).
(٥) «ديوان الخنساء» (ص١٢١).
(٦) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٢١).
(٧) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٥٣١).

المبرّد[١]: كأنّه يقول: قد وَلِيتَ الهلاك وقد دانيته، وأصله من الوَلْي، وهو القُرْب، وأنشد الفراء[٢]:

فــأَوْلَــى أنْ يــكــون لــك الــولاءُ[٣]

أي: قارب أن يكون لك، وأنشد أيضاً:

أَوْلَى لَـمْـن هـاجـتْ لـه أنْ يَـكْـمَـدَا[٤]

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: هَمَلاً لا يُؤمر ولا يُنْهى، ولا يُحاسب ولا يعاقب، وقال السدي[٥]: معناه المهمل، ومنه إبل سدى؛ أي: ترعى بلا راع، وقيل: المعنى: أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبداً لا يُبعث؟!

وجملة ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ مستأنفة؛ أي: ألم يك ذلك الإنسان قطرة من منيّ يُراق في الرحم؟! وسمّي المنيّ منيّاً لإراقته، والنطفة: الماء القليل، يقال: نَطفَ الماءُ إذا قطر.

قرأ الجمهور[٦]: «ألم يك» بالتحتية على إرجاع الضمير إلى الإنسان. وقرأ الحسن بالفوقية[٧] على الالتفات إليه توبيخاً له. وقرأ الجمهور[٨] أيضاً: «تمنى» بالفوقية على أن الضمير للنطفة. وقرأ حفص، وابن محيصن، ومجاهد، ويعقوب بالتحتية[٩] على أن الضمير للمني، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو[١٠]، واختارها

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٠).
(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٠): وأنشد الأصمعي.
(٣) «روح المعاني» (٢٩/ ١٤٩).
(٤) «ديوان ذي الرِّمة» (١/ ٢٩١).
وعجزه:
أوْلـــى وإن كـــانـــت خـــلاءُ بُـــيَّـــدا
(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ١٢٢).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٣٤)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨١).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. والقراءة بالفوقية قراءة شاذة.
(٨) «التيسير» (ص٢١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٤)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥١).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة. الرواية عن أبي عمرو شاذة.
(١٠) «جامع البيان» (٢/ ٤٦٥).

أبو حاتم(١).

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾؛ أي: كان بعد النطفة علقة؛ أي: دماً ﴿فَخَلَقَ﴾؛ أي: فقدّر بأن جعلها مضغة مخلقة ﴿فَسَوَّىٰ﴾؛ أي: فعدّله وكمّل نشأته، ونفخ فيه الروح ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾؛ أي: حصل من الإنسان، وقيل: من المنيّ ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾؛ أي: الصنفين من نوع الإنسان.

ثم بين ذلك فقال: ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾؛ أي: الرجل والمرأة.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ليس ذلك [٤/١٩٧] الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: يُعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا، فإن الإعادة أهون من الابتداء، وأيسر مؤونة منه.

قرأ الجمهور(٢): «بقادر» وقرأ زيد بن عليّ(٣) «يقدر» فعلاً مضارعاً.

وقرأ الجمهور(٤): «يحيي» بنصبه بأَنْ. وقرأ طلحة بن سليمان، والفياض بن غزوان بسكونها(٥) تخفيفاً، أو على إجراء الوصل مجرى الوقف، كما مرّ في مواضع.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٦) في قوله: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال: تُنْتَزع نفسه حتى إذا كانت في تراقيه، قيل: مَنْ يَرْقى بروحه؛ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؟ ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال: التفت عليه الدنيا والآخرة، وملائكة العذاب أيهم يرقى به.

وأخرج عبد بن حميد(٧) عنه ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قل: من راقَ يَرْقي؟

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم(٨) عنه أيضاً ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤١).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٢٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٣٤).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة زيد بن علي شاذة.
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٣٤)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨١).
(٥) «المحتسب» (٢/ ٣٤٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٥٤). والقراءة بالسكون شاذة.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥١٤، ٥١٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٠١).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦١).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥١٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥١) بسند صحيح.

﴿بِٱلسَّاقِ﴾ يقول: آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدّة بالشدّة إلّا من رحم الله.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه أيضاً ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ قال: يختال.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن سعيد بن جبير[٢] قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: أشيء قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل من قبل نفسه، أم أمره الله به؟ قال: بل قاله مِنْ قِبل نفسه، ثم أنزله الله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال: هملاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري عن صالح أبي الخليل[٤] قال: «كان النبيّ ﷺ إذا قرأ هذه الآية ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال: سبحانك اللّٰهم، وبلى».

وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب[٥] قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «سبحانك ربي، وبلى».

وأخرج ابن النجار في «تاريخه» عن أبي أمامة[٦] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عند قراءته لهذه الآية: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ منكم: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، فانتهى إلى آخرها: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ١ ـ ٨] فليقل: بلى

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٣٨)، وابن جرير (٢٣/ ٥٢٥) من قول سعيد بن جبير، والطبراني رقم (١٢٢٩٨)، والحاكم (٢/ ٥١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٢): «رجال ثقات».

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥١).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٧) أخرجه أحمد رقم (٧٣٩١)، وأبو داود رقم (٨٨٧)، والترمذي رقم (٣٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٥١٠)، والبيهقي (٢/ ٣١٠، ٣١١). وهو حديث ضعيف.

وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾، فانتهى إلى قوله: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فليقل: بلى، ومن قرأ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَـٰتِ عُرۡفࣰا﴾ [المرسلات: ١] فبلغ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليقل: آمنا بالله» وفي: إسناده رجل مجهول.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأت: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] فبلغت: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فقل: بلى».

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٤).

سُورَةُ الإِنسَانِ

هي إحدى وثلاثون آية.

قال الجمهور[(١)]: هي مدنية. وقال مقاتل[(٢)]، والكلبي: هي مكية.

وأخرج النحاس عن ابن عباس[(٣)] أنها نزلت بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عن ابن الزبير مثله، وقيل: فيها مكي من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣] إلى آخر السورة، وما قبله مدنيّ.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عمر[(٥)] قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «سل، واستفهم، فقال: يا رسول الله، فُضّلتم علينا بالألوان والصور والنبوّة، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به، وعملتُ بما عملتَ به: أني كائن معك في الجنة، قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنّة من مسيرة ألف عام، ثم قال: من قال: لا إلٰه إلّا الله كان له عهد عند الله. ومن قال: سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة ونزلت هذه السورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢٠] فقال الحبشيّ: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة، قال: نعم، فاشتكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده».

وأخرج أحمد في الزهد عن محمد بن مُطّرف[(٦)] قال: حدّثني الثقة: «أن رجلاً

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ١٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٤٣).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٦١).

(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٥).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٣٥٩٥)، وابن عساكر (٣٤/ ٦٤، ٦٥).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٠)، وفيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٦).

أسود كان يسأل رسول الله ﷺ عن التسبيح والتهليل، فقال له عمر بن الخطاب: أكثرتَ على رسول الله، فقال: مَهْ يا عمر. وأنزلت على النبيّ ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] حتّى إذا أتى على ذكر الجنّة زفر الأسود زفرةً خرجت نفسه، فقال النبيّ ﷺ: مات شوقاً إلى الجنة».

وأخرج نحوه ابن وهب[١] عَنْ ابن زيد مرفوعاً مرسلاً.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن منيع، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، والضياء عن أبي ذرّ[٢] قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ حتى ختمها، ثم قال: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وملَك واضعٌ جبهته ساجداً لله، واللهِ لو تَعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنِّساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ﷻ».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الإنسان وخلقه وتكليفه]:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

حكى الواحدي[٣] عَنْ المفسرين، وأهل المعاني أن ﴿هَلْ﴾ هُنا بمعنى: قد،

---

(١) أخرجه ابن وهب ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٠٦). وقال: «مرسل غريب».

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢١٥١٦)، والترمذي رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه رقم (٤١٩٠)، وأبو الشيخ رقم (١٥٠٩)، والحاكم (٢/ ٥١٠) و(٤/ ٥٤٤). وهو حديث صحيح.

(٣) في «الوسيط» (٤/ ٣٩٨).

وليس باستفهام، وقد قال بهذا سيبويه[١]، والكسائي[٢]، والفراء[٣]، وأبو عبيدة[٤].

قال الفراء[٥]: «هَلْ» تكون جَحْداً، وتكون خبراً، فهذا مِنْ الخبر؛ لأنَّك تقول: هل أعطيتك تقرّره بأنك أعطيته، والجحد أن تقول: هَلْ يقدر أحد على مثل هذا، قيل: هي وإنْ كانت بمعنى قد، ففيها معنى الاستفهام، والأصل: أَهلْ أتى، فالمعنى: أَقَد أَتَى، والاستفهام للتقرير[٦] والتقريب.

والمراد بالإنسان هنا: آدم، قاله قتادة[٧]، والثوري، وعكرمة، والسديّ وغيرهم.

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ قيل: أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح، وقيل: إنه خُلق من طين أربعين سنة، ثم من حَمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة. وقيل: الحين المذكور هنا لا يُعرف مقداره، وقيل: المراد بالإنسان: بنو آدم، والحين: مدّة الحمل.

وجملة: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ في محل نصب[٨] على الحال من الإنسان، أو في محل رفع صفة لحين.

قال الفرّاء[٩]، وقطرب[١٠]، وثعلب[١١]: المعنى أنه كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً لا يُذْكر، ولا يُعرف ولا يدرى ما اسمه، ولا ما يراد به، ثم نُفخ فيه الروح فصار مذكوراً.

وقال يحيى بن سلام[١٢]: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً، وقيل: ليس المراد بالذكر هنا الإخبار، فإن إخبار الربّ عن الكائنات قديم، بل هو الذكر بمعنى الخطر والشَّرف، كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

---

(١) في «الكتاب» (١/ ١٠٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٤). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).
(٦) «روح المعاني» (٢٨/ ١٢٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٣٩).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٦١)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠).
(٨) «الفريد» (٤/ ٥٨٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٧).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٥). (١١) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢).
(١٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٤٥).

قال القشيري(١): ما كان مذكوراً للخلق وإن كان مذكوراً لله سبحانه. قال الفراء(٢): كان شيئاً ولم يكن مذكوراً. فجعل النفي متوجهاً إلى القيد. وقيل: المعنى: قد مضت أزمنة وما كان آدم شيئاً، ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة.

وقال مقاتل(٣): في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: هل أتى حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله، ولم يخلق بعده حيوان.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ المراد بالإنسان هنا: ابن آدم.

قال القرطبي(٤): من غير خلاف، والنطفة: الماء الذي يقطر، وهو المنيّ، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة، وجمعها نُطَف، و﴿أَمْشَاجٍ﴾ صفة لنطفة، وهي جمع مِشْج أو مَشِيج، وهي الأخلاط.

والمراد: نطفة الرجل ونطفة المرأة واختلاطهما. يقال: مشج(٥) هذا بهذا، فهو ممشوج؛ أي: خلط هذا بهذا فهو مخلوط.

قال المبرد(٦): مشج يَمْشِجُ إذا اختلط، وهو هنا اختلاط النطفة بالدم. قال رؤبة بن العجاج(٧):

يَطْرَحْنَ كلَّ مُعجَّلٍ مشَّاجِ ... لم يُكْسَ جِلْدَاً من دمٍ أَمشاجِ

قال الفراء(٨): أمشاج: اختلاط ماء الرجل وماء المرأة، والدم والعلَقة، ويقال مشج هذا: إذا خُلط، وقيل: الأمشاج: الحُمْرة في البياض والبياض في الحمرة.

قال القرطبي(٩): وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة. قال الهذلي:

كأنَّ الريشَ والفوقَيْنِ منه ... خِلافُ النَّصْلِ سِيطَ به مَشيجُ(١٠)

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢)، و«الجامع لأحكام الإنسان» (٢١/ ٤٤٥).
(٤) في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٦).
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٦٩).
(٦) في «الكامل» (٢/ ١٠١٧).
(٧) «ديوان رؤبة» (ص٣٢).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢١٤).
(٩) في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٧).
(١٠) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي. «ديوان الهذليين» (٣/ ١٠٤). وفيه «الشرفين»، بدل: «الفوقين».

وذلك لأن [٤/ ١٩٨] ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فيخلق منهما الولد.

قال ابن السكِّيت(١): الأمشاج: الأخلاطُ لأنها ممتزجة من أنواع يُخلق الإنسان منها وطباع مختلفة. وقيل: الأمشاج لفظ مفرد كبرمة أعشار، ويؤيد هذا وقوعه نعتاً لنطفة.

وجملة: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في محل نصب(٢) على الحال من فاعل خلقنا؛ أي: مريدين ابتلاءه، ويجوز أن يكون حالاً من الإنسان، والمعنى: نبتليه بالخير والشرّ وبالتكاليف.

قال الفراء(٣): معناه والله أعلم: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ نبتليه، وهي: مقدّمة معناها التأخير؛ لأن الابتلاء لا يقع إلّا بعد تمام الخلقة، وعلى هذا تكون هذه الحال مقدّرة، وقيل: مقارنة. وقيل: معنى الابتلاء: نقله من حال إلى حال على طريقة الاستعارة، والأوّل أولى.

ثم ذكر سبحانه أنه أعطاه ما يصحّ معه الابتلاء، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي: بينّا له، وعرّفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشرّ، كما في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] قال مجاهد(٤): أي: بينّا السبيل إلى الشقاء والسعادة.

وقال الضحاك(٥)، والسديّ، وأبو صالح: السبيل هنا خروجه من الرحم، وقيل: منافعه ومضارّه التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله.

وانتصاب(٦) ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ على الحال من مفعول هديناه؛ أي: مكنّاه من سلوك الطريق في حالتيه جميعاً، وقيل: على الحال من السبيل على المجاز؛ أي: عرّفناه السبيل إما سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كفوراً.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٨).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٥٧)، و«الفريد» (٤/ ٥٨٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) بسند صحيح.
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٤).
(٦) «الفريد» (٤/ ٥٨٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٧).

وحكى مكيّ[١] عن الكوفيين أن قوله: ﴿إِمَّا﴾ هي إن شرطية زيدت بعدها ما؛ أي: بينّا له الطريق إنْ شكر وإن كفر. واختار هذا الفرّاء[٢]، ولا يجيزه البصريون؛ لأن إنْ الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل، ولا يصح هنا إضمار الفعل؛ لأنه كان يلزم رفع شاكراً وكفوراً. ويمكن أن يضمر فعل ينصب شاكراً وكفوراً، وتقديره: إنْ خلقناه شاكراً فشكور، وإن خلقناه كافراً فكفور، وهذا على قراءة الجمهور[٣]: «إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» بكسر همزة إما. وقرأ أبو السمّال، وأبو العجّاج بفتحها، وهي على الفتح[٤] إما العاطفة في لغة بعض العرب، أو هي التفصيلية، وجوابها مقدّر، وقيل: انتصب شاكراً وكفوراً بإضمار كان، والتقدير: سواء كان شاكراً أو كان كفوراً.

ثم بيّن سبحانه ما أعدّ للكافرين فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ قرأ نافع، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وهشام عن ابن عامر «سلاسلاً» بالتنوين[٥]، ووقف قُنْبل[٦] عن ابن كثير، وحمزة بغير ألف، والباقون[٧] وقفوا بالألف. ووجه مَنْ قرأ بالتنوين في سلاسل مع كون فيه صيغة منتهى الجموع أنه قصد بذلك التناسب؛ لأن ما قبله وهو ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، وما بعده وهو ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ منوّن، أو على لغة مَنْ يصرف جميع ما لا ينصرف، كما حكاه الكسائي[٨]، وغيره مَنْ الكوفيين عَنْ بعض العرب.

قال الأخفش[٩]: سمعنا من العرب من يصرف كلَّ ما لا يَنْصرف؛ لأن الأصل في الأسماء الصرف، وترك الصرف لعارض فيها.

---

(١) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٥). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨٤)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٣٩).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٠)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٦٥٢). القراءة بفتح الهمزة شاذة.

(٥) «التيسير» (ص٢١٧)، و«النشر» (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٢).

(٦) «فتح الباري» (٨/ ٥٢٥)، و«الوقف والابتداء» لابن الأنباري (١/ ٣٦٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٣٨).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٥٠).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٥١)، والألوسي في «روح المعاني» (٢٨/ ١٣٤).

قال الفراء[١]: هو على لغة مَنْ يجرّ الأسماء كلها إلّا قولهم: هو أظرف منك، فإنهم لا يجرّونه، وأنشد ابن الأنباري[٢] في ذلك قول عَمْرو بن كلثوم:

كـأنّ سـيـوفَـنـا فـيـنـا وفـيـهـم   مـخـاريـقٌ بـأيـدي لاعِـبِـيْـنَـا[٣]

ومن ذلك قول الشاعر:

وإذا الـرجـالُ رأوْا يـزيـدَ رأيـتَـهـم   خُضْعَ الـرقـابِ نـواكِـسِ الأبـصـارِ[٤]

بكسر السين من نواكس.

وقول لبيد[٥]:

وجَـزوْرِ أيـسـارٍ دعـوتُ لَـحِـتْـفِـهـا   بـمـغـالِـقٍ مـتـشـابـهٍ أعـلاقُـهـا[٦]

وقوله أيضاً:

فـضـلاً وذو كـرمٍ يُـعـيـنٍ عـلـى الـنَّـدى   سَـمِـحٌ كـسـوبُ رغـائـبٍ غَـنَّـامُـهـا

وقيل: إن التنوين لموافقة رسم المصاحف المكية والمدنية والكوفية فإنها فيها بالألف، وقيل: إن هذا التنوين بدل من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف، والسلاسل قد تقدّم تفسيرها، والخلاف فيها هل هي القيود، أو ما يجعل في الأعناق، كما في قول الشاعر:

. . . . ولـــكـــنْ   أحـاطـتْ بـالـرقـابِ الـسـلاسـلُ

والأغلالُ: جمعُ غُلّ تُغلّ به الأيدي إلى الأعناق، والسعيرُ: الوقودُ الشديد. وقد تقدّم تفسير السعير.

ثم ذكر سبحانه ما أعدّه للشاكرين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٍ﴾ الأبرار: أهل الطاعة والإخلاص والصدق، جمع بَرّ أو بارّ. قال في «الصحاح»[٧]: جمع البرّ الأبرار، وجمع البارّ البررَة، وفلان يبرّ خالقه يتبرّرُه؛ أي: يطيعه.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤).
(٢) في «الوقف والابتداء» (١/ ٣٦٨).
(٣) «شرح القصائد المشهورات» للنحاس (ص١٠٤).
(٤) البيت من «شواهد سيبويه» (٢/ ٢٠٧).
(٥) «ديوان لبيد» (ص٣١٨). الأيار: المضاربون بالقداح.
(٦) «ديوان لبيد» (ص٣٢٠).
(٧) «الصحاح» (٢/ ٥٨٨).

وقال الحسن[(١)]: البَرّ: الذي لا يؤذي الذر. وقال قتادة[(٢)]: الأبرار: الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر.

والكأس في اللغة[(٣)]: هو الإناء الذي فيه الشراب، وإذا لم يكن فيه الشراب لم يسمّ كأساً، ولا وجه لتخصيصه بالزجاجة، بل يكون من الزجاج ومن الذهب والفضة والصيني وغير ذلك، وقد كانت كاسات العرب من أجناس مختلفة، وقد يطلق الكأس على نفس الخمر، كما في قول الشاعر:

وكأسٍ شربتُ على لَذَّةٍ وأُخْرَى تداويتُ منها بها

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾؛ أي: يخالطها، وتمزج به، يقال: مزجه يمزجه مَزْجاً؛ أي: خلطه يخلطه خلطاً، ومنه قول الشاعر:

كأنَّ سبيَّةً مِنْ بيتِ رأسٍ كأنَّ مزاجُها عَسلٌ وماءُ

وقول عمرو بن كلثوم:

صددتِ الكأسَ عنَّا أمَّ عمرو وكانَ الكأسُ مجراها اليمينَا[(٤)]

معتقةً كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطها سخَينَا

ومِنْه مزاج البدن، وهو ما يمازجه من الأخلاط، والكافور قيل: هو اسم عينٍ[(٥)] في الجنة يقال لها: الكافوري تُمزج خمر الجنة بماء هذه العين. وقال قتادة[(٦)]، ومجاهد[(٧)]: تمزج لهم بالكافور وتُخْتم لهم بالمسك.

وقال عكرمة[(٨)]: مزاجها: طعمها، وقيل: إنما الكافور في ريحها لا في طعمها. وقيل: إنما أراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده، لأن الكافور لا يُشْرب، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]؛ أي: كنار. وقال ابن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٥).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣١٤)، و«الصحاح» (٣/ ٩٦٩).
(٤) «القصائد المشهورات» لابن النحاس (ص٩١).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٣).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٣٩) بسند صحيح.
(٧) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٣).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٥٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٣).

كيسان[١]: طيبها المسك والكافور والزنجبيل.

وقال مقاتل[٢]: ليس هو كافور الدنيا، وإنما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب، والجملة في محل جرّ صفة لكأس. وقيل: إن ﴿كَانَ﴾ هنا زائدة؛ أي: من كأس مزاجها كافوراً.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ انتصاب عيناً على أنها بدل من كافوراً؛ لأن ماءها في بياض الكافور.

وقال مكي[٣]: إنها بدل من محل ﴿مِن كَأۡسٍ﴾ على حذف مضاف، كأنه قيل: يشربون خمراً خمر عين، وقيل: إنها منتصبة على أنها[٤] مفعول يشربون؛ أي: عيناً من كأس، وقيل: هي منتصبة على الاختصاص، قاله الأخفش.

وقيل: منتصبة بإضمار فعل[٥] يفسره ما بعده: أي: يشربون عيناً يشرب بها عباد الله، والأوّل أولى، وتكون جملة: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ صفة لعيناً. وقيل: إن الباء في: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ زائدة.

وقيل: بمعنى ﴿مِن﴾ قاله الزجاج[٦]، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة[٧]: «يشربها عبادُ الله». وقيل: إن يشرب مضمن معنى يلتذّ، وقيل: هي متعلقة بيشرب، والضمير يعود إلى الكأس. وقال الفراء[٨]: يشربها ويشرب بها سواء في المعنى، وكأنّ يشرب بها يُروى بها، وينتفع بها وأنشد قول الهذلي[٩]:

شـربْـنَ بـمـاءِ الـبـحـرِ ثـم تـرفَّـعَـتْ[١٠]

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٩٧).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٠٠).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٧).
(٤) «الفريد» (٢/ ٥٨٦).
(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ١٣٥ ـ ١٣٦).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥٨).
(٧) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٥)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٤٥٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٤١). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٥).
(٩) قائله أبو ذؤيب الهذلي. وهو في «ديوان الهذليين» (١/ ٥٢).
(١٠) وعجز البيت:

مـتـى لُـجَـجٍ خُـضْـرٍ لـهُـنَّ نـشـيـجُ

وقوله: متى لُجَجٍ؛ أي: من لُجَجٍ.

قال: ومثله تكلم بكلام حسن، وتكلم كلاماً حسناً.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾؛ أي: يجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يريدون وصوله إليه، فهم يشقونها شقّاً، كما يشقّ النهر ويفجر إلى هنا وهنا. قال مجاهد(١): يقودونها حيث شاءوا، وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم، والجملة صفة أخرى لعيناً.

وجملة: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان ما لأجله رُزقوا ما ذُكر، وكذا ما عطف عليها، ومعنى النذر في اللغة(٢): الإيجابُ، والمعنى: يوفون بما أوجبه الله عليهم من الطاعات. قال قتادة(٣)، ومجاهد(٤): يوفون بطاعة الله من الصلاة والحج ونحوهما.

وقال عكرمة(٥): يوفون إذا نذروا في حق الله سبحانه، والنذر في الشرع ما أوجبه المكلّفُ على نفسه، فالمعنى: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم.

قال الفراء(٦): في الكلام إضمار؛ أي: كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. وقال الكلبي(٧): يوفون بالعهد؛ أي: يتممون العهد. والأولى حمل النذر هنا على ما أوجبه العبد على نفسه من غير تخصيص.

﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ المراد: يوم القيامة، ومعنى استطارة شرّه: فُشُوّه وانتشاره، يقال: استطار يستطير استطارةً، فهو مستطير، وهو استفعل من الطيران، ومنه قول الأعشى(٨):

فباتتْ وقد أَسْأَرتْ في الفؤا ... د صَدْعاً على بابها مستطيرا

والعرب تقول: استطار الصَّدْعُ في القارورة والزجاجة: إذا امتدّ، ويقال: استطار الحريق: إذا انتشر.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٠) بسند صحيح.
(٢) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٢٠)، و«الصحاح» (٢/ ٨٢٦).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤١) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤١) بسند صحيح.
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٤).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٥).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦).
(٨) «ديوان الأعشى» (ص١٤٣)، وفيه أورثت.

قال الفراء[١]: المستطير المستطيل. قال قتادة[٢]: استطار شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السماوات، والأرض. قال مقاتل[٣]: كان شرّه فاشياً في السمٰوات، فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾؛ أي: يطعمون [٤/ ١٩٩] هؤلاء الثلاثة الأصناف الطعام على حبِّه لديهم وقلته عندهم. قال مجاهد[٤]: على قلته، وحبِّهم إياه وشهوتهم له؛ فقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ في محل نصب[٥] على الحال؛ أي: كائنين على حبِّه، ومثله قوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقيل: على حبِّ الإطعام لرغبتهم في الخير. قال الفضيل بن عياض[٦]: على حب إطعام الطعام. وقيل: الضمير في حبه يرجع إلى الله؛ أي: يطعمون الطعام على حبّ الله؛ أي: يطعمون إطعاماً كائناً على حبّ الله.

ويؤيد هذا قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ والمسكين ذو المسكنة، وهو الفقير، أو مَنْ هو أفقر من الفقير، والمراد باليتيم يتامى المسلمين، والأسير الذي يؤسر فيحبس.

قال قتادة[٧]، ومجاهد[٨]: الأسير المحبوس. وقال عكرمة[٩]: الأسير العبد. وقال أبو حمزة[١٠] الثمالي: الأسير: المرأة.

[هل الإطعام منسوخ بآية الصدقات]:

قال سعيد بن جبير[١١]: نَسخ هذا الإطعامَ آيةُ الصدقات، وآية السيف في حق

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢١٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٢) بسند صحيح.
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٠٠).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٣) بسند صحيح.
(٥) «الفريد» (٤/ ٥٨٧)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٣٧).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٥٩).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٤) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٥) بسند صحيح.
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦).
(١٠) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٤)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨٦).
(١١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٤).

الأسير الكافر. وقال غيره: بل هي محكمة[١]، وإطعام المسكين واليتيم على التطوّع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلى أن يتخير فيه الإمام.

وجملة: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ في محل نصب[٢] على الحال بتقدير القول؛ أي: يقولون إنما نطعمكم، أو قائلين إنما نطعمكم يعني: أنهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك. قال الواحدي[٣]: قال المفسرون: لم يتكلموا بهذا، ولكن علمه الله مِنْ قلوبهم فأثنى عليهم، وعلم من ثنائه أنهم فعلوا ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: لا نطلب منكم المجازاة على هذا الإطعام، ولا نريد منكم الشكر لنا، بل هو خالص لوجه الله، وهذه الجملة مقرّرة لما قبلها؛ لأن من أطعم لوجه الله لا يريد المكافأة، ولا يطلب الشكر له ممن أطعمه.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا﴾؛ أي: نخاف عذاب يوم متصف بهاتين الصفتين، ومعنى ﴿عَبُوسٗا﴾: أنه يوم تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، فالمعنى: أنه ذو عبوس.

قال الفراء[٤]، وأبو عبيدة[٥]، والمبرِّد: يوم قمطرير وقماطر: إذا كان صعباً شديداً، وأنشد الفراء[٦]:

بني عمِّنا هل تذكرونَ بلاءَنا ... عليكم إذا ما كانَ يومٌ قَمَاطِرُ[٧]

قال الأخفش[٨]: القمطرير أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، ومنه قول الشاعر:

ففرَّوا إذا ما الحرب ثار غبارُها ... ولجَّ بها اليومُ العبوسُ القماطرُ[٩]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٥٨).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ١٣٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦١).
(٣) في «الوسيط» (٤/ ٤٠٢).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦).
(٧) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٦٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٧)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤).
(٩) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٦٨).

قال الكسائي(١): اقمطرّ اليوم وازمهرّ: إذا كان صعباً شديداً، ومنه قول الشاعر:

بنو الحربِ أوصَيْنا لهم بِقِمَطْرةٍ ومَنْ يلقَ منَّا ذلك اليومَ يهربُ(٢)

وقال مجاهد(٣): إن العبوس بالشفتين، والقَمْطير بالجبهة والحاجبين، فجعلهما من صفات المتغير في ذلك اليوم لما يراه من الشدائد، وأنشد ابن الأعرابي:

يَقْدِرَ على الصيدِ بعودٍ مُنْكَسِرْ ويقْمطِرُّ ساعةً وَيَكْفَهِرّ(٤)

قال أبو عبيدة(٥): يقال: قمطرير؛ أي: منقبض ما بين العينين والحاجبين. قال الزجاج(٦): يقال: اقْمَطرَّتِ الناقة: إذا رفعت ذَنبَها وجمعت قَطريها وزمّت بأنفها ما يسبقها من القطر، وجعل الميم مزيدة.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾؛ أي: دفع عنهم شرّه؛ بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾؛ أي: أعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسروراً في القلوب.

قال الضحاك(٧): والنضرة: البياض والنقاء في وجوههم. وقال سعيد بن جبير(٨): الحسن والبهاء، وقيل: النضرة أثر النعمة.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ أي: بسبب صبرهم على التكاليف، وقيل: على الفقر، وقيل: على الجوع، وقيل: على الصوم. والأولى حمل الآية على الصبر على كل شيء يكون الصبر عليه طاعة لله سبحانه، و«ما» مصدرية. والتقدير: بصبرهم.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي: أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير، وهو لباس أهل الجنة عوضاً عن تركه في الدنيا؛ امتثالاً لما ورد في الشرع من تحريمه، وظاهر هذه

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٨).

(٢) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي. «ديوان الهذليين» (٣/ ٢٥).
والذي في «الديوان»:
فمن يُلقَ منا يُلقَ رشِيدٌ مدرَّبُ

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٦٨)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٦٧).

(٥) «تهذيب اللغة» (٩/ ٤٠٨).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٥٩).

(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٦٩).

الآيات العموم في كلّ مَنْ خاف من يوم القيامة وأطعم لوجه الله وخاف مِنْ عذابه، والسبب وإنْ كان خاصّاً، كما سيأتي، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويدخل سبب التنزيل تحت عمومها دخولاً أوّليّاً.

وقد أخرج ابن المنذر[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ قال: كل إنسان.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن مسعود[٢] في قوله: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال: أمشاجها عروقُها.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم[٣] ﴿أَمْشَاجٍ﴾ قال: العروق.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال: ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه قال: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ ألوان: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً قال: الأمشاج الذي يخرج على أثر البول كقطع الأوتار، ومنه يكون الولد.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه أيضاً ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ قال: فاشياً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر[٨] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: هو المشرك.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري[٩]، عن رسول الله ﷺ

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٧).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٧).
(٣) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨٤).
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٧).
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦٨).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٠).
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨٥).
(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٧).
(٩) أخرجه أبو نعيم (٥/ ١٠٥). وقال: غريب من حديث عمرو، تفرد به عباد، عن عمه.

في قوله: ﴿مِسْكِينًا﴾ قال: «فقيراً» ﴿وَيَتِيمًا﴾ قال: «لا أب له» ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: «المملوك والمسجون».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ الآية قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[2] عنه في قوله: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ قال: ضيقاً ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال: طويلاً.

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك[3]، عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ قال: يَقبض ما بين الأبصار».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر من طرق عن ابن عباس[4] قال: القمطرير الرجل المنقبض ما بين عينيه ووجهه.

وأخرج ابن المنذر[5] عنه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ قال: نضرة في وجوههم، وسروراً في صدورهم.

[الأبرار أعمالهم وجزاؤهم]:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧١). وهو لا يصح لأنّ السورة مكية ولم يتزوج علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها إلّا في المدينة. وانظر: «منهاج السُّنة» لابن تيمية (٦/ ٤٣٩).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩١).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٤٧، ٥٤٨).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٢).

قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ منصوب[١] على الحال من مفعول جزاهم، والعامل فيها جزى، ولا يعمل فيها صبروا؛ لأن الصبر إنما كان في الدنيا، وجوّز أبو البقاء[٢] أن يكون صفة لجنة. قال الفرّاء[٣]: وإن شئت جعلت متكئين تابعاً، كأنه قال: جزاهم جنة متكئين فيها.

وقال الأخفش[٤]: يجوز أن يكون منصوباً على المدح، والضمير من ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى الجنّة، والأرائك: السُّرُر في الحِجَال، وقد تقدّم تفسيرها في سورة الكهف.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ الجملة في محل نصب[٥] على الحال من مفعول جزاهم، فتكون من الحال المترادفة، أو من الضمير في متكئين، فتكون من الحال المتداخلة، أو صفة أخرى لجنة، والزمهرير: أشدُّ البرد، والمعنى: أنهم لا يرون في الجنة حرّ الشمس ولا برد الزمهرير، ومنه قول الأعشى[٦]:

مـنـعَّـمـةٌ طَـفْـلـةٌ كـالـمُـهَـا ... ة لـم تـرَ شـمـسـاً ولا زَمْـهـريـرا

وقال ثعلب[٧]: الزمهرير القمر بلغة طيّ، وأنشد لشاعرهم:

ولـيـلـةٍ ظـلامُـهـا قـدِ اعـتـكَـرْ ... قـطـعـتُـهـا والـزمـهـريـرُ مـا زَهَـرْ[٨]

ويروى ما ظهر؛ أي: لم يطلع القمر، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة مريم.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ قرأ الجمهور[٩]: «دانيةً» بالنصب عطفاً على محل ﴿لَا يَرَوْنَ﴾، أو على متكئين، أو صفة لمحذوف؛ أي: وجنة دانية، كأنه قال: وجزاهم جنةً دانية. وقال الزجاج[١٠]: هو صفة لجنة المتقدم ذكرها. وقال الفرّاء: هو منصوب على المدح.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٥٨٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٨).
(٢) في «التبيان» (٢/ ١٢٥٩).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦).
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٢٣).
(٥) «الفريد» (٤/ ٥٨٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٩).
(٦) «ديوان الأعشى» (ص١٤٥)، وفيه: مبتلّه الخَلْق: بدل: مثل المهاة.
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (٦/ ٥٢٤).
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ١٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٧١).
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٤٣).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٠).

وقرأ أبو حيوة: «ودانيةٌ» بالرفع[1] على أنه خبر مقدّم، وظلالُها مبتدأ مؤخر، والجملة في موضع النصب على الحال، والمعنى: أن ظل الأشجار قريبة منهم مظللة عليهم زيادة في نعيمهم، وإن كان لا شمس هنالك. قال مقاتل[2]: يعني: شجرها قريب منهم.

وقرأ ابن مسعود[3]: «ودانياً عليهم».

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ معطوف على دانية كأنه قال: ومذللة.

ويجوز أن تكون الجملة في محل نصب[4] على الحال من الضمير في عليهم، ويجوز أن تكون مستأنفة، والقطوف الثمار، والمعنى: أنّها سخرت ثمارها لمتناوليها تسخيراً كثيراً بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يردّ أيديهم عنها بُعْد ولا شوك.

قال النحاس[5]: المذلل القريب المتناول، ومنه قولهم: حائط ذليل؛ أي: قصير.

قال ابن قتيبة[6]: ذُلِّلت: أُدْنيت، من قولهم حائط ذليل؛ أي: كان قصير السَّمْك، وقيل: ذُللت؛ أي: جُعلت منقادة لا تمتنع على قُطّافها كيف شاءوا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾؛ أي: تدور عليهم الخدم إذا أرادوا الشراب بآنية الفضة، والأكواب جمع كوب، وهو: الكوز العظيم الذي لا أُذْنَ له ولا عروة، ومنه قول عديّ:

متَّكِئٌ تُقْرَعُ أبوابُه ... يسعَى عليه العبدُ بالكُوبِ

وقد مضى تفسيره في سورة «الزخرف».

[وصف القوارير]:

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: في وصف القوارير في الصفاء وفي بياض الفضة، فصفاؤها صفاء الزجاج، ولونها لون الفضة.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٣)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٤٦). هي قراءة شاذة.

(٢) «زاد المسير» (٨/ ٤٣٦)، و«الوسيط» (٤/ ٤٠٣).

(٣) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٧٣). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) «الفريد» (٤/ ٥٨٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٥٩).

(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٠١).

(٦) «تفسير غريب القرآن» (ص٥٠٣).

قرأ نافع، والكسائي، وأبو بكر «قواريراً قواريراً» بالتنوين[(١)] فيهما مع الوصل، وبالوقف عليهما بالألف، وقد تقدّم وجه هذه [٤/٢٠٠] القراءة في تفسير قوله: ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ [الإنسان: ٤] من هذه السورة، وبيّنا هنالك وجه صرف ما فيه صيغة منتهى الجموع فارجع إليه.

وقرأ حمزة بعدم التنوين[(٢)] فيهما، وعدم الوقف بالألف، ووجه هذه القراءة ظاهر لأنهما ممتنعان لصيغة منتهى الجموع.

وقرأ هشّام بعدم[(٣)] التنوين فيهما مع الوقف عليهما بالألف، وقرأ ابن كثير[(٤)] بتنوين الأوّل دون الثاني، والوقف على الأوّل بالألف دون الثاني.

وقرأ أبو عمرو، وحفص، وابن ذكوان بعدم التنوين[(٥)] فيهما، والوقف على الأوّل بالألف دون الثاني.

والجملة في محل جرّ صفة لأكواب. قال أبو البقاء[(٦)]: وحسن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها.

قال الواحدي[(٧)]: قال المفسرون: جعل الله قوارير أهل الجنة من فضة، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير.

قال الزجاج[(٨)]: القوارير التي في الدنيا من الرمْل، فأعلم الله فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجها ما في داخلها.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٧)، و«جامع البيان» (٢٣/٥٥٦)، و«النشر» (٢/٣٩٥). ومع نافع أبو جعفر وأبو بكر عن عاصم.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/٣٦٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٥٤). ومع حمزة رويس.

(٣) «إيضاح الوقف والابتداء» (١/٣٦٧)، و«النشر» (٢/٣٩٥). واختلف عن هشام في إثبات الألف في الثانية.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. ومع ابن كثير خلف.

(٥) «البحر المحيط» (١٠/٣٦٣)، و«جامع البيان» (٢٣/٥٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٥٤).

(٦) في «التبيان» (٢/١٢٥٩).

(٧) في «الوسيط» (٤/٤٠٣).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٢٦٠).

وجملة: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾ صفة لقوارير. قرأ الجمهور[(١)]: «قَدّروها» بفتح القاف على البناء للفاعل؛ أي: قدّرها السقاة من الخدم الذين يطوفون عليهم على قدر ما يحتاج إليه الشاربون من أهل الجنة من دون زياد ولا نقصان. قال مجاهد[(٢)] وغيره: أتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان. قال الكلبي[(٣)]: وذلك ألذّ وأشهى، وقيل: قدّرها الملائكة، وقيل: قدّرها أهل الجنة الشاربون على مقدار شهواتهم وحاجتهم، فجاءت كما يريدون في الشكل لا تزيد ولا تنقص.

وقرأ عليّ، وابن عباس، والسلمي، والشعبي، وزيد بن عليّ، وعبيد بن عمير، وأبو عمرو في رواية عنه: «قُدِّروها» بضم القاف[(٤)]، وكسر الدال مبنيّاً للمفعول؛ أي: جعلت لهم على قدر إرادتهم.

قال أبو علي الفارسي[(٥)]: هو من باب القلب، قال: لأن حقيقة المعنى أن يقال: قُدّرت عليهم لا قدّروها؛ لأنه في معنى: قدروا عليها.

وقال أبو حاتم[(٦)]: التقدير: قدّرت الأواني على قدر ريهم، فمفعول ما لم يسمّ فاعله محذوف. قال أبو حيان[(٧)]: والأقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة أن يقال: قدّر ريهم منها تقديراً، فحذف المضاف، فصار قدّروها.

وقال المهدوي[(٨)]: إنّ القراءة الأخيرة يرجع معناها إلى معنى القراءة الأولى، وكأن الأصل قدّروا عليها فحذف حرف الجرّ، كما أنشد سيبويه:

آلَيتُ حَبَّ العِراقِ آكلُه ... والْحَبُّ يأكلُه في القريةِ السُّوسُ[(٩)]

---

(١) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٥٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٣٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٥٨) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٠).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٤٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٤). المتواتر عن أبي عمرو القراءة بفتح القاف والبناء للفاعل، أما بضم القاف والبناء للمفعول فهي قراءة شاذة ورواية شاذة عن أبي عَمْرو.
(٥) في «الحجة» (٦/ ٣٥٣).
(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٤).
(٧) في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٤).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٦٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٧٦).
(٩) قائله المتلمّس. وهو في «ديوانه» (ص٩٥).

أي: آليت على حَبّ العراق.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ قد تقدّم أن الكأس هو الإناء فيه الخمر، وإذا كان خالياً عن الخمر، فلا يقال له كأس، والمعنى: أن أهل الجنة يسقون في الجنة كأساً من الخمر، ممزوجة بالزنجبيل وقد كانت العرب تستلذّ مزج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته.

وقال مجاهد(١)، وقتادة(٢): الزنجبيل: اسمٌ للعين التي يشرب بها المقرّبون. وقال مقاتل: هو زنجبيل لا يشبه زنجبيل الدنيا.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ انتصاب(٣) عيناً على أنها بدل من كأساً. ويجوز أن تكون منصوبة بفعل مقدّر؛ أي: يُسقون عيناً، ويجوز أن تكون منصوبة بنزع الخافض؛ أي: من عين، والسلسبيل: الشرابُ اللذيذ، مأخوذ من السلاسة، تقول العرب: هذا شراب سَلِسٌ، وسَلْسال، وسَلْسَبيل؛ أي: طيب لذيذ.

قال الزجاج(٤): السلسبيل في اللغة: اسمٌ لماء في غاية السلاسة حديد الجرية يسوغ في حلوقهم، ومنه قول حسّان بن ثابت(٥):

يَسْقَوْنَ مَنْ وِرْدِ البريصِ عليهم كأساً يُصَفَّقُ بالرحيق السَّلْسَلِ(٦)

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ لما فرغ سبحانه من وصف شرابهم ووصف آنيتهم، وصفَ السقاةَ الذين يَسْقونهم ذلك الشراب. ومعنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: باقون على ما هم عليه من الشباب، والطراوة، والنضارة، لا يهرمون، ولا يتغيرون، وقيل: معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: لا يموتون، وقيل: التخليد: التحلية؛ أي: مُحلَّون.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ إذا نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم، وصفاء ألوانهم، ونضارة وجوههم لؤلؤاً مفرّقاً.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٠).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٦٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٨) بسند صحيح.
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٣٩)، و«الفريد» (٤/ ٥٩١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦١).
(٥) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٨٠).
(٦) البريص: موضع بدمشق. وفي التاج: اسم للغوطة بأجمعها.

قال عطاء[١]: يريد في بياض اللون وحسنه، واللؤلؤ إذا نُثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً.

قال أهل المعاني[٢]: إنما شبّهوا بالمنثور لانتثارهم في الخدمة، ولو كانوا صفّاً لشبهوا بالمنظوم، وقيل: إنما شبههم بالمنثور؛ لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين. فإنه شبههنّ باللؤلؤ المكنون؛ لأنهنّ لا يمتهنّ بالخدمة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾؛ أي: وإذا رميت ببصرك هناك؛ يعني: في الجنة رأيتَ نعيماً لا يُوصف، ومُلْكاً كبيراً لا يُقادر قدره، و«ثَمَّ» ظرف مكان، والعامل فيها رأيت. قال الفرّاء[٣]: في الكلام «ما» مضمرة؛ أي: وإذا رأيت ما ثم، كقوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ أي: ما بينكم.

قال الزجّاج[٤] معترضاً على الفراء: إنه لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة، ولكن رأيت يتعدّى في المعنى إلى ثم. والمعنى: إذا رأيت ببصرك ثم، ويعني بثمّ: الجنة.

قال السديّ[٥]: النعيم: ما يتنعم به، والملك الكبير: استئذان الملائكة عليهم، وكذا قال مقاتل[٦]، والكلبي. وقيل: إنّ رأيتَ ليس له مفعول ملفوظ، ولا مقدّر ولا منويّ، بل معناه: أن بصرك أينما وقع في الجنة رأيت نعيماً وملكاً كبيراً.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ قرأ نافع، وحمزة، وابن محيصن: «عاليْهِم» بسكون الياء وكسر[٧] الهاء على أنه خبر مقدّم، وثياب مبتدأ مؤخر، أو على أن عاليهم مبتدأ، وثياب مرتفع بالفاعلية، وإن لم يعتمد الوصف، كما هو مذهب الأخفش.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٠٤).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ١٥٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٤٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦١).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٠٤).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٠٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٧).
(٧) «التيسير» (ص٢١٨)، و«السبعة» (ص٦٦٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦). وممّن قرأ بهذه القراءة أبو جعفر.

وقال الفراء[(١)]: هو مرفوع بالابتداء، وخبره: ثياب سندس، واسم الفاعل مراد به الجمع.

وقرأ الباقون بفتح[(٢)] الياء وضم الهاء على أنه ظرف في محلّ رفع على أنه خبر مقدّم، وثياب مبتدأ مؤخر، كأنه قيل: فوقَهم ثيابٌ. قال الفرّاء[(٣)]: إن عاليهم بمعنى فوقهم، وكذا قال ابن عطية[(٤)]. قال أبو حيان[(٥)]: عال وعالية اسم فاعل، فيحتاج في كونهما ظرفين إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب، وقد تقدّمه إلى هذا الزجاج[(٦)] وقال: هذا مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفاً لم يجز إسكان الياء، ولكنه نصب على الحال من شيئين:

أحدهما: الهاء والميم في قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الأبرار ﴿وِلْدَٰنٌ﴾، عالياً الأبرار ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾؛ أي: يطوف عليهم في هذه الحال.

والثاني: أن يكون حالاً من الولدان؛ أي: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً في حال علوّ الثياب أبدانهم.

وقال أبو عليّ الفارسي[(٧)]: العامل في الحال إما لقاهم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾، وإما ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ [الإنسان: ١٢]. قال: ويجوز أن يكون ظرفاً.

وقرأ ابن سيرين، ومجاهد، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: «عليهم»[(٨)]، وهي قراءة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة. واختار أبو عبيد[(٩)] القراءة الأولى لقراءة ابن مسعود: «عاليتهم». وقرأ الجمهور[(١٠)] بإضافة ثياب إلى سندس، وقرأ أبو حيوة، وابن أبي عَبْلة بتنوين ثياب[(١١)]، وقطعها عن الإضافة، ورفع سندس، و﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ على أن السندس نعت للثياب؛ لأن السندس نوع من الثياب، وعلى أن

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨).
(٢) «التيسير» (ص٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٧).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٩).
(٤) في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٩٢).
(٥) في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٧).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٢).
(٧) في «الحجة» (٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٦٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٥٧).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٢). قراءة ابن مسعود شاذة مخالفة للرسم.
(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٨٢)، و«التيسير» (ص٢١٨).
(١١) «روح المعاني» (٢٨/ ١٥٨)، و«التبصرة» (ص٧١٧).

خضر نعت لسندس؛ لأنه يكون أخضر وغير أخضر، وعلى أن إستبرق معطوف على سندس؛ أي: وثياب إستبرق، والجمهور من القرّاء اختلفوا في خضر وإستبرق مع اتفاقهم على جرّ سندس بإضافة ثياب إليه؛ فقرأ ابن كثير[(١)]، وأبو بكر عن عاصم، وابن محيصن بجرّ «خُضْرٍ» نعتاً لسندس، ورفع إستبرق عطفاً على ثياب؛ أي: عليهم ثياب سندسٍ وعليهم إستبرقٌ.

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر برفع[(٢)] ﴿خُضْرٌ﴾ نعتاً لثياب، وجرّ إستبرق نعت لسندس. واختار هذه القراءة أبو حاتم[(٣)]، وأبو عُبيد؛ لأن الخضر أحسن ما كانت نعتاً للثياب فهي مرفوعة، والإستبرق من جنس السندس.

وقرأ نافع، وحفص برفع[(٤)]: «خُضرٌ وإستبرقٌ» لأن خضر نعت للثياب، وإستبرق عطف على الثياب.

وقرأ الأعمش، وحمزة، والكسائي[(٤)] بجرّ: «خُضْرٍ وإستبرقٍ» على أن خضر نعت للسندس، وإستبرق معطوف على سندس.

وقرءوا كلهم[(٥)] بصرف إستبرقٍ إلّا ابن محيصن، فإنه لم يصرفه، قال: لأنه أعجمي، ولا وجه لهذا؛ لأنه نكرة إلّا أن يقول إنه علَم لهذا الجنس من الثياب.

والسندس: ما رقّ من الديباج. والإستبرق: ما غلظ منه، وقد تقدّم تفسيرهما في سورة الكهف.

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطف على يطوف عليهم. ذكر سبحانه هنا أنهم يحلون بأساور الفضّة، وفي سورة فاطر: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [٣٣] وفي سورة الحج: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا [٤/٢٠١] مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [٢٣].

---

(١) «التيسير» (ص٢١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٥). المتواتر قراءة الجمهور، أما القراءة بقطع الإضافة فشاذة.

(٢) «التيسير» (ص٢١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٥).

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٣).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٩٦)، و«التيسير» (ص٢١٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٦٨).

(٥) «النشر» (٢/ ٣٩٢)، و«التيسير» (ص٢١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٠). هي أربع قراءات في «خُضْر واسْتَبرق» غير أن أبا جعفر ويعقوب قرأوا كأبي عمرو برفع فخفض وقرأ خَلف كحمزة بخفضهما. وترك الصرف في كلمة «استبرق». انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٤٣٧).

ولا تعارض بين هذه الآيات لإمكان الجمع بأن يجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ، أو بأن المراد أنهم يلبسون سوارات الذهب تارة، وسوارات الفضة تارة، وسوارات اللؤلؤ تارة، أو أنه يلبس كل أحد منه ما تميل إليه نفسه من ذلك، ويجوز أن تكون هذه الجملة في محلّ نصب على الحال من ضمير عاليهم بتقدير قد.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ هذا نوع آخر من الشراب الذي يمنّ الله عليهم به.

قال الفرّاء[1]: يقول: هو طهور ليس بنجس، كما كان في الدنيا موصوفاً بالنجاسة، والمعنى: أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا.

قال مقاتل[2]: هو عين ماء على باب الجنّة مَنْ شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غشّ، وغلّ، وحسد.

قال أبو قلابة[3]، وإبراهيم النخعي[4]: يؤتون بالطعام، فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك، ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك.

[عطاء كريم من معطٍ كريم يضاف إلى قيمة ذلك النعيم]:

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾؛ أي: يُقال لهم: إنَّ هذا الذي ذكر من أنواع النعم كان لكم جزاء بأعمالكم؛ أي: ثواباً لها ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: كان عملكم في الدنيا بطاعة الله مرضياً مقبولاً، وشكرُ الله سبحانه لعمل عبده هو قبوله لطاعته.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[5] قال: الزمهرير: هو البرد الشديد.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة[6] قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٠٥)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٦٩)، وهنّاد في «الزهد» رقم (٦١) من طريق سفيان، به.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٣).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٥٣٧، ٣٢٦٠)، ومسلم رقم (٦١٧)، ومالك (١/ ١٦)، والشافعي (١/ ١٥٠ رقم ١٥٤ ـ شفاء العي)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٥٨)، والترمذي رقم (٢٥٩٢)، وابن ماجه رقم (٤٣١٩).

«اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسَين: نَفَساً في الصيف، ونفساً في الشتاء، فشدّة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدّة ما تجدون في الصيف من الحرّ من سمومها».

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد بن السريّ، وعبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن البراء بن عازب[(١)] في قوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ قال: قريبة ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً، ومضطجعين وعلى أيّ حال شاءوا. وفي لفظ قال: ذُلّلت فيتناولون منها كيف شاءوا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[(٢)] قال: آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قدّرت للكف.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والبيهقي[(٣)] عنه قال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا، فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم يرُ الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة ببياضُ الفضة في صفاء القوارير.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٤)] عنه أيضاً قال: ليس في الجنة شيء إلّا وقد أعطيتم في الدنيا شِبْهه إلّا قوارير من فضة.

وأخرج الفريابي[(٥)] عنه أيضاً في قوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: أتوا بها على قدر الفم لا يُفضِّلون شيئاً، ولا يشتهون بعدها شيئاً.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨٥) ـ وابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٠)، وهنّاد رقم (١٠٠، ١٠١)، وعبد الله بن أحمد (ص٢١١)، وابن جرير (٩/ ٤٤٧) و(٢٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩ رقم ٧٧٠٩)، والحاكم (٢/ ٥١١)، والبيهقي رقم (٣١٢، ٣١٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٥٥، ٥٥٩)، والبيهقي رقم (٣٤٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٣٨)، والبيهقي رقم (٣٤٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢١٣).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٥).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر[١] عنه أيضاً: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قال: قدّرتها السقاةُ.

وأخرج ابن المبارك، وهناد، وعبد بن حميد، والبيهقي في «البعث» عن ابن عمرو[٢] قال: إن أدنى أهل الجنة منزلاً من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾؛ أي: فرّقناه في الإنزال، ولم ننزله جملةً واحدة. وقيل: المعنى: نزلناه عليك، ولم تأت به من عندك، كما يدّعيه المشركون.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لقضائه، ومن حكمه وقضائه تأخير نصرك إلى أجل اقتضته حكمتُه. قيل: وهذا منسوخ[٣] بآية السيف.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي: لا تطع كل واحد من مرتكبٍ لإثم وغال في كفر، فنهاه الله سبحانه عن ذلك.

قال الزجاج[٤]: إن الألف هنا آكد من الواو وحدها؛ لأنك إذا قلت: لا تطع زيداً وعمراً، فأطاع أحدهما كان غير عاص؛ لأنه أمره أن لا يطيع الاثنين، فإذا قال: لا تطع منهم آثماً أو كفوراً دلّ ذلك على أن كل واحد منهما أهلٌ أن يعصى،

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧٥).
(٢) أخرجه ابن المبارك رقم (١٥٨٠)، وهنّاد رقم (١٧٤)، والبيهقي رقم (٤١٢).
(٣) «زاد المسير» (٨/ ٤٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٨٧).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٣).

كما أَنَّك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، فقد قلت إنهما أهلٌ أن يتبعا، وكل واحد منهما أهل أن يتبع.

وقال الفرّاء[١]: «أو» هنا بمنزلة لا، كأنه قال: ولا كفوراً. وقيل: المراد بقوله: ﴿ءَاثِمًا﴾ عتبة بن ربيعة، وبقوله: ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ الوليد بن المغيرة؛ لأنهما قالا للنبيّ ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن نرضيك بالمال والتزويج.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: دم على ذكره في جميع الأوقات. وقيل: المعنى: صلّ لربك أوّل النهار وآخره، فأوّل النهار صلاة الصبح، وآخره صلاة العصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾؛ أي: صلّ المغرب والعشاء.

وقيل: المراد الصلاة في بعضه من غير تعيين، و«من» للتبعيض على كل تقدير.

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؛ أي: نزّهه عما لا يليق به، فيكون المراد: الذكر بالتسبيح سواء كان في الصلاة، أو في غيرها. وقيل: المراد التطوّع في الليل.

قال ابن زيد[٢]، وغيره: إن هذه الآية منسوخة بالصلوات الخمس. وقيل: الأمر للندب[٣]. وقيل: هو مخصوص بالنبيّ ﷺ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾؛ يعني: كفار مكة ومَنْ هو موافق لهم. والمعنى: أنهم يحبون الدار العاجلة، وهي دار الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾؛ أي: يتركون، ويدعون ﴿وَرَآءَهُمْ﴾؛ أي: خلفهم، أو بين أيديهم وأمامهم يوماً شديداً عسيراً، وهو يوم القيامة، وسمي ثقيلاً لما فيه من الشدائد والأهوال.

ومعنى كونه يذرونه وراءهم: أنهم لا يستعدّون له، ولا يعبئون به، فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاوناً به، واستخفافاً بشأنه، وإن كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾؛ أي: ابتدأنا خلقهم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة إلى أن كمل خلقهم، ولم يكن لغيرنا في ذلك عمل ولا سعي لا اشتراكاً

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ١٣٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٨٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٠٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

ولا استقلالاً ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْۖ﴾ الأسر: شدّة الخَلْق، يقال شدّ الله أسر فلان؛ أي: قوّى خلقه.

قال مجاهد(١)، وقتادة(٢)، ومقاتل(٣)، وغيرهم: شددنا خلقهم. قال الحسن(٤): شددنا أوصالهم بعضاً إلى بعض بالعروق، والعصَب.

قال أبو عبيد(٥): يقال: فرس شديد الأسْر؛ أي: الخَلْق. قال لبيد(٦):

ساهِمُ الوجْهِ شديدٌ أَسْرُهُ مشرفُ الحارِكِ محبوكُ القَتَدْ

وقال الأخطل(٧):

مِنْ كلِّ مجتنِبٍ شديدٍ أَسْرُهُ سَلِسُ القيادِ تخالُه مختالاً

وقال ابن زيد(٨): الأسْر: القوّة، واشتقاقه من الإسار، وهو القدّ الذي تشدّ به الأقتاب، ومنه قول ابن أحمر يصف فرساً(٩):

يمشي بأَوْطِفَةٍ شدادٍ أَسْرُها شمُّ السنابِكِ لا تَفي بالجدْجَدِ

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: لو شئنا لأهلكناهم، وجئنا بأطوع لله منهم. وقيل: المعنى: مسخناهم إلى أسمج صورة، وأقبح خلقة.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٧٦) بسند صحيح.
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٩).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٣١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٩٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٠).
(٦) «شرح ديوان لبيد» (ص١٨٧) برواية:
مُغْبَط الحارك محبوك الكَفْل
الحارك: الكاهل، وقيل: فروع الكتفين.
الغبيط: قتب الهودج.
ومعناه: أي: كأن ظهره غبيط، محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع، الكتد: موصل العنق في الظهر. «شرح ديوان لبيد» (ص١٨٧ ـ ١٨٨).
(٧) «ديوانه» (ص٤٦).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٧٦) بسند صحيح.
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٣) وفيه صُمٍّ.
والجدجد: الأرض الصلبة المستوية. «القاموس المحيط» (جدد).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ يعني: إن هذه السورة تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً يتوسل به إليه، وذلك بالإيمان، والطاعة. والمراد إلى ثوابه، أو إلى جنته.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: وما تشاءون أن تتخذوا إلى الله سبيلاً إلّا أن يشاء الله، فالأمر إليه سبحانه ليس إليهم. والخير والشرّ بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فمشيئة العبد مجرّدة لا تأتي بخير ولا تدفع شرّاً، وإن كان يثاب على المشيئة الصالحة، ويؤجر على قصد الخير، كما في حديث «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: أي: لستم تشاءون إلّا بمشيئة الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه؛ أي: بليغ العلم والحكمة.

[المشيئة المطلقة تنصرف بما يريد سبحانه وتعالى]:

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها، أو يدخل في جنته من يشاء من عباده، قال عطاء[(٣)]: من صدقت نيتُه أدخله جنته.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ انتصاب الظالمين بفعل مقدّر يدل عليه ما قبله؛ أي: يعذب الظالمين، نصب الظالمين؛ لأن ما قبله منصوب؛ أي: يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين؛ أي: المشركين، ويكون أعدّ لهم تفسيراً لهذا المضمر، والاختيار النصب، وإن جاز الرفع، وبالنصب[(٤)] قرأ الجمهور.

وقرأ أبان بن عثمان بالرفع[(٥)] على الابتداء، ووجهه أنه لم يكن بعده فعل يقع عليه.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١)، ومسلم رقم (١٩٠٧/ ١٥٥).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٤).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٠٦).
(٤) «زاد المسير» (٨/ ٤٤٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٠).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٩٣).

وقد أخرج ابن جرير[(١)] عن ابن عباس: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْۖ﴾ قال: خَلْقهم.
وأخرج ابن جرير[(٢)] عن أبي هريرة ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْۖ﴾ قال: هي المفاصل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٧٥) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٧٦) بسند صحيح.

سُورَةُ المُرسَلاتِ

هي خمسون آية وهي مكية[(١)] في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، [٤/٢٠٢] وجابر. قال قتادة[(٢)]: إلّا آية منها وهي: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] فإنها مدنية، وروي هذا عن ابن عباس[(٣)].

وأخرج النحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٤)] قال: نزلت سورة المرسلات بمكة.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[(٥)] قال: «بينما نحن مع النبيّ ﷺ في غار بمنى إذ نزلت سورة المرسلات عُرْفاً، فإنّه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية، فقال النبيّ ﷺ: اقتلوها، فابتدرناه، فذهبت، فقال النبيّ ﷺ: وُقِيت شرّكم، كما وقيتم شرّها».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس[(٦)] أَنّ أَمّ الفضل سمعته، وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فقالت: يا بُنيّ لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها آخر ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٩٤)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٠٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٧٥).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٠٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٣).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٢).

(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٨٣٠، ٣٣١٧، ٤٩٣٠، ٤٩٣١، ٤٩٣٤)، ومسلم رقم (٢٢٣٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٤٢).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٧٦٣، ٤٤٢٩)، ومسلم رقم (٤٦٢)، وابن ماجه رقم (٨٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[من مشاهد يوم الفصل الانقلابات الكونية في السماء والأرض]:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)﴾.

قوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال جمهور[1] المفسِّرين: هي الرياح، وقيل: هي الملائكة، وبه قال مقاتل، وأبو صالح، والكلبي[2].

وقيل: هم الأنبياء، فعلى الأوّل أقسم سبحانه بالرياح المرسلة لما يأمرها به، كما في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وقوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ [النمل: ٦٣] وغير ذلك.

وعلى الثاني: أقسم سبحانه بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه.

وعلى الثالث: أقسم سبحانه برسله المرسلة إلى عباده لتبليغ شرائعه.

وانتصاب[3] ﴿عُرْفًا﴾ إما على أنه مفعول لأجله؛ أي: المرسلات لأجل العُرف، وهو ضدّ النكر، ومنه قول الشاعر:

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يُعْدَمْ جوازِيَهُ   لا يَذْهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ

أو على أنه حال بمعنى متتابعةً يتبع بعضها بعضاً كعُرف الفَرَس، تقول العرب:

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٠٧).
(٢) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٤٩٥).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٦٢)، و«الفريد» (٤/ ٥٩٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٤٥).

سار الناس إلى فلان عُرفاً واحداً: إذا توجهوا إليه، وهم على فلان كعُرف الضبع: إذا تألّبوا عليه.

أو على أنه مصدر كأنه قال: والمرسلات إرسالاً؛ أي: متتابعة.

أو على أنه منصوب بنزع الخافض؛ أي: والمرسلات بالعرف.

قرأ الجمهور(١): «عُرْفاً» بسكون الراء، وقرأ عيسى بن عمر بضمها(٢)، وقيل: المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة.

﴿فَٱلْعَـٰصِفَـٰتِ عَصْفًا﴾ وهي الرياح الشديدة الهبوب.

قال القرطبي(٣) بغير اختلاف: يقال عصف بالشيء: إذا أباده وأهلكه، وناقة عَصُوف؛ أي: تعصف براكبها، فتمضي كأنها ريح في السرعة، ويقال عصفت الحرب بالقوم: إذا ذهبت بهم، وقيل: هي الملائكة الموكّلون بالرياح يعصفون بها(٤)، وقيل: يعصفون بروح الكافر(٥)، وقيل: هي الآيات المهلكة كالزلازل، ونحوها.

﴿وَٱلنَّـٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾؛ يعني: الرياح تأتي بالمطر، وهي تنشر السحاب نَشْراً، أو الملائكة الموكّلون بالسحاب ينشرونها، أو ينشرون أجنحتهم في الجوّ عند النزول بالوحي، أو هي الأمطار لأنها تنشر النبات(٦).

وقال الضحاك(٧): يريد ما يُنْشر من الكتب وأعمال بني آدم. وقال الربيع: إنه البعث للقيامة بنشر الأرواح، وجاء بالواو هنا لأنه استئناف قسم آخر.

﴿فَٱلْفَـٰرِقَـٰتِ فَرْقًا﴾؛ يعني: الملائكة تأتي بما يفرّق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. وقال مجاهد(٨): هي الريح تفرق بين السحاب فتبدّده.

وروي عنه أنها آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، وقيل: هي الرسل فرقوا

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٣)، و«إعراب القراءات السبع وعللها» (٢/ ٤٢٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ١٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٣). وهي قراءة شاذة.

(٣) في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٦).

(٤) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٦٤).

(٥) «زاد المسير» (٨/ ٤٤٥)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

(٧) «زاد المسير» (٨/ ٤٤٥).

(٨) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦).

ما بين ما أمر الله به ونهى عنه، وبه قال الحسن[١].

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة. قال القرطبي[٢] بإجماع؛ أي: تُلْقي الوحي إلى الأنبياء، وقيل: هو جبريل، وسمّي باسم الجمع تعظيماً له، وقيل: هي الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم، قاله قُطْرب.

قرأ الجمهور[٣]: «فالمُلْقيات» بسكون اللام، وتخفيف القاف اسم فاعل، وقرأ ابن عباس بفتح اللام[٤]، وتشديد القاف من التلقية وهي إيصال الكلام إلى المخاطب.

[رجح «المصنف» أن الثلاثة الأول للرياح، والرابع والخامس للملائكة]:

والراجح أن الثلاثة الأول للرياح، والرابع والخامس للملائكة، وهو الذي اختاره الزجاج[٥]، والقاضي[٦]، وغيرهما.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ انتصابهما على البدل مِنْ ذكراً، أو على المفعولية، والعامل فيهما المصدر المنوّن، كما في قوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤، ١٥] أو على المفعول لأجله؛ أي: للإعذار والإنذار، أو على الحال بالتأويل المعروف؛ أي: معذرين أو منذرين.

قرأ الجمهور[٧] بإسكان الذال فيهما. وقرأ زيد بن ثابت، وابنه خارجة بن زيد، وطلحة بضمهما[٨]. وقرأ الحَرَميان، وابن عامر، وأبو بكر بسكونها في «عذْراً» وضمها[٩] في «نذُراً».

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٩٧)، و«الوسيط» (٤/ ٤٠٧).
(٢) في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٧).
(٣) «النشر» (١/ ٢٨٦)، و«التيسير» (ص١٨٥)، و«المبسوط» (٩٥).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٤). وهي قراءة شاذة.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٦).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦ ـ ١٧٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٤٦).
(٧) «النشر» (٢/ ٢١٧)، و«التيسير» (ص٢١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٧)
(٨) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة روح عن يعقوب بضمهما.
(٩) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٩٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٧)، و«التيسير» (ص٢١٨). وهي قراءة أبي بكر ورويس عن يعقوب.

وقرأ الجمهور[١]: «عُذْراً أو نُذْراً» على العطف بأو. وقرأ إبراهيم التيمي، وقتادة على العطف بالواو بدون ألف[٢].

والمعنى: أن الملائكة تلقي الوحي إعذاراً من الله إلى خلقه، وإنذاراً من عذابه، كذا قال الفرّاء[٣]، وقيل: عذراً للمحقين ونذراً للمبطلين. قال أبو عليّ الفارسي[٤]: يجوز أن يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] فيكون نصباً على الحال من الإلقاء؛ أي: يلقون الذكر في حال العذر والإنذار أو مفعولان لذكراً؛ أي: تذكر عذراً أو نذراً. قال المبرد[٥]: هما بالتثقيل جمع، والواحد عَذير ونَذير.

ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾؛ أي: إن الذي توعدونه مِنْ مجيء الساعة والبعث كائن لا محالة.

ثم بيّن سبحانه متى يقع ذلك، فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾؛ أي: مُحي نورها، وذهب ضوؤها، يقال: طَمَسَ الشيء: إذا دَرَس وذهب أثرُه ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾؛ أي: فُتحت وشُقّت، ومثله قوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩] ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾؛ أي: قُلعت مِنْ مكانها بسرعة، يقال: نَسفتُ الشيء وأنسفته: إذا أخذتَه بسرعة.

وقال الكلبي[٦]: سُوّيت بالأرض، والعرب تقول: نسفت الناقةُ الكلأ: إذا رعته، وقيل: جُعلت كالحبّ الذي يُنسف بالمنسف، ومنه قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥] والأوّل أولى.

قال المبرد[٧]: نسفت قلعت من مواضعها.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ الهمزة في أُقتت بدل مِنْ الواو المضمومة، وكل واو[٨]

---

(١) «النشر» (٢/ ٢١٧)، و«التيسير» (ص٢١٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٩٠).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ١٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٥٤). حذف الهمزة قراءة شاذة.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٦).   (٤) في «الحجة» (٦/ ٣٦٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٩).
(٦) انظر: «الوسيط» (٤/ ٤٠٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٤).
(٧) في «الكامل» (١/ ٨١).
(٨) قاله الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٦).

انضمت، وكانت ضمتها لازمةً يجوز إبدالها بالهمزة، وقد قرأ[١] بالواو أبو عمرو، وشيبة، والأعرج، وقرأ الباقون بالهمزة[٢]، والوقت: الأجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر إليه، والمعنى: جُعل لها وقتٌ للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقيل: هذا في الدنيا؛ أي: جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في إنزال العذاب بمن كذبها، والأوّل أولى.

قال أبو عليّ الفارسي[٣]: أي: جُعل يوم الدين والفصل لها وقتاً، وقيل: أُقّتت: أُرْسلت لأوقات معلومة على ما علم الله به.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هذا الاستفهام للتعظيم[٤] والتعجيب؛ أي: لأيّ يوم عظيم يعجب العباد منه لشدّته، ومزيد أهواله ضرب لهم الأجل لجمعهم، والجملة مقول قول مُقدِّر هو جواب لإذا، أو في محل نصب[٥] على الحال من الضمير في أُقّتت.

قال الزجاج[٦]: المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم، ثم بيّن هذا اليوم فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ قال قتادة[٧]: يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنّة والنار، ثم عظّم ذلك اليوم فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؛ أي: وما أعلمك بيوم الفصل يعني: أنّه أمرٌ بديع هائلٌ لا يقادر قدره، وما مبتدأ وأدراك خبره، أو العكس كما اختاره سيبويه[٨].

[ما وجه تكرير آية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾؟]:

ثم ذكر حال الذين كذبوا بذلك اليوم فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: ويل لهم في ذلك اليوم الهائل، وويل أصله: مصدرٌ سادّ مسد فعله، وعُدل به إلى الرفع

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٥٠١). قرأ أبو عمرو بالواو مع تشديد القاف.
(٢) «التيسير» (ص٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٥٩٢).
(٣) في «الحجة» (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).
(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ١٨٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٤٩).
(٥) «الفريد» (٤/ ٦٠٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٨٢).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٦٧).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٩٣) بسند صحيح.
(٨) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٨/ ١٨٣).

للدلالة على الثبات، والويل: الهلاك، أو هو اسم واد في جهنم، وكرّر هذه الآية في هذه السورة؛ لأنّه قسم[١] الويل بينهم على قدر تكذيبهم، فإنّ لكل مكذب بشيء عذاباً سوى تكذيبه بشيء آخر، وربّ شيء كذب به هو أعظم جرماً من التكذيب بغيره، فَيُقسَم له مِنْ الويل على قدر ذلك التكذيب.

ثم ذكر سبحانه ما فعل بالكفار من الأمم الخالية فقال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أخبر سبحانه بإهلاك الكفار من الأمم الماضية من لدن آدم إلى محمد ﷺ.

قال مقاتل[٢]: يعني: بالعذاب في الدنيا حين كذّبوا رسلهم.

﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ يعني: كفار مكة، ومن وافقهم حين كذبوا محمداً ﷺ قرأ الجمهور: «نُتبعُهم» بالرفع[٣] على الاستئناف؛ أي: ثم نحنُ نتبعهم. قال أبو البقاء[٤]: ليس بمعطوف؛ لأن العطف يوجب أن يكون المعنى: أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين [٤/٢٠٣] في الإهلاك. وليس كذلك؛ لأن إهلاك الآخرين لم يقع بعد.

ويدل على الرفع قراءة ابن مسعود[٥]: «ثم سنُتبعهم الآخرين» وقرأ الأعرج، والعباس عن أبي عمرو و«نتبعْهم» بالجزم[٦] عطفاً على نهلك.

قال شهاب الدين[٧]: على جعل الفعل معطوفاً على مجموع الجملة من قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم، يريد من يُهلكه فيما بعد، والكاف[٨] في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف؛ أي: مثل ذلك الإهلاك نفعل بكل مشرك إما في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٨٤).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٠٨).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٦)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٧١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٣).
(٤) في «التبيان» (٢/ ١٢٦٣).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٦). القراءة المتواترة قراءة الجمهور، وقراءة ابن مسعود شاذة مخالفة للرسم، والرواية عن أبي عمرو شاذة عنه، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور. اهـ.
(٦) «المحتسب» (٢/ ٣٤٦)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٧).
(٧) «حاشية الشهاب» (٨/ ٢٩٧).
(٨) «الفريد» (٤/ ٦٠٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٨٤).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: ويل يوم ذلك الإهلاك للمكذبين بكتب الله ورسله.

قيل: الويل الأوّل لعذاب الآخرة، وهذا لعذاب الدنيا.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾؛ أي: ضعيف حقير، وهو النطفة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾؛ أي: مكان حريز، وهو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: إلى مقدار معلوم وهو مدّة الحمل، وقيل: إلى أن يُصوّر.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ الجمهور[1]: «فقَدَرنا» بالتخفيف.

وقرأ نافع، والكسائي بالتشديد[2] من التقدير.

قال الكسائي[3]، والفرّاء[4]: وهما لغتان بمعنى، تقولُ: قدّرتُ كذا وقدرته.

﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: نعم المقدّرون نحن، قيل المعنى: قدّرناه قصيراً أو طويلاً، وقيل: معنى قدّرنا ملكنا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا على ذلك.

ثم بيّن لهم بديع صنعه، وعظيم قدرته ليعتبروا فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ معنى الكفت في اللغة[5]: الضمُّ والجَمْعُ، يقال كَفتَ الشيءَ: إذا ضمّه وجمعه، ومن هذا يقال: للجراب والقِدْر كفت، والمعنى: ألم نجعل الأرض ضامة للأحياء على ظهرها، والأموات في باطنها تضمهم وتجمعهم؟

قال الفرّاء[6]: يريد تكفتهم أحياءً على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتاً في بطنها؛ أي: تحوزهم وهو معنى قوله: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ وأنشد سيبويه[7]:

---

(١) «التيسير» (ص٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥٥٨).

(٢) «جامع البيان» (٢٣/ ٥٩٤)، و«المبسوط» (ص٤٥٧)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٤٨). وكذلك قرأ بالتشديد أبو جعفر.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٤).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٣٥).

(٥) «الصحاح» (١/ ٢٦٣)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١٤٦).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٤).

(٧) في «الكتاب» (٣/ ٥٧٧).

كِـرامٌ حِـيـنَ تَـنْـكَـفِـتُ الأفـاعـي ... إلـى أجـحـارِهِـنَّ مِـنَ الـصـقـيـعِ[١]

قال أبو عبيدة[٢]: كفاتاً أوعية، ومنه قول الشاعر:

فـأنـتَ الـيـومَ فـوقَ الأرضِ حـيٌّ ... وأنـتَ غـداً تُـضَـمَّـنُ فـي كِـفَـاتِ[٣]

أي: في قبر، وقيل: معنى جعلها كفاتاً: أنّه يدفن فيها ما يخرج من الإنسان من الفضلات. وقال الأخفش[٤]، وأبو عبيدة[٥]: الأحياء والأموات وصفان للأرض؛ أي: الأرض منقسمة إلى حيّ وهو الذي ينبت، وإلى ميت وهو الذي لا ينبت.

قال الفرّاء[٦]: انتصاب أحياء، وأمواتاً بوقوع الكفات عليه: أي: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات؟ فإذا نوّن نصب ما بعده، وقيل: نُصبا على الحال[٧] مِنْ الأرض؛ أي: منها كذا ومنها كذا، وقيل: هو مصدر نعت به للمبالغة.

وقال الأخفش[٨]: كفاتاً جمع كافتة، والأرض يراد بها الجمع، فنعتت بالجمع. وقال الخليل[٩]: التكفت تقليب الشيء ظهراً لبطن، أو بطناً لظهر، ويقال انكفت القوم إلى منازلهم؛ أي: ذهبوا.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾؛ أي: جبالاً طوالاً، والرواسي: الثوابت، والشامخات: الطوال، وكل عال فهو شامخ.

﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾؛ أي: عَذْباً، والفرات: الماءُ العَذْبُ يشرب منه ويسقى به.

قال مقاتل[١٠]: وهذا كله أعجب من البعث.

---

(١) البيت لابن مقبل، وهو في «ديوانه» (ص١٦٥).
وفيه: مَقَارٍ بدل: كرام.

(٢) في «مجاز القرآن» له (٢/ ١٩٥).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٧٩). وفيه: تَضُمنّك بدل: تُضَمَّنُ، ونسبه الماوردي للصمصامة بن الطِّرمَّاح.

(٤) في «معاني القرآن» له (٢/ ٧٢٥).

(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨١).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٤).

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٤)، و«الفريد» (٤/ ٦٠٢).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٠٧).

(٩) في كتاب «العين» (ص٨٤٧).

(١٠) «الوسيط» (٤/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بما أنعمنا عليهم من نعمنا التي هذه من جملتها.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن أبي هريرة[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: هي الملائكة أُرسلت بالعرف.

وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن مسعود نحوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٣]: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: الريح ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ قال: الريح.

وأخرج ابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب أنه جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب[٤]، فقال: ما العاصفات عصفاً؟ قال: الرياح.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٥]: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الريح ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ قال: الريح ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ قال: الملائكة ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ قال: الملائكة.

وأخرج ابن المنذر[٦] عنه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ قال: الملائكة، فرّقت بين الحق والباطل ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ قال: بالتنزيل.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن ابن مسعود[٧] قال: ويل: واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، فجُعل للمكذبين.

وأخرج ابن جرير[٨] عن ابن عباس: ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ قال: ضعيف.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٢٠) ـ والحاكم (٢/ ٥١١) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٨٢) من طريق سلمة بن كهيل، به بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٣ ـ ٥٨٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٧٢) ـ وابن جرير (٢٣/ ٥٨٣)، والحاكم (٢/ ٥١١) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي رقم (٣٩٩١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٨٠، ٥٨٤، ٥٨٨، ٥٨٩) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢).

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٣).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٩٤) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير[١] وابن أبي حاتم عنه ﴿كِفَاتًا﴾ قال: كِنّاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً: ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ قال: جبالاً مشرفات، وفي قوله: ﴿فُرَاتًا﴾ قال: عذباً.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم﴾ هو بتقدير القول؛ أي: يُقال لهم توبيخاً[٣] وتقريعاً ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، تقول لهم ذلك خزنةُ جهنّم؛ أي: سيروا إلى ما كنتم تُكذِّبون به مِنْ العذاب، وهو عذاب النار.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾؛ أي: إلى ظِلٍّ من دخان جهنّم قد سطع، ثم افترق ثلاث فرق تكونون فيه حتى يُفرغ الحساب، وهذا شأن الدخان العظيم إذا ارتفع تشعب شعباً.

قرأ الجمهور[٤]: «انطلقوا» في الموضعين على صيغة الأمر على التأكيد. وقرأ

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٢٣)، وفي «الإتقان» (٢/ ٥١ ـ ٥٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٩٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥١، ٥٢) بسند صحيح.

(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ١٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٥٠).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٧٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧).

رويس عَنْ يعقوب بصيغة الماضي[١] في الثاني؛ أي: لما أمروا بالانطلاق امتثلوا ذلك، فانطلقوا. وقيل: المراد بالظل هنا هو السرادق، وهو لسان مِنْ النار يحيط بهم[٢].

ثم يتشعب ثلاث شعب، فيظلهم حتى يفرغ مِنْ حسابهم، ثم يصيرون إلى النار. وقيل: هو الظلّ من يحموم، كما في قوله: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٢، ٤٣] على ما تقدم.

ثم وصف سبحانه هذا الظلّ تهكماً بهم فقال: ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾؛ أي: لا يظل من الحرّ، ولا يُغني من اللهب. قال الكلبي[٣]: لا يردّ حرّ جهنم عنكم.

ثم وصف سبحانه النار فقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾؛ أي: كل شررة من شررها التي ترمي بها كالقصر من القصور في عِظمها، والشرر: ما تطاير من النار متفرّقاً، والقصر: البناءُ العظيم. وقيل: القصر: جمع قَصْرة ساكنة الصاد مثل: جَمْر وجَمْرة، وتَمْر وتَمْرة، وهي الواحدة من جزْل الحَطب الغليظ. قال سعيد بن جبير[٤]، والضحاك[٥]: وهي أصول الشجر العظام، وقيل: أعناقه.

قرأ الجمهور[٦]: «كالقصْر» بإسكان الصاد، وهو واحد القصور، كما تقدّم. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، والسُّلَمي بفتح الصاد؛ أي: أعناق النخل، والقَصَرة: العنقُ جمعه قَصَر وقَصَرات.

وقال قتادة: أعناقُ الإبل. وقرأ سعيد بن جُبير[٧] بكسر القاف، وفتح الصاد، وهي أيضاً جمع قَصْرة مثل بِدَر وَبدْرة، وقِصَع وقَصْعة.

وقرأ الجمهور[٨]: «بشَررٍ» بفتح الشين.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٦).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٠٩).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٣/ ٥١٠)، و«الوسيط» (٤/ ٤٠٩).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «جامع البيان» (٢٣/ ٦٠٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور، أمّا فتح الصاد وكذلك كسر القاف فقراءتان شاذتان. اهـ.
(٨) «النشر» (١/ ٢٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٥١٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٨٨).

وقرأ ابن عباس[١]، وابن مقسم بكسرها مع ألف بين الراءين. وقرأ عيسى[٢] كذلك إلّا أنه يفتح الشين، وهي لغات.

ثم شبّه الشرر باعتبار لونه فقال: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ وهي جمع جمال، وهي الإبل، أو جمع جمالة.

قرأ الجمهور[٣]: «جِمالات» بكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي[٤]، وحفص: «جِمالة» جمع جَمَل. وقرأ ابن عباس، والحسن، وابن جبير، وقتادة، وأبو رجاء: «جُمالات» بضم الجيم[٥]، وهي حبال السفن.

[العرب تسمي الأصفر أسود]:

قال الواحدي[٦]: والصفْر معناها السود في قول المفسرين. قال الفرّاء[٧]: الصّفْر: سواد الإبل لا يرى أسود من الإبل إلّا وهو مُشْرب صُفْرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفراً. قيل: والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود، ومنه قول الشاعر:

تلك خيلي مِنْهُ وتلك رِكابي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزبيبِ[٨]

أي: هنّ سود، قيل: وهذا القول مُحال في اللغة أَنْ يكون شيء يشوبه شيء قليل، فينسب كله إلى ذلك الشائب، فالعجب لمن قال بهذا، وقد قال تعالى: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾.

وأجيب بأنّ وجهه أنَّ النار خُلقت من النور، فهي مضيئة، فلما خلق الله جهنم، وهي موضع النار حشى ذلك الموضع بتلك النار، وبعث إليها سلطانه

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٩٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٥٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور أما قراءة ابن عباس وعيسى فشاذتان.اهـ.

(٣) «النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«التيسير» (ص٢١٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٥١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩). القراءة بالجمع مع ضم الجيم هي قراءة رويس عَنْ يعقوب، وهي قراءة متواترة. «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٦) في «الوسيط» (٤/ ٤٠٩).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٥).

(٨) البيت للأعشى وهو في «ديوانه» (ص٢٩) ط. المكتب الإسلامي.

وغضبه، فاسودّت من سلطانه وازدادت سواداً، وصارت أشدّ سواداً من كل شيء، فيكون شررها أسود لأنّه من نار سوداء[(١)].

قلتُ: وهذا الجواب لا يدفع ما قاله القائل؛ لأن كلامه باعتبار ما وقع في الكتاب العزيز هنا من وصفها بكونها صفراء، فلو كان الأمر كما ذكره المجيب من اسوداد النار، واسوداد شررها، لقال الله: كأنها جمالات سود، ولكن إذا كانت العرب تُسمي الأسود أصفر لم يبق إشكال؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، وقد نقل الثقات عنهم ذلك، فكان ما في القرآن هنا وارداً على هذا الاستعمال العربي.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لرسل الله وآياته.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾؛ أي: لا يتكلمون، قال الواحدي[(٢)]: قال المفسِّرون: في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها [٤/٢٠٤] يختم على أفواههم فلا يتكلمون، وقد قدّمنا الجمع بهذا في غير موضع. وقيل: إن هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون؛ لأن مواقف السؤال والحساب قد انقضت.

وقال الحسن[(٣)]: لا ينطقون بحجّة، وإن كانوا ينطقون.

قرأ الجمهور[(٤)] برفع «يومُ» على أنه خبر لإسم الإشارة. وقرأ زيد بن عليّ، والأعرج، والأعمش، وأبو حيوة، وعاصم في رواية عنه بالفتح[(٥)] على البناء لإضافته إلى الفعل، ومحله الرفع على الخبرية، وقيل: هو منصوب على الظرفية، والإشارة بهذا إلى ما تقدّم من الوعيد؛ كأنه قيل: هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ قرأ الجمهور[(٦)]: «يُؤذن» على البناء للمفعول.

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩).
(٢) في «الوسيط» (٤/ ٤٠٩).
(٣) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٧٩).
(٤) «النشر» (٢/ ١٣٠، ١٣١)، و«المهذب» (٢/ ٣١٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ١٩١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٩).
القراءة بالفتح على البناء قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عَنْ عاصم والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.
(٦) «النشر» (١/ ٣٩٠)، و«المبسوط» (ص١٠٤)، و«السبعة» (ص١٣٣).

وقرأ زيد بن عليّ «ولا يَأْذن» على البناء للفاعل[1]؛ أي: لا يأذن الله لهم؛ أي: لا يكون لهم إذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عَنْ الإذن كما لو نصب.

قال الفرّاء[2]: الفاء في فيعتذرون نَسْقٌ على يُؤذن، وأجيز ذلك؛ لأن أواخر الكلام بالنون، ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات، وقد قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦] بالنصب، والكل صواب.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بما دعتهم إليه الرسل، وأنذرتهم عاقبته.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ويُقال لهم: هذا يوم الفصل الذي يُفْصل فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، والخطاب في: جمعناكم للكفار في زمن نبينا محمد ﷺ، والمراد بالأوّلين: كفار الأمم الماضية.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾؛ أي: إنْ قدرتم على كيد الآن ﴿فَكِيدُونِ﴾ وهذا تقريعٌ[3] وتوبيخ لهم.

قال مقاتل[4]: يقول إنْ كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم، وقيل المعنى: فإنْ قدرتم على حرب فحاربون، وقيل: إن هذا من قول النبيّ ﷺ، فيكون كقول هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لأنه قد ظهر لهم عجزهم، وبطلان ما كانوا عليه في الدنيا.

[جولة مع المتقين وما أعد لهم من نعيم]:

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: في ظلال الأشجار وظلال القصور، لا كالظلّ الذي للكفار من الدخان، أو من النار كما تقدّم.

قال مقاتل[5]، والكلبي: المراد بالمتقين: الذين يتقون الشرك بالله؛ لأن السورة من أوّلها إلى آخرها في تقريع الكفار على كفرهم.

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٩). هي قراءة شاذة.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ١٩٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٥١).
(٤) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤١٠).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٨٠)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٨٢).

قال الرازي[1]: فيجب أن تكون هذه الآية مذكورة لهذا الغرض، وإلّا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها، وإنما يتمّ النظم بأن يكون الوعد للمؤمنين بسبب إيمانهم، فأما جعله سبباً للطاعة فلا يليق بالنظم كذا قال. والمراد بالعيون: الأنهار، وبالفواكه: ما يتفكه به مما تطلبه أنفسهم وتستدعيه شهواتهم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقال لهم ذلك، فالجملة مقدّرة بالقول، وهي في محل نصب[2] على الحال من ضمير المتقين، والباء للسببية؛ أي: بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين في أعمالهم.

قرأ الجمهور[3]: «في ظِلال». وقرأ الأعمش، والزهري، وطلحة، والأعرج: «في ظُلل»[4] جمع ظلة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيثُ صاروا في شقاء عظيم، وصار المؤمنون في نعيم مقيم.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ الجملة بتقدير القول في محل[5] نصب على الحال من المكذبين؛ أي: الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك؛ تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا، أو يقال لهم هذا في الدنيا، والمجرمون المشركون بالله، وهذا وإنْ كان في اللفظ أمراً فهو في المعنى تهديد وزجر عظيم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كرّره لزيادة التوبيخ والتقريع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: وإذا أمروا بالصلاة لا يصلون. قال مقاتل[6]: نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة بعد أن أمرهم النبيّ ﷺ بها فقالوا:

---

(١) في «تفسيره» (٣٠/ ٢٨٢).
(٢) «الفريد» (٤/ ٦٠٥)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٩٣ ـ ١٩٤).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٦٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٩٣).
(٤) «النشر» (٢/ ٢٢٦)، و«العنوان» (ص٧٣)، و«المبسوط» (ص١٤٣). وهي قراءة شاذة.
(٥) «الفريد» (٤/ ٦٠٥)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٩٤).
(٦) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٠٥)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٨١).

لا ننحني، فإنّها مسبّة علينا، فقال النبيّ ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»[(١)].

وقيل: إنما يقال لهم ذلك في الآخرة حين يُدعون إلى السجود فلا يستطيعون. وقيل: المعنى بالركوع: الطاعة والخشوع.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بأوامر الله سبحانه ونواهيه ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: فبأيّ حديث بعد القرآن يُصدّقون إذا لم يؤمنوا به؟

قرأ الجمهور[(٢)]: «يُؤمنون» بالتحتية على الغيبة. وقرأ ابن عامر في رواية عنه، ويعقوب بالفوقية على الخطاب[(٣)].

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كالقَصْر العظيم، وقوله: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قال: قطع النحاس.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وهناد، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه من طريق عبد الرحمٰن بن عابس[(٥)] قال: سمعتُ ابن عباس يُسأل عن قوله: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كنا نرفع الخشب بقدر ثلاثة أذرع أو أقلّ، فنرفعه للشتاء، فنسميه القصر. قال: وسمعته يسأل عن قوله: ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قال: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى يكون كأوساط الرجال. ولفظ البخاري: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢١٨)، وأبو داود في «الإمارة» رقم (٣٠٢٦) عن عثمان بن العاص. وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨١)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٦٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٠٦).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٨١). القراءة المتواترة عن العشرة في هذه الكلمة بالياء التحتية أما القراءة بالفوقية فشاذة، ورواية شاذة عن ابن عامر ويعقوب. اهـ.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥١، ٥٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤١)، وهنّاد رقم (٢٧٣)، والبخاري رقم (٤٩٣٢، ٤٩٣٣)، وابن جرير (٢٣/ ٦٠٢ ـ ٦٠٧)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٤١).

للشتاء فنسميه القصر ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ حبال السفن تُجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[١] أنه قرأ «كالقَصَر»[٢] بفتح القاف والصاد. وقال قصر النخل يعني: الأعناق.

وأخرج ابن مردويه[٣] عنه أيضاً قال: كانت العرب في الجاهلية تقول: أقصروا لنا الحطب، فيقطع على قدر الذراع والذراعين.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط» عن ابن مسعود[٤] في قوله: ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ قال: إنها ليست كالشجر والجبال، ولكنها مثل المدائن والحصون.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ قال: هو القصر، وفي قوله: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ قال: الإبل.

وأخرج الحاكم وصححه من طريق عكرمة قال: سأل نافع ابن الأزرق ابن عباس[٦] عن قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] و﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] فقال له: ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلي؟ قال: لا، قال: أما أنك لو كنت سألت هلكت، أليس قال الله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] قال: بلى، قال: فإن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لوناً من الألوان.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ يقول: يُدعون يوم القيامة إلى السجود، فلا يستطيعون من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦٠٤، ٦٠٩).
(٢) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص١٦٧).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٥).
(٤) أخرجه الطبراني رقم (٩١٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٢): فيه خديج بن معاوية وهو ضعيف.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٥).
(٦) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٣) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: يحيى ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦١٣) بسند ضعيف.

سُورَةُ عَمَّ

وتسمّى سورة النبأ وهي أربعون آية، وقيل: إحدى وأربعون آية. وهي مكيَّة عند الجميع[(١)].

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الإخبار عن البعث وأدلة إثباته]:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ۝١٦﴾.

[أوصاف يوم القيامة وأمارته ونوع عذابه]:

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۝٢٢

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥)، و«روح المعاني» (٢٨/ ١٩٦).
(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٩).

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾.

قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أصله: عَنْ ما فأُدغمت النون في الميم؛ لأن الميم تشاركها في الغُنّة، كذا قال الزجاج(١)، وحذفت الألف؛ ليتميز الخبر عن الاستفهام، وكذلك فيمَ وممَّ ونحو ذلك، والمعنى: عن أيّ شيء يسأل بعضهم بعضاً؟

قرأ الجمهور(٢): «عمّ» بحذف الألف لما ذكرنا، وقرأ أبيّ، وابن مسعود، وعكرمة، وعيسى بإثباتها(٣)، ومنه قول الشاعر:

عَلَامَا قامَ يشتِمُني لئيمٌ ... كخنزيرٍ تمرّغَ في دِمانِ(٤)

ولكنه قليل لا يجوز إلّا للضرورة، وقرأ البزي(٥) بهاء السكت عوضاً عن الألف، وروي ذلك عن ابن كثير.

قال الزجاج(٦): اللفظ لفظ استفهام، والمعنى: تفخيم القصة كما تقول: أيّ شيء تريد؟ إذا عظّمت شأنه.

قال الواحدي(٧): قال المفسرون: لما بعث رسول الله ﷺ، وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث بعد الموت، [٤/٢٠٥] وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧١).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٣)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٠٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧١).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٤٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٣)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٢٩). القراءة بإثبات الألف شاذة.
(٤) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٩٩).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٠١)، و«النشر» (٢/ ١٣٤)، و«التيسير» (ص٦١ ـ ٦٢). قرأ البزي عن ابن كثير ويعقوب بخلف عنهما بإثبات هاء السكت عند الوقف، وقرأ باقي العشرة بدونها وهما قراءتان متواترتان «النشر» (٢/ ١٣٤).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧١).
(٧) في «الوسيط» (٤/ ٤١١).

يقولون: ماذا جاء به محمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

قال الفرّاء: التساؤل: هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدّثوا به، وإن لم يكن بينهم سؤال. قال الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ [الصافات: ٥٠، ٥١] الآية، وهذا يدل على أنه التحدّث، ولفظ «ما» موضوع لطلب حقائق الأشياء، وذلك يقتضي كون المطلوب مجهولاً، فجعل الشيء العظيم الذي يعجز العقل عن أن يحيط بكنْهه كأنّه مجهول، ولهذا جاء سبحانه بلفظ «ما».

ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عن ماذا وبيّنه فقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأورده سبحانه أوّلاً على طريقة الاستفهام مُبْهماً؛ لتتوجه إليه أذهانهم، وتلتفت إليه أفهامهم، ثم بيّنه بما يفيد تعظيمه، وتفخيمه كأنه قيل: عن أيّ شيء يتساءلون هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ على منهاج قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فالجارّ والمجرور متعلق بالفعل الذي قبله، أو بما يدلّ عليه.

قال ابن عطية[١]: قال أكثر النُّحاة: عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر، كأنه قال: لم يتساءلون عن النبأ العظيم؟ وقيل: ليس بمتعلق بالفعل المذكور؛ لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام، فيكون التقدير أعن النبأ العظيم؟ فلزم أن يتعلق بيتساءلون آخر مقدّر.

[ذهب «المصنف» إلى أن النبأ العظيم هو البعث]:

وإنما كان ذلك النبأ؛ أي: القرآن عظيماً؛ لأنه ينبئ عن التوحيد، وتصديق الرسول، ووقوع «البعث والنشور».

قال الضحاك[٢]: يعني: نبأ يوم القيامة، وكذا قال قتادة[٣]، وقد استُدلّ على أن النبأ العظيم هو القرآن بقوله: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فإنهم اختلفوا في القرآن، فجعله بعضهم سحراً، وبعضهم شعراً، وبعضُهم كهانة، وبعضهم قال: هو أساطير أوّلين. وأما البعث فقد اتفق الكفار إذْ ذاك على إنكاره.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٦/٢٠٧).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦ ـ ٧) بسند صحيح.

ويمكن أن يقال: إنّه قد وقع الاختلاف في «البعث» في الجملة، فصدّق به المؤمنون، وكذب به الكافرون، فقد وقع الاختلاف فيه من هذه الحيثية، وإن لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار أنفسِهم على التسليم والتنزّل ومما يدلّ على أنه القرآن قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [صٓ: ٦٧، ٦٨] ومما يدلّ على أنه البعث أنه أكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عقولهم السخيفة.

وأيضاً، فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم في البعث؛ فأثبت النصارى المعاد الروحاني، وأثبتت طائفة مِنْ اليهود المعاد الجسماني.

وفي التوراة التصريح بلفظ الجنّة باللغة العبرانية بلفظ «جَنْعِيْذا» بجيم مفتوحة، ثم نون ساكنة، ثم عين مكسورة مهملة، ثم تحتية ساكنة، ثم ذال معجمة بعدها ألف.

وفي الإنجيل في مواضع كثيرة التصريح بالمعاد، وأنّه يكون فيه النعيم للمطيعين، والعذاب للعاصين.

وقد كان بعض طوائف كفّار العرب يُنكر المعاد كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧] وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه بل شاكة فيه، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] وما حكاه عنهم بقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] فقد حصل الاختلاف بين طوائف الكفر على هذه الصفة.

وقد قيل: إن الضمير في قوله: يتساءلون يرجع إلى المؤمنين والكفار؛ لأنهم جميعاً كانوا يتساءلون عنه، فأما المسلم، فيزداد يقيناً واستعداداً، وبصيرة في دينه، وأما الكافر فاستهزاء وسخرية.

قال الرازي[١]: ويحتمل أنهم يسألون الرسول، ويقولون: ما هذا الذي يعدنا به من أمر الآخرة، والموصول في محل جرّ صفة للنبأ بعد وصفه بكونه عظيماً فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ رَدْع لهم وزجر، وهذا يدل على أن المختلفين فيه هم: الكفار،

---

(١) في «تفسيره» (٣١/ ٣).

وبه يندفع ما قيل: إن الخلاف بينهم وبين المؤمنين فإنه إنما يتوجه الردع والوعيد إلى الكفار فقط، وقيل: كلَّا بمعنى: حقاً، ثم كرّر الردع والزجر[١] فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ للمبالغة في التأكيد والتشديد في الوعيد.

قرأ الجمهور[٢] بالياء التحتية في الفعلين على الغيبة.

وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن دينار، وابن عامر في رواية عنه بالفوقية[٣] على الخطاب.

وقرأ الضحاك[٤] الأوّل بالفوقية والثاني بالتحتية.

قال الضحاك[٥] أيضاً: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: الكافرين عاقبة تكذيبهم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: المؤمنين عاقبة تصديقهم، وقيل: بالعكس، وقيل: هو وعيد بعده وعيد، وقيل: المعنى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ عند النزع ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ عند البعث.

[حقيقة الجبال من القرآن]:

ثم ذكر سبحانه بديع صنعه، وعظيم قدرته؛ ليعرفوا توحيده، ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾؛ أي: قدرتنا على هذه الأمور المذكورة أعظم من قدرتنا على الإعادة بالبعث، والمهاد: الوطاء، والفراش، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢] قرأ الجمهور[٦]: «مهاداً» وقرأ مجاهد، وعيسى، وبعض الكوفيين: «مَهْداً»[٧] والمعنى: أنها كالمهد للصبيّ وهو ما يمهد له فينوّم عليه.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٥٦).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٣)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٠٨)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٦).
القراءة المتواترة في الفعلين بالتحتية أما القراءة بالفوقية فهي قراءة شاذة ورواية شاذة عن ابن عامر.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٦ ـ ٧)، و«إعراب القراءات السبع وعللها» (٢/ ٤٣١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٦٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٠٣).

(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٧)، و«السبعة» (ص٦٦٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٦٢).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٧)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٠٢). وهي قراءة شاذة.

والأوتاد[١] جمع وتد؛ أي: جعلنا الجبال أوتاداً للأرض؛ لتسكن ولا تتحرّك، كما يُرسى الخيام بالأوتاد، وفي هذا دليل على أنّ التساؤل الكائن بينهم هو عن أمر البعث، لا عَنْ القرآن، ولا عَنْ نبوّة محمد ﷺ، كما قيل؛ لأن هذا الدليل إنما يصلح للاستدلال به على البعث.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ معطوف على المضارع المنفي داخل في حكمه، فهو في قوّة أمَا خلقناكم؟ والمراد بالأزواج هنا: الأصناف؛ أي: الذكور والإناث، وقيل: المراد بالأزواج: الألوان، وقيل: يدخل في هذا كلّ زوج من المخلوقات عن قبيح وحسن وطويل وقصير.

[النوم وأسراره]:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لأبدانكم.

قال الزجاج[٢]: السُّبات: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه؛ أي: جعلنا نومكم راحة لكم.

قال ابن الأنباري[٣]: جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم؛ لأن أصل السبت: القطع، وقيل: أصله التمدّد، يقال سبتت المرأة شعرها: إذا حلّته وأرسلته، ورجل مسبوت الخَلْق؛ أي: ممدوده، والرجل إذا أراد أن يستريح تمدّد، فسمي النوم سباتاً.

وقيل المعنى: وجعلنا نومكم موتاً، والنوم أحد الموتتين، فالمسبوت يشبه الميت، ولكنه لم تفارقه الروح، ومنه قول الشاعر:

ومَطْوِيَّةُ الأقرابِ أمَّا نهارُها ... فَسَبْتٌ وأمَّا ليلُها فذميلُ[٤]

ومن هذا قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] الآية، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: نُلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٥٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧١).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٨٦).

(٤) قائله حميد بن ثور. وهو في «ديوانه» (ص١٠٦).

وقال سعيد بن جبير[١]، والسديّ: أي: سكناً لكم، وقيل: المراد به: ما يستره عند النوم من اللحاف ونحوه، وهو بعيد؛ لأن الجعل وقع على الليل، لا على ما يستتر به النائم عند نومه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾؛ أي: وقت معاش، والمعاش: العيشُ، وكلّ شيء يُعاش به فهو معاش.

والمعنى: أن الله جعل لهم النهار مُضيئاً؛ ليسعوا فيما يقوم به معاشهم، وما قسمه الله لهم من الرزق.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يريد سبع سماوات قوية الخَلْق مُحْكَمة البناء، ولهذا وصفها بالشدّة، وغلظ كلّ واحدة منها مسيرة خمسمائة عام، كما ورد ذلك.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ المراد به: الشمس، وجعل هنا: بمعنى: خلق، وهكذا قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ وما بعده؛ لأن هذه الأفعال قد تعدّت إلى مفعولين، فلا بدّ من تضمينها معنى فعل يتعدّى إليهما كالخَلْق والتصيير ونحو ذلك.

وقيل: إن الجَعْل بمعنى الإنشاء والإبداع في جميع هذه المواضع، والمراد به الإنشاء التكويني الذي بمعنى التقدير والتسوية.

قال الزجاج[٢]: الوهّاج: الوقّاد، وهو الذي وهج، يقال: وهجت النار تهيج وهجاً ووهجاناً. قال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرّاً، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ المعصرات: هي السحابُ التي ينعصر بالماء ولم تمطر بعد، كالمرأة المعتصرة التي قدرنا حيضها، كذا قال سفيان[٣] والربيع[٤]، وأبو العالية[٥]، والضحاك[٦].

---

(١) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٨٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣) بسند ضعيف.
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٦).
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١٢).

وقال مجاهد[١]، ومقاتل[٢]، وقتادة[٣]، والكلبي[٤]: هي الرياح، والرياح تُسمّى معصرات، يقال: أعصرتِ الريحُ تُعصر إعصاراً: إذا أثارت العَجَاج.

قال الأزهري[٥]: هي الرياح ذوات الأعاصير، وذلك أن الرياح تستدرّ المطر.

وقال الفرّاء[٦]: المعصرات: السحاب التي يتحلب منها المطر.

قال النحاس[٧]: وهذه الأقوال صحاح، يقال للريح التي تأتي بالمطر: مُعصرات، والرياح تلقح السحاب فيكون المطر.

ويجوز أن تكون هذه الأقوال قولاً واحداً، ويكون المعنى: وأنزلنا من ذوات المعصرات ماءً ثجاجاً. [٤/٢٠٦].

قال في «الصحاح»[٨]: والمُعْصِرات: السحابُ تعتصر بالمطر، وعُصِر القوم؛ أي: مُطِروا.

قال المبرد[٩]: يقال سحاب مُعصِر؛ أي: مُمسك للماء يعتصر منه شيء بعد شيء.

وقال أُبيّ بن كعب[١٠]، والحسن، وابن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان: المعصرات السماوات، والثجّاجُ: المنصبّ بكثرة على جهة التتابع، يقال ثجّ الماء؛ أي: سال بكثرة، وثجّه؛ أي: أساله.

قال الزجاج: الثجّاج: الصّبّابُ. قال ابن زيد[١١]: ثجاجاً كثيراً.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾؛ أي: لنخرج بذلك الماء حبّاً يقتات: كالحنطة والشعير ونحوهما، والنبات: ما تأكله الدوّاب من الحشيش وسائر النبات.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾؛ أي: بساتين ملتفّ بعضها ببعض لتشعب أغصانها، ولا واحد

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/١٢) بسند صحيح.
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١٢)، و«الوسيط» (٤/ ٤١٣).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/١٢) بسند صحيح.
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١٢)، و«الوسيط» (٤/ ٤١٣).
(٥) في «تهذيب اللغة» (٢/ ١٣ ـ ١٤).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٣).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٢٦).
(٨) في «الصحاح» (٢/ ٧٥٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٠).
(١٠) «جامع البيان» (٢٤/ ١٤ ـ ١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١١).
(١١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥).

للألفاف كالأوزاع والأخياف، وقيل: واحدها لِفٌّ بكسر اللام وضمها، ذكره الكسائي[١].

وقال أبو عبيدة[٢]: واحدها لفيف كشريف وأشراف، روي عن الكسائي[٣] أنها جمع الجمع يقال: جنّة لفّاء، ونَبتٌ لفّ، والجمع لُفّ بضم اللام مثل حُمْر، ثم يجمع هذا الجمع على ألفاف، وقيل: هو جمع ملتفة بحذف الزوائد. قال الفراء[٤]: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾؛ أي: وقتاً، ومَجْمعاً، وميعاداً للأوّلين والآخرين يصلون فيه إلى ما وعدوا به من الثواب والعقاب، وسُمّي يوم الفصل لأن الله يفصل فيه بين خلقه، وهذا شروع في بيان ما يتساءلون عنه من البعث.

وقيل: معنى ميقاتاً: أنه حدّ تُوقت به الدنيا وتنتهي عنده، وقيل: حدّ للخلائق ينتهون إليه.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾؛ أي: يوم ينفخ في الصور، وهو القَرْن الذي ينفخ فيه إسرافيل، والمراد هنا: النفخة الثانية التي تكون للبعث ﴿فَتَأْتُونَ﴾؛ أي: إلى موضع العرض ﴿أَفْوَاجًا﴾؛ أي: زُمراً زمراً، وجماعات جماعات، وهي جمع فوج، وانتصاب[٥] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ على أنه بدل من يوم الفصل، أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله، وإنْ كان الفصل متأخراً عن النفخ.

ويجوز أن يكون منصوباً[٦] بإضمار أعني، وانتصاب أفواجاً على الحال من فاعل تأتون، والفاء في ﴿فَتَأْتُونَ﴾[٧] فصيحة تدلّ على محذوف؛ أي: فتأتون إلى موضع العرض عقيب ذلك أفواجاً.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ معطوف على ينفخ، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع؛ أي: فتحت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ كما في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٢٩٦).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٢). (٣) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٠٩).
(٤) انظر: «الوسيط» (٤/ ٤١٣).
(٥) «التبيان» (٢/ ١٢٦٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٠)، و«الفريد» (٤/ ٦١٠).
(٦) انظر: «التبيان» (٢/ ١٢٦٦)، و«الفريد» (٤/ ٦١٠).
(٧) «روح المعاني» (٢٨/ ٢١٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٥٩).

ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقيل: معنى[1] فُتحت: قطعت فصارت قطعاً كالأبواب، وقيل: أبوابها طرقها، وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب، وقيل: إن لكل عبد بابين في السماء: باب لرزقه، وباب لعمله، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب، وظاهر قوله: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أنها صارت كلها أبواباً، وليس المراد ذلك، بل المراد: أنَّها صارت ذات أبواب كثيرة.

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي فُتحت[2] مخففاً. وقرأ الباقون بالتشديد[3].

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾؛ أي: سُيرت عَنْ أماكنها في الهواء، وقلعت عن مقارّها، فكانت هباءً منبثّاً، يظنّ الناظرُ أنها سراب، والمعنى: أن الجبال صارت كَلَا شيء، كما أن السراب يظنّ الناظر أنه ماءٌ، وليس بماء، وقيل: معنى سُيرت: أنها نسفت مِنْ أصولها، ومثل هذا قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

[أحوال الجبال يوم القيامة على خمسة وجوه]:

وقد ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة، ولكن الجمع بينها أن نقول:

أوّل أحوالها[4]: الاندكاك، وهو قوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وثاني أحوالها: أَنْ تصير كالعهن المنفوش كما في قوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وثالث أحوالها: أن تصير كالهباء، وهو قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥، ٦].

ورابع أحوالها: أن تنسف وتحملها الرياح، كما في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٤)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٩).

(٢) «التيسير» (ص١٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٤)، و«زاد المسير» (٩/ ٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤١). قرأ عاصم بالتخفيف أما ابن عامر فالصواب أنّه قرأها بالتشديد «النشر» (٢/ ٣٦٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكرها الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١١ ـ ١٢).

وخامس أحوالها: أن تصير سراباً؛ أي: لا شيء، كما في هذه الآية.

[مصير الطغاة ومصير التقاة]:

ثم شرع سبحانه في تفصيل أحكام الفصل فقال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال الأزهري[١]: المرصاد المكان الذي يُرصد الراصد فيه العدوّ. قال المبرِّد[٢]: مرصاداً يُرصدون به؛ أي: هو مُعدّ لهم يرصد به خزنتها الكفار. قال الحسن[٣]: إن على الباب رَصَداً لا يدخل أحدٌ الجنة حتى يجتاز عليهم، فمن جاء بجواز جاز، ومَنْ لم يجيء بجواز حُبس.

وقال مقاتل[٤]: مَحْبِساً.

وقيل: طريقاً وممرّاً. قال في «الصحاح»[٥]: الراصد للشيء الراقب له، يقال: رصَده يرصُده رَصْداً، والرَصْد الترقّب، والمَرصَد: موضعُ الرَّصد.

قال الأصمعي[٦]: رصدته أرصُده ترقّبته، ومعنى الآية: أن جهنّم كانت في حكم الله، وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنةُ النار الكفارَ؛ ليعذبوهم فيها، أو هي في نفسها متطلعة لمن يأتي إليها من الكفار، كما يتطلع الرصد لمن يمرّ به ويأتي إليهم، والمرصاد[٧] مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار.

ثم ذكر من هي مرصد له فقال: ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾؛ أي: مرجعاً يرجعون إليه، والمآب: المرجعُ، يقال آب يئوب: إذا رجع، والطاغي هو مَنْ طغى بالكفر، و﴿لِّلطَّاغِينَ﴾[٨] نعت لمرصاداً متعلق بمحذوف، ومآباً بدل من مرصاداً، ويجوز أن يكون ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ في محل[٩] نصب على الحال من مآباً قُدّمت عليه لكونه نكرة، وانتصاب ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾[١٠] على الحال المقدّرة

---

(١) في «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٣٩). (٢) في «الكامل» (٣/ ١٣٩١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٠١) من طريق عبد الله بن بكر، به.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٥). (٥) «الصحاح» (٢/ ٤٧٤).

(٦) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٤٧٤). (٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٥).

(٨) «الفريد» (٤/ ٦١٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٧).

(٩) انظر: التعليقة المتقدمة.

(١٠) «مشكل إعراب القرآن» (٤٥١٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٧)، و«الفريد» (٤/ ٦١٠).

من الضمير المستكنّ في الطاغين. قرأ الجمهور: «لابثين» بالألف.

وقرأ حمزة، والكسائي: «لبثين» بدون ألف[١].

وانتصاب[٢] ﴿أَحۡقَابٗا﴾ على الظرفية؛ أي: ماكثين في النار ما دامت الأحقاب، وهي لا تنقطع، وكلّما مضى حُقْب جاء حُقْب، وهي جمع حُقُب بضمتين، وهو الدهر، والأحقاب[٣]: الدهور، والحُقْب بضم الحاء، وسكون القاف، قيل: هو ثمانون سنة، وحكى الواحدي[٣] عن المفسرين أنه بضع وثمانون سنة، السنة ثلثمائة وستون يوماً، اليوم ألف سنة مِنْ أيام الدنيا. وقيل: الأحقاب: وقت لشربهم الحميم والغسّاق، فإذا انقضت، فيكون لهم نوع آخر من العذاب.

وقال السديّ[٤]: الحقب: سبعون سنة. وقال بشير بن كعب[٥]: ثلثمائة سنة. وقال ابن عمر[٦]: أربعون سنة، وقيل: ثلاثون ألف سنة. قال الحسن[٧]: الأحقاب لا يدري أحد كم هي، ولكن ذكروا أنها مائة حقب، والحقب الواحد منها سبعون[٨] ألف سنة، اليوم منها كألف سنة. وقيل: الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار، والأولى ما ذكرناه أوّلاً من أن المقصود بالآية التأبيد لا التقييد.

وحكى الواحدي[٩]: عَنْ الحسن أنه قال: والله ما هي إلّا أنه إذا مضى حقب دخل آخر، ثم آخر، ثم كذلك إلى الأبد.

وجملة: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا﴾ مستأنفة لبيان ما اشتملت عليه من أنَّهم لا يذوقون في جهنّم، أو في الأحقاب بَرْداً ينفعهم من حرّها، ولا شراباً ينفعهم من عطشها إلّا حميماً، وهو الماء الحارّ، وغسّاقاً وهو صديد أهل النار.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٩). هما قراءتان متواترتان، لكن الصواب: قرأ حمزة وروح عن يعقوب «لبثين» بدون ألف. وأما الكسائي فقد قرأ كالجمهور بالألف «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٦٧)، و«الفريد» (٤/ ٦١٠).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٩٢)، و«الصحاح» (١/ ٢٩١).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٤١٤).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٨٦).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٧).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٥) بسند صحيح.

(٨) «النكت والعيون» (٦/ ١٨٦).

(٩) في «الوسيط» (٤/ ٤١٤).

ويجوز أن تكون في محل نصب[(١)] على الحال من ضمير الطاغين، أو صفة للأحقاب، والاستثناء[(٢)] منقطع عند من جعل البرد النوم، ويجوز أن يكون متصلاً من قوله: ﴿شَرَابًا﴾ وقال مجاهد[(٣)]، والسديّ[(٤)] وأبو عبيدة[(٥)]، والكسائي[(٦)]، والفضل بن خالد[(٧)]، وأبو معاذ[(٨)] النحوي: البرد المذكور في هذه الآية هو: النوم، ومنه قول الكندي:

بردتْ مراشِفُها عليَّ فصدَّني ... عَنْها وعن تقبيلِها الْبَرْدُ[(٩)]

أي: النوم.

قال الزجاج[(١٠)]: أي: لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد يشمل هذه الأمور. وقال الحسن[(١١)]، وعطاء، وابن زيد: برداً؛ أي: رَوحاً وراحة.

قرأ الجمهور[(١٢)]: «غَسَاقاً» بالتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي بتشديد السين[(١٣)]، وقد تقدّم تفسيره، وتفسير الحميم، والخلاف فيهما في سورة «صٓ».

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٦٧)، و«الفريد» (٤/ ٦١١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥١).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٢٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٦٢).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٠). (٤) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١٣).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٢).
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١٣).
(٧) هو: أبو معاذ النّحويّ المروزي مولى باهلة، مات سنة إحدى عشرة ومائتين ذكر ذلك الحاكم بن البيِّع في تاريخ نيسابور، وذكره ابن حبان في «الثقات» في الطبقة الرابعة «معجم الأدباء» (١٦/ ٢١٤ رقم ٣٤).
(٨) انظر «روح المعاني» (٢٨/ ٢٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٧). والصواب بحذف الواو لأن الفضل بن خالد هو أبو معاذ النحويّ.
(٩) البيت لامرئ القيس. وهو في «ديوانه» (ص٢٣١) برواية:
فردّني عنها وعن قبلاتها البردُ
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧٣).
(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣١٥).
(١٢) «التيسير» (ص١٨٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«زاد المسير» (٩/ ٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٣٢).
(١٣) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، ولكن الصواب: قرأ الكوفيون عدا أبي بكر عن عاصم بالتشديد وقرأ باقي العشرة بتخفيف السين «النشر» (٢/ ٣٦١).

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾؛ أي: موافقاً لأعمالهم، وجزاء منتصب على المصدر، ووفاقاً نعت له. قال الفرّاء[(١)]، والأخفش[(٢)]: جازيناهم جزاءً وافق أعمالهم، قال الزجاج[(٣)]: جوزوا جزاءً وافق أعمالهم.

قال الفرّاء[(٤)]: الوفاق جمع الوفْق، والوفق والموافق واحد. قال مقاتل[(٥)]: وافق العذابُ الذنبَ فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار. وقال الحسن[(٦)]،[٤/٢٠٧] وعكرمة[(٧)]: كانت أعمالهم سيئة، فأتاهم الله بما يسوؤهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾؛ أي: لا يرجون ثواب حساب. قال الزجاج[(٨)]: كانوا لا يؤمنون بالبعث، فيرجون حسابهم، والجملة تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾؛ أي: كذّبوا بالآيات القرآنية، أو كذّبوا بما هو أعم منها تكذيباً شديداً، وفعّال مِنْ مصادر التفعّل. قال الفرّاء[(٩)]: هي لغة فصيحة يمانية، تقول كذّبت كِذّاباً، وخرّقت القميص خِرّاقاً.

قال في «الصحاح»[(١٠)]: وكذبوا بآياتنا كذاباً هو أحد مصادر المشدّد؛ لأن مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم، وعلى فِعَّال مثل كِذّاب، وعلى تَفْعِلة مثل توصية، وعلى مُفعَّل مثل: ﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩] قرأ الجمهور[(١١)]: «كذّاباً» بالتشديد. وقرأ عليّ بن أبي طالب بالتخفيف[(١٢)]. وقال أبو عليّ الفارسي[(١٣)]

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٩).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٢٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٩).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٣١٥).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٢).
(٧) «الوسيط» (٤/ ٤١٥).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧٣).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٩).
(١٠) «الصحاح» (١/ ٢١٠).
(١١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٣١).
(١٢) «المحتسب» (٢/ ٣٤٨)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٣١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٨).
(١٣) في «الحجة» للفارسي (٦/ ٣٦٩).

التخفيف والتشديد جميعاً مصدر المكاذبة. وقرأ ابن عمر[١]: «كُذّاباً» بضم الكاف والتشديد، جمع كاذب. قال أبو حاتم[٢] ونصبه على الحال.

قال الزمخشري[٣]: وقد يكون يعني على هذه القراءة بمعنى الواحد البليغ في الكذب، تقول: رجل كذّاب كقولك حسّان وبخّال.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ قرأ الجمهور[٤]: «وكلَّ» بالنصب على الاشتغال؛ أي: وأحصينا كلَّ شيء أحصيناه.

وقرأ أبو السمّال برفعه[٥] على الابتداء، وما بعده خبره، وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب، وانتصاب كتاباً على المصدرية لأحصيناه؛ لأن أحصيناه في معنى كتبناه، وقيل: هو منتصب[٦] على الحال؛ أي: مكتوباً، قيل: المراد كتبناه في اللّوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، وقيل: أَراد ما كتبه الحفظةُ على العباد من أَعمالهم.

وقيل: المراد به العلم لأنّ ما كُتب كان أبعد مِنْ النسيان، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ هذه الجملة مُسبَّبة عن كفرهم، وتكذيبهم بالآيات.

قال الرّازي[٧]: هذه الفاء للجزاء، فنبّه على أَنَّ الأمر بالذوق معلل بما تقدّم شرحه من قبائح أفعالهم؛ ومن الزيادة في عذابهم أنها كلما نضجت جلودهم بدّلهم جلوداً غيرها، وكلّما خبت النار زادهم الله سعيراً.

وقد أخرجَ ابنُ مردويه[٨] عن ابن عباس: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ قال: القرآن: وهذا مرويّ عَنْ جماعة مِنْ التابعين.

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٣٦٨)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٨). القراءة بتخفيف «كذابا» شاذة، وقراءة ابن عمرُ بضم الكاف شاذة.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣).
(٣) في «الكشاف» (٦/ ٣٠٠).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٦٦).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٠٨). القراءة برفع «كلُّ» شاذة.
(٦) «التبيان» (٢/ ١٢٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٣).
(٧) في «تفسيره» (٣١/ ١٩).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٠).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[١] عنه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ قال: مضيئاً ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ قال: السحاب ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال: منصباً.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر[٢] عنه أيضاً ﴿ثَجَّاجًا﴾ قال: منصباً.

وأخرج الشافعيُّ، وسعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن مسعود[٣] في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال: يبعث الله الريح، فتحمل الماء، فَتمري به السحاب، فتدرّ كما تدرّ اللِّقْحة، والثجّاج ينزل من السماء أمثال العزالِي[٤] فتصرّفه الرياح فينزل متفرّقاً.

وأخرج ابن جرير، وابن الأنباري في المصاحف عن قتادة[٥] قال: في قراءة ابن عباس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ بالرياح[٦].

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه في قوله: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: ملتفة.

وأخرج ابن جرير[٨] عنه أيضاً في الآية قال: يقول: التفّ بعضها ببعض.

وأخرج ابن المنذر عنه أيضاً في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ قال: سراب الشمس: الآلُ.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عنه أيضاً: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قال: سنين.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١، ١٣، ١٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٥٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أبو يعلى رقم (٢٦٦٣)، وابن جرير (٢٤/ ١١، ١٢، ١٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٢٩) بسند ضعيف جدّاً.

(٣) أخرجه الشافعي (١/ ٢٣٩ رقم ٤٩٣ ـ شفاء العي)، والخرائطي رقم (٥٥٩ ـ منتقى)، والبيهقي (٣/ ٣٦٤).

(٤) العزالي: جمع: عزلاء وهي مصب الماء من الزاوية ونحوها اهـ. قابوس.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦).

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٢) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧) بسند ضعيف.

(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٦).

المنذر عن سالم بن أبي الجعد[(١)] قال: سأل عليّ بن أبي طالب هلالَ الهجري ما تجدون الحُقُب في كتاب الله؟ قال: نجده ثمانين سنة كل سنة منها اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً كل يوم ألف سنة.

وأخرج سعيد بن منصور، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[(٢)] في الآية قال: الحقُب الواحد ثمانون سنة.

وأخرج البزار عن أبي هريرة رفعه[(٣)] قال: الحقب ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدّون.

وأخرج عبد بن حميد[(٤)] عنه قال: الحقب ثمانون عاماً اليوم منها كسدس الدنيا.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه. قال السيوطي[(٥)]: بسند ضعيف عن أبي أمامة[(٦)] عن النبيّ ﷺ: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قال: الحُقُب ألف شهر، والشهر ثلاثون يوماً، والسنة اثنا عشر شهراً ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحقب ثلاثون ألف سنة.

وأخرج البزار، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عمر[(٧)] عن النبيّ ﷺ قال: «والله لا يخرج من النار مَنْ دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً، والحقُب بضع وثمانون

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤٢)، وهنّاد رقم (٢٢٠)، وابن جرير (٢٤/ ٢٤) من طريق سفيان، به.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٢).

(٣) أخرجه البزار ـ كما في «الإتحاف» للبوصيري بذيل المطالب العالية (٩/ ٧١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٣): فيه حجاج بن نصير، وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويهم، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٥).

(٥) في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٥).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (٧٩٥٧)، وابن أبي عمر ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٧٤) ـ وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٢): وهذا حديثٌ منكر جدّاً، والقاسم والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك.

(٧) أخرجه البزار رقم (٣٥٠٣ ـ كشف)، والديلمي رقم (٧٠٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٥) وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جدّاً.

سنة، كل سنة ثلثمائة وستون يوماً، واليوم ألف سنة مما تعدّون». قال ابن عمر: فلا يتكلنّ أحد أنّه يخرج من النار.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو(١) قال: الحقب الواحد ثمانون سنة.

وأخرج ابن جرير(٢) عن ابن عباس مثله.

وأخرج ابن مردويه عن عبادة بن الصامت(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «الحقُب أربعون سنة».

وأخرج ابن جرير عن خالد بن معدان(٤) في قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود(٥) قال: زمهرير جهنّم يكون لهم من العذاب لأن الله يقول: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة(٦) عن النبيّ ﷺ وفي قوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا﴾ قال: «قد انتهى حرّه ﴿وَغَسَّاقًا﴾ قد انتهى حرّه، وإن الرجل إذا أُدنى الإناء من فيه سقط فروة وجهه، حتى يبقى عظاماً تقعقع».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٧): ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ قال: وافق أعمالهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو(٨) قال: ما أنزلت على أهل النار آية قط أشدّ منها ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فهم في مزيد من عذاب الله أبداً.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٨١)، وقال ابن عدي: غير محفوظ.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦) بسند حسن.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٦).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٦).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٢) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦) من طريق قتادة، به.

[مصير المتقين وأحوالهم]:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ
خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا
قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ هذا شروع في بيان حال المؤمنين، وما أعدّ الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين، وما أعدّ الله لهم من الشرّ، والمفاز مصدر بمعنى الفوز، والظّفَر بالنعمة، والمطلوب، والنجاة مِنْ النار، ومنه قيل للفلاة: مفازة تفاؤلاً بالخلاص منها.

ثم فسّر سبحانه هذا المفاز فقال: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ وانتصابهما[١] على أنهما بدل مِنْ مفازاً بدل اشتمال، أو بدل كلّ مِنْ كل على طريق المبالغة بجعل نفس هذه الأشياء مفازة، ويجوز أَنْ يكون النصب بإضمار أعنّي، وإذا كان مفازاً بمعنى الفوز، فيقدر مضاف محذوف؛ أي: فوز حدائق، وهي جمع حديقة: وهي: البستان المحوّط عليه، والأعناب جمع عنب؛ أي: كروم أعناب.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ الكواعب[٢] جمع كاعبة: وهي النّاهدة، يقال: كعَبَت الجاريةُ تكعُب تكعيباً وكُعوباً، ونهَدت تنهَد نُهوداً.

والمراد أنهنّ نساء كواعب تكعبت ثُديهن وتفلكت؛ أي: صارت ثديهنّ كالكعب في صدورهنّ. قال الضحاك[٣]: الكواعب العذارى. قال قيس بن عاصم:

وكم مِنْ حَصَانٍ قد حَوَيْنَا كريمةٍ ومِنْ كاعبٍ لم تدرِ ما البؤسُ معصِرِ[٤]

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٦٧)، و«الفريد» (٢/ ٦١٢).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧١٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٨٨).

وقال عُمر بن أبي ربيعة:

وكـان مَـجِـنّـي دونَ مـا كـنـتُ أتّـقـي   ثلاثَ شخوصٍ كاعباتٍ ومِعْصَرِ[١]

والأتراب: الأقران في السنّ، وقد تقدّم تحقيقه في سورة البقرة.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾؛ أي: ممتلئة. قال الحسن[٢]، وقتادة، وابن زيد: أي: مُترعة مملوءة، يقال: أدهقتُ الكأس؛ أي: ملأتها، ومنه قول الشاعر:

ألا أَسْـقِـنـي صِـرْفـاً سـقـاكِ الـسـاقـي   مِـنْ مـائِـهـا بـكـأسِـكِ الـدِّهـاقِ[٣]

وقال سعيد بن جبير[٤]، وعكرمة، ومجاهد: ﴿دِهَاقًا﴾ متتابعة يتبع بعضها بعضاً. وقال زيد بن أسلم[٥]: ﴿دِهَاقًا﴾ صافية، والمراد بالكأس: الإناء المعروف، ولا يقال له الكأس إلّا إذا كان فيه الشراب.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾؛ أي: لا يسمعون في الجنة لغواً، وهو الباطل من الكلام، ولا كِذّاباً؛ أي: ولا يُكذِّب بعضهم بعضاً.

قرأ الجمهور[٦]: «كِذّاباً» بالتشديد، وقرأ الكسائي هنا بالتخفيف[٧]، ووافق الجماعة على التشديد في قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨] المتقدم في هذه السورة للتصريح بفعله هناك، وقد قدّمنا الخلاف في كذاباً هل هو من مصادر التفعيل، أو من مصادر المفاعلة؟

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: جازاهم بما تقدّم ذكره جزاء.

قال الزجاج[٨]: المعنى جزاهم جزاء، وكذا ﴿عَطَاءً﴾؛ أي: وأعطاهم عطاء.

﴿حِسَابًا﴾ قال أبو عبيدة[٩]: كافياً. وقال ابن قتيبة[١٠]: كثيراً، يقال أحسبت فلاناً؛ أي: أكثرت له العطاء، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص١٠٠)، وفيه: «فكان» بدل و«كان».
(٢) «جامع البيان» (٢٤/ ٣٩ ـ ٤١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣١٦).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥). (٤) «جامع البيان» (٢٤/ ٤٢).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١) بسند صحيح.
(٦) «التيسير» (ص٢١٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«زاد المسير» (٩/ ١١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٩).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٧٥).
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٣). (١٠) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥١٠).

ونعطي وليدَ الحيِّ إن كان جائعاً ونُحسِبُه إنْ كان ليسَ بجائِعِ[١]

قال ابن قتيبة[٢]: أي: نُعطيه حتّى يقول حسبي. قال الزجاج[٣]: حساباً؛ أي: ما يكفيهم. قال الأخفش[٤]: يقال أحسبني كذا؛ أي: كفاني.

قال الكلبي[٥]: حاسبهم، فأعطاهم بالحسنة عشراً.

وقال مجاهد[٦]: حساباً لِما عملوه، فالحساب بمعنى القدر؛ أي: يقدّر ما وجب له في وعد الربّ سبحانه، فإنّه وعد للحسنة عشراً، ووعد لقوم [٤/٢٠٨] سبعمائة ضعف، وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقرأ أبو هاشم[٧]: «حَسّاباً» بفتح الحاء، وتشديد السين؛ أي: كفافاً. قال الأصمعي[٨]: تقول العرب: حَسّبتُ الرجل بالتشديد: إذا أكرمته، ومنه قول الشاعر:

إذا أتاه ضيفُه يحسِّبُهُ[٩]

وقرأ ابن عباس[١٠]: «حساناً» بالنون.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. قرأ ابن مسعود، ونافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وزيد عَنْ يعقوب، والمفضّل عن عاصم برفع[١١] «ربُّ» و «الرحمٰنُ» على أن ربّ مبتدأ، والرحمٰن خبره، أو على أن ربّ خبر مبتدأ[١٢] مقدّر؛ أي: هو ربّ، والرحمٰن صفته، و «لا يملكون» خبر ربّ، أو على أن ربّ مبتدأ، والرحمٰن مبتدأ ثانٍ، ولا يملكون خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر المبتدأ الأوّل.

---

(١) نسبه ابن منظور في «اللسان» (حسب) لامرأة من بني قشير. وقيل: البيت لامرأة من بني نمير أو هو لغيثة أم الهيثم. «الاشتقاق» لابن دريد (ص٧٤).
(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥١٠).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٥).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٨٩).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٤) بسند صحيح.
(٧) «المحتسب» (٢/ ٣٤٩)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣١٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٠). وهي قراءة شاذة.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨). وهي قراءة شاذة.
(١١) «جامع البيان» (٢٤/ ٤٥)، و«التيسير» (ص٢١٩)، و«زاد المسير» (٩/ ١١)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٠).
(١٢) «إعراب القراءات السبع وعللها» (٢/ ٤٣٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٣).

وقرأ يعقوب في رواية عنه، وابن عامر، وعاصم في رواية عنه بخفضهما[(١)] على أنّ ربّ بدل مِنْ ربك والرحمٰن صفة له. وقرأ ابن عباس، وحمزة، والكسائي بخفض الأوّل على البدل[(٢)]، ورفع الثاني على أنه خبر متبدأ محذوف؛ أي: هو الرحمٰن، واختار هذه القراءة أبو عبيد[(٣)] وقال هذه القراءة أعدلها، فخفض ربّ لقربه مِنْ ربك، فيكون نعتاً له، ورفع الرحمٰن لبعده منه على الاستئناف، وخبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾؛ أي: لا يملكون أن يسألوا إلّا فيما أُذن لهم فيه.

وقال الكسائي[(٣)]: لا يملكون منه خطاباً بالشفاعة إلّا بإذنه، وقيل: الخطاب الكلام؛ أي: لا يملكون أن يخاطبوا الربّ سبحانه إلّا بإذنه، دليله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] وقيل: أراد الكفار، وأما المؤمنون فيشفعون.

ويجوز أن تكون هذه الجملة في محل نصب[(٤)] على الحال على ما تقدّم بيانه، ويجوز أن تكون مستأنفة مقرّرة لما تفيده الربوبية العامة من «العظمة» والكبرياء.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ الظرف منتصب[(٥)] بلا يتكلمون، أو بلا يملكون، وصفّاً منتصب على الحال؛ أي: مصطفين، أو على المصدرية؛ أي: يصفون صفّاً.

وقوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ في محل نصب[(٦)] على الحال، أو مستأنف لتقرير ما قبله.

[اختلف في الروح]:

واختُلف في الروح؛ فقيل: إنه ملَك مِنْ الملائكة أعظم من السماوات السبع، ومن الأرضين السبع، ومن الجبال، وقيل: هو جبريل[(٧)] قاله الشعبي، والضحاك، وسعيد بن جبير.

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/ ٤٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«التيسير» (ص٢١٩).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٠)، و«التيسير» (ص٢١٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥٩).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٩).
(٤) «الفريد» (٢/ ٦١٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٨).
(٥) «التبيان» (٢/ ١٢٦٨)، و«الفريد» (٢/ ٦١٤).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٦٨).
(٧) «جامع البيان» (٢٤/ ٤٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٩٠).

وقيل: الروح[١] جند من جنود الله ليسوا ملائكة قاله أبو صالح، ومجاهد، وقيل: هم أشراف الملائكة قاله مقاتل بن حيان[٢]. وقيل: هم حفظة على الملائكة قاله ابن أبي نجيح[٣]. وقيل: هم بنو آدم قاله الحسن[٤]، وقتادة[٥].

وقيل: هم أرواح بني آدم تقوم صفّاً وتقوم الملائكة صفّاً، وذلك بين النفختين قبل أن تردّ إلى الأجسام قاله عطية العوفي[٦]. وقيل: إنه القرآن قاله زيد بن أسْلم[٧].

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من ضمير يتكلّمون، وأن يكون منصوباً على أصل الاستثناء، والمعنى: لا يشفعون لأحد إلّا من أذن له الرحمٰن بالشفاعة أو لا يتكلمون إلّا في حقّ مَنْ أذن له الرحمٰن ﴿و﴾ كان ذلك الشخص ممّن ﴿قال﴾ ﴿صَوَابًا﴾ قال الضحاك، ومجاهد: صواباً يعني: حقّاً.

وقال أبو صالح[٨]: لا إلٰه إلّا الله. وأصل الصواب: السداد من القول والفعل. قيل لا يتكلمون يعني: الملائكة والروح الذين قاموا صفّاً هيبة وإجلالاً إلّا مَنْ أذن له الرحمٰن منهم في الشفاعة، وهم قد (قالوا) صواباً.

قال الحسن[٩]: إنّ الروح تقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة إلّا بالروح، ولا النار إلّا بالعمل.

قال الواحدي[١٠]: فهم لا يتكلمون؛ يعني: الخلق كلهم إلّا من أذن له الرحمٰن، وهم المؤمنون والملائكة، وقال في الدنيا صواباً؛ أي: شهد بالتوحيد، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى يوم قيامهم على تلك الصفة، وهو مبتدأ وخبره ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الكائن الواقع المتحقق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾؛ أي: مرجعاً

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣١).
(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (ص٤١٨) بسند ضعيف.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٠).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩ ـ ٥٠) بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠) بسند صحيح.
(٨) «جامع البيان» (٢٤/ ٥٠).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٠)، و«الوسيط» (٤/ ٤١٧).
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٤١٧).

يرجع إليه بالعمل الصالح؛ لأنه إذا عمل خيراً قرّبه إلى الله، وإذا عمل شرّاً باعده منه.

ومعنى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ إلى ثواب ربِّه، قال قتادة(١): مآباً: سبيلاً.

ثم زاد سبحانه في تخويف الكفار فقال: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾؛ يعني: العذاب في الآخرة، وكلّ ما هو آت، فهو قريب، ومثله قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] كذا قال الكلبي(٢)، وغيره. وقال قتادة(٣): هو عذاب الدنيا؛ لأنه أقرب العذابين. قال مقاتل(٤): هو قتل قريش ببدر، والأوّل أولى لقوله: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ فإنّ الظرف إما بدل من عذاب، أو ظرف لمضمر هو صفة له؛ أي: عذاباً كائناً.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾؛ أي: يشاهد ما قدّمه من خير أو شرّ، وما موصولة أو استفهامية.

قال الحسن(٥): والمرء هنا هو المؤمن؛ أي: يجد لنفسه عملاً، فأما الكافر، فلا يجد لنفسه عملاً، فيتمنى أَنْ يكون تراباً، وقيل: المراد به: الكافر على العموم، وقيل(٦): أبيّ بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ فإن الكافر واقع في مقابلة المرء، والمراد جنس الكافر يتمنى أن يكون تراباً لما يشاهده مما قد أعدّه الله له من أنواع العذاب.

والمعنى: أنه يتمنى أنه كان تراباً في الدنيا فلم يُخْلق، أو تراباً يوم القيامة. وقيل(٧): المراد بالكافر: أبو جهل، وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل: إبليس، والأوّل أولى اعتباراً بعموم اللفظ، ولا ينافيه خصوص السبب، كما تقدّم غير مرّة.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٤٤) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ١٩١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٩١).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٩١).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٤)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» رقم (٢١١) بسند صحيح.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٤).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٩١).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال: منتزهاً ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ قال: نواهد ﴿أَتْرَابًا﴾ قال: مستويات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال: ممتلئاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال: هي الممتلئة المُترعة المتتابعة، وربما سمعت العباس يقول: يا غلام أسقنا، وادهق لنا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر[٣] عنه دهاقاً، قال دراكاً.

وأخرج عبد بن حميد[٤] عنه أيضاً قال: إذا كان فيها خمر فهي: كأس، وإذا لم يكن فيها خمر، فليس بكأس.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه[٥] عنه أيضاً أن النبيّ ﷺ قال: «الروح جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس، وأيد، وأرجل ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال: هؤلاء جند، وهؤلاء جند».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس[٦] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال: هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود[٧] قال: الروح في السماء الرابعة، وهو أعظم من السمٰوات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٧، ٣٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٣/ ٥٠١)، والبيهقي رقم (٣٥٧، ٣٧٧).

(٢) أخرجه عبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٥٠١) ـ وابن جرير (٢٤/ ٣٩)، والحاكم (٢/ ٥١٢)، والبيهقي رقم (٣٥٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٩٩).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤١٢) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٢)، وأبو الشيخ رقم (٤١٣)، والبيهقي رقم (٧٨٠) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٤٦ ـ ٤٧) من طريق الشعبي، به.

يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يجيء يوم القيامة صفّاً واحداً.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس[(١)] قال: إن جبريل يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار ترعد فرائصُه فَرَقاً من عذاب الله، يقول: سبحانك لا إلٰه إلّا أنت ما عبدناك حق عبادتك، ما بين منكبيه، كما بين المشرق والمغرب، أما سمعت قول الله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾.

وأخرج البيهقي[(٢)] في «الأسماء والصفات» عنه في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ قال: يعني: حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الروح إلى الأجساد.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات عنه[(٣)] أيضاً: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال: لا إلٰه إلّا الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة[(٤)] قال: يُحشر الخلق كلّهم يوم القيامة البهائم، والدواب، والطير وكلّ شيء، فيبلغ من عذاب الله أن يؤخذ للجمّاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣٦٥) بسند حسن.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٨٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥١)، والبيهقي رقم (٢٠٥، ٢٠٦) من طريق الحكم بن أبان، به.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٥) من طريق رجل من الأنصار، به.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وتسمى سورة الساهرة، هي خمس وأربعون آية، وقيل: ست وأربعون آية، وهي مكية[(١)] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة النازعات بمكة. [٤/٢٠٩]

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وقوع البعث وأحوال المشركين فيه والرد على إنكارهم]:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها[(٤)]، وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم كما ينزع النازعُ في القوس فيبلغ بها غاية المدّ، وكذا المراد:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٤٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٣).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦).

بالناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات: يعني: الملائكة، والعطف مع اتحاد الكلّ؛ لتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي، كما في قول الشاعر:

إلى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وابنِ الْهُمَامِ   وليثِ الكتيبةِ في الْمُزْدَحَمْ[١]

وهذا قول الجمهور[٢] من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وقال السديّ[٣] ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ هي النفوس حين تغرق في الصدور.

وقال مجاهد[٤]: هي الموت ينزع النفس. وقال قتادة[٥]: هي النجوم تنزع من أُفق إلى أفق، من قولهم: نزع إليه إذا ذهب، أو من قولهم: نزعت بالحبل؛ أي: إنها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر. وبه قال أبو عبيدة[٦]، والأخفش[٧]، وابن كيسان[٨].

وقال عطاء[٩]، وعكرمة[١٠]: النازعات: القِسُّي تنزع بالسّهام، وإغراق النازع في القوس أن يمدّه غاية المدّ حتى ينتهي به إلى النَّصْل.

وقال يحيى بن سلام[١١]: تنزع بين الكلأ وتنفر، وقيل: أراد بالنازعات: الغُزاة الرماة، وانتصاب ﴿غَرۡقٗا﴾ على أنه مصدر بحذف الزوائد؛ أي: إغراقاً، والناصب له ما قبله لملاقاته له في المعنى؛ أي: إغراقاً في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد، أو على الحال؛ أي: ذوات إغراق، يقال أغرق في الشيء يُغْرِق فيه: إذا أوغل فيه وبلغ غايته.

ومعنى ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾ أَنَّها تَنْشط النفوسَ؛ أي: تُخرجها من الأجساد، كما يُنْشَط العقالُ من يد البعير: إذا حلّ عنه، ونشط الرجل الدلو من البئر: إذا أخرجها،

---

(١) تقدم ذكره مراراً.
(٢) «الوسيط» (٤/٤١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٦ ـ ٣٧).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٥٩) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٥٨) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٦١) بسند صحيح.
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٤).
(٧) «المحرر الوجيز» (١٦/٢١٨).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٢٧)، و«المحرر الوجيز» (١٦/٢١٨).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٥٩) من طريق وكيع، به.
(١٠) «المحرر الوجيز» (١٦/٢١٨).
(١١) «روح المعاني» (٢٨/٢٥٢)، و«البحر المحيط» (١٠/٣٩٥). وعنى يحيى بن سلام: أنّها الوحش.

والنشاط: الجذب بسرعة، ومنه الأنشوطة للعقدة التي يسهل حلُّها.

قال أبو زيد(١): نشطت الحبل أنشطُه نَشْطاً عَقَدتهُ، وأنشطتُه؛ أي: حَلَلْته، وأنشطت الحبل؛ أي: مددته.

قال الفراء(٢): أنشط العقال؛ أي: حلّ، ونشط؛ أي: ربط الحبل في يديه. قال الأصمعي(٣): بئر أنشاط؛ أي: قريبة القَعْر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة، وبئر نشوط، وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى يُنْشَط كثيراً.

وقال مجاهد(٤): هو الموت يَنْشِط نفسَ الإنسان. وقال السديّ(٥): هي النفوس حين تُنْشَط من القدمين. وقال عكرمة(٦)، وعطاء(٧): هي الأوهاق التي تنشط السهام، وقال قتادة(٨)، والحسن(٩)، والأخفش(١٠): هي النجوم تُنْشَط من أفق إلى أفق؛ أي: تذهب.

قال في «الصحاح»(١١): والناشطات نشطاً: يعني: النجوم من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، والهموم تَنْشط بصاحبها.

وقال أبو عبيدة(١٢)، وقتادة(١٣): هي الوحوش حين تنشط من بلد إلى بلد. وقيل: الناشطات لأرواح المؤمنين، والنازعات لأرواح الكافرين؛ لأنها تجذب روح المؤمن برفق، وتجذب روح الكافر بعنف، وقوله: ﴿نَشۡطٗا﴾ مصدر، وكذا سَبْحاً وسبقاً ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾ الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الروح كما يسبح الغوّاص في

---

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١١٦٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠). (٣) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١١٦٤).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٦٠) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٠ ـ ٦١) من طريق سفيان، به.
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٣).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦١) من طريق وكيع، به، والأوهاق: هي الحبال.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٨) بسند صحيح.
(٩) «زاد المسير» (٩/ ١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩ ـ ٤٠).
(١٠) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١٩).
(١١) «الصحاح» (٣/ ١١٦٣ ـ ١١٦٤).
(١٢) في «مجاز القرآن» له (٢/ ٢٨٤).
(١٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٣).

البحر لإخراج شيء منه، وقال مجاهد[١]، وأبو صالح[٢]: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله، كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه.

وقال مجاهد[٣] أيضاً: السابحات: الموت يسبح في نفوس بني آدم. وقيل: هي الخيل السابحة في الغزو، ومنه قول عنترة:

والخيلُ تعلمُ حينَ تَسْـ ـبَحُ في حياضِ الموتِ سَبْحاً[٤]

وقال قتادة[٥]، والحسن[٦]: هي النجوم تسبح في أفلاكها، كما في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وقال عطاء[٧]: هي السفن تسبح في الماء، وقيل: هي أرواح المؤمنين تسبح شوقاً إلى الله. ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ هم: الملائكة على قول الجمهور[٨] كما سلف.

قال مسروق[٩]، ومجاهد: تسبق الملائكة الشياطين بالوحي إلى الأنبياء.

وقال أبو روق[٩]: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير، والعمل الصالح، وروي نحوه عن مجاهد[١٠].

وقال مقاتل[١١]: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. وقال الربيع[١٢]: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة شوقاً إلى الله. وقال مجاهد[١٣] أيضاً: هو الموت يسبق الإنسان.

وقال قتادة[١٣]، والحسن، ومعمر: هي النجوم يسبق بعضها في السير بعضاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٢ ـ ١٣) بسند صحيح.
(٢) «زاد المسير» (٩/ ١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٢) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٣).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٦٣) بسند صحيح.
(٦) «زاد المسير» (٩/ ١٦ ـ ١٧).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٣) من طريق وكيع، به.
(٨) «الوسيط» (٤/ ٤١٨).
(٩) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢).
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٣).
(١١) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٢٥).
(١٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٢).
(١٣) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٤)، و«زاد المسير» (٩/ ١٧).

وقال عطاء[١]: هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد. وقيل: هي الأرواح التي تسبق الأجساد إلى الجنة أو النار.

قال الجرجاني[٢]: عطف السابقات بالفاء، لأنها مسببة من التي قبلها؛ أي: واللاتي يسبحن فيسبقن، تقول قام فذهب، فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب، ولو قلت قام وذهب بالواو لم يكن القيام سبباً للذهاب.

قال الواحدي[٣]: وهذا غير مطرد في قوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ لأنه يبعد أن يجعل السبق سبباً للتدبر.

قال الرازي[٤]: ويمكن الجواب عما قاله الواحدي: بأنها لما أُمرت سبحت فسبقت فدبّرت ما أمرت بتدبيره، فتكون هذه أفعالاً يتصل بعضها ببعض كقوله: قام زيد فذهب، ولما سبقوا في الطاعات وسارعوا إليها ظهرت أمانتهم. ففوّض إليهم التدبير.

ويجاب عنه بأن السبق لا يكون سبباً للتدبير كسببية السبح للسبق، والقيام للذهاب، ومجرد الاتصال لا يوجب السببية والمسببية، والأولى أن يقال: العطف بالفاء في المدبرات طوبق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء، ولا يحتاج إلى نكتة، كما احتاج إليها ما قبله؛ لأن النكتة إنما تطلب لمخالفة اللاحق للسابق لا لمطابقته وموافقته ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ قال القشيري[٥]: أجمعوا على أن المراد هنا: الملائكة. وقال الماوردي[٦]: فيه قولان:

أحدهما: الملائكة وهو قول الجمهور.

والثاني: أنها الكواكب السبع، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، وفي تدبيرها الأمر وجهان[٧]:

أحدهما: تدبر طلوعها، وأفولها.

الثاني: تدبر ما قضاه الله فيها من الأحوال. ومعنى تدبير الملائكة للأمر نزولها

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٤).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢).
(٣) في «الوسيط» (٤/ ٤١٨ ـ ٤١٩).
(٤) في «تفسيره» (٣١/ ٣٢ ـ ٣٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢).
(٦) في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٤).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٤).

بالحلال والحرام، وتفصيلهما، والفاعل للتدبير في الحقيقة، وإنْ كان هو الله ﷻ، لكن لما نزلت الملائكة به وصُفتْ به. وقيل: إن الملائكة لما أمرت بتدبير أهل الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك قيل لها: مُدبِّرات.

قال عبد الرحمٰن بن سابط: تدبير أمر الدنيا إلى أربعة[1] من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، فأما جبريل: فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل: فموكل بالقطر والنبات، وأما عزرائيل: فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم، وجواب القسم بهذه الأمور التي أقسم الله بها محذوف؛ أي: والنازعات، وكذا، وكذا لتبعثنّ.

قال الفرّاء[2]: وحُذف لمعرفة السامعين به، ويدل عليه قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ وقيل: إن جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾؛ أي: إن في يوم القيامة، وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى.

قال ابن الأنباري[3]: وهذا قبيح؛ لأنّ الكلام قد طال بينهما، وقيل: جواب القسم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ لأن المعنى: قد أتاك، وهذا ضعيف جدّاً، وقيل الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ على تقدير ليوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة.

وقال السجستاني[4]: يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير، كأنه قال: فإذا هم بالساهرة والنازعات. قال ابن الأنباري[5]: وهذا خطأ، لأن الفاء لا يفتتح بها الكلام، والأوّل أولى.

[الراجفة النفخة الأوُلى، والرادفة النفخة الثانية]:

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ انتصاب هذا الظرف بالجواب المقدّر للقسَم، أو بإضمار اذْكر، والراجفة: المضطربةُ، يقال رجَفَ يرجُف: إذا اضطرب، والمراد هنا: الصيحة العظيمة التي فيها تردّد واضطراب كالرعد، وهي النفخة الأولى التي يموت بها جميع الخلائق، والرادفة: النفخة الثانية التي تكون عند البعث، وسميت [٤/٢١٠]

---

(١) «تفسير الرازي» (٣١/٢٨).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/٣٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤)، و«المحرر الوجيز» (١٦/٢٢١).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٦).

رادفة؛ لأنها ردفت النفخة الأولى، كذا قال جمهور المفسرين[١].

وقال ابن زيد[٢]: الراجفة: الأرض، والرادفة: الساعة. وقال مجاهد[٣]: الرادفة: الزلزلة تتبعها الرادفة: الصيحة.

وقيل: الراجفة[٤]: اضطراب الأرض، والرادفة: الزلزلة، وأصل الرجفة: الحركة، وليس المراد: التحرّك هنا فقط، بل الراجفة هنا مأخوذة من قولهم: رجف الرعد يرجُف رَجْفاً ورجيفاً: إذا ظهر صوتُه، ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها، وظهور الأصوات فيها، ومنه قول الشاعر:

أبالأراجيفِ يا ابنَ اللُّؤْمِ تُوْعِدُني وفي الأراجيفِ خِلْتُ اللؤْمَ والْخَوَرَا[٥]

ومحل ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ النصب[٦] على الحال من الراجفة، والمعنى: لتبعثنّ يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قلوب مبتدأ، ويومئذ منصوب بواجفة، وواجفة صفة قلوب.

وجملة: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ خبر قلوب، والراجفة: المضطربة القلقة لما عاينت من أهوال يوم القيامة.

قال جمهور المفسرين[٧]: أي: خائفة وجلة. وقال السديّ[٨]: زائلة عن أماكنها، نظيره: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] وقال المؤرِّج[٩]: قلقة مستوفزة.

وقال المبرِّد[١٠]: مضطربة، يقال وجفَ القلبُ يجِفُ وجِيفاً: إذا خَفَقَ، كما

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤١٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٦٨) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٧) بسند صحيح.
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٤٤).
(٥) البيت نُسب للعين المنقري. «خزانة الأدب» (٤/ ٢٥٧)، و«الكتاب لسيبويه» (١/ ١١٩ ـ ١٢٠) قال البغدادي أنَّ القصيدة لامية وأن الصواب: و«الفشل»، بدل و«الخور».
(٦) «التبيان» (٢/ ١٢٦٩)، و«الفريد» (٤/ ٦١٩).
(٧) في «الوسيط» (٤/ ٤١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٢٧).
(٩) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٣٤).
(١٠) «تهذيب اللغة» (١١/ ٢١٣).

يقال: وجبَ يجِب وَجِيباً، والإيجاف: السيرُ السريع، فأصل الوجيف اضطراب القلب، ومنه قول قيس بن الخطيم[١]:

إنَّ بـنـي حَـجَـبَـا وأُسْـرتَـهـم   أكـبـادُنـا مِـنْ ورائِـهـم تَـجِـفُ

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾؛ أي: أبصار أصحابِها، فحذف المضاف، والخاشعة: الذليلة، والمراد أنها تظهر عليهم الذلة، والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة كقوله: ﴿خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥].

قال عطاء[٢]: يريد أبصار مَنْ مات على غير الإسلام، ويدلّ على هذا أن السياق في منكري البعث ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ هذا حكاية لما يقوله المنكرون[٣] للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون؛ أي: أُنردّ إلى أوّل حالنا، وابتداء أمرنا، فنصير أحياءً بعد موتنا، يقال رجع فلان في حافرته؛ أي: رجع من حيث جاء، والحافرة عند العرب: اسم لأوّل الشيء، وابتداء الأمر، ومنه قولهم رجع فلان على حافرته: أي على الطريق الذي جاء منه، ويقال: اقتتل القوم عند الحافرة؛ أي: عند أوّل ما التقوا، وسميت الطريق التي جاء منها حافرة لتأثيره فيها بمشيه فيها فهي حافرة بمعنى محفورة، ومن هذا قول الشاعر:

أحـافـرةٌ عـلـى صَـلَـعٍ وشَـيْـبٍ   مـعـاذَ اللهِ مِـنْ سَـفَـهٍ وعـارِ[٤]

أي: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل بعد الشيب والصلع؟! وقيل الحافرة: العاجلة، والمعنى: إنّا لمردودون إلى الدنيا، وقيل الحافرة: الأرض التي تُحْفَر فيها قبورهم، ومنه قول الشاعر:

آلـيـتُ لا أنـسـاكُـمُ فـاعْـلَـمـوا   حـتـى يُـرَدَّ الـنـاسُ فـي الـحـافِـرةْ[٥]

والمعنى: إنا لمردودون في قبورنا أحياء، كذا قال الخليل[٦]، والفراء[٧]، وبه

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٦).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٩). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧).
(٤) «أدب الكاتب» (ص٤١٥)، و«إصلاح المنطق» (ص٣٢٧).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٧)، و«الدر المصون» (١٠/ ٦٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧).
(٦) في كتاب «العين» (ص١٩٩).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

قال مجاهد[١].

وقال ابن زيد[٢]: الحافرة: النار، واستدلّ بقوله: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. قرأ الجمهور[٣]: «في الحافرة» وقرأ أبو حيوة: «في الحَفِرة»[٤].

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾؛ أي: بالية متفتّتة، يقال: نخِر العظم بالكسر: إذا بلي وهذا تأكيد لإنكار البعث؛ أي: كيف نُردّ أحياءً، ونُبعث إذا كنا عظاماً نخرة؟ والعامل في إذا مضمر يدلّ عليه مردودون؛ أي: أئذا كنا عظاماً بالية نردّ ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة.

قرأ الجمهور[٥]: «نخرة» وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: «ناخرة»[٦]، واختار القراءة الأولى أبو عُبيد[٧]، وأبو حاتم، واختار القراءة الثانية الفرّاء، وابن جرير[٨]، وأبو معاذ النحوي[٩]. قال أبو عمرو بن العلاء[١٠]: الناخرة التي لم تنخر بعد؛ أي: لم تُبْلَ ولا بدّ أن تنخر.

وقيل: هما بمعنى، تقول العرب: نخر الشيء، فهو ناخر ونخر، وطمعَ، فهو طامِع وطمِعٌ ونحو ذلك.

قال الأخفش[١١]: هما جميعاً لغتان أيهما قرأت فحسن. قال الشاعر:

يظلُّ بها الشيخُ الذي كان بادِناً   يدبُّ على عَوْجٍ له نخراتِ[١٢]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١ ـ ٧٢) بسند صحيح.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٧).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٠).

(٥) «التيسير» (ص٢١٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٧٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. ومعهم رويس عن يعقوب.

(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨).

(٨) في «جامع البيان» (٢٤/ ٧٢).

(٩) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٧٢).

(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٩).

(١١) ذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٩)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩) دون نسبة.

(١٢) البيت للحطيئة برواية:

فظل به الشيخ الذي كان فانياً   يَدِفُّ على عوج له نخرات

يعني: على قوائم عوج، وقيل: الناخرة التي أُكلت أطرافُها وبقيت أوساطها، والنخرة التي فَسدتْ كلُّها. وقال مجاهد[١] نخرة؛ أي: مَرْفوتة، كما في قوله: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨]، وقد قرئ: «إذا كنّا»[٢] و«أئذا كنا»[٣] بالاستفهام، وبعدمه.

ثم ذكر سبحانه عنهم قولاً آخر قالوه فقال: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؛ أي: رجعة ذات خُسْران لما يقع على أصحابها من الخسران، والمعنى: أنهم قالوا إن رُددنا بعد الموت لنخسرنّ بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد. وقيل: معنى خاسرة: كاذبة؛ أي: ليست بكائنة، كذا قال الحسن[٤] وغيره. وقال الربيع بن أنس[٤]: خاسرة على مَنْ كذّب بها. وقال قتادة[٥]، ومحمد بن كعب: أي: لئن رجعنا بعد الموت لنخسرنّ بالنار، وإنما قالوا هذا لأنهم أُوعدوا بالنار، والكرّة: الرجعة، والجمع كرّات.

وقولُه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ تعليلٌ لما يدل عليه ما تقدّم من استبعادهم لبعث العظام النّخِرة، وإحياء الأموات، والمعنى: لا تستبعدوا ذلك فإنّما هي زجرة واحدة، وكان ذلك الإحياء، والبعث، والمراد بالزجرة: الصيحةُ وهي النفخة الثانية التي يكون البعث بها.

وقيل: إن الضمير في قولُه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ راجع إلى الرادفة المتقدّم ذكرها.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: فإذا الخلائق الذين قد ماتوا، ودفنوا أحياء على وجه الأرض، قال الواحدي[٦]: المراد بالساهرة: وجه الأرض وظاهرها في قول الجميع.

قال الفرّاء[٧]: سُمّيت بهذا الاسم؛ لأن فيها نوم الحيوان، وسهرَهم، وقيل:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣) بسند صحيح.
(٢) قرأ نافع وابن عامر: «إذا كنا» بإسقاط همزة الاستفهام وهي قراءة الكسائي ويعقوب. «النشر» (١/ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص١٣٢ ـ ١٣٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٦١)، و«زاد المسير» (٩/ ١٨).
(٤) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣) بسند صحيح.
(٦) في «الوسيط» (٤/ ٤١٩).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

لأنَّه يُسهَر في فلاتها خوفاً منها، فسمّيت بذلك، ومنه قول أبي كبير الهذلي[(١)]:

يَـرِدُونَ سـاهـرةً كـأنَّ جـمـيـمَـهَـا وعَـمـيـمَـهـا أسـدافُ لـيـلٍ مُـظْـلِـمِ

وقول أمية بن أبي الصلت[(٢)]:

وفـيـهـا لـحـمُ سـاهـرةٍ وبـحـرٌ ومـا فـاهُـوا بـه لـهـمُ مـقـيـمُ

يريد لحم حيوان أرض ساهرة. قال في «الصحاح»[(٣)]: الساهرة: وجهُ الأرض، ومنه قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾. وقال: الساهرة أرض بيضاء، وقيل: أرض من فضّة لم يُعْصَ الله سبحانه فيها، وقيل: الساهرة: الأرض السابعة يأتي بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق.

وقال سفيان الثوري[(٤)]: الساهرة: أرض الشام. وقال قتادة[(٥)]: هي جهنم؛ أي: فإذا هؤلاء الكفار في جهنّم، وإنما قيل لها ساهرة؛ لأنهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم.

وجملة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ مستأنفة مسوقة لتسلية[(٦)] رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه، وأنه يصيبهم مثل ما أصاب مَنْ كان قبلهم ممّن هو أقوى منهم، ومعنى هل أتاك: قد جاءك وبلغك، هذا على تقدير أن قد سمع من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثهما، وعلى تقدير أن هذا أوّل ما نزل عليه في شأنهما، فيكون المعنى على الاستفهام؛ أي: هل أتاك حديثه أنا أخبرك به.

[المناداة والمناجاة]:

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ الظرف متعلّق بحديث لا بأتاك لاختلاف

---

(١) «شرح ديوان الهذليين» (٣/ ١٠٩٠).
الجميم: النبت الذي طال بعضَ الطول ولم يتم. «الصحاح» (٥/ ١٨٩١).
ويقال اعتم النبت: اكتهلَ. «الصحاح» (٥/ ١٩٩٢).
أسداف من سَدِفَ الليل: أظلم. «الصحاح» (٤/ ١٣٧٢).
(٢) وهو في «ديوان أمية بن الصلت» (ص١٢١).
(٣) في «الصحاح» (٢/ ٦٩١).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٤٢)، وفيه أرض الشام.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٨) بسند صحيح.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٣).

وقتيهما، وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية، وقد تقدّم الاختلاف بين القرّاء في طُوى في سورة طه. والواد المقدّس: المبارك المطهر.

قال الفراء[١]: طُوى: واد بين المدينة ومصر. قال: وهو معدول مِنْ طاو كما عُدل عُمر من عامر. قال: والصرف أحبّ إليّ إذ لم أجد في المعدول نظيراً له. وقيل: طوى معناه: يا رجل بالعبرانية، فكأنه قيل يا رجل اذهب، وقيل: المعنى: إن الوادي المقدّس بورك فيه مرتين، والأوّل أولى.

وقد مضى تحقيق القول فيه.

[المواجهة والتكليف]:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ قيل: هو على تقدير القول، وقيل: هو تفسير للنداء؛ أي: ناداه نداءً هو قولهُ: اذهب.

وقيل: هو على حذف «أن» المفسرة، ويؤيده قراءة ابن مسعود[٢] «أن اذهب»؛ لأن في النداء معنى القول، وجملة: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال؛ أي: جاوز الحدّ في العصيان، والتكبر، والكفر بالله.

﴿فَقُلْ﴾ له ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: قُلْ له بعد وصولك إليه هل لك رغبة إلى التزكي وهو التطهّر من الشرك، وأصله: تتزكى فحذفت إحدى التاءين. قرأ الجمهور[٣]: «تَزكى» بالتخفيف.

وقرأ نافع، وابن كثير بتشديد الزاي[٤] على إدغام التاء في الزاي. قال أبو عَمْرو بن العلاء[٥] معنى قراءة التخفيف تكون زكياً مؤمناً ومعنى قراءة التشديد الصدقة، وفي الكلام مبتدأ مقدّر يتعلق به إلى، والتقدير: هل لك رغبة، أو هل لك توجه، أو هَلْ لك سبيل إلى التزكي؟ ومثل هذا قولهم هل لك في الخير [٤/ ٢١١] ؟ يريدون هل لك رغبة في الخير، ومن هذا قول الشاعر:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٦٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٣٩)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣١٥). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) «التيسير» (ص٢١٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٨١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ بتشديد الزاي: يعقوب وأبو جعفر.

(٥) «جامع البيان» (٢٤/ ٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥).

فَـهَـلْ لَـكُـمُ فِـيـهَـا إِلَـيَّ فَـإِنَّـنِـي بصيرٌ بما أعيا النَّطاسَي جَذِيْما[1]

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾؛ أي: أرشدك إلى عبادته، وتوحيده، فتخشى عقابه، والفاء لترتيب الخشية على الهداية؛ لأنَّ الخشية لا تكون إلّا من مهتد راشدٍ.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هذه الفاء هي الفصيحة[2] لإفصاحها عن كلام محذوف؛ يعني: فذهب فقال له ما قال ممّا حكاه الله في غير موضع، وأجاب عليه بما أجاب إلى أنْ قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٠٦] فعند ذلك أراه الآية الكبرى.

واختلف في الآية الكبرى ما هي؟ فقيل: العصا، وقيل: يده، وقيل: فلق البحر، وقيل: هي جميع ما جاء به من الآيات التسع.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾؛ أي: فلما أراه الآية الكبرى كذّب بموسى، وبما جاء به، وعصى الله ﷻ، فلم يطعه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾؛ أي: تولى، وأعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾؛ أي: يعمل بالفساد في الأرض، ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى، وقيل: أدبر هارباً من الحية يسعى خوفاً منها.

وقال الرازي[3]: معنى: ﴿أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ أقبل يسعى، كما يقال أقبل يفعل كذا؛ أي: أنشأ يفعل كذا، فوضع أدبر موضع أقبل؛ لئلا يوصف بالإقبال ﴿فَحَشَرَ﴾ أي: فجمع جنوده للقتال والمحاربة، أو جمع السحرة للمعارضة، أو جمع الناس للحضور؛ ليشاهدوا ما يقع، أو جمعهم ليمنعوه من الحية.

﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: قال لهم بصوت عال، أو أمر من ينادي

---

(١) البيت لأوس بن حجر وهو في «ديوانه» (ص١١١) والذي فيه طبيب بما أعيا.
والنَّطاسيُّ دقيق النظر في الأمور، ويقال للطبيب نطاسيٌّ، لدقَّةِ نظره في الطبِّ.
وجِذْيم: على حذف المضاف؛ أي: ابن جذيم وهو رجل من أطباء العرب.

(٢) «روح المعاني» (٢٨/٢٦٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٤٧١).
وهي نصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها في السور الأخرى فإنَّه عليه الصلاة والسلام ما أراه إياها عقيب هذا الأمر؛ بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦].

(٣) في «تفسيره» (٣١/٤٢).

بهذا القول. ومعنى: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أنه لا ربّ فوقي. قال عطاء[1]: كان صنع لهم أصناماً صغاراً وأمرهم بعبادتها وقال: أنا ربّ أصنامكم، وقيل: أراد بكونه ربهم: أنه قائدهم وسائدهم.

والأوّل أولى لقوله في آية أخرى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ النكال[2] نعت مصدر محذوف؛ أي: أخذه أخذَ نَكالٍ، أو هو مصدر لفعل محذوف؛ أي: أخذه الله، فنكله نكال الآخرة، والأُولى، أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة، والمراد بنكال الآخرة: عذاب النار، ونكال الأولى: عذاب الدنيا بالغرق.

وقال مجاهد[3]: عُذِّاب أوّل عمره وآخره. وقال قتادة[4]: الآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ والأولى تكذيبه لموسى. وقيل: الآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ والأولى قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] وكان بين الكلمتين أربعون سنة، ويجوز أن يكون انتصاب نكال على أنه مفعول له؛ أي: أخذه الله لأجل نكال، ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض؛ أي: بنكال.

ورجّح الزجاج[5] أنه مصدر مؤكد، قال: لأن معنى أخذه الله: نكَّل الله به، فأخرج من معناه لا من لفظه.

وقال الفرّاء[6]: أي: أخذه الله أخذاً نكالاً؛ أي: للنَّكال، والنكال: اسمٌ لما جُعل نكالاً للغير؛ أي: عقوبةً له، يقال: نَكَّل فلان بفلان إذا عاقبه، وأصل الكلمة مِنْ الامتناع، ومنه النُّكول عَنْ اليمين، والنِّكْلُ: القيد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾؛ أي: فيما ذكر من قصة فرعون، وما فعل به عبرةً عظيمة لمن شأنه أَنْ يخشى الله ويتقيه، ويخاف عقوبته، ويحاذر غضبه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٦).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٥)، و«الفريد» (٤/ ٦٢٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٨٧) بسند صحيح.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٢٠).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٠).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٣).

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[١] في قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال: هي الملائكة تنزع روح الكفار ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ قال: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الأظفار والجلد حتى تخرجها ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والأرض ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ هي الملائكة يسبق بعضُها بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ هي الملائكة تُدبِّر أمر العباد من السنة إلى السنة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال: هي أنفس الكفار تُنْزَع، ثم تُنْشَط، ثم تُغْرَق في النار.

وأخرج الحاكم وصححه عنه[٣] ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ قال: الموت.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٤]: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال: الملائكة الذين يلون أنفس الكفار إلى قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ قال: الملائكة.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تمزّق الناس، فتمزقك كلاب النار، قال الله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ أتدري ما هو؟ قلت: يا نبيّ الله ما هو؟ قال: كلاب في النار تَنْشِط اللحمَ والعظمَ».

وأخرج ابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب[٦] أن ابن الكوّاء سأله عن ﴿المدبرات أمرا﴾ قال: هي الملائكة يُدبِّرون ذِكْر الرحمٰن وأمره.

وأخرج ابن أبي الدنيا[٧] في «ذكر الموت» عن ابن عباس قال: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم، فمنهم من

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٣).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٣٨).
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٣) وصححه ووافقه الذهبي.
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٤).
(٥) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥)، وقال الألباني رحمه الله موضوع «ضعيف الترغيب والترهيب» رقم (٢٧).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٥).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٥).

يعرج بالروح، ومنهم من يؤمِّن على الدّعاء، ومنهم من يستغفر للميت حتى يُصلى عليه ويُدلَّى في حفرته.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[1] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ قال: النفخة الأولى ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ قال: النفخة الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال: خائفة ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال: الحياة.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عَنْ أُبيّ بن كعب[2] قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربعُ الليل قام فقال: أيُّها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، والديلمي عَنْ أبي هريرة[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «ترجف الأرض رَجْفاً وتُزَلزل بأهلها وهي: التي يقول الله ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ يقول: مثل السفينة في البحر تَكَفّأ بأهلها مثل القنديل المُعلّق بأرجائه».

وأخرج ابن المنذر[4] عن ابن عباس: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ قال: وجلة متحركة.

وأخرج عبد بن حميد[5] عنه: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال: خَلْقاً جديداً.

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[6] عنه أيضاً أنه سئل عن قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ فقال: الساهرة: وجه الأرض، وفي لفظ قال: الأرض كلها ساهرة، ألا

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥، ٦٨ ـ ٧٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٥/ ١٨٠) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢١٢٤١)، وعبد بن حميد رقم (١٧٠ ـ المنتخب)، والترمذي رقم (٢٤٥٧)، والحاكم (١/ ٤٢١، ٥١٣)، والبيهقي رقم (٥١٧، ١٤٩٩، ١٠٥٧٩). وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣٨٨) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٦).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٧).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٨).

ترى قول الشاعر[١]:

صيدُ بحرٍ وصيدُ ساهرةٍ

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عنه[٢] أيضاً ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: هل لك أن تقول: لا إله إلّا الله.

وأخرج ابن جرير[٣] عنه أيضاً: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ﴾ قال: قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال: قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو[٤] قال: كان بين كلمتيه أربعون سنة.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

[الطامة الكبرى]:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) قال أمية بن أبي الصلت في «ديوانه» (ص٥٢).

وفيها لحمُ ساحرةٍ وبحرٍ ....

هكذا أورده السيوطي في «الدر» (٨/٤٠٨) وأما ما ذكره المصنف، فقد عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء الصفات» رقم (٢٠٥) من طريق عكرمة، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٨٤) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٠).

[التناسق المطلق في كل شيء في السماء: البناء، القوة، التماسك، التسوية]:

قولُه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾؛ أي: أخلقُكم بعد الموت، وبعثكم أشدّ عندكم، وفي تقديركم أم خلق السماء؟ والخطاب لكفار مكة، والمقصود به التوبيخ لهم[١] والتبكيت؛ لأنّ مَنْ قدر على خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم وفيها من عجائب الصنع، وبدائع القدرة ما هو بيّن للناظرين كيف يعجز عن إعادة الأجسام التي أماتها بعد أن خلقها أوّل مرّة؟ ومثل هذا قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١] ثم بيّن سبحانه كيفية خلق السماء فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾؛ أي: جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض، ورفع سمكها؛ أي: أعلاه في الهواء، فقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ بيان للبناء، يقال سمكتُ الشيء؛ أي: رفعته في الهواء، وسمَك الشيءُ سُموكاً: ارتفع.

قال الفرّاء[٢]: كل شيء حمل شيئاً مِنْ البناء أو غيره فهو سمك، وبناء مَسْموك، وسنام سامِك؛ أي: عالٍ، والسموكات: السمٰوات: ومنه قول الفرزدق[٣]:

إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنَى لنا ... بيتاً دعائِمُهُ أعزُّ وأطولُ

قال البغوي[٤]: رفع سمكها؛ أي: سقفها.

قال الكسائي[٥]، والفراء[٦]، والزجاج[٧]: تمّ الكلام عند قوله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ لأنه من صلة السماء، والتقدير: أم السماء التي بناها، فحذف التي، [٤/٢١٢] ومثل هذا الحذف جائز.

ومعنى: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فجعلها مستوية الخَلْق معدّلة الشكل لا تفاوت فيها، ولا اعوجاج، ولا فطور، ولا شقوق.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٧٣).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٣).
(٣) «ديوان الفرزدق» (١/ ٢٧٠).
(٤) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٢٩).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٤٢).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٣).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ الغطش[١]: الظلمةُ؛ أي: جعله مظلماً، يقال: غطش الليل وأغطشه اللهُ، كما يقال: أظلم الليل وأظلمه اللهُ، ورجل أغطش، وامرأة غطْشى لا يهتديان.

قال الراغب[٢]: وأصله من الأغْطش، وهو الذي في عينه عَمَش، ومنه فلاة غَطْشى لا يُهتدى فيها، والتغاطش التّعامي. قال الأعشى:

وبَهْماءَ بالليلِ غَطْشَى الفلا ةِ يؤنسُني صوتُ قيادها[٣]

وقوله:

وغامَرَهُم مدْلَهِمٌّ غَطِشْ[٤]

يعني: غمرهم سواد الليل، وأضاف الليل إلى السماء؛ لأنّ الليل يكون بغروب الشمس، والشمس مضافة إلى السماء.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؛ أي: أبرز نهارَها المضيء بإضاءة الشمس، وعبّر عن النهار بالضحى؛ لأنّه أشرف أوقاته وأطيبها، وأضافه إلى السماء؛ لأنّه يظهر بظهور الشمس.

وهي: منسوبة إلى السماء.

[توفير أسباب الحياة في هذا الكوكب على حجم ملائم]:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾؛ أي: بعد خلق السماء، ومعنى دحاها: بسطها، وهذا يدلّ على أنّ خلق الأرض بعد خلق السماء، ولا معارضة بين هذه الآية، وبين ما تقدّم في سورة فصلت من قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ١١] بل الجمع بأنه سبحانه خلق الأرض أوّلاً غير مدحوّة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض، وقد قدّمنا الكلام على هذا مستوفى هنالك، وقدّمنا أيضاً بحثاً في هذا في أوّل سورة البقرة عند قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وذكر بعض أهل العلم

---

(١) «الصحاح» (٣/ ١٠١٣)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٢٢٨).

(٢) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٠٨ ـ ٦٠٩).

(٣) البيت في «ديوان الأعشى» (ص١٢٣).

(٤) وصدر البيت:

عَقَرْتُ لهم مَوْهِنا ناقتي

وهو في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (١/ ١٢١).

أن بعد بمعنى مع، كما في قوله: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣].

وقيل: بعد بمعنى قبل، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ أي: من قبل الذكر، والجمع الذي ذكرناه أولى، وهو قول ابن عباس(١) وغير واحد، واختاره ابن جرير(٢). يقال: دحوتُ الشيء أدحوه: إذا بسطتُهُ، ويقال لعشّ النعامة أدْحى؛ لأنّه مبسوط على الأرض، وأنشد المبرد(٣):

دَحَاهَا فلمَّا رآها استوتْ ... على الماءِ أرسَى عليها الجبالَا(٤)

وقال أمية بن أبي الصلت:

وبثَّ الخَلْقَ فيها إذْ دحَاها ... فهمْ قُطَّانُها حتَّى التَّنادي(٥)

وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمتُ وجهي لِمَنْ أسلمتْ ... له الأرضُ تحملُ صخراً ثِقالاً(٦)

دَحَاها فلما استوتْ شدَّها ... بأيدٍ وأرْسَى عليها الجبالاً(٧)

قرأ الجمهور(٨) بنصب (الأرضَ) على الاشتغال، وقرأ الحسن، وعمرو بن ميمون، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة، وأبو السمّال، وعمرو بن عبيد، ونصر بن عاصم بالرفع(٩) على الابتداء.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾؛ أي: فجّر من الأرض الأنهارَ والبحار والعيون، وأخرج منها مرعاها؛ أي: النبات الذي يُرعى، ومرعاها مصدر ميميّ(١٠)؛ أي: رعيها، وهو في الأصل موضع الرعي، والجملة إما بيان وتفسير لدحاها؛ لأن السكنى لا تتأتى بمجرَّد البسط بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٩٢) بسند صحيح.

(٢) في «جامع البيان» (٢٤/ ٩٤ ـ ٩٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩).

(٤) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل. «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٣١).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٩).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٩).

(٧) «النكت والعيون» (٦/ ١٩٩).

(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٧٥).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٠). والقراءة بالرفع شاذة.

(١٠) «الفريد» (٤/ ٦٢٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٥٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٠).

وإما في محل نصب[١] على الحال.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾؛ أي: أثبتها في الأرض، وجعلها كالأوتاد للأرض لتثبت وتستقرّ، وأنْ لا تميد بأهلها. قرأ الجمهور[٢] بنصب الجبال على الاشتغال. وقرأ الحسن، وعمرو بن ميمون، وأبو حيوة، وأبو السمّال، وعمرو بن عبيد، ونصر بن عاصم بالرفع[٣] على الابتداء.

قيل: ولعل وجه تقديم ذكر إخراج الماء، والمرعى على إرساء الجبال مع تقدم الإرساء عليه للاهتمام بأمر المأكل والمشرب.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾؛ أي: منفعةً لكم ولأنعامكم من البقر، والإبل، والغنم، وانتصاب[٤] (متاعاً) على المصدرية؛ أي: متّعكم بذلك متاعاً أو هو مصدر من غير لفظه؛ لأن قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ بمعنى متّع بذلك، أو على أنه مفعول له؛ أي: فعل ذلك لأجل التمتيع، وإنما قال: ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ لأن فائدة ما ذكر من الدحوّ، وإخراج الماء، والمرعى كائنة لهم ولأنعامهم، والمرعى: يعمّ ما يأكله الناس والدواب.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؛ أي: الداهية العظمى التي تطمّ على سائر الطامات.

قال الحسن[٥]، وغيره: وهي النفخة الثانية. وقال الضّحاك[٦]، وغيرُه: هي القيامة سميت بذلك، لأنها تطمّ على كل شيء لعظم هولها. قال المبرد[٧]: الطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع، وإنما أُخذت فيما أحسب من قولهم: طمّ الفرس طميماً[٨]: إذا استفرغ جُهده في الجري، وطمّ الماء: إذا ملأ النهر كله.

وقال غيره: هو من طمّ السيل الرَّكيّة[٩]؛ أي: دفنها، والطمّ: الدفن. قال

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٧٥)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٤٩).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٥٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٨). والقراءة بالرفع شاذة.
(٤) «التبيان» (٢/ ١٢٧٠)، و«الفريد» (٤/ ٦٢٢).
(٥) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٥).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٠).
(٧) «تفسير الرازي» (٣١/ ٤٩).
(٨) «الصحاح» (٥/ ١٩٧٦)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٠٦).
(٩) «الصحاح» (٥/ ١٩٧٦).

مجاهد(١)، وغيرُه: الطامةُ الكبرى هي التي تُسلم أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها، وجواب إذا قيل: هو قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ وقيل: محذوف؛ أي: فإن الأمر كذلك، أو عاينوا أو علموا، أو أُدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة.

وقال أبو البقاء(٢): العامل فيها جوابها وهو معنى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [الفجر: ٢٣] فإنه منصوب بفعل مضمر؛ أي: أعني يوم يتذكر، أو يوم يتذكر يكون كيتَ، وكيتَ.

وقيل: إن الظرف(٣) بدل من إذا، وقيل: هو بدل من الطامة الكبرى؛ ومعنى تذكر الإنسان ما سعى: أنّه يتذكر ما عمله من خيرّ، أو شرّ؛ لأنه يشاهده مدوّناً في صحائف عمله، و«ما» مصدرية، أو موصولة.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ معطوف على جاءت، ومعنى برّزت: أُظهرت إظهاراً لا يخفى على أحد.

قال مقاتل(٤): يكشف عنها الغطاء، فينظر إليها الخلق، وقيل: ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ من الكفار، لا من المؤمنين؛ والظاهر أن تُبرز لكلّ راء، فأما المؤمن، فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غماً إلى غمه، وحسرة إلى حسرته.

قرأ الجمهور(٥): «لمن يرى» بالتحتية، وقرأت عائشةُ، ومالك بن دينار، وعكرمة، وزيد بن عليّ بالفوقية(٦)؛ أي: لمن تراه الجحيمُ، أو لمن تراه أنت يا محمد. وقرأ ابن مسعود(٧): «لمن رأى» على صيغة الفعل الماضي.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ أي: جاوز الحدَّ في الكفر والمعاصي ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٩٧) بسند صحيح.
(٢) انظر: «روح المعاني» (٢٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، و«الفريد» (٤/ ٦٢٢).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٧٠)، و«الفريد» (٤/ ٦٢٢).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٢١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٣٠).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠١)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٧٦). المتواتر هي قراءة الجمهور وما عداها فشاذ.
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٠١).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٧٦)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣١٨).

أي: قدّمها عَنْ الآخرة، ولم يستعدّ لها، ولا عمل عملها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: مأواه، والألف واللّام عوض عن المضاف إليه، والمعنى: أنها منزله الذي ينزله، ومأواه الذي يأوي إليه لا غيرها.

ثم ذكر القسم الثاني من القسمين فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: حذر مقامه بين يدي ربه يوم القيامة. قال الربيع(١): مقامه يوم الحساب. قال قتادة(٢): يقول إن لله ﷻ مقاماً قد خافه المؤمنون. وقال مجاهد(٣): هو خوفه في الدنيا من الله ﷻ عند مواقعة الذنب فيقلع عنه، نظيره قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] والأوّل أولى.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ أي: زجرها عن الميل إلى المعاصي والمحارم التي تشتهيها. قال مقاتل(٤): هو الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ أي: المنزل الذي ينزله، والمكان الذي يأوي إليه لا غيرها.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ أي: متى وقوعُها وقيامها.

قال الفراء(٥): أي: منتهى قيامها كرسوّ السفينة. قال أبو عبيدة(٦): ومرسى السفينة حين تنتهي.

والمعنى: يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله، وقد مضى بيان هذا في سورة الأعراف.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؛ أي: في أيّ شيء أنتَ يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها؟ والمعنى: لستَ في شيءٍ من علمها وذكراها إنما يعلمها الله سبحانه، وهو إنكار وردّ لسؤال المشركين عنها؛ أي: فيم أنت من ذلك حتى يسألونك عنه ولست

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٠).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٣٧) بسند صحيح.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٢١).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٤).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٥).

تعلمه؟ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾؛ أي: منتهى علمها، فلا يوجد علمها عند غيره، وهذا كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] فكيف يسألونك عنها، ويطلبون منك بيان وقت قيامها؟

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾؛ أي: مخوّف لمن يخشى قيام الساعة، وذلك وظيفتك ليس عليك غيره من الإخبار بوقت قيام الساعة، ونحوه مما استأثر الله بعلمه، وخصّ الإنذار بمن يخشى؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار، وإن كان منذراً لكلّ مكلف من مسلم وكافر.

قرأ الجمهور(١) بإضافة «منذرُ» إلى ما بعده. وقرأ عمر بن عبد العزيز، وأبو جعفر، وطلحة، وابن محيصن، وشيبة، والأعرج، وحميد بالتنوين(٢)، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو.

قال الفراء(٣): والتنوين، وتركه في منذر صواب كقوله: ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] و﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

قال أبو عليّ الفارسي(٤): يجوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو ضارب زيد أمس.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾؛ أي: إلّا قدر آخر نهار أو أوّله، أو قدر الضحى الذي يلي تلك العشية، والمراد: تقليل مدّة الدنيا، كما قال: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقيل: لم يلبثوا في قبورهم إلّا عشية أو ضحاها.

قال الفراء(٥)، والزجاج(٦): المراد بإضافة الضحى إلى العشية إضافته إلى يوم العشية على عادة العرب، يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها، فتكون العشية في معنى آخر النهار، والغداة في معنى أوّل النهار. ومنه قول الشاعر: [٤/٢١٣]

---

(١) «النشر» (٢/٣٩٨)، و«المحرر الوجيز» (١٦/٢٢٦)، و«البحر المحيط» (١٠/٤٠٢).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦٨)، و«حاشية الشهاب» (٨/٣١٩). القراءة بالتنوين قراءة متواترة، قرأ بها أبو جعفر، وقرأ باقي العشرة بالإضافة، والرواية عَنْ أبي عمرو شاذة والمتواتر عنه بالإضافة.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٤).

(٤) «الحجة» له (٦/ ٣٧٥).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٤).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٢).

نحنُ صَبَّحْنا عامراً في دارِها جُرداً تَعَادَى طرفي نهارِها
عشيةَ الهلالِ أو سِرارَها[(١)]

والجملة تقرير لما يدل عليه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ قال: بناها ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: أظلم ليلها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٣)] عنه ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ قال: وأظلم ليلها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قال: أخرج نهارها.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٤)] عنه أيضاً ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ قال: مع ذلك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم[(٥)] عنه أيضاً أن رجلاً قال له: آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى، فقال: إنما أُتيت من قِبل رأيك، قال: اقرأ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ حتى بلغ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١] وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ قال: خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء، ثم خلق السماء، ثم دحى الأرض بعد ما خلق السماء، وإنما قوله: ﴿دَحَاهَا﴾ بسطها.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] عنه أيضاً قال: ﴿دَحَاهَا﴾ أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال، والرمال، والسبُل، والآكام وما بينهما في يومين.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أيضاً[(٧)] قال: الطامة من أسماء يوم القيامة.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٦٨).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٢٩٤)، و«الإتقان» (٢/ ٥٣).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١١).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٢).
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٢).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٤٣) بسند صحيح.
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٢).

وأخرج ابن مردويه[١] عن عليّ بن أبي طالب: «كان النبيّ ﷺ يسأل عن الساعة فنزلت: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾».

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عائشة[٢] قالت: «ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ فانتهى، فلم يسأل عنها».

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه عن طارق بن شهاب[٣] قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ فكفّ عنها.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٤]. قال السيوطي[٥] بسند ضعيف: إن مشركي مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى الساعة استهزاءً منهم؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؛ يعني: مجيئها ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾؛ يعني: ما أنت من علمها يا محمد ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ يعني: منتهى علمها.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن عائشة قالت: «كانت الأعراب إذا قدموا على النبي ﷺ سألوه عَنْ الساعة، فينظر إلى أحدث إنسان منهم، فيقول: إن يعش هذا قامت عليكم ساعتكم».

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٣).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٧٩ ـ كشف)، وابن جرير (٢٤/ ٩٩)، والحاكم (٢/ ٥١٣)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٥١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٤٥)، وابن جرير (٢٤/ ١٠٠)، والطبراني رقم (٨٢١٠)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥١). وهو حديث حسن.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٤).

(٥) في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

سُورَةُ عَبَسَ

وتسمى سورة السفرة، وهي إحدى وأربعون أو اثنان وأربعون آية وهي مكية[(١)] في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة عبس بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

[أهوال القيامة: عرض الصآخة يوم تجيء بهولها]:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٦٩)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧/ ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي (٧/ ١٤٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٥).

[حادث عظيم جدّاً]:

قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: كَلَح بوجهه وأعرض. وقُرِىء عبّس[١] بالتشديد.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ مفعول لأجله: أي؛ لأن جاءه الأعمى، والعامل فيه إما عبس، أو تولّى على الاختلاف بين البصريين، والكوفيين في التنازع هل المختار إعمال الأوّل أو الثاني؟.

وقد أجمع[٢] المفسرون على أنّ سبب نزول الآية: أن قوماً من أشراف قريش كانوا عند النبيّ ﷺ، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أمّ مكتوم، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أمّ مكتوم كلامه، فأعرض عنه، فنزلت، وسيأتي في آخر البحث بيان هذا إن شاء الله.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ التفت سبحانه إلى خطاب نبيه ﷺ؛ لأن المشافهة أدخل في العتاب؛ أي: أيّ شيء يجعلك دارياً بحاله حتى تعرض عنه؟ وجملة: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ مستأنفة لبيان أن له شأناً ينافي الإعراض عنه؛ أي: لعله يتطهّر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك، فالضمير في لعله راجع إلى الأعمى.

وقيل: هو راجع إلى الكافر؛ أي: وما يدريك أن ما طمعت فيه ممن اشتغلت بالكلام معه عن الأعمى أنّه يزكى، أو يذكر، والأوّل أولى.

[الإعراض عن مرجو التزكية لا يجوز]:

وكلمة الترجي باعتبار مَنْ وجه إليه الخطاب للتنبيه على أَنَّ الإعراض عنه مع كونه مرجوّ التزكي مما لا يجوز.

قرأ الجمهور[٣]: «أن جاءه الأعمى» على الخبر بدون استفهام، ووجهه ما تقدّم.

وقرأ الحسن: «آن جاءه» بالمدّ[٤] على الاستفهام، فهو على هذه القراءة متعلق بفعل محذوف دلّ عليه عبس وتولى، والتقدير: آن جاءه الأعمى تولى وأعرض،

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٦، ٤٨)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«البذور الزاهرة» (ص٣٣٦). والقراءة بالتشديد شاذة.

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٩٣)، و«الوسيط» (٤/ ٤٢٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٤٧٩).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠٦)، مشكل إعراب القرآن (٢/ ٤٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٧٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المتواترة بالإخبار أما القراءة بالاستفهام فهي شاذة.

ومثل هذه الآية قوله في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] وكذلك قوله في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ عطف على يزّكّى داخل معه في حكم الترجي؛ أي: أو يتذكر، فيتعظ بما تعلّمه من المواعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾؛ أي: الموعظة. قرأ الجمهور[(١)]: «فتنفعه» بالرفع، وقرأ عاصم وابن أبي إسحاق، وعيسى، والسلمي، وزرّ بن حبيش بالنصب[(٢)] على جواب الترجي.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾؛ أي: كان ذا ثروة وغنى، أو استغنى عن الإيمان، وعما عندك من العلم ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾؛ أي: تصغي لكلامه، والتصدّي: الإصغاء.

قرأ الجمهور[(٣)]: «تصدّى» بالتخفيف على طرح إحدى التاءين تخفيفاً، وقرأ نافع، وابن محيصن بالتشديد[(٤)] على الإدغام، وفي هذا مزيد تنفير له ﷺ عن الإقبال عليهم، والإصغاء إلى كلامهم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾؛ أي: أيّ شيء عليك في أنْ لا يُسلم، ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلّا البلاغ، فلا تهتم بأمر مَنْ كان هكذا من الكفار، ويجوز أن تكون ما نافية؛ أي: ليس عليك بأس في أن لا يتزكى من تصدّيت له، وأقبلت عليه، وتكون الجملة في محل نصب[(٥)] على الحال من ضمير تصدّى.

ثم زاد سبحانه في معاتبة رسوله ﷺ فقال: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾؛ أي: وصل إليك حال كونه مسرعاً في المجيء إليك، طالباً منك أن ترشده إلى الخير، وتعظه بمواعظ الله.

وجملة ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ حال من فاعل يسعى على التداخل، أو من فاعل جاءك على الترادف.

---

(١) «التيسير» (ص٢٠)، و«النشر» (٢/٣٩٨)، و«جامع البيان» (٢٤/١٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٦٢).

(٢) «السبعة» (ص٦٧٢)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٧٣).

(٣) «النشر» (٢/٣٩٨)، و«التيسر» (ص٢٢٠)، و«التبيان» (٢/١٢٧١)، و«زاد المسير» (٩/٢٧).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ كذلك بالتشديد ابن كثير وأبو جعفر.

(٥) «التبيان» (٢/١٢٧١)، و«الفريد» (٤/٦٢٦).

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾؛ أي: تتشاغل عنه، وتُعرض عن الإقبال عليه، والتلهي التشاغلُ، والتغافلُ، يقال: لهيتُ عن الأمر ألهي؛ أي: تشاغلت عنه، وكذا تلهيت.

وقوله: ﴿كَلَّآ﴾ رَدْع له ﷺ عما عُوتب عليه(١)؛ أي: لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الإعراض عن الفقير، والتصدّي للغني، والتشاغل به، مع كونه ليس ممن يتزكى عن إرشاد مَنْ جاءك من أهل التزكي، والقبول للموعظة، وهذا الواقع من النبيّ ﷺ هو: مِنْ باب ترك الأولى، فأرشده الله سبحانه إلى ما هو الأولى به.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: أن هذه الآيات، أو السورة موعظة حقها أَنْ تتعظ بها، وتقبلها وتعمل بموجبها، ويعمل بها كل أمتك.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ أي: فمن رغب فيها اتعظ بها، وحفظها، وعمل بموجبها، ومن رغب عنها، كما فعله من استغنى، فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره. قيل: الضميران في إنّها، وفي ذكره للقرآن، وتأنيث الأوّل لتأنيث خبره. وقيل(٢): الأوّل: للسورة، أو للآيات السابقة. والثاني: للتذكرة؛ لأنها في معنى الذكر، وقيل إن معنى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فمن شاء الله ألهمه، وفهمّه القرآن حتى يذكره، ويتعظ به، والأوّل أولى.

ثم أخبر سبحانه عن عظم هذه التذكرة، وجلالتها فقال: ﴿فِى صُحُفٍ﴾؛ أي: إنها تذكرة كائنة في صحف، فالجار، والمجرور صفة لتذكرة، وما بينهما اعتراض، والصحف جمع صحيفة، ومعنى ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾: أنها مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ، وقيل: المراد بالصحف: كتب الأنبياء، كما في قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] ومعنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ أنّها رفيعة القدر عند الله، وقيل: مرفوعة في السماء السابعة. قال الواحدي(٣): قال المفسرون: مُكرّمة يعني: اللوح المحفوظ ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ يعني: في السماء السابعة.

قال ابن جرير(٤): مرفوعة القدر، والذكر، وقيل: مرفوعة عن الشُّبَه، والتناقض ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾؛ أي: منزّهة لا يمسها إلّا المطهرون.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٧٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٩٣).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٢٩٧).

(٣) في «الوسيط» (٤/ ٤٢٣).

(٤) في «جامع البيان» (٢٤/ ١٠٨).

قال الحسن[١]: مطهرة من كل دنس.

قال السديّ[٢]: مصانة عن الكفار لا ينالونها.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [٤/٢١٤] السفرة جمع سافر ككتبة، وكاتب، والمعنى: أنها بأيدي كتبة مِنْ الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ.

قال الفراء[٣]: السفرة هنا: الملائكةُ الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسوله، من السفارة وهو: السعي بين القوم، وأنشد:

فما أَدَعُ السفارةَ بينَ قومي ... ولا أمشي بغيرِ أبٍ نسيب[٤]

قال الزجاج[٥]: وإنما قيل: للكتاب سِفْر بكسر السين، والكاتب سَافر؛ لأن معناه: أنه بيِّن، يقال أسفر الصبح: إذا أضاء، وأسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها، ومنه سفرتُ بين القوم أسفر سفارةً؛ أي: أصلحت بينهم. قال مجاهد[٦]: هم: الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد.

وقال قتادة[٧]: السفرة هنا: هم القراء؛ لأنهم يقرءون الأسفار. وقال وهب بن منبه[٨]: هم أصحاب النبيّ ﷺ.

ثم أثنى سبحانه على السفرة فقال: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ﴾؛ أي: كرام على ربهم كذا قال الكلبي[٩]. وقال الحسن[٩]: كرام عن المعاصي، فهم يرفعون أنفسهم عنها. وقيل: يتكرمون[١٠] أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجته، أو قضى حاجته. وقيل: يؤثرون منافع غيرهم على منافعهم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٧٥).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٦).
(٤) البيت لموسى بن جابر الحنفي اليمامي، وهو شاعر نصراني جاهلي يلقب: أُزَيْرِق اليمامة، يعرف بابن ليلى.
«معجم الشعراء» (ص٢٨٥).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٤). (٦) «أحكام القرآن» (٤/ ١٨٩٤).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٠٨ ـ ١٠٩) بسند صحيح.
(٨) «أحكام القرآن» (٤/ ١٨٩٤).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٧٧).
(١٠) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٥٨).

وقيل: يتكرّمون على المؤمنين بالاستغفار لهم. والبررة: جمع بارّ مثل: كفرة، وكافر؛ أي: أتقياء مُطيعون لربِّهم صادقون في إيمانهم، وقد تقدّم تفسيره.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؛ أي: لُعن الإنسان الكافر ما أشدّ كفره، وقيل: عُذِّب، قيل: والمراد به: عُتبة بن أبي لهب، ومعنى: ما أكفره: التعجب مِنْ إفراط كفره.

قال الزجاج[1]: معناه: اعجبوا أنتم من كفره، وقيل: المراد بالإنسان من تقدم ذكره في قوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ وقيل: المراد به الجنس، وهذا هو الأولى، فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر، ويدخل تحته مَنْ كان سبباً لنزول الآية دخولاً أوّلياً.

[يذكره بمصدر وجوده، وأصل نشأته وتيسير حياته]:

ثم ذكر سبحانه ما كان ينبغي لهذا الكافر أن ينظر فيه حتى ينزجر عن كفره، ويكفّ عن طغيانه فقال: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؛ أي: من أيّ شيء خلق الله هذا الكافر؟ والاستفهام[2] للتقرير.

ثم فسر ذلك فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ أيّ: من ماء مهين، وهذا تحقير له. قال الحسن[3]: كيف يتكبر مَنْ خرج من مخرج البول مرّتين؟

ومعنى ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: فسوّاه، وهيأه لمصالح نفسه، وخلق له اليدين، والرجلين، والعينين، وسائر الآلات، والحواسّ، وقيل: قدّره أطواراً من حال إلى حال، نطفة، ثم علقة إلى أن تمّ خلقه.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾؛ أي: يسرّ له الطريق إلى الخير والشرّ.

وقال السُّديّ[4]، ومقاتل[5]، وعطاء[6]، وقتادة[7]: يسره للخروج من بطن

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٤).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٠٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٨٢).

(٣) «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٣٥٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١١) بسند ضعيف.

(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٢٤).

(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٣٧).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١٢)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٤٨) بسند صحيح.

أمه، والأوّل أولى. ومثله قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] وانتصاب[١] ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بمضمر يدل عليه الفعل المذكور؛ أي: يسر السبيلَ يسره.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾؛ أي: جعله بعد أن أماته ذا قبرٍ يُوارى فيه إكراماً له، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع، والطير، كذا قال الفرّاء[٢].

وقال أبو عبيدة[٣]: جعل له قبراً وأمر أن يقبر فيه. وقال[٤] «أقبره»، ولم يقل «قبره»؛ لأن القابر هو الدافن بيده، ومنه قول الأعشى:

لو أسندتْ ميْتاً إلى صَدْرِها عاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قابِرِ[٥]

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ أي: ثم إذا شاء إنشاره أنشره؛ أي: أحياه بعد موته، وعلّق[٦] الإنشار بالمشيئة للدلالة على أنّ وقته غير متعين، بل هو: تابع للمشيئة.

قرأ الجمهور[٧]: «أنشره» بالألف، وروى أبو حيوة عن نافع، وشعيب بن أبي حمزة نشره[٨] بغير ألف، وهما: لغتان فصيحتان.

[ردع وزجر للإنسان الكافر]:

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ كلا ردْع، وزجْر للإنسان الكافر؛ أي: ليس الأمر كما يقول.

ومعنى: لمّا يقض ما أمره، لمْ يقض ما أمره الله به مِنْ العمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وقيل: المراد الإنسان على العموم، وأنه لم يفعل ما أمره الله به مع طول المدّة؛ لأنه لا يخلو من تقصير. قال الحسن[٩]: أي: حقاً لم يعمل ما أمر به. وقال ابن فورك[١٠]: أي: كلا لمّا يقض لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان، بل أمره بما لم يقض له.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٦٢٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٢).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٧).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٦).
(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٠٤).
(٥) البيت للأعشى وهو في ديوانه (ص١٨٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٠٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٨٣).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٠).
(٨) «المحتسب» (٢/ ٣٥٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٨١).
القراءة المتواترة قراءة الجمهور بالألف أما بغير ألف فشاذة وهي رواية شاذة عن نافع.
(٩) «زاد المسير» (٩/ ٣٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٣٨).
(١٠) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٦١).

قال ابن الأنباري[(١)]: الوقف على كلا قبيح، والوقف على أمره جيد، و«كلا» على هذا بمعنى حقّاً. وقيل المعنى: لما يقض جميع أفراد الإنسان ما أمره، بل أخلّ به: بعضها بالكفر، وبعضها بالعصيان، وما قضى ما أمره الله إلّا القليل.

ثم شرع سبحانه في تعداد نعمه على عباده؛ ليشكروها، وينزجروا عن كفرانها بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثه فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾؛ أي: ينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟ وكيف هيّأ له أسباب المعاش؛ يستعدّ بها للسعادة الأخروية؟ قال مجاهد[(٢)]: معناه، فلينظر الإنسان إلى طعامه؛ أي: إلى مدخله، ومخرجه، والأوّل أولى.

ثم بيّن ذلك سبحانه فقال: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قرأ الجمهور[(٣)]: «إنّا» بالكسر على الاستئناف. وقرأ الكوفيون، ورُويس عَنْ يعقوب بالفتح[(٤)] على أنَّه بدل من طعامه بدل اشتمال لكون نزول المطر سبباً لحصول الطعام، فهو كالمشتمل عليه، أو بتقدير لام العلة.

قال الزّجاج[(٥)]: الكسر على الابتداء والاستئناف، والفتح على معنى البدل من الطعام. المعنى: فلينظر الإنسان إلى أنّا صببنا الماء صبّاً، وأراد بصبّ الماء: المطر. وقرأ الحسن بن عليّ بالفتح[(٦)]، والإمالة.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾؛ أي: شققناها بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر شقّاً بديعاً لائقاً بما يخرج منه في الصغر، والكبر، والشكل، والهيئة.

ثم بيّن سبب هذا الشقّ، وما وقع لأجله، فقال: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾؛ يعني: الحبوب الذي يتغذى بها، والمعنى: أن النبات لا يزال ينمو، ويتزايد إلى أن يصير حبّاً، وقوله: ﴿وَعِنَبًا﴾ معطوف على حبّاً؛ أي: وأنبتنا فيها عنباً، قيل: وليس من

---

(١) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٦٦). (٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٣٨).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٢).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. رويس عن يعقوب يقرأ بالفتح حال الوصل، ويقرأ بالكسر حال الابتداء.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٨٦).
(٦) «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤١٠)، و«الدر المصون» (٥/ ٣٨٥). القراءة بالفتح والإمالة شاذة.

لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه، فلا ضير في خلوّ إنبات العنب عن شقّ الأرض، والقضب: هو القتُّ الرطب الذي يُقضب مرّة بعد أخرى تُعلف به الدواب، ولهذا سمّي قضباً على مصدر قضبه؛ أي: قطعه كأنها لتكرّر قطعها نفس القطع. قال الخليل[١]: القضب: الفصفصة الرطبة، فإذا يبست فهي: القتّ.

قال في «الصحاح»[٢]: والقضبة، والقضب الرطبة، قال: والموضع الذي ينبت فيه مقضبة. قال القتيبي[٣]، وثعلب[٤]: وأهل مكة يسمّون العنب: القضب. والزيتون هو ما يُعصر مِنْه الزيت، وهو شجرة الزيتون المعروفة، والنخل هو جمع نخلة ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ جمع حديقة، وهي البستان، والغلب العظام الغلاظ الرقاب.

وقال مجاهد[٥]، ومقاتل[٦]: الغُلْب: الملتفّ بعضها ببعض، يقال: رجل أغلب: إذا كان عظيم الرقبة، ويقال للأسد أغلب؛ لأنه مُصمَت العنق لا يلتفتُ إلّا جميعاً. قال العجاج[٧]:

ما زلتُ يومَ الْبَيْنِ أَلْوي صُلْبي ... والرأسَ حتى صِرْتُ مِثْلَ الأَغْلَبِ

وجمع أغلب، وغَلباء غُلْب، كما جُمع أحمر، وحمراء على حُمْر. وقال قتادة[٨]، وابن زيد[٩]: الغلب: النخلُ الكرام. وعن ابن زيد[١٠] أيضاً، وعكرمة: هي غِلاظ الأوساط، والجذوع. والفاكهة ما يأكله الإنسان من ثمار الأشجار كالعنب، والتين، والخوخ، ونحوها.

---

(١) في كتاب العين (ص٧٩٦). القراءة بالفتح والاصالة شاذة.
(٢) في «الصحاح» (١/ ٢٠٣).
(٣) «تفسير غريب القرآن» (ص٥١٤). (٤) «مجالس ثعلب» (ص٢٢٩).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١٧) بسند صحيح.
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٣٨).
(٧) لم نقف عليه في ديوان العجاج. وذكره ابن دريد في «الجمهرة» (١/ ٢٩٨) عن الأعلب العجلي.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٤٨) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١١٨) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١٨) بسند صحيح.

والأبّ: كلٌّ ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس، ولا يزرعونه من الكلأ، وسائر أنواع المرعى، ومنه قول الشاعر:

جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ولنا الأَبُّ بها والمكْرعُ(١)

قال الضحاك(٢): الأبُّ كلُّ شيء ينبت على وجه الأرض. وقال ابن أبي طلحة(٣): هو الثمار الرطبة. وروي عن الضحاك(٤) أيضاً أنه قال: هو التين خاصة، والأوّل أولى.

[الصآخة تجيئ بهولها، وتتجلى آثارها في القلب البشري الذي يذهل عما عداها]:

ثم شرع سبحانه في بيان أحوال المعاد فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾؛ يعني: صيحة يوم القيامة، وسُميت صاخة لشدّة صوتها؛ لأنها تصخّ الأذان: أي تصمّها، فلا تسمع، وقيل: سُميت صاخة؛ لأنها يصيخ لها الأسماع، من قولك أصاخ إلى كذا: أي: استمع إليه، والأوّل أصح.

قال الخليل(٥): الصّاخة صيحة تصخ الآذان حتى تصمها بشدّة وقعها، وأصل الكلمة في اللغة(٦) مأخوذة من الصكّ الشديد، يقال: صخّه بالحجر: إذا صكه بها، وجواب إذا محذوف يدل عليه قوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه، والظرف(٧) في قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ إما بدل من ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ أو منصوب بمقدّر؛ أي: أعني، ويكون تفسيراً للصاخة، أو بدلاً منها مبنيّ على الفتح، وخصّ هؤلاء بالذكر؛ لأنهم أخصّ القرابة، وأولاهم بالحنوّ، والرأفة، فالفرار منهم لا يكون إلّا لهول عظيم، وخطب فظيع [٤/٢١٥].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/١١٨ ـ ١١٩) بسند ضعيف.
(٢) «جمهرة اللغة» (١/١٣)، و«تهذيب اللغة» (١٥/٥٩٩).
المكرع: الذي تكرع فيه الماشية، مثل ماء السماء، يقال: كرع في الماء: إذا غابت فيه أكارعه.
(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/٤٢٢).
وأخرجه ابن جرير (٢٤/١٢٣) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس. بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٦/٢٠٨).
(٥) في «كتاب العين» (ص٥١٠).
(٦) «تهذيب اللغة» (٦/٥٥٢)، و«الصحاح» (١/٤٣٥ ـ ٤٣٦).
(٧) «التبيان» (٢/١٢٧٢)، و«الفريد» (٤/٦٢٩)، و«روح المعاني» (٢٨/٣١٥).

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾؛ أي: لكلِّ إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء، ويصرفه عنهم.

وقيل: إنما يفرّ عنهم حذراً مِنْ مطالبتهم إياه بما بينهم، وقيل: يفرّ عنهم؛ لئلّا يروا ما هو فيه مِنْ الشدّة، وقيل: لعلمه أنَّهم لا ينفعونه، ولا يغنون عنه شيئاً، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١] والجملةُ مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار. قال ابن قتيبة[١]: يغنيه؛ أي: يَصْرفه عن قرابته، ومنه يقال: اغن عنّي وجهَك؛ أي: اصرفه. قرأ الجمهور[٢]: «يغنيه» بالغين المعجمة.

وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء[٣]؛ أي: يهمه، من عناه الأمر إذا أهمه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ وجوه مبتدأ، وإنْ كان نكرة؛ لأنه في مقام التفصيل، وهو من مسوّغات[٤] الابتداء بالنكرة، ويومئذ متعلق به، ومسفرة خبره، ومعنى مسفرة: مُشْرقة مضيئة، وهي: وجوه المؤمنين؛ لأنهم قد علموا إذ ذاك ما لهم من النعيم، والكرامة، يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء. قال الضحاك[٥]: مسفرة من آثار الوضوء، وقيل: من قيام الليل.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾؛ أي: فرحة بما نالته من الثواب الجزيل.

ثم لما فرغ من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾؛ أي: غبار، وكدورة لما تراه مما أعدّه الله لها من العذاب.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾؛ أي: يغشاها ويعلوها سواد، وكسوف، وقيل: ذِلَّة، وقيل: شدّة، والقتر في كلام العرب الغُبار، كذا قال أبو عبيدة[٦]، وأنشد قول الفرزدق[٧]:

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥١٥).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١١)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٨).

(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٥٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٩). وهي قراءة شاذة.

(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٣١٦).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٩١).

(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٨٦).

(٧) «ديوان الفرزدق» (١/ ٢٣٤) برواية

مُـــغْــتَــصِــبٌ بــرداء الـــمــلـــك

مـتـوَّجٌ بـرداءِ الـمُـلْـكِ يـتـبـعُـه فـوجٌ تـرى فـوقَـه الـرايـاتِ والـقَـتَـرا

ويدفع ما قاله أبو عبيدة[١] تقدم ذكر الغبرة، فإنها واحدة الغُبار. وقال زيد بن أسلم[٢]: القترة: ما ارتفعتْ إلى السماء، والغبرة: ما انحطت إلى الأرض ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ يعني: أصحاب الوجوه ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾؛ أي: الجامعون بين الكفر بالله، والفجور، يقال: فجر؛ أي: فسق، وفجر: أي: كذب، وأصله الميل، والفاجر المائل عن الحق.

وقد أخرج الترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عائشة[٣] قالت: أنزلت «عبسَ وتولّى» في ابن أمّ مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويُقْبِل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو يعلى عن أنس[٤] قال: «جاء ابن أمّ مكتوم، وهو يكلّم أبيَّ بن خلف، فأعرض عنه، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ فكان النبيّ ﷺ بعد ذلك يكرمه».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] قال: «بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وأبا جهل بن هشام، وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويحرص عليهم أنْ يؤمنوا، فأقبل عليهم رجل أعمى يقال له: عبد الله بن أمّ مكتوم يمشي، وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبيّ ﷺ آية من القرآن قال: يا رسول الله علّمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه، وتولّى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه، وأخذ

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٢٧) من طريق ابن وهب، به. بسند صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣١)، وابن حبان رقم (٥٣٥)، والحاكم (٢/ ٥١٤). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٤٨)، وأبو يعلى رقم (٣١٢٣).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٠٣)، وابن مردويه ـ كما في تخريج الكشاف (٤/ ١٥٥، ١٥٦) بسند ضعيف.

ينقلب إلى أهله أمسك الله ببعض بصره، ثم خفق برأسه، ثم أنزل الله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ الآية، فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبيّ الله، وكلمه وقال له: ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟ وإذا ذهب مِنْ عنده قال: هل لك حاجة في شيء؟»، قال ابن كثير[١]: فيه غرابة، وقد تكلم في إسناده.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال: كتبة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ قال: هم: بالنبطية القرّاء.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه أيضاً ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٍ﴾ قال: الملائكة.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة[٥] قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به مع السَّفَرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاقٌّ له أجران».

وأخرج ابنُ جرير[٦] عن ابن عباس ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ قال: يعني: بذلك خروجه مِنْ بطن أمه يسّره له.

وأخرج ابن المنذر عن عبد الله بن الزبير[٧] في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قال: إلى مدخله، ومَخْرجه.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس[٨]: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قال: إلى خُرْئه.

---

(١) في «تفسيره» (١٤/٢٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٠، ٣٦١).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤١٨).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/١٠٩) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٤٢١١)، والبخاري رقم (٤٩٣٧)، ومسلم رقم (٧٩٨)، وأبو داود رقم (١٤٥٤)، والترمذي رقم (٢٩٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٠٤٥ ـ ٨٠٤٧)، وابن ماجه رقم (٣٧٧٩).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١١) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٠).

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «التواضع» رقم (٢١٣) بسند ضعيف.

وأخرج ابن المنذر[١] عنه: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ قال: المطر ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ قال: عن النبات.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً في قوله: ﴿وَقَضْبًا﴾ قال: الفِصْفِصَة يعني: القَتّ ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ قال: طِوالاً ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: الثمار الرّطبة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] أيضاً قال: الحدائق: كلُّ ملتفّ، والغُلْب: ما غلُظ، والأبّ: ما أنبتت الأرض مما تأكله الدوابّ، ولا يأكله الناس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه[٤] أيضاً ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ قال: شجر في الجنة يستظل به لا يحمل شيئاً.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه أيضاً قال: الأبّ: الكلأ والمرعى.

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وعبد بن حُميد عن إبراهيم[٦] التيمي قال: سئل أبو بكر الصديق عن الأبّ ما هو؟ فقال: أيّ سماء تُظلني، وأيّ أرض تُقلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟.

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن زيد[٧]: أن رجلاً سأل عمر عن قوله: ﴿وَأَبًّا﴾ فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرّة.

وأخرج ابن سعد، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، والخطيب عن أنس[٨] أن

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١١٦، ١١٨، ١٢٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (١٧/ ٣٧١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «التغليق» (٣/ ٤٩٠)، و«فتح الباري» (٦/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ١٢١) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه أبو عبيد (ص٢٢٧) وعبد بن حميد ـ كما في «فتح الباري» (١٣/ ٢٧١)، وفي تخريج «الكشاف» (٤/ ١٥٨).

(٧) أخرجه عبد بن حميد ـ كما في «فتح الباري» (١٣/ ٢٧١). وفي المخطوط «عبد الله بن يزيد».

(٨) أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٢٧)، وسعيد بن منصور (٤٣ ـ تفسير) وعبد بن حميد ـ كما في «فتح =

عمر قرأ على المنبر: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبًّا﴾ قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفض عصى كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلّف، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ، اتبعوا ما تبينِ لكم من هذا الكتاب، فاعملوا عليه، وما لم تعرفوه، فكلوه إلى ربِّه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] قال: الصاخة من أسماء يوم القيامة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ قال: مشرقة، وفي قوله: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ قال: تغشاها شدّة، وذِلّة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه: ﴿قَتَرَةٌ﴾ قال: سواد الوجه.

۞ ۞ ۞

= الباري» (١٣/ ٣٧١) ـ وابن جرير (٢٤/ ١٢٠)، والحاكم (٢/ ٢٩٠، ٥١٤)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٥٩)، والبيهقي رقم (٢٢٨١).

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٢٤) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٤).

سُورَةُ التَّكوِير

وهي تسع وعشرون آية وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة[٣]، وابن الزبير مثله.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عمر[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي عين، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أحوال القيامة وأهوالها]:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/٣١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٩٣) «تفسير ابن كثير» (١٤/٢٥٧).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٢٥).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٤٨٠٦، ٤٩٣٤، ٤٩٤١، ٥٧٥٥)، والترمذي رقم (٣٣٣٣)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٧/١٣٤) ـ والحاكم (٢/٥١٥) و(٤/٥٧٦). وهو حديث صحيح.

ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى
قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٩﴾ ﴾

قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ارتفاع[١] الشمس بفعل محذوف يفسّره ما بعده على الاشتغال، وهذا عند البصريين، وأما عند الكوفيين، والأخفش[٢]، فهو مرتفع على الابتداء. والتكوير: الجمعُ، وهو مأخوذ مِنْ كار العمامة على رأسه يكورها. قال الزجاج[٣]: لُفّت كما تُلفّ العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً، وكوّرتها تكويراً: إذا لففتها. قال أبو عبيدة[٤]: كُوِّرت مثل تكوير العمامة تُلفّ، فتجمع.

قال الربيع بن خثيم[٥]: كورت؛ أي: رُمي بها، ومنه كورته، فتكوّر؛ أي: سقط. وقال مقاتل[٦]، وقتادة[٧]، والكلبي[٨]: ذهب ضوؤها. وقال مجاهد[٩]: اضمحلت. [٤/٢١٧]

قال الواحدي[١٠]: قال المفسرون: تُجمع الشمس بعضُها إلى بعض ثم تُلفُّ، فيرمى بها. فالحاصل أن التكوير إما بمعنى لفّ جُرْمها، أو لفّ ضوئها، أو الرمي بها.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٦٣١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٦)، و«التبيان» (١٢٧٣).
(٢) ذكره عنهم الألوسي في «روح المعاني» (٢٨/ ٣٢٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٤).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٨٩). (٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ١٣١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) من طريق سفيان، به.
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٢٨).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٢٩) بسند صحيح.
(٨) «الوسيط» (٤/ ٤٢٨).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٢٩) من طريق إسرائيل، به.
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٤٢٨).

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ أي: تهافَتتْ، وانقضت، وتناكرتْ، يقال: انكدر الطائر مِنْ الهواء إذا انقضّ، والأصل في الانكدار: الانصباب.

قال الخليل[١]: يقال: انكدر عليهم القوم: إذا جاءوا أرسالاً، فانصبّوا عليهم. قال أبو عبيدة[٢]: انصبّت، كما ينصب العُقاب. قال الكلبي[٣] وعطاء: تمطر السماء يومئذٍ نجوماً، فلا يبقى نجم في السماء إلّا وقع على الأرض، وقيل: انكدارها: طمسُ نورها.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾؛ أي: قُلعت عن الأرض، وسيرت في الهواء، ومنه قوله: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ [الكهف: ٤٧]. .

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ العشار: النُّوق الحوامل التي في بطونها أولادها، الواحدة عُشَراء، وهي التي قد أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع.

[لماذا خصَّ العشار بالذكر؟]:

وخصّ العشار[٤] لأنّها أنفس مال عند العرب، وأعزّه عندهم، ومعنى عُطّلت: تُركت هملاً بلا راع، وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم، قيل: وهذا على وجه المثل[٥] لأنّ يوم القيامة لا تكون فيه ناقة عُشَراء، بل المراد: أنه لو كان للرجل ناقة عشراء في ذلك اليوم، أو نوق عشار لتركها، ولم يلتفت إليها اشتغالاً بما هو فيه من هول يوم القيامة، وسيأتي آخر البحث إن شاء الله ما يفيد أن هذا في الدنيا.

وقيل: العشار: السحابُ، فإن العرب تشبهها بالحامل، ومنه قوله: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات: ٢] وتعطيلها عدم إمطارها قرأ الجمهور[٦]: «عُطِّلت» بالتشديد، وقرأ ابن كثير[٧] في رواية عنه بالتخفيف. وقيل: المراد أن الديار تُعطّل، فلا تُسْكَن، وقيل: الأرض التي تُعشّر زرعها تعطّل، فلا تزرع.

---

(١) في كتاب العين (ص٨٣٤).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧).
(٣) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٩٥)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٢٢).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٩٥ ـ ٩٦).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٥)، و«السبعة» (ص٥٢٣).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٢٧)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٢٣). هي رواية شاذة عن ابن كثير والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ الوحوش ما توحّش من دوابّ البرّ، ومعنى حُشرت: بُعثت حتى يقتص بعضُها من بعض، فيقتصّ للجمّاء من القرناء.

وقيل: حشرها: موتها، وقيل: إنّها مع نفرتها اليوم من الناس وتبدّدها في الصحارى تضم ذلك اليوم إليهم.

قرأ الجمهور[١]: «حُشِرتْ» بالتخفيف، وقرأ الحسن، وعمرو بن ميمون بالتشديد[٢].

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أُوقدت، فصارت ناراً تَضْطرم. وقال الفرّاء[٣]: مُلئت بأنْ صارت بحراً واحداً، وكثُر ماؤها، وبه قال الربيع بن خثيم[٤]، والكلبي[٥]، ومقاتل[٦]، والحسن[٧]، والضحاك[٨].

وقيل: أُرسل عَذْبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، يقال: سَجرتُ الحوض أسجُره سَجْراً إذا ملأته. وقيل: فُجِّرتْ، فصارت بحراً واحداً.

وروي عن قتادة[٩]، وابن حبان[١٠] أن معنى الآية: يبست، ولا يبقى فيها قطرة، وقال القشيري[١١]: هو من سَجَرتُ التنور أسجُره سَجْراً: إذا أحميته.

قال ابن زيد[١٢]، وعطية[١٣]، وسفيان[١٤]، ووهب[١٥]، وغيرهم: أوقدت،

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٥)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٥).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٢٧)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٢٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٩) قال: أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩) من طريق سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٥٠) من طريق معمر، به.
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٦). (٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٩٨).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٣) بسند صحيح.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٩٨).
(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٩٨).
(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٨) بسند صحيح.
(١٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩) من طريق حفص بن حميد، عن شمر بن عطية.
(١٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٣٩) بسند ضعيف.
(١٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٩٨ ـ ٩٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٣٨).

فصارت ناراً، وقيل: معنى سُجّرت أنها صارت حمراء كالدم، من قولهم عين سجراء؛ أي: حمراء.

قرأ الجمهور[١]: «سُجِّرتْ» بتشديد الجيم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بتخفيفها[٢].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ أي: قُرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنّة، وقُرن بين رجل السوء مع رجل السوء في النار.

وقال عطاء[٣]: زوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.

وقيل[٤]: قرن كل شكل إلى شكله في العمل، وهو راجع إلى القول الأوّل.

وقيل: قرن كل رجل إلى مَنْ كان يلازمه من ملك أو سلطان، كما في قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقال عكرمة[٥]: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ يعني: قرنت الأرواح بالأجساد.

وقال الحسن[٦]: أُلحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود[٧]، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئاً من دون الله يلحق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقيل: يُقرن[٨] الغاوي بمن أغواه من شيطان، أو إنسان، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين.

وقيل: قرنت النفوس بأعمالها.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾؛ أي: المدفونة حيةً، وقد كانت العرب إذا ولدت

---

(١) «التيسير» (ص٢٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٨)، و«زاد المسير» (٩/ ٣٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٧).

(٤) «تفسير الرازي» (٣١/ ٦٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٤٤) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٤٣) بسند صحيح مختصراً.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٤٣) عن قتادة بسند صحيح.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٠١) عن عبد الرحمٰن بن زيد.

لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار، أو الحاجة، يقال: وَأَدَ يئدُ وأداً، فهو وائد، والمفعول به موءود، وأصله مأخوذ من الثقل لأنها تُدفن، فيطرح عليها التراب، فيثقلها فتموت، ومنه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا يُثْقله، ومنه قول متمّم بن نويرة:

وموءودةٍ مقبورةٍ في مفازةٍ[١]

ومنه قول الراجز[٢]:

سَمَّيتُها إذ وُلدتْ تموتُ والقبرُ صِهْرٌ ضامِنٌ زِمَّيتُ

قرأ الجمهور[٣]: «الموءودة» بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة. وقرأ البزي في رواية عنه بهمزة[٤] مضمومة، ثم واو ساكنة. وقرأ الأعمش: «المودة» بزنة الموزة[٥].

وقرأ الجمهور[٦]: «سُئلت» مبنيّاً للمفعول، وقرأ الحسن[٧] بكسر السين من سال يسيل.

وقرأ الجمهور[٨]: «قُتِلتْ» بالتخفيف مبنيّاً للمفعول، وقرأ أبو جعفر بالتشديد[٩] على التكثير.

---

(١) وعَجُز البيت:

بآقتِها مَوسودةٍ لم تُمَهَّدِ

«النكت والعيون» (٦/ ٢١٤).

(٢) «جمهرة اللغة» (٢/ ١٦).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣٩). القراءة المتواترة قراءة الجمهور، وقراءة البزي رواية شاذة عنه وكذلك قراءة الأعمش قراءة شاذة.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهذه القراءة خلاف المشهور عن البزي.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤١٦).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣٩).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٦). قراءة الحسن شاذة.

(٨) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٤٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤١٧).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٠٤). قراءة أبي جعفر قراءة متواترة.

وقرأ عليّ، وابن مسعود، وابن عباس (سَألتْ) مبنيّاً للفاعل[١]، «قُتِلْتُ» بضم التاء الأخيرة.

ومعنى سُئلت على قراءة الجمهور أَنّ توجيه السؤال إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنّه لا يستحق أن يُخاطب، ويُسأل عن ذلك، وفيه تبكيت لقاتلها، وتوبيخ له شديد.

قال الحسن[٢]: أراد الله أن يوبِّخ قاتلها لأنها قُتلت بغير ذنب، وفي مصحف أُبيّ «وإذا الموءودة سألت بأيّ ذنب قتلتني».

[نشر الصحف يفيد كشفها ومعرفتها فلا تعود خافية ولا غامضة]:

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾؛ يعني: صحائف الأعمال نُشرت للحساب؛ لأنها تطوى عند الموت، وتُنْشَر عند الحساب، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها، فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو «نُشرت» بالتخفيف[٣]. وقرأ الباقون بالتشديد[٤] على التكثير.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ الكشطُ: قَلْعٌ عن شدّة التِزاق، فالسماء تُكشَط، كما يكشط الجلد عن الكبش، والقشط بالقاف لغة في الكشط، وهي: قراءة ابن مسعود[٥].

قال الزجاج[٦]: قُلعت كما يُقْلع السقف. وقال الفراء[٧]: نزعت، فطويت. وقال مقاتل[٨]: كشفت عما فيها. قال الواحدي[٩]: ومعنى الكشط: رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«زاد المسير» (٩/ ٤٠). وهي قراءة شاذة. وكذلك قراءة أبيٍّ شاذة ومخالفة للرسم.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨) بدون نسبة.

(٣) «جامع البيان» (٢٤/ ١٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٣)، و«زاد المسير» (٩/ ٤٠).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب أنّ أبا عمرو قرأ بالتشديد.اهـ.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٣٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٣٢). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩١). (٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤١).

(٨) «الوسيط» (٤/ ٤٣٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٨).

(٩) «الوسيط» (٤/ ٤٣٠).

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾؛ أي: أوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً.

قرأ الجمهور[١]: «سُعِرتْ» بالتخفيف، وقرأ نافع، وابن ذكوان، وحفص بالتشديد[٢]؛ لأنها أوقدت مرّة بعد مرّة.

قال قتادة[٣]: سَعَّرها غضبُ الله، وخطايا بني آدم.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ أي: قُرّبت إلى المتقين، وأُدنيت منهم. قال الحسن[٤]: إنهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها. وقال ابن زيد[٥]: معنى أزلفت: تزينت.

والأوّل أولى لأن الزلفى في كلام العرب القرب.

قيل: هذه الأمور الاثنا عشر: ستّ[٦] منها في الدنيا، وهي من أوّل السورة إلى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وستّ في الآخرة[٦] وهي: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ إلى هنا، وجواب الجميع قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ على أن المراد الزمان الممتدّ من الدنيا إلى الآخرة، لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كلّ جزء من أجزاء هذا الوقت الممتدّ، بل المراد: علمت ما أحضرته عند نشر الصحف يعني: ما عملت مِنْ خير، أو شرّ.

ومعنى ما أَحْضَرتْ: ما أحضرت من أعمالها، والمراد: حضور صحائف الأعمال، أو حضور الأعمال نفسها، كما ورد أن الأعمال تصوّر بصور تدلّ عليها وتعرف بها، وتنكير[٧] نفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس، أو لبعض منها للإيذان بأنّ ثبوته لجميع أفرادها من الظهور، والوضوح بحيث لا يخفى على أحد، ويدلّ على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقيل: يجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما

---

(١) «النشر» (٢/٣٩٨)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«جامع البيان» (٢٤/١٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٦٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة أبي بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/١٥٠) بسند صحيح.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/١٠٧). (٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/١٠٧).

(٦) «زاد المسير» (٩/٤١).

(٧) «روح المعاني» (٢٨/٣٣٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٤٩١).

أحضَرَت؛ وجب على كلّ نفس إصلاح عملها مخافةً أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكلّ نفس تعلمه؟ على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلتَ، وربما ندم الإنسان على فعله.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ «لا» زائدة، كما تقدّم تحقيقه، وتحقيق ما فيه من الأقوال في أوّل سورة القيامة؛ أي: فأُقسم بالخنَّس، وهي: الكواكبُ، وسمّيتْ الخنس من خنس: إذا تأخر لأنها تخنس بالنهار، فتخفى ولا ترى، وهي: زُحل، والمشتري، والمريخ، والزُهرة، وعطارد، كما ذكره أهل التفسير[١].

ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر[٤/٢١٨] النجوم أنها تستقبل[٢] الشمس، وتقطع المجرّة[٣]. وقال في «الصحاح»[٤]: الخُنّس: الكواكب كلها لأنها تخنس في المغيب، أو لأنها تخفى نهاراً، أو يقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة.

قال الفراء[٥]: إنها الكواكب الخمسة المذكورة لأنها تخنس في مجراها، وتكنس؛ أي: تستتر، كما تكنس الظِّباء في المَغار، ويقال: سُميت خُنّساً لتأخرها لأنّها الكواكب المتحيّرة التي ترجع وتستقيم. يقال: خَنَس عنه يَخْنُس خُنوساً إذا تأخر، وأخنَسه غيُره: إذا خلّفه ومضى عنه، والخَنَسُ: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة.

ومعنى: ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ أَنَّها تجري مع الشمس والقمر، ومعنى: ﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ أنها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس، فخنوسها رجوعُها، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها، وقيل: خنوسها: خفاؤُها بالنهار، وكنوسها: غُروبها.

قال الحسن[٦]، وقتادة[٧]: هي النجوم التي تَخْنُس بالنهار، وإذا غربت، والمعنى متقارب لأنّها تتأخر في النهار عَنْ البصر لخفائها فلا تُرى، وتظهر بالليل،

---

(١) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٣) عن بكر بن عبد الله المُزني بسند حسن.
(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة رقم (٦٨٦) عن ابن عباس، بسند حسن.
(٤) «الصحاح» (٣/ ٩٢٥).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٥٢) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٤) بسند صحيح.

وتكنس في وقت غروبها. وقيل: المراد بها: بقر الوحش[١] لأنها تتصف بالخُنّس، وبالجوار، وبالكنّس.

وقال عكرمة[٢]: الخنس البقر، والكنّس: الظباء، فهي: تخنس إذا رأت الإنسان، وتنقبض، وتتأخر، وتدخل كناسها. وقيل: هي الملائكة. والأوّل أولى لذكر الليل والصبح بعد هذا، والكنّس: مأخوذ من الكناس الذي يختفى فيه الوحش، والخنّس: جمع خانس وخانسة، والكنّس جمع كانس وكانسة.

[الفعل عسعس من الأضداد ويدل على أن المراد هنا أدبر]:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ قال أهل اللغة[٣]: هو مِنْ الأضداد، يقال: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبل، وعَسْعَسَ إذا أدبر، ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال الفراء[٤]: أجمع المفسرون على أنّ معنى عسعس أدبر، كذا حكاه عنه الجوهري[٥]، وقال الحسن[٦]: أقبل بظلامه.

قال الفراء[٧]: العربُ تقول: عَسْعَس الليل: إذا أقبل، وعسعس الليل: إذا أدبر، وهذا لا ينافي ما تقدّم عنه، لأنّه حكي عن المفسرين أنهم أجمعوا على حمل معناه في هذه الآية على أَدْبر، وإن كان في الأصل مشتركاً بين الإقبال والإدبار.

قال المبرد[٨]: هو من الأضداد[٩]. قال: والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو: ابتداء الظلام في أوّله، وإدباره في آخره. قال رؤبة بن العجاج[١٠]:

يا هندُ ما أسرعَ ما تَعَسْعَسَا   مِنْ بعدِ ما كان فَتَىً تَرَعْرَعَا

وقال امرؤ القيس[١١]:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥) بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٧٣).
(٣) «تهذيب اللغة» (١/ ٧٩).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٨).
(٥) في «الصحاح» (٣/ ٩٤٩).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦١)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٥٢) بسند صحيح.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٨).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١١٢).
(٩) «الأضداد» لابن السكيت (ص١٦٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (٢/ ٢٨٨).
(١٠) «ديوان رؤبة» (ص١٨).
(١١) انظر: في «ملحقات ديوان امرئ القيس» (ص٤٦٣).

عَسْعَسَ حتَّى لو نشاءُ إذْ دَنَا كانَ لنا مِنْ نارهِ مَقْبِسُ

وقوله:

الماءُ على الرَّبْعِ القديمِ تَعَسْعَسَا[١]

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التنفس في الأصل: خروجُ النسيم من الجوف، وتنفس الصبح: إقبالُه لأنه يقبل بروح ونسيم، فجعل ذلك تنفساً له مجازاً. قال الواحدي[٢]: تنفس؛ أي: امتدّ ضوؤه حتى يصير نهاراً، ومنه يقال للنهار إذا زاد: تنفّس. وقيل: ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ إذا انشقّ، وانفلق، ومنه تنفست القوس؛ أي: تصدّعت.

ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: جبريل لكونه نزل به من جهة الله سبحانه إلى رسوله ﷺ، وأضاف القول إلى جبريل لكونه مرسلاً به، وقيل: المراد بالرسول في الآية: محمد ﷺ، والأوّل أولى.

ثم وصف الرسول المذكور بأوصاف محمودة فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؛ أي: ذي قوّة شديدة في القيام بما كُلّف به، كما في قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

ومعنى: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أنّه ذو رفعةٍ عالية، ومكانة مكينة عند الله سبحانه، وهو في محل نصب[٣] على الحال من مكين، وأصله الوصف، فلما قدّم صار حالاً، ويجوز أن يكون نعتاً لرسول، يقال مكن فلان عند فلان مكانة؛ أي: صار ذا منزلة عنده ومكانة.

قال أبو صالح[٤]: من مكانته عند ذي العرش أنّه يدخل سبعين سُرادقاً بغير إذن، ومعنى ﴿مُطَاعٍ﴾ أنه مطاع بين الملائكة يرجعون إليه، ويطيعونه ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ قرأ الجمهور[٥] بفتح: «ثَمّ» على أنها ظرف مكان للبعيد، والعامل فيه مطاع، أو ما

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص١٠٥).
وعجزه:
كأنّي أنادي أو أكلِّم أَخْرَسَا

(٢) في «الوسيط» (٤/ ٤٣٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٤٦).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٠٠) بسند ضعيف لضعف عمر بن شبيب المُسْلىّ. «التهذيب» (٧/ ٤٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢١/ ٣٩٠).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٣)، و«زاد المسير» (٩/ ٤٣).

بعده، والمعنى: أَنَّه مطاع في السماوات، أو أمين فيها؛ أي: مؤتمن على الوحي وغيره، وقرأ هُشيم، وأبو جعفر، وأبو حيوة بضمها[١] على أنها عاطفة، وكان العطف بها للتراخي في الرتبة لأن ما بعدها أعظم مما قبلها، ومن قال: إن المراد بالرسول: محمد ﷺ.

فالمعنى: أنه ذو قوّة على تبليغ الرسالة إلى الأمة، مطاع: يطيعه من أطاع الله، أمين على الوحي.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ الخطاب[٢] لأهل مكة، والمراد بصاحبهم رسول الله ﷺ، والمعنى: وما محمد يا أهل مكة بمجنون، وذكره بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره، وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون، وغيره في شيء، وأنهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بأنّه أعقلُ الناس وأكملهم، وهذه الجملة داخلة في جواب القسم، فأقسم سبحانه بأنّ القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ﷺ ليس كما يقولون من أنه مجنون، وأنه يأتي بالقرآن من جهة نفسه.

[رأى ﷺ جبريل حق الرؤية]:

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ اللّام جوابُ قسم محذوف؛ أي: وتالله لقد رأى محمد جبريلَ بالأفق المبين؛ أي: بمطلع الشمس مِنْ قبل المشرق لأنّ هذا الأفق إذا كانت الشمس تطلع منه فهو مُبين لأن من جهته تُرى الأشياء. وقيل: الأفق المبين أقطار السماء ونواحيها، ومنه قول الشاعر:

أخذْنا بآفاق السماءِ عليكُمُ ... لنا قَمَرَاها والنجومُ الطَّوالِعُ[٣]

وإنما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ مع أنه قد رآه غير مرّة لأنه رآه هذه المرّة في صورته له ستمائة جناح، قال سفيان[٤]: إنّه رآه في أفق السماء الشرقي.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦٩)، و«روح المعاني» (٣٤٦/٢٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤١٨). القراءة المتواترة هي بفتح (ثَمّ) أمّا الضم فهي قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن أبي عمرو.

(٢) «جامع البيان» (٢٤/ ١٦٥).

(٣) البيت للفرزدق. «خزانة الأدب» (٩/ ١١٤).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢١٨).

وقال ابن بحر[١]: في أفق السماء الغربي. وقال مجاهد[٢]: رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة، والمبين: صفة للأفق قاله الربيع[٣]. وقيل: صفة لمن رآه قاله مجاهد[٤]. وقيل: معنى الآية: ولقد رأى محمد ربَّه ﷻ، وقد تقدّم القول في هذا في سورة النجم ﴿وَمَا هُوَ﴾؛ أي: محمد ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ يعني: خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائباً علمه من أهل مكة ﴿ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بمتهم؛ أي: هو ثقة فيما يؤدّي عن الله سبحانه.

وقيل: بضنين: ببخيل؛ أي: لا يبخل بالوحي، ولا يقصر في التبليغ، وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء، فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «بظنين» بالظاء المشالة[٥]؛ أي: بمتّهم، والظنة: التهمة، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٦] قال: لأنهم لم يبخلوا ولكن كذّبوه. وقرأ الباقون بضنين[٧] بالضاد؛ أي: ببخيل، من ضننت بالشيء أضنّ ضنّاً: إذا بخلت. قال مجاهد[٨]؛ أي: لا يضن عليكم بما يعلم بل يُعلِّم الخلق كلام الله وأحكامه.

وقيل: المراد: جبريل إنه ليس على الغيب بضنين، والأوّل أولى.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾؛ أي: وما القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب. قال الكلبي[٩]: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة، كما قالت قريش.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١١٥) وعندهما عن ابن شجرة.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦٦) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١١٦).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١١٦).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٤). ومعهم رويس عن يعقوب.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١١٧).
(٧) «النشر» (٢/ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٤).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٦٨) بسند صحيح.
(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥١).

قال عطاء[١]: يريد بالشيطان: الشيطان الأبيض الذي كان يأتي النبيّ ﷺ في صورة جبريل يريد أن يفتنه.

ثم بكتهم سبحانه ووبخهم، فقال: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ أي: أينَ تَعْدلون عن هذا القرآن وعَنْ طاعته؟ كذا قاله قتادة[٢]. وقال الزجاج[٣]: معناه: أيّ: طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بُينت لكم؟ يقال: أين تذهب، وإلى أين تذهب؟ وحكى الفراء[٤] عن العرب: ذهبت الشام، وخرجت العراق، وانطلقت السوق: أي: إليها. قال: سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة، وأنشد لبعض بني عقيل:

تـصـيـحُ بـنـا حَـنـيـفـةُ إذْ رأتْـنَـا ... وأيُّ الأرضِ تـذهـبُ بـالـصِّـيـاحِ[٥]

تريد إلى أيّ الأرض تذهب؟ فحذف إلى.

[كل شيء في هذا الوجود ومرده إلى مشيئة الله]:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما القرآن إلّا موعظة للخلق أجمعين، وتذكير لهم.

وقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار، ومفعول المشيئة ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ أي: لمن شاء منكم الاستقامة على الحقّ والإيمان والطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: وما تشاءون الاستقامة إلّا أن يشاء الله تلك المشيئة، فأعلمهم سبحانه أنّ المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلّا بمشيئة الله وتوفيقه، ومثل هذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١١٨).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧١) بسند صحيح.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٣).
(٥) قائله: علي بن مالك العقيلي من قصيدة قالها في يوم الفَلَج، وهو يوم كان بينهم وبين بني حنيفة ومعناه أنهم شجعان لا يبرحون مكاناً، إذا صيح بهم في الحرب ثبتوا.
«شرح أبيات إصلاح المنطق» (ص٢٤٨).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقيّ في «الشعب» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: أَظْلمت ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ قال: تغيرت.

وأخرج ابن أبي حاتم، والديلمي عن أبي مريم[٢] أن النبيّ ﷺ قال في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: كُوّرت في جهنّم ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ قال: انكدرت في جهنم، فكل مَنْ عبد من دون الله فهو: في جهنم، إلّا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي العالية[٣] قال: ست آيات من هذه السورة في الدنيا، والناس ينظرون إليها، وست في الآخرة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ هذه في الدنيا، والناس ينظرون إليها ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [٤/٢١٩] إلى ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ هذه في الآخرة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الأهوال»، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبيّ بن كعب[٤] قال: ست آيات قبل يوم القيامة؛ بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض؛ فتحرّكت واضطربت واختلطت، ففزعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ، والطير، والوحش، فماجوا بعضُهم في بعض ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: اختلطت ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: أهملها أهلُها ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قالت: الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجّج، فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة، وإلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريحٌ فأماتتهم.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/١٢٩، ١٣٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/٥٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٢٥٨) مرسلاً بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٢٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» رقم (٢٣)، وابن جرير (٢٤/١٢٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٤/٢٥٩) بسند حسن من طريق الحسين بن واقد، عن الربيع بن أنس، به.

وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: حَشْرُ البهائم موتُها، وحشر كلّ شيء الموت غير الجنّ والإنس، فإنّهما يوافيان يوم القيامة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخطيب في «المتفق والمفترق» عنه[(٢)] في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قال: يحشر كلّ شيء يوم القيامة حتى إن الدوابّ لتحشر.

وأخرج البيهقي[(٣)] في «البعث» عنه أيضاً في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال: تُسجّر حتى تصير ناراً.

وأخرج الطبراني[(٤)] عنه: ﴿سُجِّرَتْ﴾ قال: اختلط ماؤها بماء الأرض.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في «البعث» عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب[(٥)] في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: يُقرَن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، كذلك تزويج الأنفس وفي رواية: ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وأخرج نحوه ابن مردويه عن النعمان بن بشير[(٦)] مرفوعاً.

وأخرج البزار، والحاكم في «الكنى»، والبيهقي في «سننه» عن عمر بن الخطاب[(٧)] قال: «جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني وأدتُ ثمان بناتٍ لي في الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: أعتق عَنْ كلٍّ واحدة رقبةً، قال: إني صاحب إبل، قال: فأهدِ عن كل واحدة بَدَنة».

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦٠)، والخطيب رقم (٧٦٨) ـ بسند حسن.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٩).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٠).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٥٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٩)، وعبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٢)، وابن جرير (٢٤/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٦٢) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).

(٧) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٨)، والبيهقي (٨/ ١١٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٤)، ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي، وهو ثقة.

وأخرج ابن المنذر[(١)] عن ابن عباس ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ قال: قُرّبت.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن عليّ بن أبي طالب[(٢)] في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال: هي الكواكب تكنسُ بالليل، وتخنس بالنهار، فلا تُرى.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عنه في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال: خمسة أنجم: زُحَل، وعطارد، والمشتِري، وبهرام، والزُّهرة، ليس شيء يقطع المجرّة غيرها.

وأخرج ابن مردويه، والخطيب في كتاب «النجوم» عن ابن عباس[(٤)] في الآية قال: هي النجوم السبعة: زُحل، وبهرام، وعطارد، والمشتري، والزهرة، والشمس، والقمر، خنوسها رجوعها، وكنوسها تغيبها بالنهار.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وابن سعد، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود[(٥)] في قوله: ﴿بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال: هي بقر الوحش.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٦)] قال: هي البقر تكنس إلى الظلّ.

وأخرج ابن المنذر[(٧)] عنه قال: تكنس لأنفسها في أصول الشجر تتوارى فيه.

وأخرج ابن جرير[(٨)] عنه أيضاً قال: هي: الظباء.

وأخرج ابن راهويه، وعبد بن حميد، والبيهقيّ في «الشعب» عن عليّ[(٩)] بن

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٤)، وابن جرير (٢٤/ ١٥٢)، والحاكم (٢/ ٥١٦) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣١).

(٤) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٤)، والخطيب (ص١٤٠).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٥١، ٣٥٢)، وابن سعد (٦/ ١٠٦)، وابن جرير (٢٤/ ١٥٤، ١٥٥)، والطبراني رقم (٩٠٦٣)، والحاكم (٢/ ٥١٦).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٢).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٢).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٧) بسند ضعيف.

(٩) أخرجه ابن راهويه ـ كما في المطالب العالية رقم (٤١٧٥) ـ والبيهقي رقم (٣٩٩١).

أبي طالب في قوله: و﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ قال: هي: الكواكب.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس[1] ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ البقر و﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ الظِّباء، ألم ترها إذا كانت في الظلّ كيف تكنس بأعناقها، ومدّت نظرها.

وأخرج أبو أحمد الحاكم في الكنى عن أبي العدبَّس[2] قال: كنا عند عمر بن الخطاب، فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين ما ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل، فألقاها عن رأسه، فقال عمر: أحروريّ؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتُك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك وهذا منكر، فالخرورية لم يكونوا في زمن عمر، ولا كان لهم في ذلك الوقت ذِكْر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[3] في قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ قال: إذا أدبر ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال: إذا بدا النهار حين طلوع الفجر.

وأخرج الطبراني[4] عنه ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ قال: إقبال سواده.

وأخرج ابن المنذر[5] عنه أيضاً ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ قال: جبريل.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن مسعود[6] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ قال: رأى جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[7] في الآية قال: إنما عنى جبريل أن محمداً رآه في صورته عند سدرة المنتهى.

وأخرج ابن مردويه[8] عنه بالأفق المبين، قال: السماء السابعة.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من طرق

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٣) بسند صحيح.
(٤) أخرجه الطبراني رقم (١٠٥٩٧).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٣).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٤).
(٧) أخرجه الطبراني رقم (١٢٥٦٥).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٤).

عن ابن عباس[١] أنه كان يقرأ: «بضنين» بالضاد، وقال: ببخيل.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن مسعود[٢] أنه قرأ «وما هو على الغيب بظنين» بالظاء قال: ليس بمتهم.

وأخرج الدارقطني في «الأفراد»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه» عن عائشة[٣]: أن النبيّ ﷺ كان يقرؤه «بظنين» بالظاء.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة[٤] قال: لما نزلت ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فهبط جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: كذبوا يا محمد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٤).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٥٢)، والخطيب (٤/ ٣٥١)، (٩/ ٤٤٤) وبالظاء قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب. وبالضاد قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر وخلف وروح عن يعقوب. «النشر» (٢/ ٣٩٨).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٦).

سُورَةُ الانفِطَارِ

هي تسع عشرة آية وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] قال: نزلت: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج النسائي[٤] عن جابر قال: «قام معاذ فصلى العشاء فطوّل، فقال النبيّ ﷺ: أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت عن ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾.

وأصل الحديث في «الصحيحين»[٥]، ولكن بدون ذكر: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ وقد تفرّد بها النسائي.

وقد تقدّم في سورة التكوير حديث: «مَنْ سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين، فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أمارات القيامة وتوبيخ الإنسان على حجود النعم]:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٧٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٢٠).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، و«النحاس» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٧).

(٤) أخرجه النسائي رقم (٩٩٦). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٧٠٥)، ومسلم رقم (٤٦٥/ ١٧٩)، والنسائي في «التفسير» رقم (٦٧٢).

عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ
﴿١٩﴾﴾.

[انشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب]:

قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ قال الواحدي[١]: قال المفسِّرون: انفطارها: انشقاقها كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] والفَطْر[٢]: الشَّقُ، يقال: فطرتُه فانفطر، ومِنْه فطرَ نابُ البعير إذا طَلَع، قيل: والمراد أنها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها، وقيل: انفطرت لهيبة الله.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾؛ أي: تساقطت متفرقة يقال: نثرت الشيء أنثره نثراً.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾؛ أي: فُجِّر بعضها في بعض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب منها بالمالح.

وقال الحسن[٣]: معنى فُجِّرت ذهب ماؤُها، ويبست، وهذه الأشياء بين يدي الساعة، كما تقدّم في السورة التي قبل هذه.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾؛ أي: قُلب ترابها، وأُخرج الموتى الذين هم فيها، يقال: بعثَر يُبعثر بعثرةً إذا قلب التراب، ويقال: بعثر المتاع قلبه ظهراً لبطن، وبعثرت الحوضَ وبعثرته إذا هدمته، وجعلت أعلاه أسفله.

قال الفراء[٤]: بُعثرتْ أُخرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها.

ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدّم فقال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٤٣٣).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٠)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٢٥)، و«الصحاح» (٢/ ٧٨١).

(٣) أخرجه ابنُ جرير (٢٤/ ١٧٥)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٥٤) بسند صحيح. بلفظ: قال فجر بعضها في بعض، فذهب ماؤها.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٣).

والمعنى: أنها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لأنّه وقت واحد من عند البعث [٤/ ٢٢٠] إلى عند مصير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، والكلام في إفراد نفس هنا، كما تقدّم في السورة الأولى في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

ومعنى ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ما قدّمت من عمل خير أو شرّ، وما أخرت من سُنَّة حسنة أو سيئة لأن لها أجر ما سُنَّته من السُّنن الحسنة، وأجر من عمل بها، وعليها وزر ما سُنَّته من السُّنن السيئة، ووزر من عمل بها.

وقال قتادة(١): ما قدّمت من معصية، وأخَّرت من طاعة، وقيل: ما قدّم من فرض، وأخّر من فرض، وقيل: أوّل عمله وآخره، وقيل: إن النفس تعلم عند البعث بما قدّمت وأخرت علماً إجماليّاً لأن المطيع يرى آثار السعادة، والعاصي يرى آثار الشقاوة، وأما العلم التفصيلي، فإنما يحصل عند نشر الصحف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا خطاب الكفار: أي: ما الذي غرّك، وخدعك حتى كفرت بربِّك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك، وجعلك عاقلاً فاهماً، ورزقك وأنعم عليك بنعمته التي لا تقدر على جحد شيء منها؟

قال قتادة(٢): غرّه شيطانُه المسلط عليه. وقال الحسن(٣): غرّه شيطانه الخبيث، وقيل: حمقُه وجهلُه. وقيل: غرّه عفوُ الله إذْ لم يعاجله بالعقوبة أوّل مرّة، كذا قال مقاتل(٤).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: خلقك مِنْ نطفة، ولم تك شيئاً، فسوّاك رجلاً تسمع وتبصر وتعقل، فعدلك: جعلك معتدلاً. قال عطاء(٥): جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة.

وقال مقاتل(٦): عدّل خلقك في العينين، والأذنين، واليدين، والرجلين، والمعنى: عدل بين ما خلق لك من الأعضاء.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧٨) بسند صحيح.
(٣) «الكشاف» (٦/ ٣٣٠). (٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٦).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٣٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٦).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٣٦).

قرأ الجمهور[(١)]: «فعدّلك» مشدّداً، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بالتخفيف[(٢)]، واختار أبو حاتم[(٣)]، وأبو عبيد القراءة الأولى. قال الفراء[(٤)]، وأبو عبيد[(٥)]: يدلّ عليها قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ومعنى القراءة الأولى: أنّه سبحانه جعل أعضاءه متعادلة لا تفاوت فيها.

ومعنى القراءة الثانية: أنَّه صرفه، وأماله إلى أيّ صورة شاء، إمّا حسناً وإما قبيحاً، وإما طويلاً وإما قصيراً.

[التكوين الإنساني ودقته وإحكامه]:

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ في (أيّ صورة) متعلق بركّبك، (وما) مزيدة، وشاء صفة لصورة؛ أي: ركّبك في أيّ صورة شاءها من الصور المختلفة، وتكون هذه الجملة كالبيان لقوله: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ والتقدير: فعدَلك: ركبك في أيّ صورة شاءها، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال؛ أي: ركّبك حاصلاً في أيّ صورة.

ونقل أبو حيان[(٦)] عن بعض المفسرين أنه متعلق بعدّلك. واعترض عليه بأن «أيّ» لها صدر الكلام، فلا يعمل فيها ما قبلها. قال مقاتل[(٧)]، والكلبي[(٨)]، ومجاهد[(٩)]: في أيّ شَبَه من أبٍ أو أمّ، أو خال أو عم. وقال مكحول[(١٠)]: إن شاء ذكراً، وإن شاء أنثى.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ للردْع والزجر عن الاغترار بكرم الله، وجعله ذريعة إلى الكفر به، والمعاصي له، ويجوز أن يكون بمعنى: حقّاً.

وقولُه: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ إضراب عن جملة مقدّرة ينساق إليها الكلام، كأنه

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التيسير» (ص٢٢٠)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٤).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٢٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٤).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٣).
(٦) في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٢٢).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٦).
(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٦).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٧٩) بسند صحيح.
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٢٤).

قيل: بعد الردع، وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه إلى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء، أو بدين الإسلام.

قال ابن الأنباري[(١)]: الوقف الجيد على الدين، وعلى ركّبك، وعلى كلا قبيح، والمعنى: بل تكذبون يا أهل مكة بالدين؛ أي: بالحساب، وبل لنفي شيء تقدّم، وتحقيق غيره، وإنكار البعث قد كان معلوماً عندهم، وإن لم يجر له ذكر.

قال الفراء[(٢)]: كلا ليس الأمر، كما غررت به. قرأ الجمهور[(٣)]: «تكذبون» بالفوقية على الخطاب. وقرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة بالتحتية على الغيبة[(٤)].

وجملة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال من فاعل تكذبون؛ أي: تكذبون، والحال أن عليكم من يدفع تكذيبكم، ويجوز أن تكون مستأنفة مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم، والحافظين الرُقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالَهم، ويكتبونها في الصحف.

ووصفهم سبحانه بأنهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من أعمال العباد، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ في محل نصب[(٦)] على الحال من ضمير كاتبين، أو على النعت، أو مستأنفة.

[مصير الكفار ومصير الأبرار بعد الحساب]:

قال الرازي[(٧)]: والمعنى: التعجيب من حالهم كأنه قال: إنكم تكذبون بيوم الدين، وملائكة الله موكلون بكم يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة، ونظيره قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٧، ١٨].

ثم بيّن سبحانه حال الفريقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٤).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٢)، و«النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«زاد المسير» (٩/ ٤٨).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «الفريد» (٤/ ٦٣٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٦٠).
(٦) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٦٠)، و«الفريد» (٤/ ٦٣٧).
(٧) في «تفسيره» (٣١/ ٨٢ ـ ٨٣).

جَحِيمٍ﴾ والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذي سيقت له، وهي كقوله سبحانه: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ١٧].

وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ صفة لجحيم؛ ويجوز أن تكون في محل نصب[١] على الحال من الضمير في متعلق الجارّ، والمجرور، أو مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل ما حالُهم؟ فقيل: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء الذي كانوا يكذّبون به، ومعنى يصلونها: أنّهم يلزمونها مقاسّين لوهجها، وحرّها يومئذ.

قرأ الجمهور[٢]: «يَصْلونها» مخففاً مبنيّاً للفاعل، وقرئ بالتشديد[٣] مبنيّاً للمفعول.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾؛ أي: لا يفارقونها أبداً، ولا يغيبون عنها، بل هم فيها، وقيل: المعنى: وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرّها في قبورهم.

ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الجزاء، والحساب، وكرّره تعظيماً لقَدْره، وتفخيماً لشأنه، وتهويلاً لأمره، كما في قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ ـ ٣] و﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣] والمعنى: أيّ شيء جعلك دارياً ما يوم الدين؟ قال الكلبي[٤]: الخطاب للإنسان الكافر.

ثم أخبر سبحانه عن اليوم فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو برفع[٥]: «يومُ» على أنه بدل من يوم الدين، أو خبر مبتدأ محذوف. وقرأ أبو عمرو في رواية: «يومٌ» بالتنوين[٦]، والقطع عن الإضافة.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٦٣٧).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٢٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٩)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٦١).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتشديد قراءة شاذة.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٣٩).
(٥) «التيسير» (ص٢٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٨٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٤).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. الرواية عن أَبي عَمرو شاذة في القراءة بالتنوين والقطع، والقراءتان بالرفع والفتح متواترتان غير أن أبا يعقوب يقرأ بالرفع.

وقرأ الباقون بفتحه[(١)] على أنها فتحة إعراب بتقدير: أعني أو اذْكر، فيكون مفعولاً به، أو على أنها فتحة بناء لإضافته إلى الجملة على رأي الكوفيين، وهو في محل رفع[(٢)] على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو على أنه بدل من يوم الدين.

قال الزجاج[(٣)]: يجوز أن يكون في موضع رفع إلا أنه مبنيّ على الفتح لإضافته إلى قوله: ﴿لَا تَمْلِكُ﴾ وما أضيف إلى غير المتمكن، فقد يبنى على الفتح، وإن كان في موضع رفع، وهذا الذي ذكره إنما يجوز عند الخليل، وسيبويه إذا كانت الإضافة إلى الفعل الماضي، وأما إلى الفعل المستقبل، فلا يجوز عندهما، وقد وافق الزجاج على ذلك أبو علي الفارسي[(٤)]، والفرّاء[(٥)]، وغيرهما، والمعنى: أنها لا تملك نفس من النفوس لنفس أخرى شيئاً من النفع أو الضرّ.

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وحدَه لا يملك شيئاً من الأمر غيره كائناً ما كان. قال مقاتل[(٦)]: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة.

قال قتادة[(٧)]: ليس ثَمّ أحد يقضي شيئاً، أو يصنع شيئاً إلا الله ربّ العالمين، والمعنى: أنّ الله لا يُملّك أحداً في ذلك اليوم شيئاً من الأمور، كما ملّكهم في الدنيا، ومثل هذا قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[(٨)] في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال: بعضُها في بعض، وفي قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قال: بُحثت.

وأخرج ابنُ المبارك في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[(٩)] في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ قال: ما قدّمت من خير، وما

---

(١) «النشر» (٣/ ٣٩٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٨٤).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٧٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦١ ـ ٣٦٢).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٦).
(٤) في «الحجة» (٦/ ٣٨٣).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٣٩).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٨٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٥٤) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ١٧٤، ١٧٥) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٤٦٩).

أخّرت من سُنّة صالحة يعمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، أو سُنة سيئة تُعمل بعده، فإن عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً.

وأخرج عبد بن حميد(١) عن ابن عباس نحوه.

وأخرج الحاكم وصحّحه عن حذيفة(٢) قال: قال النبيّ ﷺ: «من استنّ خيراً فاستنّ به فله أجره، ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم، ومن استن شرّاً فاستنّ به، فعليه وزره، ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم». وتلا حذيفة: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب(٣) أنه قرأ هذه الآية: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ قال: غرّه والله جهلُه.

وأخرج ابن جرير(٤) عن ابن عباس قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٦، ٥١٧) وصححه.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٨).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٤٢٥).

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

هي ست وثلاثون آية.

قال القرطبي[(١)]: وهي مكية في قول ابن مسعود، والضحاك، ومقاتل، ومدنية في قول الحسن، وعكرمة[(٢)].

وقال مقاتل أيضاً: هي أوّل سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس، وقتادة: هي مدنية إلا ثمان آيات من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ إلى آخرها [المطففين: ٢٩ ـ ٣٦].

وقال الكلبي، وجابر بن زيد: نزلت بين مكة والمدينة[(٣)].

وأخرج النحاس، وابن مردويه عن ابن عباس[(٤)] قال: نزلت سورة المطففين بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٥)] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس[(٦)] قال: آخر ما نزل بمكة سورة المطففين.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في الشعب. [٤/٢٢١] قال السيوطي[(٧)] بسند صحيح عن ابن عباس[(٨)] قال: لما قدم النبيّ ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

(١) في «تفسيره» (١٢٨/٢٢).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٢٨/٢٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٦٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) أخرجه النحاس (ص٧٥٧).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٦) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨).

(٧) في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٨) أخرجه البيهقي رقم (٥٢٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٥٤)، وابن ماجه رقم (٢٢٢٣)، وابن جرير (٢٤/ ١٨٢)، والطبراني رقم (١٢٠٤١). وهو حديث حسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ⑦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ⑧ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ⑨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑩ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ⑪ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑬ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ⑯ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ⑰﴾.

[الويل والهلاك للمطففين]:

قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ويل مبتدأ[١]، وسوّغ الابتداء به كونه دعاء، ولو نُصب لجاز. قال مكي[٢]، والمختار: في ويل، وشبهه إذا كان غير مضاف الرفع، ويجوز النصب، فإن كان مضافاً أو معرّفاً كان الاختيار فيه النصب نحو قوله: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا﴾ [طه: ٦١] وللمطففين خبره، والمُطفِّف: المنقّص، وحقيقته: الأخذ في الكيل، أو الوزن شيئاً طفيفاً؛ أي: نزراً حقيراً.

[من هو المطفف عند أهل اللغة]:

قال أهل اللغة[٣]: المطفف مأخوذ من الطفف، وهو القليل، فالمطفف: هو المقلّل حق صاحبه بنقصانه عَنْ الحق في كيلٍ أو وزن.

قال الزجاج[٤]: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مُطفِّف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف. قال أبو عبيدة[٥]، والمبرد[٦]: المُطفّف: الذي يبخس في الكيل والوزن، والمراد بالويل هنا: شدّة العذاب، أو نفس العذاب، أو الشرّ الشديد، أو هو واد في جهنّم. قال الكلبي: قدم رسول الله ﷺ

---

(١) «الفريد» (٤/ ٦٠٠).

(٢) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٢).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٥٤)، و«الصحاح» (٥/ ١٨٤٦).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٧). (٥) في «مجاز القرآن» له (٢/ ٢٨٩).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٤٠).

المدينة، وهم يسيئون كيلهم، ووزنهم لغيرهم، ويستوفون لأنفسهم، فنزلت هذه الآية.

وقال السديّ[١]: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان بها رجل يقال له أبو جُهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية. قال الفراء[٢]: هم بعد نزول هذه الآية أحسنُ الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

ثم بيّن سبحانه المطففين من هم؟ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾؛ أي: يستوفون الاكتيال، والأخذ بالكيل. قال الفرّاء[٣]: يريد اكتالوا مِنْ الناس، وعلى ومِنْ في هذا الموضع يعتقبان، يقال: اكتلت منك؛ أي: استوفيت منك، وتقول: اكتلت عليك؛ أي: أخذت ما عليك. قال الزجاج: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، ولم يذكر اتزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع، فأحدهما يدل على الآخر.

قال الواحدي[٤]: قال المفسرون: يعني: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن، وإذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا، وهو معنى قوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾؛ أي: كالوا لهم، أو وزنوا لهم، فحذفت اللام[٥] فتعدّى الفعل إلى المفعول، فهو من باب الحذف والإيصال، ومثله نصحتك، ونصحت لك، كذا قال الأخفش[٦]، والكسائي[٧]، والفرّاء[٨].

قال الفرّاء[٩]: وسمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المُدّ والمُدّين إلى الموسم المقبل. قال: وهو من كلام أهل الحجاز، ومن جاورهم من قيس.

قال الزجاج[١٠]: لا يجوز الوقف على (كالوا) حتى يوصل بالضمير، ومن

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٥٢١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٦١).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٤٤١).
(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٣)، و«الفريد» (٤/ ٦٤٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٧٦).
(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٣٤).
(٧) انظر: «معالم التنزيل» (٨/ ٣٦٢).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦). (١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٨).

الناس من يجعله توكيداً؛ أي: توكيداً للضمير المستكنّ في الفعل، فيجيز الوقف على كالوا أو وزنوا، قال أبو عبيد[١]: وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين، ويقف على كالوا أو وزنوا، ثم يقول: هم يُخْسِرون. قال: وأحسب قراءة حمزة[٢] كذلك.

قال أبو عبيد[٣]: والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين:

إحداهما: الخط، ولذلك كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالألف.

والأخرى: أنه يقال: كلتك، ووزنتك بمعنى: كلت لك، ووزنت لك، وهو كلام عربيّ؛ كما يقال صِدْتُك[٤] وصِدْتُ لك، وكسبتُك وكسبت لك، وشكرتك وشكرت لك، ونحو ذلك. وقيل: هو على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف المكيل والموزون؛ أي: وإذا كالوا مكيلهم، أو وزنوا موزونهم، ومعنى يُخْسرون: يُنْقصِون كقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٩] والعرب تقول: خسرت الميزان، وأخسرته.

ثم خوّفهم سبحانه فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ والجملة مستأنفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف، وتفظيعه[٥]، وللتعجيب من حالهم في الاجتراء عليه، والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى المطففين، والمعنى: أنهم لا يخطر ببالهم أنهم مبعوثون، فمسؤولون عما يفعلون. قيل: والظنّ هنا بمعنى اليقين؛ أي: لا يوقن أولئك، ولو أيقنوا ما نقصوا الكيل والوزن.

وقيل: الظنّ على بابه[٦]، والمعنى: إنْ كانوا لا يستيقنون البعث، فهلا ظنّوه حتى يتدبروا فيه، ويبحثوا عنه، ويتركوا ما يخشون من عاقبته؟ واليوم العظيم: هو يوم القيامة، ووصفه بالعظم لكونه زماناً لتلك الأمور العظام من البعث والحساب والعقاب، ودخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٦٣).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٥١) والمشهور عنه كقراءة الجماعة.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٣٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٦٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).
(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٧٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٠١).
(٦) «روح المعاني» (٨/ ٣٧٤)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).

ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ انتصاب[١] الظرف بمبعوثون المذكور قبله، أو بفعل مقدّر يدل عليه مبعوثون؛ أي: يُبعثون يوم يقوم الناس، أو على البدل[١] من محل ليوم، أو بإضمار أعني، أو هو في محلّ رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو في محلّ جرّ على البدل من لفظ ليوم، وإنما بني على الفتح في هذين الوجهين لإضافته إلى الفعل.

قال الزجاج[٢]: يوم منصوب بقوله: مبعوثون، المعنى: ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة؟ ومعنى يوم يقوم الناس: يوم يقومون من قبورهم لأمر ربّ العالمين، أو لجزائه أو لحسابه أو لحكمه وقضائه.

[وصف اليوم العظيم]:

وفي وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه، ووصفه سبحانه بكونه ربّ العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه. وقيل: المراد بقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ قيامهم في رَشْحهم إلى أنصاف آذانهم، وقيل: المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد، وقيل: المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء، والأوّل أولى.

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ هي: للردع، والزجر للمطففين الغافلين عن البعث، وما بعده. ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ وعند أبي حاتم أن كلا بمعنى: حقّاً متصلة بما بعدها على معنى: حقّاً إن كتاب الفجار لفي سجين، وسجين هو ما فسره به سبحانه من قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ فأخبر بهذا أنه كتاب مرقوم؛ أي: مَسْطور، قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشرّ الصادرة من الشياطين والكفرة والفسقة، ولفظ سجين علَمٌ له.

وقال قتادة[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، ومقاتل[٥]، وكعب[٦]: إنه صخرة تحت

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٧٦)، و«الفريد» (٤/ ٦٤٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ١٦٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٨).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥) بسند صحيح.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٩).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤) من طريق الأعمش، به.

الأرض السابعة تقلب، فيجعل كتاب الفجار تحتها، وبه قال مجاهد[١]، فيكون في الكلام على هذا القول مضاف محذوف، والتقدير: محل كتاب مرقوم.

وقال أبو عبيدة[٢]، والأخفش[٣]، والمبرد[٤]، والزجاج[٥]: ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ لفي حبس وضيق شديد، والمعنى: كأنّهم في حبس، جعل ذلك دليلاً على خساسة منزلتهم وهوانها.

قال الواحدي[٦]: ذكر قوم أن قوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ تفسير لسجين[٧]، وهو بعيد لأنّه ليس السجين من الكتاب في شيء على ما حكيناه عن المفسرين، والوجه أن يجعل بياناً لكتاب، المذكور في قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ على تقدير: هو كتاب مرقوم؛ أي: مكتوب قد بينت حروفه انتهى، والأولى ما ذكرناه، ويكون المعنى: إنّ كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون؛ أي: ما يكتب من أعمالهم، أو كتابة أعمالهم لفي ذلك الكتاب المدوّن للقبائح المختصّ بالشر، وهو سجين.

ثم ذكر ما يدل على تهويله، وتعظيمه، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ثم بيّنه بقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾. قال الزجاج[٨]: معنى قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

قال قتادة[٩]: ومعنى مرقوم: رُقم لهم بشرٍّ كأنه أُعلم بعلامة يُعرف بها أنه كافر. وكذا قال مقاتل[١٠].

وقد اختلفوا في نون سجين، فقيل: هي أصلية، واشتقاقه من السجن، وهو الحبس، وهو بناء مبالغة كخمّير، وسكّير، وفسّيق من الخمر والسكر والفسق. وكذا

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩٤) بسند صحيح.
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٩).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٨).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٩٤).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٨).
(٦) في «الوسيط» (٤/ ٤٤٣).
(٧) «روح المعاني» (٢٨/ ٣٧٨)، و«جامع البيان» (٢٤/ ١٩٣).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٨).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ١٩٨) بسند صحيح.
(١٠) «الوسيط» (٤/ ٤٤٤).

قال أبو عبيدة[(١)]، والمبرد[(٢)]، والزجاج[(٣)].

قال الواحدي[(٤)]: وهذا ضعيف؛ لأن العرب ما كانت تعرف سجيناً. ويجاب عنه بأنه رواية هؤلاء الأئمة تقوم بها الحجة، وتدل على أنه من لغة العرب، ومنه قول ابن مقبل[(٥)]:

ورفقةٍ يضربونَ البيضَ ضاحيةً ضرباً تواصتْ به الأبطالُ سِجِّينَا

وقيل: النون بدل من اللام، والأصل: سجيل، مشتقاً من السجل، وهو الكتاب.

قال ابن عطية[(٦)]: من قال إن سجيناً موضع، فكتاب مرفوع على أنه خبر إن، والظرف وهو قوله: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ ملغى، ومن جعله عبارة عن الكتاب، فكتاب خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو كتاب، ويكون هذا الكلام مفسراً لسجين ما هو؟ كذا قال.

قال الضحاك[(٧)]: مرقوم مختوم بلغة حمير، وأصل الرقم الكتابة. قال الشاعر:

سأرقُمُ بالماءِ القَراحَ إليكم على بُعْدِكم إنْ كان للماءِ راقمُ[(٨)] [٤/٢٢٢]

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا متصل بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وما بينهما اعتراض، والمعنى: ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث، وبما جاءت به الرسل.

ثم بيّن سبحانه هؤلاء المكذبين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والموصول صفة للمكذبين، أو بدل منه ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: فاجر جائر متجاوز في الإثم، منهمك في أَسْبابه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ المنزّلة على محمد ﷺ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٩).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ٢٩).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٤٤٤).
(٥) «ديوان ابن مقبل» (ص٣٣٣).
(٦) في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٤٢).
(٨) البيت لأوس بن حجر وهو في «ديوانه» (ص١١٦).

﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾؛ أي: أحاديثهم وأباطيلهم التي زخرفوها. قرأ الجمهور[(١)]: «إذا تُتلى» بفوقيتين. وقرأ أبو حيوة[(٢)]، وأبو السمّال، والأشهب العقيلي، والسلمي بالتحتية.

وقوله: ﴿كَلَّاۖ﴾[(٣)] للردع، والزجر للمعتدي الأثيم عن ذلك القول الباطل، وتكذيب له، وقوله: ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ بيان للسبب الذي حملهم على قولهم بأن القرآن أساطير الأوّلين.

قال أبو عبيدة[(٤)]: ران على قلوبهم: غَلَب عليها رَيناً، وريوناً، وكل ما غلبك، وعلاك فقد ران بك، وران عليك. قال الفرّاء: هو أنها كثرت منهم المعاصي والذنوب، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها. قال الحسن[(٥)]: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب.

قال مجاهد[(٦)]: القلب مثل الكفِّ، ورفع كفَّه فإذا أذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذنب ذنباً آخر انقبض، وضم أخرى حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه. قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين ثم قرأ هذه الآية.

[أحوال القلوب العاصية: الرين والطبع والقفل]:

قال أبو زيد[(٧)]: يُقال: قد رين بالرجل ريناً: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له به.

وقال أبو معاذ[(٨)] النحوي: الرين أَنْ يسودّ القلبُ من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشدّ من الرين، والإقفال أشدّ من الطبع.

قال الزجاج[(٩)]: الرين هو كالصدأ يغشى القلبَ كالغيم الرقيق، ومثله الغين.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٢٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٩٢).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٩٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٧٩). وهي قراءة شاذة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٤٢).

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٢).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٠٢ ـ ٢٠٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٢٠٩)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٣) من طريق الأعمش، به.

(٧) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٤٥).

(٨) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٢٥).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩٩).

[في الآية دليل على رؤية الله في الآخرة]:

ثم كرّر سبحانه الردع، والزجر فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ وقيل: كلا بمعنى: حقّاً؛ أي: حقّاً إنهم؛ يعني: الكفار عن ربهم يوم القيامة لا يرونه أبداً.

قال مقاتل(١): يعني: أنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون إليه نظر المؤمنين إلى ربهم. قال الحسين(٢) بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عَنْ توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته. قال الزجاج(٣): في هذه الآية دليل على أنّ الله ﷻ يُرى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فأعلم جلّ ثناؤه أن المؤمنين ينظرون، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه. وقيل: هو تمثيل لإهانتهم بإهانة مَنْ يحجب عن الدخول على الملوك. وقال قتادة(٤)، وابن أبي مليكة(٥): هو أن لا ينظر إليهم برحمته، ولا يزكيهم.

وقال مجاهد(٦): محجوبون عن كرامته، وكذا قال ابن كيسان(٧).

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾؛ أي: داخلو النار، وملازموها غير خارجين منها، وثم لتراخي الرتبة؛ لأن صَلْي الجحيم أشدّ من الإهانة، وحرمان الكرامة.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: تقول لهم خزنة جهنم تبكيتاً وتوبيخاً(٨): هذا الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، فانظروه وذوقوه.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس(٩) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقض قوم العهدَ إلا سلط الله عليهم عدوّهم، ولا طفّفوا الكيل إلا مُنعوا النبات، وأخذوا بالسنين».

---

(١) «الوسيط» (٤/٤٤٦).
(٢) «الوسيط» (٤/٤٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/١٤٦).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٢٩٩).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٠٤ ـ ٢٠٥) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٠٥) من طريق بقية بن الوليد، به.
(٦) «الوسيط» (٤/٤٤٦).
(٧) «معالم التنزيل» (٨/٣٦٥ ـ ٣٦٦).
(٨) «روح المعاني» (٢٨/٣٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٥٠٣).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٤٢)، والحديث أخرجه الطبراني رقم (١٠٩٩٢). وهو حديث صحيح لغيره.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر(١): «أن النبيّ ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم في رَشْحه إلى أنصاف أذنيه».

وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عمر(٢) قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: فكيف إذا جمعكم الله، كما يُجمع النَّبْل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم؟».

وأخرج أبو يعلى، وابن حبان، وابن مردويه عن أبي هريرة(٣) عن النبيّ ﷺ «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيُهَوِّن ذلك على المؤمن كتدلِّي الشمس إلى الغروب إلى أن تغرب».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود(٤) قال: إذا حشر الناس قاموا أربعين عاماً. وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعاً.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر(٥) أنه قال: يا رسول الله كم مُقام الناس بين يدي ربّ العالمين يوم القيامة؟ قال: «ألف سنة لا يؤذن لهم».

وأخرج ابن المبارك في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر من طريق شِمر بن عطية(٦) أن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: إن روح الفاجر يُصَعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، فيهبط بها الأرض، فتأبى أن تقبلها، فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خدّ إبليس، فيخرج لها من تحت خد إبليس كتاباً فيختم، ويوضع تحت خد إبليس.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٣٨، ٦٥٣١)، ومسلم رقم (٢٨٦٢)، والترمذي رقم (٢٤٢٢)، وهناد رقم (٣٢٦) وعيد بن حميد رقم (٧٦١ ـ منتخب).

(٢) أخرجه الطبراني رقم (٨٥ ـ قطعة من الجزء الثالث عشر)، والحاكم (٤/ ٥٧٢). وهو حديث ضعيف.

(٣) أخرجه أبو يعلى رقم (٦٠٢٥)، وابن حبان رقم (٧٧٣٣) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٢).

(٥) أخرجه الطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٧) وقال الهيثمي: فيه هشام بن بلال ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٦) أخرجه ابن المبارك رقم (١٢٢٣ ـ زوائد الحسين).

أخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس قال: ﴿سِجِّينٌ﴾ أسفل الأرضين.

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة[٢] عن النبي ﷺ قال: «الفلق جُبٌّ في جهنم مُغطّى، وأما سجين فمفتوح».

قال ابن كثير[٣]: هو حديث غريب منكر لا يصحّ.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «﴿سِجِّينٌ﴾ الأرض السابعة السفلى».

وأخرج ابن مردويه[٥] عن جابر نحوه مرفوعاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن ماجه، والطبراني، والبيهقي في «البعث» عن عبد الله بن كعب بن مالك[٦] قال: لما حضرت كعباً الوفاة أتته أمّ بشر بنت البراء فقالت: إنْ لقيتَ ابني، فأقرئه منّي السلام، فقال: غفر الله لك يا أمّ بشر نحن أشغل من ذلك، فقالت: أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ نسَمَة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت، وإنّ نسَمَة الكافر في سجين؟» قال: بلى، قالت: فهو ذلك.

وأخرج ابن المبارك[٧] نحوه عن سلمان.

وأخرج أحمد، وعبد بن حُميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُّعب» عن أبي هريرة[٨] عن النبيّ ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٩٦). وهو حديث منكر. «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٠٢٩).

(٣) في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٤).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٥).

(٦) أخرجه عبد بن حميد رقم (١٥٦٩ ـ منتخب)، وابن ماجه رقم (١٤٤٩)، والطبراني (ج١٩ رقم ١٢٢)، والبيهقي رقم (٢٢٦). وهو حديث ضعيف. لكن المرفوع منه صحيح؛ قاله الألباني رَحِمَهُ اللهُ. «ضعيف سنن ابن ماجه» رقم (٣٠٩)، و«صحيح سنن ابن ماجه» رقم (١/ ١١٨٧).

(٧) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٤٢٩).

(٨) أخرجه أحمد رقم (٧٩٥٢)، والترمذي رقم (٣٣٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٥٨)، وابن ماجه رقم (٤٢٤٤)، وابن جرير (٢٤/ ٢٠٠)، وابن حبان رقم (٩٣٠)، والحاكم (٢/ ٥١٧)، والبيهقي رقم (٧٢٠٣). وهو حديث حسن.

نُكتت في قلبه نُكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِل قلبُه، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله سبحانه في القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

[حال الأبرار أصحاب هذا الكتاب الكريم وما هم فيه من نعيم في ذلك اليوم]:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾.

قوله: ﴿كَلَّا﴾ للردع، والزجر عما كانوا عليه، والتكرير للتأكيد، وجملة: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ مستأنفة لبيان ما تضمنته، ويجوز أن يكون كَلّا بمعنى حقّاً، والأبرار: هم المُطيعون، وكتابهم صحائف حسناتهم.

قال الفراء[١]: عليين ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له، ووجه هذا أنه منقول من جمع علِّيّ مِنْ العلوّ.

قال الزجاج[٢]: هو أعْلَى الأمكنة. قال الفرّاء[٣] والزجاج[٤]: فأعرب كإعراب الجمع؛ لأنه على لفظ الجمع، ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين، وعشرين، وقنّسرين، قيل: هو علَم لديوان الخير الذي دوّن فيه ما عمله الصالحون.

وحكى الواحدي[٥] عن المفسرين أنّه السماء السابعة. قال الضحاك[٦]،

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٧).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٠).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٧).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٠).
(٥) في «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٤٧).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٠٧) بسند صحيح.

ومجاهد(١)، وقتادة(٢): يعني: السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين.

وقال الضحاك(٣): هو سدرةُ المنتهى ينتهي إليه كل شيء من أمر الله لا يعدوها، وقيل: هو الجنّة، وقال قتادة(٤) أيضاً: هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليُمْنى، وقيل: إن عليين صفة للملائكة، فإنهم في الملأ الأعلى، كما يقال فلان في بني فلان؛ أي: في جملتهم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: وما أعلمك يا محمد أيّ شيء عليّون؟ على جهة التفخيم والتعظيم لعليين، ثم فسره فقال: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾؛ أي: مَسْطور، والكلام في هذا كالكلام المتقدم في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٨، ٩].

وجملة: ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ صفة أخرى لكتاب، والمعنى: أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم، وقيل: يشهدون بما فيه يوم القيامة. قال وهب وابن إسحاق(٥): المقرّبون هنا إسرافيل، فإذا عمل المؤمن عمل البرّ صعدت الملائكة بالصحيفة، [٤/٢٢٣] ولها نور يتلألأ في السمٰوات كنور الشمس في الأرض حتى تنتهي بها إلى إسرافيل، فيختم عليها.

ثم ذكر سبحانه حالهم في الجنة بعد ذكر كتابهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾؛ أي: إن أهل الطاعة لفي تنعّم عظيم لا يقادر قدره ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ الأرائك: الأسرة التي في الحِجال، وقد تقدّم أنها لا تُطلق الأريكة على السرير إلا إذا كان في حجلة. قال الحسن(٦): ما كنا ندري ما الأرائك حتى قدم علينا رجل من اليمن، فزعم أن الأريكة عندهم الحجلة إذا كان فيها سرير.

ومعنى: ﴿يَنظُرُونَ﴾ أنهم ينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامات، كذا قال عكرمة(٦)، ومجاهد، وغيرهما. وقال مقاتل: ينظرون إلى أهل النار، وقيل: ينظرون إلى وجهه، وجلاله.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٠٧) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٢٠٨) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٢٠٩) من طريق الأجلح، به.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٠٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٣٥٦).
(٥) «جامع البيان» (٢٤/ ٢١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٥٠).
(٦) انظر هذه الأقوال: «الوسيط» (٤/٤٤٨)، و«معالم التنزيل» (٨/٣٦٩).

[تفيض النضرة على وجوههم وملامحهم]:

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور، والحُسن، والبياض، والبهجة، والرونق، والخطاب لكلّ راء يصلح لذلك، يقال أنضر النبات: إذا أزهر ونوّر. قال عطاء[(١)]: وذلك أن الله زاد في جمالهم، وفي ألوانهم ما لا يصفه واصف.

قرأ الجمهور[(٢)]: «تَعرِف» بفتح الفوقية، وكسر الراء، ونصب نضرةَ، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع، ويعقوب، وشيبة، وطلحة، وابن أبي إسحاق بضم الفوقية، وفتح الراء[(٣)] على البناء للمفعول، ورفع نضرة بالنيابة.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾ قال أبو عبيدة[(٤)]، والأخفش[(٥)]، والمبرد[(٦)]، والزجاج[(٧)]: الرحيق من الخمر ما لا غشّ فيه، ولا شيء يفسده. والمختوم الذي له ختام.

وقال الخليل[(٨)]: الرحيق أجود الخمر، وفي «الصحاح»[(٩)]: الرحيق: صفوة الخمر. وقال مجاهد[(١٠)]: هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية، ومنه قول حسان[(١١)]:

يُسْقَوْنَ مَنْ وِرْدِ البريصِ عليهم   بَرَدَى يصفقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ

قال مجاهد[(١٢)]: ﴿مَّخۡتُومٍ﴾ مطين كأنه ذهب إلى معنى الختم بالطين، ويكون المعنى: أنه ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار. وقال سعيد بن جبير[(١٣)]، وإبراهيم النخعي[(١٤)]: ختامه آخر طعمه.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٤٤٨).

(٢) «جامع البيان» (٢٤/٢١٣)، و«النشر» (٢/٣٩٩)، و«زاد المسير» (٩/٥٨)، و«روح المعاني» (٢٨/٣٨٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/٢٨٨).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٠).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٤٤٨).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٠).

(٨) في كتاب العين (ص٣٤٢).

(٩) «الصحاح» (٤/ ١٤٨٠).

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٣١٨).

(١١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٨٠).

(١٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/٣١٨ ـ ٣١٩) بسند صحيح.

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/١٤٣).

(١٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٢١٨) عن إبراهيم والحسين.

وهو معنى قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك. وقيل: مختوم أوانيه من الأكواب، والأباريق بمسكٍ مكان الطين، وكأنه تمثيل لكمال نفاسته، وطيب رائحته. والحاصل أن المختوم، والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره، أو من ختم الشيء وهو جعل الخاتم عليه، كما تختم الأشياء بالطين، ونحوه.

قرأ الجمهور(١): «خَتامه» وقرأ عليّ، وعلقمة، وشقيق، والضحاك، وطاووس، والكسائي: «خَاتمه» بفتح الخاء(٢)، والتاء، وألف بينهما. قال علقمة(٣): أما رأيت المرأة تقول للعطار: اجعل خاتمه مسكاً؛ أي: آخره، والخاتم، والختام يتقاربان في المعنى، إلا أن الخاتم الاسم، والختام المصدر، كذا قال الفراء(٤). قال في «الصحاح»(٥): والختام: الطين الذي يُختم به، وكذا قال ابن زيد(٦). قال الفرزدق:

وبِتْنَ بِجَانِبيَّ مُصرَّعَاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الخِتَامِ(٧)

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي: فليرغب الراغبون، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الرحيق الموصوف بتلك الصفة، وقيل: إن في بمعنى إلى؛ أي: وإلى ذلك، فليتبادر المتبادرون في العمل، كما في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] وأصل التنافس: التشاجر على الشيء، والتنازع فيه، بأن يحب كل واحد أن يتفرد به دون صاحبه، يقال: نَفِستُ الشيء عليه أنفسُه نَفَاسةً؛ أي: ضَنِنتُ به، ولم أحبّ أن يصير إليه.

قال البغوي(٨): أصلُه من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، فيريده كل واحد لنفسه، وينفس به على غيره؛ أي: يضنّ به.

---

(١) «التيسير» (ص٢٢١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٦٦)، و«النشر» (٢/٢٩٩)، و«البحر المحيط» (١٠/٤٣١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/٤٣١)، و«زاد المسير» (٩/٥٩).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/٢٤٨).
(٥) في «الصحاح» (٥/١٩٠٨).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢١٩) بسند صحيح.
(٧) تقدم ذكره.
(٨) في «معالم التنزيل» (٨/٣٦٨).

قال عطاء[١]: المعنى: فليستبق المستبقون. وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون.

[متابعة وصف ذلك الشراب]:

وقوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ معطوف على ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ صفة أخرى لرحيق؛ أي: ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم، وهو شرابٌ ينصبّ عليهم من علو، وهو أشرف شراب الجنّة، وأصل التسنيم في اللغة[٢]: الارتفاعُ، فهي عين ماءٍ تجري من علوّ إلى أسفل، ومنه سنام البعير لعلوّه من بدنه، ومنه تسنيم القبور.

ثم بيّن ذلك فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وانتصاب[٣] عيناً على المدح.

وقال الزجاج[٤]: على الحال، وإنما جاز أن تكون عيناً حالاً مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ وقال الأخفش[٥]: إنَّها منصوبة بيسقون؛ أي: يسقون عيناً، أو من عين، وقال الفرّاء[٦]: إنها منصوبة بتسنيم على أنه مصدر مشتق من السَّنام، كما في قوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤، ١٥] والأوّل أولى، وبه قال المبرّد[٧]. قيل: والباء في بها زائدة؛ أي: يشربها، أو بمعنى من؛ أي: يشرب منها.

قال ابن زيد[٨]: بلغنا أنها عين تجري من تحت العرش، قيل: يشرب بها المقرّبون صَرْفاً، ويُمزج بها كأس أصحاب اليمين.

ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ وهم كفار قُريش، ومَنْ وافقهم على الكفر ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾؛ أي: كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين ويَسْخرون منهم.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾؛ أي: وإذا مرّ المؤمنون بالكفار وهم في مجالسهم ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾

---

(١) «معالم التنزيل» (٩/ ٣٦٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٥)، و«الصحاح» (٥/ ١٩٥٥).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٧٧)، و«الفريد» (٤/ ٦٤٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠١).
(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٣٤). (٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٩).
(٧) ذكره مكي في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٤)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٨٢).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٢٤) بسند صحيح.

من الغمز، وهو الإشارةُ بالجفون والحواجب؛ أي: يغمز بعضهم بعضاً، ويشيرون بأعينهم وحواجبهم.

وقيل: يعيرونهم بالإسلام، ويعيبونهم به.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾؛ أي: الكفار ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ من مجالسهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾؛ أي: مُعجبين بما هم فيه متلذذين به، يتفكهون بذكر المؤمنين، والطعن فيهم، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم. والانقلاب: الانصراف.

قرأ الجمهور[1]: «فاكهين» وقرأ حفص، وابن القعقاع، والأعرج، والسلمي: «فكهين» بغير ألف[2].

قال الفرّاء[3]: هما لغتان، مثل طَمِعٌ وطامع، وحَذِر وحَاذر. وقد تقدّم بيانه في سورة الدخان أن الفَكِهُ: الأشِر البَطِرُ، والفاكِه: النّاعم المتنعِّم.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾؛ أي: إذا رأى الكفّار المسلمين في أي مكان ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ في اتباعهم محمداً، وتمسكهم بما جاء به، وتركهم التنعم الحاضر، ويجوز أنْ يكون المعنى: وإذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول، والأوّل أولى.

وجملة: ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ في محل نصب[4] على الحال من فاعل قالوا؛ أي: قالوا ذلك أنهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المراد باليوم: اليوم الآخر ﴿مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ والمعنى: أن المؤمنين في ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين، قد نزل بهم ما نزل من العذاب، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

وجملة: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ في محل نصب[5] على الحال من فاعل

---

(١) «التيسير» (ص٢٢١)، و«النشر» (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٦١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٦).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٩).
(٤) «الفريد» (٤/ ٦٤٥)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٣٩٢).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

يضحكون؛ أي: يضحكون منهم ناظرين إليهم، وإلى ما هم فيه من الحال الفظيع، وقد تقدّم تفسير الأرائك قريباً.

قال الواحدي(١): قال المفسِّرون: إن أهل الجنة إذا أرادوا نظروا من منازلهم إلى أعداء الله، وهم يُعذبون في النار، فضحكوا منهم، كما ضحكوا منهم في الدنيا.

وقال أبو صالح(١): يقال لأهل النّار: اخرجوا، ويفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ الجملة مستأنفة لبيان أنه قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم في الدنيا مِنْ الضحك من المؤمنين، والاستهزاء بهم، والاستفهام للتقرير، وثوّب بمعنى: أثيب.

والمعنى: هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين؟ وقيل: الجملة في محل نصب بينظرون، وقيل: هي على إضمار القول: أي: يقول بعض المؤمنين لبعض هَلْ ثوّب الكفار؟ والثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله، ويطلق على الخير والشرّ. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام «هل» في «ثاء» «ثُوّب» وقرأ الباقون بترك الإدغام.

وقد أخرج ابن المبارك في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر من طريق شمر بن عطية أن ابن عباس(٢) سأل كعب الأحبار عن قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قال: روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء، ففتح لها أبواب السماء، وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى تنتهي بها إلى العرش، وتعرج الملائكة، فيخرج لها من تحت العرش رقّ، فيُرقم ويُختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النَّجاة لحساب يوم الدين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٣) ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قال: الجنة، وفي قوله: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال: أهل السماء.

---

(١) أخرجه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (١/ ٣١).

(٢) أخرجه ابن المبارك رقم (١٢٢٣ ـ زوائد الحسين).

(٣) أخرجه ابن جرير (٥٤/ ٢٠٩، ٢١٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٤) بسند صحيح.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والطبراني، وابن مردويه عن أبي أمامة[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين».

وأخرج ابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[٢] في قوله: ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: عين في الجنة يتوضئون منها ويغتسلون، فتجري عليهم نضرة النعيم.

وأخرج عبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن المنذر، والبيهقي [٤/٢٢٤] في «البعث» عن ابن مسعود[٣] في قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ قال: الرحيق الخَمْر، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك.

وأخرج ابن أبي شيبة، وهناد، وابن المنذر[٤] عنه في قوله: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ قال: ممزوج ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: طعمه وريحُه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿مِن رَّحِيقٍ﴾ قال: خمر، وقوله: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ قال: خُتم بالمسك.

وأخرج الفريابي، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن مسعود[٦] في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: ليس بخاتم يختم به، ولكن خِلْطه مسك، ألم تر إلى المرأة مِنْ نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا؟

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي عن أبي الدرداء[٧] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: هو: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد ريحها.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٢٣٠٤)، وأبو داود رقم (٥٥٨، ١٢٨٨)، والطبراني رقم (٧٧٣٤، ٧٧٣٥)، وفي «الأوسط» رقم (٣٢٦٢). وهو حديث حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٢)، وهناد رقم (٦٤، ٦٦)، والبيهقي رقم (٣٦١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٢) عن مسروق وهناد رقم (٦١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢١٧)، والبيهقي رقم (٣٥٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه الطبراني رقم (٩٠٦٢)، والحاكم (٢/ ٥١٧)، والبيهقي رقم (٣٥٩).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢١٨)، والبيهقي رقم (٣٦٥) بسند ضعيف، لضعف جابر الجعفي.

أبي حاتم عن ابن عباس[١] قال: ﴿تَسۡنِيمٍ﴾ أشرف شراب أهل الجنة، وهو صَرْف للمتقين، ويُمزج لأصحاب اليمين.

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٢] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ قال: عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين، ويشربها المقرّبون صرفاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] أنه سئل عن قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ قال: هذا مما قال الله ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٥٧)، والبيهقي رقم (٣٦٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك رقم (١٥٢٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٢) وعنده عن مسروق. وهنّاد رقم (٦٥، ٦٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٢).

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

هي ثلاث وعشرون آية وقيل: خمس وعشرون آية. وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقيّ عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الانشقاق بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي رافع[٤] قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ أي: سورة الإنشقاق؛ فسجد، فقلت له، فقال: سجدتُ خلف أبي القاسم ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه.

وأخرج مسلم، وأهل السنن، وغيرهم عن أبي هريرة[٥] قال: سجدنا مع رسول الله في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

وأخرج ابن خزيمة، والروياني في مسنده، والضياء المقدسي في «المختارة» عن بريدة[٦]: «أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ ونحوها».

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٥٧).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧/١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٤).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٧٦٦، ٧٦٨، ٤٠٧٨)، ومسلم رقم (٥٧٨/ ١١٠)، وأبو داود رقم (١٤٠٨)، والنسائي رقم (٩٦٧).

(٥) أخرجه مسلم رقم (٥٧٨، ١٠٨، ١٠٩)، وأبو داود رقم (١٤٠٧)، والترمذي رقم (٥٧٣، ٥٧٤)، والنسائي رقم (٩٦٦)، وابن ماجه رقم (١٠٥٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦).

(٦) أخرجه ابن خزيمة رقم (٥١١) بسند صحيح.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أهوال يوم القيامة وانقسام الناس فريقين]:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ۝٢٥﴾.

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ هو: كقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١] في إضمار الفعل وعدمه. قال الواحدي[١]: قال المفسرون: انشقاقها عن علامات القيامة.

ومعنى انشقاقها: انفطارها بالغمام الأبيض، كما في قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] وقيل: تنشقّ من المجرّة، والمجرّة باب السماء.

واختلف في جواب إذا، فقال الفرّاء[٢]: إنه أَذِنت، والواو زائدة، وكذلك ألقت.

قال ابن الأنباري[٣]: هذا غلط لأنَّ العرب لا تقحم الواو إلَّا مع (حتى إذا) كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ومع (لما) كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤] ولا تقحم مع غير هذين. وقيل: إن الجواب قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾؛ أي: فأنت ملاقيه، وبه قال الأخفش[٤].

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٥١).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).
(٣) في «إيضاح الموقف والابتداء» (٢/ ٩٧١).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٥).

وقال المبرد[١]: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً؛ أي: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً، فملاقيه إذا السماء انشقت. وقال المبرد[١] أيضاً: إن الجواب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وبه قال الكسائي[٢]، والتقدير: إذا السماء انشقت، فمَنْ أوتي كتابه بيمينه، فحكمه كذا، وقيل هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ على إضمار الفاء، وقيل: إنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ على إضمار القول؛ أي: يقال له يا أيها الإنسان، وقيل: الجواب محذوف تقديره بعثتم، أو لاقى كلّ إنسان عمله.

وقيل: هو ما صرّح به في سورة التكوير؛ أي: (علمت نفس) هذا على تقدير أنّ إذا شرطية، وقيل: ليست بشرطية وهي منصوبة بفعل محذوف؛ أي: اذكر، أو هي مبتدأ، وخبرها إذا الثانية، والواو مزيدة، وتقديره: وقت انشقاق السماء وقت مدّ الأرض.

ومعنى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أنّها أطاعته في الانشقاق من الإذن، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه ﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي: وحقّ لها أن تطيع وتنقاد وتسمع، ومن استعمال الإذن في الاستماع قول الشاعر:

صُمٌّ إذا سمعُوا خيراً ذُكِرْتُ به ... وإنْ ذُكِرْتُ بسوءٍ عندَهم أَذِنُوا[٣]

وقول الآخر:

إنْ يأذنوا ريبةً طاروا بها فرحا ... منّي وما أَذِنوا من صالحٍ دفنوا[٤]

وقيل المعنى: وحقق الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق؛ أي: جعلها حقيقة بذلك. قال الضحاك[٥]: حُقّت أطاعتْ، وحقّ لها أَنْ تطيع ربها لأنه خلقها، يقال فلان محقوق بكذا، ومعنى طاعتها: أنّها لا تمتنع مما أراده الله بها. قال قتادة[٦]:

---

(١) «زاد المسير» (٩/ ١٣).

(٢) «تفسير الرازي» (٣١/ ١٠٥).

(٣) البيت لقعنب بن أم صاحب. «عيون الأخبار» (٣/ ٨٤)، و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (٤/ ١٢).

(٤) «عيون الأخبار» (٣/ ٨١)، و«شرح ديوان الحماسية» للتبريزي (٤/ ١٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) بسند حسن عن طريق عبيد عن الضحاك قال: سمعت وأطاعت.

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٤).

حقّ لها أن تفعل ذلك، ومن هذا قول كُثيِّر[١]:

فان تكن العتبى فأهلاً ومرحبا وحُقّت لها العتبى لدينا وقلّتِ

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾؛ أي: بُسطت كما تُبسط الأدم؛ ودُكّت جبالها حتى صارت قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

قال مقاتل[٢]: سوّيت كمدّ الأديم، فلا يبقى عليها بناء ولا جبل إلا دخل فيها، وقيل: مُدّت زيد في سعتها، من المدد، وهو: الزيادة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾؛ أي: أخرجت ما فيها من الأموات والكنوز، وطرحتهم إلى ظهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ من ذلك.

قال سعيد بن جبير[٣]: ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء، ومثل هذا قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: سمعت وأطاعت لما أمرها من الإلقاء والتخلي ﴿وَحُقَّتْ﴾؛ أي: وجُعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له، وقد تقدّم بيان معنى الفعلين قبل هذا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المراد: جنس الإنسان، فيشمل المؤمن والكافر، وقيل: هو الإنسان الكافر.

والأوّل أولى لما سيأتي من التفصيل.

[معنى الكدح]:

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ الكدح[٤] في كلام العرب: السعي في الشيء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشيء خيراً أو شرّاً، والمعنى: أنك ساع إلى ربك في عملك، أو إلى لقاء ربك، مأخوذ من كدح جلدَه: إذا خدشه. قال ابن مقبل[٥]:

ومـا الـدهـرُ إلا تـارتـانِ فـمـنْـهـمـا أموتُ وأُخْرى أبتغي العيشَ أَكْدَحُ

قال قتادة[٦]، والضحاك، والكلبي: عامل لربِّك عملاً.

---

(١) «ديوان كثير» (ص٧٩).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٥١).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٥).

(٤) «تهذيب اللغة» (٤/ ٩٤)، و«الصحاح» (١/ ٣٩٨).

(٥) «ديوان ابن مقبل» (ص١٤).

(٦) ذكره عنهم البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٤).

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾؛ أي: فملاق عملك، والمعنى: أنه لا محالة ملاق لجزاء عمله، وما يترتب عليه من الثواب والعقاب.

قال القتيبي[١]: معنى الآية: إنك كادح؛ أي: عاملٌ ناصبٌ في معيشتك إلى لقاء ربك، والملاقاة بمعنى اللقاء؛ أي: تلقى ربك بعملك، وقيل: فملاق كتاب عملك؛ لأن العمل قد انقضى.

[الحساب اليسير الذي يلقاه من يؤتى كتابه بيمينه]:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم: المؤمنون ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ لا مناقشة فيه.

قال مقاتل[٢]: لأنها تغفر ذنوبه، ولا يحاسب بها.

وقال المفسرون[٣]: هو أن تُعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله، فهو الحساب اليسير.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾؛ أي: وينصرف[٤] بعد الحساب اليسير إلى أهله الذين هم في الجنة من عشيرته، أو إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا من الزوجات والأولاد، وقد سبقوه إلى الجنة، أو إلى مَنْ أعدّه الله له في الجنة من الحور العين، والولدان المخلدين، أو إلى جميع هؤلاء مسروراً مبتهجاً بما أوتي من الخير والكرامة.

[وضع الذي يؤتى كتابه وهو كاره الهلاك بسبب عمله]:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قال الكلبي[٥]: لأن يمينه مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلفه. وقال قتادة[٦]، ومقاتل: تفك ألواح صدره وعظامه، ثم تدخل يده وتخرج من ظهره، فيأخذ كتابه كذلك.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾؛ أي: إذا قرأ كتابه قال: يا ويلاه يا ثبوراه، والثبور:

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥٢١).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥٢).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٥٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٦٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٠٢).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٥٣).
(٦) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٢).

الهلاك ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾؛ أي: يدخلها، ويقاسي حرّ نارِها وشدّتها.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، وعاصم[١] بفتح الياء، وسكون الصاد، وتخفيف اللام. وقرأ الباقون[٢] بضم الياء، وفتح اللام، وتشديدها، وروى إسماعيل[٣] المكي عن ابن كثير، وكذلك خارجة عن نافع، وكذلك روى إسماعيل المكي عن ابن كثير أنهم قرءوا بضم الياء، وإسكان الصاد من أصلى يصلي.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [٤/٢٢٥] أي: كان بين أهله في الدنيا مسروراً باتباع هواه، وركوب شهوته بَطِراً أشراً لعدم خطور الآخرة بباله، والجملة تعليل لما قبلها.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ تعليل لكونه كان في الدنيا في أهله مسروراً، والمعنى: أنّ سبب ذلك السرور ظنه بأنه لا يرجع إلى الله، ولا يُبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث، وجحده للدار الآخرة، وأن في قوله: ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ هي: المخففة[٤] من الثقيلة سادّة مع ما في حيزها مسدّ مفعولي ظنّ، والحور في اللغة[٥]: الرجوعُ، يقال: حار يحور: إذا رجع، وقال الراغب: الحور التردّد في الأمر، ومنه نعوذ بالله من الحَور بعد الكور: أي من التردّد في الأمر بعد المضيّ فيه، ومحاورة الكلام مراجعته، والمحار: المرجع والمصير.

قال عكرمة[٦]، وداود بن أبي هند: يحور كلمة بالحبشية، ومعناها يرجع. قال القرطبي[٧]: الحور في كلام العرب: الرجوع، ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الحور بعد الكور» يعني: من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وكذلك الحور بالضم، وفي المثل: «حُور في مَحَارة» أي: نقصان في نقصان، ومنه قول

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان وكقراءة أبي عمرو كذلك أبو جعفر ويعقوب وخلف، وأمّا الرواية عن نافع وابن كثير مِنْ أصلى يُصْلى فشاذة.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٣٨)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١٠٨)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٠).

(٤) «الفريد» (٤/ ٦٤٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٦).

(٥) «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٢٧)، و«الصحاح» (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٦) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٦).

(٧) في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٤).

الشاعر[١]:

والـذمُّ يَـبـقـى وزاد الـقـومِ فـي حُـوْرِ[٢]

والحُوْر أيضاً الهلكة، ومنه قول الراجز:

فـي بـئـرِ لا حُـورٍ سَـرَى ومـا شَـعَـرْ[٣]

قال أبو عبيدة[٤]؛ أي: في بئر حورٍ، ولا زائدة.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ بلى إيجاب للمنفيّ بلن؛ أي: بلى ليحورنّ وليبعثنّ. ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾؛ أي: كان به وبأعماله عالماً لا يخفى عليه منها خافية.

قال الزجاج[٥]: كان به بصيراً قبل أن يخلقه عالماً بأن مرجعه إليه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ «لا» زائدة، كما تقدّم في أمثال هذه العبارة، وقد قدّمنا الاختلاف فيها في سورة القيامة، فارجع إليه، والشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة.

قال الواحدي[٦]: هذا قول المفسرين، وأهل اللغة جميعاً. قال الفراء[٧]: سمعت بعض العرب يقول: عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق، وكان أحمر، وحكاه القرطبي[٨] عن أكثر الصحابة، والتابعين والفقهاء.

وقال أسد بن عمر[٩]، وأبو حنيفة: في إحدى الروايتين عنه إنه البياض، ولا وجه لهذا القول، ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع.

---

(١) البيت لسبيع بن الخطيم.
شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي (ص٢٨٨).

(٢) وصدر البيت:

واستَعْجَلوا عن خفيفِ المَضْغِ فازْدَرَدُوا

(٣) البيت للعجّاج، وهو في «ديوانه» (ص٧٢).

(٤) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٦٣٩).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٥).

(٦) في «الوسيط» (٤/ ٤٥٤).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥١).

(٨) في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٧).

(٩) أسد بن عمرو وهو أبو المنذر، وقيل أبو عمرو ـ القاضي القشيري البجلي الكوفي ـ سمع أبا حنيفة وتفقه عليه، توفي سنة (١٨٨هـ)، «الجواهر المضية» (١/ ٣٧٦).

قال الخليل[١]: الشفق: الحمرةُ مِنْ غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة.

قال في «الصحاح»[٢]: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أوّل الليل إلى قريب العتَمة، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا، ومنه قول الشاعر:

قـمْ يـا غـلامُ أعـنَّـى غَـيْـرَ مُـرْتَـبِـكٍ   على الزمانِ بكأسٍ حَشْوُها شَفَقُ[٣]

وقال آخر:

أحـمـرُ الـلـونِ كـمُـحْـمَـرِّ الـشـفـقْ[٣]

وقال مجاهد[٤]: الشفق: النهارُ كله ألا تراه قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾. وقال عكرمة[٥]: هو ما بقي من النهار، وإنما قالا هذا لقوله بعده: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ فكأنه تعالى أقسم بالضياء والظلام، ولا وجه لهذا، على أنه قد روي عن عكرمة[٦] أنه قال: الشفق: الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وروي عن أسد بن عمرو[٧] الرجوع.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الوسق عند أهل اللغة[٨]: ضم الشيء بعضه إلى بعض، يقال استوسقت الإبلُ: إذا اجتمعت وانضمت، والراعي يسقها: أي: يجمعها.

قال الواحدي[٩]: المفسرون يقولون: وما جمع، وضمّ، وحوى، ولفّ.

والمعنى: أنه جمع، وضمّ ما كان منتشراً بالنهار في تصرّفه، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كلُّ شيء إلى مأواه، ومنه قول ضابئ بن الحرث البرجُمي:

فـإنـي وإيـاكُـم وشـوقـاً إلـيـكـم   كقـابـضٍ شيـئاً لـم تَـنـلْـه أنـامـلُـهْ[١٠]

وقال عكرمة[١١] ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما ساق من شيء إلى حيث يأوي، فجعله من السوق لا من الجمع، وقيل: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما جُنَّ وستر، وقيل:

---

(١) في كتاب «العين» (ص٤٨٦).
(٢) «الصحاح» (٤/ ١٥٠١ ـ ١٥٠٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٧).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٥).
(٥) «الكشاف» (٦/ ٣٤٣).
(٦) «الكشاف» (٦/ ٣٤٣)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٦٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧).
(٨) «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٣٤)، و«الصحاح» (٤/ ١٥٦١).
(٩) في «الوسيط» (٤/ ٤٥٤).
(١٠) «خزانة الأدب» (٩/ ٣٢٣).
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٤٨) من طريق علي بن الحسن، به.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما حمل، وكل شيء حملته فقد وسقته، والعرب تقول: لا أحمله ما وسقتْ عيني الماء؛ أي: حملته، ووسَقْتِ الناقةُ تَسِقُ وسْقاً؛ أي: حَمَلَتْ.

قال قتادة(١)، والضحاك، ومقاتل بن سليمان: وما وسق، وما حمل من الظُّلمة، أو حمل من الكواكب.

قال القشيري(٢): ومعنى حمل ضمّ وجمع، والليل يحمل بظلمته كل شيء. وقال سعيد بن جبير(٣): وما وسق؛ أي: وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالأسحار، والأوّل أولى.

[القمر في ليالي اكتماله]:

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ أي: اجتمع، وتكامل.

قال الفراء(٤): اتساقه امتلاؤُه، واجتماعه، واستواؤه ليلة ثالث عشر، ورابع عشر إلى ستّ عشرة، وقد افتعل من الوسق الذي هو الجمع.

قال الحسن(٥): اتسق امتلأ، واجتمع. وقال قتادة(٦): استدار، يقال: وسقته فاتسق، كما يقال: وصلته فاتصل، ويقال أمرُ فلانٍ متسق؛ أي: مجتمع منتظم، ويقال: اتسق الشيء: إذا تتابع.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ هذا جواب القسم. قرأ حمزة، والكسائي، وابن كثير، وأبو عمرو لتركبَنّ بفتح(٧) الموحدة على أنه خطاب للواحد، وهو النبيّ ﷺ، أو لكل مَنْ يصلح له، وهي قراءة ابن مسعود، وابن عباس، وأبي العالية، ومسروق، وأبي وائل، ومجاهد، والنخعي، والشعبي، وسعيد بن جبير، وقرأ الباقون بضم

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/ ٢٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٧٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٠).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥١).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤٩) من طريق أبي رجاء، به.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٥٠) بسند صحيح.
(٧) «النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٣٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧).

الموحدة[١] خطاباً للجمع، وهم الناس.

وقال الشعبي[٢]، ومجاهد[٣]: لتركبَنّ يا محمدُ سماءً بعد سماء، قال الكلبي[٤]: يعني: تصعد فيها، وهذا على القراءة الأولى، وقيل: درجة بعد درجة، ورتبةً بعد رتبة في القُرب مِنْ الله ورفعة المنزلة، وقيل المعنى: لتركبنّ حالاً بعد حال كل حالة منها مطابقة لأختها في الشدّة، وقيل المعنى: لتركبنّ أيها الإنسان حالاً بعد حال من كونك نُطفة، ثم علقة، ثم مُضْغة، ثم حيّاً، وميتاً، وغنيّاً، وفقيراً، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ واختار أبو عُبيد[٥]، وأبو حاتم القراءة الثانية قالا: لأنّ المعنى بالناس أشبه منه بالنبيّ ﷺ.

وقرأ عُمر[٦]: «ليركبنّ» بالتحتية، وضم الموحدة على الإخبار، وروي عنه وعن ابن عباس أنهما قرآ بالغيبة، وفتح الموحدة؛ أي: ليركبنّ الإنسان، وروي عن ابن مسعود، وابن عباس أنهما قرآ بكسر[٧] حرف المضارعة وهي لغة، وقرئ بفتح حرف[٨] المضارعة، وكسر الموحدة على أنه خطاب للنفس. وقيل: إن معنى الآية: ليركبنّ القمر أحوالاً من سِرار، واستهلال، وهو بعيد.

قال مقاتل[٩] ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ يعني: الموت والحياة.

وقال عكرمة[١٠]: رضيع، ثم فطيم، ثم غلام، ثم شابّ، ثم شيخ.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٥٥)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٥).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٥٥)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٥).

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٢).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٧٠)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٠٩)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١١٠). القراءة بالغيبة مع فتح الموحدة أو ضمها وكذلك كسر حرف المضارعة أو الموحدة فكلها قراءات شاذة والصواب في قراءة أبي عمرو أنَّه يقرأ بضم الموحدة لا بفتحها. «النشر» (٢/ ٣٩٩).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٣٩)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٠٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٩٩).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٦).

(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٨).

ومحل[١] «عَنْ طبق» النصب على أنه صفة لطبقاً؛ أي: طبقاً مجاوزاً لطبق، أو على الحال من ضمير لتركبنّ؛ أي: مجاوزين، أو مجاوزاً.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الاستفهام للانكار، والفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار، والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة، أو مِنْ غيرها على الاختلاف السابق، والمعنى: أيّ شيء للكفّار لا يؤمنون بمحمد ﷺ، وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الإيمان بذلك.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾ هذه الجملة الشرطية، وجوابها في محل نصب[٢] على الحال؛ أي: أيّ مانع لهم حال عدم سجودهم، وخضوعهم عند قراءة القرآن؟

قال الحسن[٣]، وعطاء، والكلبي، ومقاتل: ما لهم لا يصلون؟ وقال أبو مسلم[٤]: المراد الخضوع، والاستكانة. وقيل: المراد: نفس السجود المعروف بسجود التلاوة. وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة أم لا؟ وقد تقدم في فاتحة هذه السورة الدليل على السجود.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يكذبون بمحمد ﷺ، وبما جاء به من الكتاب المشتمل على إثبات التوحيد، والبعث، والثواب، والعقاب.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾؛ أي: بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب.

وقال مقاتل[٥]: يكتمون من أفعالهم. وقال ابن زيد[٦]: يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة، مأخوذ مِنْ الوعاء الذي يجمع ما فيه، ومنه قول الشاعر:

الخيرُ أَبقَى وإنْ طالَ الزمانُ به ... والشرُّ أَخْبَثُ ما أوعَيْتَ من زادِ[٧]

ويقال: وعاه: حفظَه، ووعيتُ الحديث أعيه وعياً، ومنه: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

---

(١) «التبيان» (٢/١٢٧٩)، و«الفريد» (٤/٦٤٩)، و«روح المعاني» (٢٨/٤٠٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) «معالم التنزيل» (٨/٣٧٦).
(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٨٩٩). (٥) «معالم التنزيل» (٨/٣٧٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٢٥٨) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/١٧٧).

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: اجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم؛ لأن علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم، والأليم: المؤلم الموجع، والكلام خارج مخرج التهكم بهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ هذا الاستثناء[١] منقطع؛ أي: لكن الذين جمعوا بين الإيمان بالله، والعمل الصالح لهم أجر عند الله غير ممنون؛ أي: غير مقطوع، يقال مننت [٤/٢٢٦] الحبلَ: إذا قطعته، ومنه قول الشاعر:

فَتَرى خَلْفَهُنَّ مِنْ سرعةِ الرَّجْـ ... ـعِ مَنيناً كأنه أَهْبَاءُ[٢]

قال المبرد[٣]: المنين: الغبار؛ لأنه تقطعه وراءها، وكل ضعيف منين وممنون، وقيل: معنى غير منون أنّه لا يَمنّ عليهم به، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً إنْ أريد مَنْ آمن منهم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب[٤] في قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ قال: تنشقّ السماء من المجرّة.

وأخرج ابن المنذر[٥] عن ابن عباس: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال: سمعت حين كلمها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال: أطاعت، وحُقّت بالطاعة.

وأخرج الحاكم[٧] عنه وصححه قال: سمعتْ وأطاعت ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قال: يوم القيامة ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ قال: أخرجت ما فيها من الموتى ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم.

وأخرج ابن المنذر[٨] عنه أيضاً ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ قال: سواري الذهب.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/٤١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/١٧٧).
(٢) البيت من معلقة الحارث بن حِلزة اليشكري، و«شرح المعلقات» للنحاس (٢/٥٧).
(٣) في «الكامل» (٣/ ١١٥١).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٥).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٥).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٢٩٤).
(٧) أخرجه الحاكم (٢/٥١٨) وصححه.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٥).

وأخرج الحاكم: قال السيوطي[(١)] بسند جيدٍ عن جابر[(٢)] قال: قال النبيّ ﷺ: «تمدّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم، ثم لا يكون لابن آدم فيها إلا موضع قدميه».

وأخرج ابن جرير[(٣)] عن ابن عباس: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ قال: عامل عملاً ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ قال: فملاق عملك.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة[(٤)] قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يُحاسب إلا هلك، فقلتُ أليس يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العَرْضُ، ومن نُوقش الحساب هلك».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عائشة[(٥)] قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللَّهُمَّ حاسبني حساباً يسيراً، فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه، فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب هلك» وفي بعض ألفاظ الحديث الأوّل، وهذا الحديث الآخر: «مَنْ نوقش الحساب عذّب».

وأخرج البزار، والطبراني في الأوسط، والبيهقي، والحاكم عن أبي هريرة[(٦)] قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مَنْ كنّ فيه يحاسبه الله حساباً يسيراً، ويدخله الجنة برحمته: تُعطي من حرمك، وتَعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك».

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[(٧)] في قوله: ﴿يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ قال: الويل.

---

(١) في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٦). (٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٧٠).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٣٥) بسند ضعيف من طريق العوفي، به.
ولفظه: تعمل عملاً تلقى الله به، خيراً كان أو شرّاً.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٤٣٠٠، ٢٤٦٠٥، ٢٤٧٦٩، ٢٥٧٠٧)، والبخاري رقم (٤٩٣٩) و(٤٦٥٣٦، ٩٥٣٧)، ومسلم رقم (٢٨٧٦)، والترمذي رقم (٢٤٢٦)، و(٣٣٣٧).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٤٢١٥)، وابن جرير (٢٤/ ٢٣٦، ٢٣٧)، والحاكم (٨/ ٥٧). وهو حديث صحيح دون قوله: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول في صلاته: «اللَّهُمَّ حاسبني حساباً يسيراً».

(٦) أخرجه البزار رقم (١٩٠٦ ـ كشف)، والطبراني رقم (٩٠٩، ٥٠٦٤)، وابن عدي (٣/ ١١٢٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٣٥)، والحاكم (٢/ ٥١٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٤): فيه سليمان بن داود اليمامي، وهو متروك.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٧).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[١] عنه: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ قال: يُبْعَث.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ قال: أن لن يرجع.

وأخرج سَمّويه في «فوائده» عن عمر بن الخطاب[٣] قال: الشفق الحمرة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس مثله.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة[٥] قال: ﴿الشفق﴾: النهار كله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما دخل فيه.

وأخرج أبو عبيد في فضائله، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر[٧] عنه ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم[٨] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ قال: إذا استوى.

وأخرج عبد بن حميد، وابن الأنباري من طرق عن ابن عباس[٩] أنه سئل عن قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ قال: وما جمع، أما سمعت قوله:

إنَّ لنا قلائِصاً نقانِقا … مستوسَقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا

وأخرج عبد بن حميد[١٠] عنه ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ قال: ليلة ثلاثة عشر.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٧).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/ ٣٢٠).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٨).
(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٥٩) بلفظ: الشفق البياض.
(٦) أخرجه سعيد بن منصور، كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٧) بسند صحيح كما قال الحافظ.
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٥)، وابن جرير (٢٤/ ٢٤٥) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤٨) بسند صحيح.
(٩) أخرجه الطبراني رقم (١٠٥٩٧)، و«مسائل نافع» رقم (٩١).
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٩).

وأخرج عبد بن حميد[١] عن عمر بن الخطاب ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: حالاً بعد حال.

وأخرج البخاري عن ابن عباس[٢] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ.

وأخرج أبو عبيد في القراءات، وسعيد بن منصور، وابن منيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] أنه كان يقرأ: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ يعني: بفتح الباء من تركبنّ. وقال: يعني: نبيكم ﷺ حالاً بعد حال.

وأخرج الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني[٤] عنه قال: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ يا محمد السماء ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم في الكنى، والطبراني، وابن منده، وابن مردويه عن ابن مسعود[٥] أنه قرأ: «لتركبَنّ» يعني: بفتح الباء. وقال: لتركبنّ يا محمد سماءً بعد سماء.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعب» عنه[٦]: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: يعني: السماء تنفطر، ثم تنشق، ثم تحمّر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي[٧] عنه أيضاً في الآية قال:

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٩).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٩٤٠).
(٣) أخرجه أبو عبيد ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٨)، وابن منيع ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٧٨) ـ وابن جرير (٢٤/ ٢٥١) بسند صحيح.
(٤) أخرجه الطيالسي ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٩٨) ـ والطبراني رقم (١١١٧٣).
(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٠٠٦٨) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٥): فيه الحسين بن عبد الأول، وهو ضعيف.
(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٥٩)، وابن جرير (٢٤/ ٢٥٥)، والحاكم (٢/ ٥١٨) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: كذا قال ولم يخرجا للحسن ـ أي ابن عطية ـ شيئاً، وفيه ضعف.
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٠).

السماء تكون كالمهل، وتكون وردةً كالدّهان، وتكون واهيةً، وتشقق، فتكون حالاً بعد حال.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ قال: يسرّون.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٩٧).

سورة البروج

هي اثنتان وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف[١].

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ بمكة.

وأخرج أحمد[٣] قال: حدّثنا عبد الصمد حدّثنا زريق بن أبي سلمى حدّثنا أبو المهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ﴿السماء ذات البروج﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١].

وأخرج الطيالسي، وابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، والدارمي، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان، والطبراني، والبيهقي، في «سننه» عن جابر بن سمرة[٤]: أن النبيّ ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بـ﴿السماء والطارق﴾، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تفسير الأخدود: وقصة أصحاب الأخدود]:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٧٩)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤١٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧/ ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٨٣٣٣) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه الطيالسي رقم (٨٠٥)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥٦)، وأحمد رقم (٢٠٩٨٢)، والدرامي (١/ ٢٩٥)، وأبو داود رقم (٨٠٥)، والترمذي رقم (٣٠٧)، والنسائي رقم (٩٧٨)، وابن حبان رقم (١٨٢٧)، والطبراني رقم (١٩٦٦)، والبيهقي (٢/ ٣٩١) بسند حسن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾
هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم
مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ قد تقدّم الكلام في البروج عند تفسير قوله: ﴿جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الفرقان: ٦١] قال الحسن[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]: هي النجوم، والمعنى: والسماء ذات النّجوم.

وقال عكرمة[٥]، ومجاهد أيضاً: هي قصور في السماء. وقال المنهال بن عمرو[٦]: ذات الخَلْق الحسن. وقال أبو عبيدة[٧]، ويحيى بن سلام[٨] وغيرهما: هي المنازل للكواكب، وهي اثنا عشر برجاً لاثني عشر كوكباً، وهي: الحَمَل، والثور، والجَوزاء، والسَّرَطان، والأسد، والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدْي، والدّلو، والحوت.

والبروج[٩] في كلام العرب: القصور، ومنه قوله: ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النساء: ٧٨] شُبهت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها تنزل فيها، وقيل: هي أبواب السماء، وقيل: هي منازل القمر، وأصل البرج الظهور، سُمّيت بذلك لظهورها.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾؛ أي: الموعود به، وهو يوم القيامة. قال الواحدي[١٠]: في قول جميع المفسرين.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٠).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦١) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦١)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٦١) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٠).
وأخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٠) بسند حسن.
(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٩).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦١).
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٣).
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٠).
(٩) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١١٥).
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٤٥٧).

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ المراد: بالشاهد مَنْ يشهد في ذلك اليوم من الخلائق؛ أي: يحضر فيه، والمراد بالمشهود: ما يُشاهد في ذلك اليوم من العجائب.

وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة، وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود: يوم عرفة؛ لأنّه يشهد الناس فيه موسم الحج، وتحضره الملائكة.

قال الواحدي[١]: وهذا قول الأكثر. وحكى القشيري[٢] عن ابن عمر، وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى.

وقال سعيد بن المسيب[٣]: الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة. وقال النخعي[٤]: الشاهد يوم عرفة، والمشهود: يوم النحر؛ وقيل: الشاهد: هو الله سبحانه. وبه قال الحسن[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] وقيل: الشاهد محمد ﷺ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: الشاهد جميع الأنبياء لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] وقيل: هو عيسى بن مريم لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾ [المائدة: ١١٧] والمشهود على هذه الأقوال الثلاثة إما أمة محمد، أو أمم الأنبياء، أو أمة عيسى.

وقيل: الشاهد: آدم. [٤/٢٢٧] والمشهود: ذريته. وقال محمد بن كعب[٦]:

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٤٥٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١).
(٣) «زاد المسير» (٩/ ٧٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٨٢).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١).
وروي عنه أن الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة.
«زاد المسير» (٩/ ٧٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٤١).
(٥) «زاد المسير» (٩/ ٧٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٨٢).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٤١)، و«زاد المسير» (٩/ ٧٢ ـ ٧٣).

الشاهد الإنسان لقوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وقال مقاتل: أعضاؤه لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] وقال الحسين بن الفضل: الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الأمم لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقيل: الشاهد: الحفظة والمشهود: بنو آدم، وقيل: الأيام والليالي.

وقيل: الشاهد: الخلق يشهدون لله ﷻ بالوحدانية، والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه، وسيأتي بيان ما ورد في تفسير الشاهد والمشهود، وبيان ما هو الحقّ إن شاء الله.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ هذا جواب القسم، واللّام فيه مضمرة، وهو الظاهر، وبه قال الفراء[١]، وغيره.

وقيل تقديره: لقد قُتل، فحذفت اللام وقد، وعلى هذا تكون الجملة خبرية، والظاهر أنّها دعائية[٢]؛ لأن معنى قُتل: لُعن. قال الواحدي[٣]: في قول الجميع، والدعائية لا تكون جواباً للقسم، فقيل: الجواب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ وبه قال المبرد[٤]. واعترض عليه بطول الفصل، وقيل: هو مقدّر يدلّ عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ كأنه قال أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون، كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: تقدير الجواب: لتبعثنّ، واختاره ابن الأنباري[٥].

وقال أبو حاتم[٦] السجستاني، وابن الأنباري[٧] أيضاً: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: قتل أصحاب الأخدود، والسماء ذات البروج، واعترض عليه بأنه لا يجوز أن يقال: والله قام زيد.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٢٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥١٣).
(٣) في «الوسيط» (٤/ ٤٥٩).
(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٣).
(٥) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٧٢ ـ ٩٧٣).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٤).
(٧) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٧٣).

والأخدود[١]: الشقُّ العظيم المستطيل في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد، ومنه الخَدّ لمجاري الدموع، والمخدّة لأنّ الخد يُوضع عليها، ويقال: تخدد وجه الرجل: إذا صارت فيه أخاديد مِنْ خراج، ومنه قول طرفة[٢]:

ووجْـهٌ كـأن الـشـمـسَ ألـقـتْ رداءَهـا   عـلـيـه نَـقـيُّ الـلـونِ لـم يَـتَـخـدَّدِ

وسيأتي بيان حديث أصحاب الأخدود إن شاء الله.

قرأ الجمهور[٣]: «النارِ ذات الوَقود» بجر النار على أنها بدل اشتمال من الأخدود؛ لأن الأخدود مشتمل عليها، وذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة، والوَقود: الحطبُ الذي تُوقد به، وقيل: هو بدل كل من كل، لا بدل اشتمال. وقيل: إن النار مخفوضة على الجوار، كذا حكى مكي[٤] عن الكوفيين.

وقرأ الجمهور[٥] بفتح الواو من الوَقود، وقرأ قتادة، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم بضمها.

وقرأ أشهب العقيلي، وأبو حيوة، وأبو السمّال العدوي، وابن السميفع، وعيسى برفع[٦] النار على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي النارُ، أو على أنها فاعل فعل محذوف؛ أي: أحرقتهم النارُ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ العامل[٧] في الظرف قتل؛ أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها، ويقرب إليها. قال مقاتل[٨]: يعني: عند النار قعود يعرضونهم على الكفر.

وقال مجاهد[٩]: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٧٥ ـ ٢٧٦).
(٢) «ديوان طرفة» (ص٢١) والذي فيه حَلَّتْ بدل ألقتْ.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٤)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٣).
(٤) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٧).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١١٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٠٣). والقراءة بضم الواو من كلمة (الوقود) شاذة.
(٦) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧٠)، و«البجر المحيط» (١٠/ ٤٤٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٦٦٧). القراءة المتواترة بجر كلمة (النار) أما الرفع فشاذة.
(٧) «الفريد» (٤/ ٦٥٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٠).
(٨) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٦١).
(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٨٧).

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾؛ أي: الذين خدّوا الأخدود، وهم: المَلِكُ وأصحابُه، على ما يفعلون بالمؤمنين من عَرْضهم على النار؛ ليرجعوا إلى دينهم شهود: أي حضور، أو يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به. وقيل: يشهدون بما فعلوا يوم القيامة، ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم. وقيل: على بمعنى مع، والتقدير: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

[ما كان للمؤمنين من ذنبٍ إلاَّ أنّهم آمنو بالله العزيز، الحميد]:

قال الزجاج(١): أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم، وحقيقة إيمانهم إلى أن صبروا على أن يُحرّقوا بالنار في الله.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما أنكروا عليهم، ولا عابوا منهم ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾؛ أي: إلا أن صدّقوا بالله الغالب المحمود في كل حال.

قال الزجاج(٢): ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم، وهذا كقوله: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، كما في قوله:

لا عَيْبَ فيهم سِوَى أنَّ النزيلَ بهم ... يسلُو عن الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ

وقول الآخر:

ولا عيبَ فيها غيرُ شَكْلَةِ عَيْنِها ... كذاكَ عِتَاقُ الطيرِ شُكْلاً عيونُهَا(٣)

قرأ الجمهور(٤): «نَقموا» بفتح النون، وقرأ أبو حيوة بكسرها(٥)، والفصيح الفتح.

ثم وصف سبحانه نفسه بما يدلّ على العظم، والفخامة فقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومَنْ كان هذا شأنه، فهو حقيق بأن يُؤْمن به ويُوحّد.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية، وفي

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٨). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٠٨).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٥).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٧٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٠٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٧١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٢٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٥). كسر النون قراءة شاذة.

هذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود، ووعد خير لمن عذّبوه على دينه من أولئك المؤمنين.

ثم بيّن سبحانه ما أعدّ لأولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: حرقوهم بالنار، والعرب[(١)] تقول: فتنت الشيء؛ أي: أحرقته، وفتنت الدرهم والدينار: إذا أدخلته النارَ؛ لتنظر جودته. ويقال: دينار مفتون، ويسمى الصائغ الفتّان، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يُحرقون.

وقيل: معنى فتنوا المؤمنين: محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه، ثم لم يتوبوا من قبيح صنعهم، ويرجعوا عن كفرهم وفتنتهم فلهم عذاب جهنم؛ أي: لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم، والجملة في محل[(٢)] رفع على أنها خبر إن، أو الخبر لهم، وعذاب جهنم مرتفع به على الفاعلية، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، ولا يضرّ نسخه بأنّ خلافاً للأخفش، ولهم عذاب الحريق؛ أي: ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم، وهو عذاب الحريق الذي وقع منهم للمؤمنين، وقيل: إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير، وقيل: إنهم يعذبون في جهنم بالزمهرير، ثم يعذبون بعذاب الحريق، فالأوّل عذاب ببردها، والثاني عذاب بحرّها.

وقال الربيع بن أنس[(٣)]: إن عذاب الحريق أصيبوا به في الدنيا، وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه، فأحرقتهم، وبه قال الكلبي[(٣)].

ثم ذكر سبحانه ما أعدّ للمؤمنين الذين أُحرقوا بالنار فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وظاهر الآية العموم، فيدخل في ذلك المحرقون في الأخدود بسبب إيمانهم دخولاً أوّليّاً، والمعنى: أن الجامعين بين الإيمان وعمل الصالحات ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: لهم بسبب الإيمان، والعمل الصالح جنات متصفة بهذه الصفة.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٢٣)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ٣٢٨).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٣١).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١) عن الربيع بن أنس والكلبي.

وقد تقدّم كيفية جري الأنهار مِنْ تحت الجنّات في غير موضع، وأوضحنا أنه إن أريد بالجنات الأشجار، فجري الأنهار مِنْ تحتها واضح، وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها، فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر، وهو الشجر؛ لأنها ساترة لساحتها، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره مما أعدّه الله لهم؛ أي: ذلك المذكور ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي لا يعدله فوز، ولا يقاربه ولا يدانيه، والفوز: الظّفَر بالمطلوب.

وجملة: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ مستأنفة لخطاب النبي ﷺ، مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه، والمغفرة لمن أطاعه؛ أي: أخذه للجبابرة والظلمة شديد، والبطش[1]: الأخذُ بعنف، ووصفه بالشدّة يدل على أنه قد تضاعف وتفاقم، ومثل هذا قوله: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾؛ أي: يَخْلق الخلق أوّلاً في الدنيا، ويعيدهم أحياء بعد الموت.

كذا قال الجمهور[2]، وقيل: يُبدئ للكفّار عذاب الحريق في الدنيا، ثم يعيده لهم في الآخرة، واختار هذا ابن جرير[3]، والأوّل أولى.

[الباب المفتوح الذي لا يغلق في وجه عائد تائب]:

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾؛ أي: بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه. قال مجاهد[4]: الوادّ لأوليائه، فهو فعول بمعنى فاعل.

وقال ابن زيد[5]: معنى الودود: الرحيم. وحكى المبرِّد[6] عن إسماعيل القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد:

وأركبُ في الرَّوْع عُرْيانةً ... ذلولَ الجناحِ لقاحاً ودودا[7]

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٢٩)، و«تهذيب اللغة» (١١/٣١٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/١٩٦)، و«الوسيط» (٤/٤٦٢).
(٣) في «جامع البيان» (٢٤/٢٨١).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/١٩٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/٢٨٣) بسند صحيح.
(٦) «النكت والعيون» (٦/٢٤٣).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/١٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/٢٤٣).

أي: لا ولد لها تحنّ إليه. وقيل: الودود بمعنى المودود؛ أي: يودّه عباده الصالحون، ويحبونه، كذا قال الأزهري[١]. قال: ويجوز أن يكون فعول بمعنى فاعل؛ أي: يكون محبّاً لهم. قال: وكلتا الصفتين مدح؛ لأنه جلّ ذكره إن أحبّ عباده المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه عباده العارفون، فلما تقرّر عندهم من كريم إحسانه.

قرأ الجمهور[٢]: «ذو العرش المجيدُ» برفع المجيد على أنه نعت لذو، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم قالا: لأن المجد هو: النهاية في الكرم والفضل، والله سبحانه هو المنعوت بذلك. وقرأ الكوفيون إلا عاصماً بالجر[٤] على أنه نعت للعرش.

وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم، كما في آخر سورة المؤمنون. وقيل: هو نعت لربك، ولا يضرّ الفصل بينهما؛ لأنها صفات لله سبحانه.

وقال مكي[٥]: هو خبر بعد خبر، والأوّل أولى. ومعنى ذو العرش: ذو الملك والسلطان، كما يقال: فلان على سرير ملكه، ومنه قول الشاعر:

رَأَوْا عرشي تثلَّمَ جانِبَاهُ ... فلمَّا أن تثلَّمَ أفردوني

وقول الآخر:

إنْ يقتلُوك فقد ثَلَلْتَ عُروشَهم ... بعتيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ

وقيل: المراد خالق العرش [٤/٢٢٨].

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾؛ أي: من الإبداء والإعادة.

قال عطاء[٦]: لا يَعْجَز عن شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه، وارتفاع فعّال على أنه خبر مبتدأ محذوف.

---

(١) في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٣٤).

(٢) «التيسير» (ص٢٢١)، و«النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٩).

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٧).

(٤) «التيسير» (ص٢٢)، و«النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٩٧).

(٥) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٨).

(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٦٢).

قال الفراء[١]: هو رفع على التكرير والاستئناف؛ لأنه نكرة محضة.

قال ابن جرير[٢]: رفع فعّال، وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لإعراب الغفور الودود، وإنما قال: فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة.

ثم ذكر سبحانه خبر الجموع[٣] الكافرة فقال: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ والجملة مستأنفة مقرّرة لما تقدّم من شدّة بطشه سبحانه، وكونه فعّالاً لما يريده، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ؛ أي: هل أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم المتجندة عليها؟

ثم بيّنهم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وهو بدل من الجنود، والمراد بفرعون هو وقومه، والمراد بثمود: القوم المعروفون، والمراد بحديثهم[٤]: ما وقع منهم من الكفر والعناد، وما وقع عليهم من العذاب، وقصتهم مشهورة قد تكرّر في الكتاب العزيز ذكرها في غير موضع، واقتصر على الطائفتين لاشتهار أمرهما عند أهل الكتاب، وعند مشركي العرب، ودلّ بهما على أمثالهما.

ثم أضرب عن مماثلة[٥] هؤلاء الكفار الموجودين في عصره ﷺ لمن تقدّم ذكره، وبيّن أنهم أشدّ منهم في الكفر والتكذيب فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾؛ أي: بل هؤلاء المشركون من العرب في تكذيب شديد لك، ولما جئت به، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾؛ أي: يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بأولئك، والإحاطة بالشيء: الحصرُ له مِنْ جميع جوانبه، فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط.

ثم ردّ سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾؛ أي: مُتَناه في

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٤).

(٢) في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٩٨).

(٤) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٣٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥١٥).

(٥) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٣٧).

الشرف والكرم، والبركة؛ لكونه بياناً لما شرعه الله لعباده من أحكام الدين والدنيا، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانة وسحر.

[القرآن مصون ثابت وقوله هو المرجع الأخير]:

﴿فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظِۭ﴾؛ أي: مكتوب في لوح، وهو أمّ الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه.

قرأ الجمهور[١] ﴿مَّحۡفُوظِۭ﴾ بالجرّ على أنه نعت للوح، وقرأ نافع برفعه[٢] على أنه نعت للقرآن؛ أي: بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح.

واتفق القراء على فتح[٣] اللام من لوح إلا يحيى بن يعمر، وابن السميفع، فإنهما قرآ بضمها[٤].

قال مقاتل[٥]: اللوح المحفوظ عن يمين العرش. قيل: والمراد باللُّوح بضم اللام: الهواء الذي فوق السماء السابعة. قال أبو الفضل[٦]: اللوح بضم اللام: الهواء، وكذا قال ابن خالويه[٧].

قال في «الصحاح»[٨]: اللُّوح بالضم: الهواء بين السماء، والأرض.

وقد أخرج ابن جرير[٩] عن ابن عباس قال ﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ قصور في السماء.

وأخرج ابن مردويه[١٠] عن جابر بن عبد الله أن النبيّ ﷺ سئل عن: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ فقال: الكواكب، وسئل عن قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١] قال: الكواكب. وعن قوله: ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] قال: القصور.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٠٥)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١٢٥).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٧١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٤٠)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٤٥). القراءة بضم اللّام قراءة شاذة.
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٨٩).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).
(٧) في «القراءات الشاذة» (ص١٧١).
(٨) في «الصحاح» (١/ ٤٠٢).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٠) بسند ضعيف.
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٢). وسنده ضعيف جداً.

[اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة]:

وأخرج ابن مردويه[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ قال: اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وهو الحج الأكبر، فيومُ الجمعة جعله الله عيداً لمحمد وأمته، وفضّله بها على الخلق أجمعين، وهو سيد الأيام عند الله، وأحبّ الأعمال فيه إلى الله، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه.

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أبي هريرة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه منه».

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٣] رفعه: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ قال: الشاهد: يوم عرفة ويوم الجمعة، والمشهود: هو الموعود يوم القيامة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[٤] قال: اليوم الموعود: يوم القيامة، والمشهود: يوم النحر، والشاهد: يوم الجمعة.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه من طريق شُريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة».

وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر عن جُبير بن مطعم[٦] قال: قال رسول الله ﷺ في الآية: «الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣٩)، وابن جرير (٢٤/ ٢٦٣، ٢٦٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٠٢) ـ والبيهقي (٣/ ١٧٠). وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٩)، والبيهقي (٣/ ١٧٠).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٣).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٣، ٢٦٦)، والطبراني رقم (٣٤٥٨) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٥): فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١١/ ٣٠٧).

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس[١]، وأبي هريرة مثله موقوفاً.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه عن سعيد بن المسيب[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة» وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب.

وأخرج ابن ماجه، والطبراني، وابن جرير عن أبي الدرداء[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنّه يوم مشهود تشهده الملائكة».

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[٤] في الآية قال: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن الحسن بن علي[٥] أنّ رجلاً سأله عن قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: هل سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم سألتُ ابن عمر، وابن الزبير فقالا: يوم الذبح، ويوم الجمعة. قال: لا، ولكن الشاهد محمد ﷺ، ثم قرأ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

وأخرج عبد بن حميد، والطبراني في الأوسط، والصغير، وابن مردويه عن الحسين بن عليّ[٦] في الآية قال: الشاهد جدّي رسول الله ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، ثم تلا: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي الدنيا، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن عساكر من طرق عن ابن عباس[٧] قال: اليوم الموعود يوم القيامة، والشاهد محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، ثم تلا: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٤).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٥) مرسلاً.
(٣) أخرجه ابن ماجه رقم (١٦٣٧)، وابن جرير (٢٤/ ٢٧٠). وهو حديث ضعيف.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٦١)، وابن جرير (٢٤/ ٢٦٥) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٨٢)، وفي «الصغير» (٢/ ١٣١).
(٧) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٦٣)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢٨٣ ـ كشف)، وابن جرير (١٢/ ٥٧٤) و(٢٤/ ٢٦٦) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير[(١)] عنه قال: الشاهد: الله، والمشهود: يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عنه أيضاً قال: الشاهد الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٣)] عنه أيضاً قال: الشاهد: الله، والمشهود: يوم القيامة.

قلتُ: وهذه التفاسير عَنْ الصحابة ﷺ قد اختلفت كما ترى، وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم، واستدلّ من استدلّ منهم بآيات ذكر الله فيها أن ذلك الشيء شاهد أو مشهود، فجعله دليلاً على أنه المراد بالشاهد، والمشهود في هذه الآية المطلقة، وليس ذلك بدليل يستدل به على أن الشاهد، والمشهود المذكورين في هذا المقام هو: ذلك الشاهد، والمشهود الذي ذكر في آية أخرى، وإلا لزم أن يكون قوله هنا: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ هو جميع ما أطلق عليه في الكتاب العزيز، أو السُّنَّة المطهرة أنه يشهد، أو أنه مشهود، وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه بأولى من بعض، ولم يقل قائل بذلك.

فإن قلت: هل في المرفوع الذي ذكرته من حديثي أبي هريرة، وحديث أبي مالك، وحديث جبير بن مطعم، ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود، والشاهد والمشهود؟

قلت: أما اليوم الموعود، فلم تختلف هذه الروايات التي ذكر فيها، بل اتفقت على أنه يوم القيامة.

وأما الشاهد ففي حديث أبي هريرة الأوّل أنه يوم الجمعة. وفي حديثه الثاني أنه يوم عرفة، ويوم الجمعة، وفي حديث أبي مالك أنه يوم الجمعة، وفي حديث جبير أنه يوم الجمعة، وفي مرسل سعيد أنه يوم الجمعة، فاتفقت هذه الأحاديث عليه، ولا تضرّ زيادة يوم عرفة عليه في حديث أبي هريرة الثاني؛ وأما المشهود ففي حديث أبي هريرة الأوّل أنه يوم عرفة، وفي حديثه الثاني أنه يوم القيامة.

وفي حديث أبي مالك أنه يوم عرفة، وفي حديث جبير بن مطعم أنه يوم عرفة،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٦٩) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٥).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٣).

وكذا في حديث سعيد، فقد تعين في هذه الروايات أنه يوم عرفة، وهي أرجح من تلك الرواية التي صرح فيها بأنه يوم القيامة، فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، وأما اليوم الموعود، فقد قدّمنا أنه وقع الإجماع على أنه يوم القيامة.

[قصة الغلام المؤمن]:

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والطبراني عن صُهيب[1] أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ من الملوك فيمن كان قبلكم، وكان لذلك الملك كاهنٌ يَكهنُ له، فقال له ذلك الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً ـ أو قال ـ فطناً [٤/٢٢٩] لقناً، فأعلمه علمي، فإنّي أخاف أن أموت، فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم مَنْ يعلمه ـ قال ـ: فنظروا له على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن، وأنْ يختلف إليه، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة، فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلّما مرّ به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبد الله، فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب، ويبطئ على الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك أين كنت؟ فقل عند أهلي، وإذا قال لك أهلك أين كنت؟ فأخبرهم أنّي كنتُ عند الكاهن.

فبينما الغلام على ذلك إذْ مرّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة ـ يقال: إنها كانت أسداً ـ فأخذ الغلام حجراً فقال: اللّهم إنْ كان ما يقول ذلك الراهب حقّاً، فأسألك أن أقتلَ هذه الدابة، وإن كان ما يقول الكاهن حقّاً، فأسألك أن لا أقتلها، ثم رمى فقتل الدابة، فقال الناس: مَنْ قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس، وقالوا: قد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد، فسمع أعمى، فجاءه، فقال

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٣٦٢) وفي «المصنف» رقم (٩٧٥١)، وابن أبي شيبة (١٠/٣١٩)، ومسلم رقم (٣٠٠٥)، والترمذي رقم (٣٣٤٠)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٦٣٣)، والطبراني رقم (٧٣١٩).

له: إنْ أنت رددت عليّ بصري، فلك كذا وكذا، فقال الغلامُ: لا أريدُ منك هذا، ولكن أرأيت إنْ رجع عليك بصرك أتؤمنُ بالذي ردَّه عليك؟ قال نعم، فدعا الله، فردّ عليه بصرَه، فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فبعث إليهم، فأتى بهم: فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى، فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه.

فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل، ويتردّون حتى لم يبق منهم إلا الغلام، ثم رجع الغلام، فأمر به الملِكُ أن ينطلقوا به إلى البحر، فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر، فغرّق الله الذين كانوا معه، وأنجاه، فقال الغلام للملك: إنك لن تقتلني حتى تصلبني وترميني، وتقول إذا رميتني: بسم الله ربّ الغلام، فأمر به فصلُب، ثم رماه، وقال: بسم الله ربّ الغلام، فوقع السهم في صُدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم، ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد، فإنا نؤمن بربّ هذا الغلام، فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة، فهذا العالَم كلُّهم قد خالفوك، قال: فخدّ أخدوداً، ثم ألقي فيه الحطب والنار، ثم جمع الناس، فقال: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، فقال: يقول الله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ حتى بلغ ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ فأما الغلام، فإنّه دفن، ثم أخرج، فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب، وأصبعه على صُدغه، كما وضعها حين قتل». ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف.

وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هدَّاب بن خالد عن حمَّاد بن سَلَمة عن ثابت عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن صهيب[(١)].

وأخرجها أحمد من طريق عفان عن حماد به.

وأخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن حماد بن سلمة به.

وأخرجها الترمذي عن محمود بن غيلان، وعبد بن حُميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت به.

---

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب[١] في قوله: ﴿أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قال: هم الحبشة.

وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن عباس قال: هم ناس من بني إسرائيل خدّوا أخدوداً في الأرض أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعرضوا عليها.

وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٣] قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ إلى قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: هذا قسم على ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إلى آخرها.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ قال: يبديء العذاب، ويُعيده.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي «في الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ قال: الحبيب، وفي قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ قال: الكريم.

وأخرج ابن المنذر عنه[٦] في قوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ قال: أخبرت أنه لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر، وإن ذلك اللوح من نور، وإنه مسيرة ثلثمائة سنة.

وأخرج ابن جرير[٧] عن أنس قال: إنَّ اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ في جبهة إسرافيل.

وأخرج أبو الشيخ، قال السيوطي[٨]: بسند جيدٍ عن ابن عباس[٩] قال: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق: اكتب علمي في خلقي، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة اهـ.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٦٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٧٢) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥١٩).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٨٣) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٨٣)، والبيهقي رقم (١٣٣) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧١).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٨٧) من طريق مَرَّة بن سليمان، به.
(٨) في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧١).
(٩) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٦٠) بسند ضعيف.

سُورَةُ الطَّارِقِ

هي سبع عشرة آية[(١)]. وهي مكية بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ بمكة.

وأخرج أحمد، والبخاريُّ في «تاريخه»، والطبراني، وابن مردويه عن خالد[(٣)] العدواني: «أنه أبصر رسول الله ﷺ في سوق ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصيّ حين أتاهم يبتغي النصر عندهم، فسمعه يقرأ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية، ثم قرأتُها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف، فقالوا: ماذا سمعتَ مِنْ هذا الرجل، فقرأتها، فقال مَنْ معهم مَنْ قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنّا نعلم ما يقول حقّاً لاتبعناه».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾.

أقسم سبحانه بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ وهو: النجمُ الثاقب، كما صرّح به التنزيل. قال

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٠١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٤١).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٨٩٥٨)، والبخاري في «تاريخه» (٣/ ١٣٨، ١٣٩)، والطبراني رقم (٤١٢٦ ـ ٤١٢٨) بسند ضعيف.

الواحدي[١]: قال المفسِّرون: أقسم الله بالسماء والطارق؛ يعني: الكواكب تطرق بالليل، وتخفى بالنهار. قال الفرّاء[٢]: الطارق: النجمُ؛ لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق. وكذا قال الزجاج[٣]، والمبرد[٤]: ومنه قول امرئ القيس[٥]:

ومِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرقْتُ ومُرضِعَاً فألهيتُها عن ذي تَمائمَ مُغْيلِ

وقوله أيضاً:

ألم تريانِي كلَّما جِئْتُ طارقاً وجْدتُ بها طيباً وإنْ لم تَطَيَّبِ[٦]

[اختلف في الطارق]:

وقد اختلف في الطارق هل هو: نجم معين، أو جنس النجم؟ فقيل: هو زُحَل، وقيل: الثُّريا، وقيل: هو الذي ترمى به الشياطين، وقيل: هو جنس النجم.

قال في «الصحاح»[٧]: والطارق: النجم الذي يقال له كوكب الصبح، ومنه قول هند بنت عتبة[٨]:

نحنُ بناتُ طارق نمشي على النمارق

أي: إن أبانا في الشرف كالنجم المضيء، وأصل الطروق: الدقّ، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق[٩].

وقال قوم[١٠]: إن الطروق قد يكون نهاراً، والعرب تقول: أتيتك اليوم طرقتين؛ أي: مرتين، ومنه قوله ﷺ: «أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار إلَّا طارقاً يطرق بخير»[١١].

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٤٦٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٤).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٦٥).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٤)
(٥) «ديوان امرئ القيس» (ص١٢).
(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص٤١).
(٧) «الصحاح» (٤/ ١٥١٥).
(٨) وهي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس زوجة أبي سفيان أسلمت يوم فتح مكة. انظر: «الإصابة» (١٤/ ٢٦٧).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٥).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٣).
(١١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) وهو جزء من حديث طويل عن عبد الرحمٰن بن خنيش.

[تتضمن الآيات مشهداً كونياً وإيمانياً]:

ثم بيّن سبحانه ما هو الطارق، تفخيماً لشأنه بعد تعظيمه بالإقسام به فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الثاقب: المضيء، ومنه يقال: ثَقَب النجم ثقوباً، وثقابةً: إذا أضاء، وثقوبُه: ضوؤه، ومنه قول الشاعر:

أذاعَ بـه فـي الـنـاس حـتَّـى كـأنّـه بِـعـلْـيَـاءَ نـارٌ أُوْقِـدَتْ بِـثُـقُـوبِ[1]

قال الواحدي[2]: الطارق يقع على كل ما طرق ليلاً، ولم يكن النبيّ ﷺ يدري ما المراد به لو لم يبينه بقوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ قال مجاهد[3]: الثاقب: المتوهج. قال سفيان[4]: كل ما في القرآن ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾، فقد أخبره، وكل شيء قال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣] لم يخبره به، وارتفاع قوله: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر نشأ مما قبله، كأنه قيل ما هو؟ فقيل: هو النجم الثاقب.

[كل نفس عليها من أمر الله رقيب]:

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ هذا جواب القسم، وما بينهما اعتراض.

وقد تقدّم في سورة هود اختلاف القرّاء في: «لمّا»، فمن قرأ بتخفيفها[5] كانت إنْ هنا هي المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشأن المقدّر، وهو اسمها، واللام هي الفارقة، وما مزيدة؛ أي: إنْ الشأن كل نفس لعليها حافظ.

ومن قرأ بالتشديد[6]، فإنْ نافية، ولمّا بمعنى إلّا؛ أي: ما كل نفس إلّا عليها حافظ، وقد قرأ هنا بالتشديد ابن عامر، وعاصم، وحمزة. وقرأ الباقون بالتخفيف[7].

قيل: والحافظ: هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملَها، وقولها وفعلها، ويحصون ما تكسب مِنْ خير وشرّ.

---

(١) البيت لأبي الأسود الدّيلي. «خزانة الأدب» (١/ ٢٨٣).

(٢) في «الوسيط» (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٩٠) بسند صحيح.

(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٣).

(٥) «التيسير» (ص٢٢١)، و«النشر» (٢/ ٢٩١)، و«زاد المسير» (٩/ ٨١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٦٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «فتح الباري» (٨/ ٥٣٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٦٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١). وممّن قرأ بالتشديد أبو جعفر.

[الرقابة على كل نفس]:

وقيل: الحافظ هو الله ﷻ، وقيل: هو العقل يرشدهم [٤/٢٣٠] إلى المصالح، ويكفهم عن المفاسد، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾ [الرعد: ١١] والحافظ على الحقيقة هو الله ﷻ، كما في قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: ٦٤] وحفظ الملائكة مِنْ حفظه؛ لأنهم بأمره.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الفاء للدلالة على أَنَّ كون على كل نفس حافظ يوجب على الإنسان أن يتفكر في مبتدأ خلقه؛ ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث.

قال مقاتل(١): يعني: المكذِّب بالبعث ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء خلقه الله، والمعنى: فلينظر نظر التفكر، والاستدلال حتى يعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادته.

ثم بيّن سبحانه ذلك فقال: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، والماء: هو المنيّ، والدفق: الصبُّ، يقال: دفقتُ الماءَ؛ أي: صببته، يقال: ماء دافق؛ أي: مَدْفوق، مثل: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]؛ أي: مرضية.

قال الفرّاء(٢)، والأخفش(٣): ماءٌ دافق؛ أي: مصبوب في الرحم.

قال الفرّاء(٤): وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم كقولهم: سرّ كاتم؛ أي: مَكْتوم، وهمّ ناصب؛ أي: منصوب، وليل نائم، ونحو ذلك.

قال الزجاج(٥): مِنْ ماء ذي اندفاق، يقال: دارع، وقايس، ونابل؛ أي: ذو درع، وقوس، ونبل، وأراد سبحانه ماء الرجل والمرأة؛ لأن الإنسان مخلوق منهما، لكن جعلهما ماء واحداً لامتزاجهما.

ثم وصف هذا الماء، فقال: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؛ أي: صلب الرجل،

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٦٥).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٦). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١١).

وترائب المرأة، والترائب جمع تَريبة، وهي: موضع القلادة من الصدر، والولد لا يكون إلا من الماءين. قرأ الجمهور[١]: «يَخْرُجُ» مبنيّاً للفاعل.

وقرأ ابن أبي عبلة، وابن مقسم مبنيّاً للمفعول[٢]، وفي الصلب وهو الظهرُ لغات.

قرأ الجمهور[٣] بضم الصاد وسكون اللام، وقرأ أهل مكة بضم[٤] الصاد واللام. وقرأ اليماني[٥] بفتحهما، ويقال صالب على وزن قالب. ومنه قول العباس بن عبد المطلب[٦]:

تُـنْـقَـلُ مِـنْ صـالَـبٍ إلـى رَحِـمِ[٧]

في أبياته المشهورة في مدح النبيّ ﷺ. وقد تقدّم كلام في هذا عند تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣] وقيل: الترائب[٨]: ما بين الثديين. وقال الضحاك[٩]: ترائب المرأة: اليدين، والرجلين، والعينين. وقال سعيد بن جبير[١٠]: هي الجيد. وقال مجاهد[١١]: هي ما بين المنكبين والصدر.

وروي عنه أيضاً أنه قال: هي الصدر. وروي عنه[١٢] أيضاً أنه قال: هي التراقي.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥١)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٠٧)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٧).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٥١)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٥١). وهي قراءة شاذة.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥١)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٧).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٧١)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٤٨)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٥١).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المتواترة بضم الصاد وسكون اللّام وغيرها شاذ، واليماني المقصود به ابن السميفع.
(٦) «المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٥٥٧).
(٧) وعجز البيت:

إذا مـضـى عَـالـمٌ بـدا طَـبَـقُ

(٨) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٦٥).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٩٥) بسند حسن.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٧).
(١١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٤) بسند صحيح.
(١٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٢٨).

وحكى الزجاج[١]: أن الترائب عصارة القلب، ومنه يكون الولد، والمشهور في اللغة[٢] أنها عظام الصدر، والنّحْر، ومنه قول دُريد بن الصِّمة[٣]:

فإنْ تُدْبِرُوا نأخذْكُمُ في ظهورِكُمْ   وإنْ تُقْبِلُوا نأخذْكُم في الترائِب

قال عكرمة[٤]: الترائب: الصدر، وأنشد:

نظامُ دُرٍّ على ترائِبِها[٥]

قال في «الصحاح»[٦]: التريبة واحدة الترائب. وهي: عظام الصدر. قال أبو عُبيدة[٧]: جمع التريبة تريب، ومنه قول المثقّب العبدي:

ومِنْ ذهبٍ يَبِينُ على تريبٍ   كَلَوْنِ العاجِ ليس بذي غُضُونِ[٨]

وقول امرئ القيس[٩]:

ترائِبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[١٠]

وحكى الزجاج[١١]: أن الترائب أربع أضلاع مِنْ يمنة الصدر، وأربع أضلاع من يسرة الصدر. قال قتادة[١٢]، والحسن: المعنى، ويخرج مِنْ صلب الرجل، وترائب المرأة.

وحكى الفرّاء[١٣] أن مثل هذا يأتي عن العرب يكون معنى من بين الصلب، من الصلب.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٢).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٧٥).
(٣) «ديوان دريد بن الصمة» (ص٢٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٨).
(٥) وعجزه:

شَرفاً به اللَّبَّاتُ والنحرُ

«الدر المنثور» (٨/ ٤٧٥) وفيه نظام اللؤلؤ.

(٦) «الصحاح» (١/ ٩١).
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٤).
(٨) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٧٥)، «المفضليات» (ص٢٨٩).
(٩) «ديوان امرئ القيس» (ص١٥).
(١٠) وصدر البيت:

مُهفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٢).
(١٢) ذكره عنهما ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧٦).
(١٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).

وقيل: إن ماء الرجل ينزل مِنْ الدماغ، ولا يخالف هذا ما في الآية؛ لأنه إذا نزل من الدماغ[(١)] نزل من بين الصلب والترائب.

وقيل: إنّ المعنى: يخرج مِنْ جميع أجزاء البدن، ولا يخالف هذا ما في الآية؛ لأن نسبة خروجه إلى بين الصلب والترائب، باعتبار أن أكثر أجزاء البدن هي: الصلب والترائب، وما يجاورها، وما فوقها مما يكون تنزله منها.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في إنّه يرجع إلى الله سبحانه لدلالة قوله: لقادر عليه، فإن الذي خلقه هو الله سبحانه، والضمير في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ عائد إلى الإنسان، والمعنى: أن الله سبحانه على رجع الإنسان؛ أي: إعادته بالبعث بعد الموت: لقادر هكذا قال جماعة من المفسرين: وقال مجاهد[(٢)]: على أن يردّ الماء في الإحليل.

وقال عكرمة[(٣)]، والضحاك[(٤)]: على أن يردّ الماء في الصلب.

وقال مقاتل[(٥)] بن حيان يقول: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصِّبا، ومن الصبا إلى النطفة. وقال ابن زيد[(٦)]: إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر، والأوّل أظهر، ورجّحه ابن جرير[(٧)]، والثعلبي[(٨)]، والقرطبي[(٩)].

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ العامل في الظرف على التفسير الأوّل، هو رجعه، وقيل: لقادر.

واعتُرض عليه بأنه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم، وقيل: العامل فيه مقدّر؛ أي: يرجعه يوم تُبلى السرائر[(١٠)]، وقيل: العامل فيه مقدّر، وهو اذْكر، فيكون

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٩) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٧) بسند صحيح.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٦٥). (٥) «الوسيط» (٤/ ٤٦٥).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٩٩) من طريق يحيى بن واضح، ثنا الحسين، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٩) بسند صحيح.
(٧) في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٠٠). (٨) في «تفسيره» (١٠/ ١٨٠).
(٩) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢١٠).
(١٠) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

مفعولاً به، وأما على قول مَنْ قال: إن المراد رجع الماء، فالعامل في الظرف مقدّر، وهو اذكر، ومعنى تُبلى السرائر: تُخْتبر، وتُعرَف، ومنه قول الراجز:

قد كنتَ قبلَ اليومِ تزدريني فاليومَ أبلُوكَ وتَبْتَلِيني[١]

أي: أختبرك وتختبرني، وأمتحنك وتمتحنني، والسرائر: ما يُسرّ في القلوب من العقائد والنيات، وغيرها، والمراد هنا: عَرْض الأعمال، ونشر الصحف، فعند ذلك يتميز الحسن منها مِنْ القبيح، والغثّ من السمين.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾؛ أي: فما للإنسان من قوّة في نفسه يمتنع بها عن عذاب الله، ولا ناصر ينصره مما نزل به.

قال عكرمة[٢]: هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة مِنْ قوّة ولا ناصر. قال سفيان[٣]: القوة: العشيرة، والناصر: الحليف، والأوّل أولى.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ الرجع: المطر. قال الزجاج[٤]: الرجع: المطر؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر. قال الخليل[٥]: الرجعُ: المطرُ نفسُه، والرجع: نبات الربيع. قال أهل اللغة[٦]: الرجع: المطر. قال المتنخل يصف سيفاً له:

أبيضُ كالرجعِ رَسُوبٌ إذا ما ثاخ في مُحْتَفَلٍ يختلي[٧]

قال الواحدي[٨]: الرجع: المطر في قول جميع المفسرين، وفي هذا الذي حكاه عن جميع المفسرين نظر، فإن ابن زيد[٩] قال: الرجع: الشمس، والقمر، والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية، وتغيب في أخرى. وقال بعض المفسرين[١٠]: ذات الرجع: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد.

---

(١) «خزانة الأدب» (٦/ ٤٣٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) من طريق سفيان، به.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) من طريق ضمرة بن ربيعة، به.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٢). (٥) في كتاب «العين» (ص٣٧٥).
(٦) «تهذيب اللغة» (١/ ٣٦٤)، و«الصحاح» (/ ١٢١٧).
(٧) «ديوان الهذليين» (٢/ ١٢).
(٨) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٦٧).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٠٤) بسند صحيح.
(١٠) «جامع البيان» (٢٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢١٥).

وقال بعضُهم: معنى ذات الرجع: ذات النفع، ووجه تسمية المطر رجعاً ما قاله القفال[١] إنه مأخوذ من ترجيع الصوت، وهو إعادته، وكذا المطر لكونه يعود مرّة بعد أخرى سُمّي رَجْعاً. وقيل: إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض، وقيل: سمّته العرب رجعاً لأجل التفاؤل ليرجع عليهم، وقيل: لأن الله يرجعه وقتاً بعد وقت.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض مِنْ النبات، والثمار والشجر، والصدع: الشقّ؛ لأنه يصدع الأرض، فتنصدع له.

قال أبو عبيدة[٢]، والفرّاء[٣]: تتصدّع بالنبات. قال مجاهد: والأرض ذات الطرق التي تصدعها المياه، وقيل: ذات الحرث لأنّه يصدعها، وقيل: ذات الأموات لانصداعها عنهم عند البعث.

والحاصل أنّ الصدع إن كان اسماً للنبات فكأنه قال: والأرض ذات النبات؛ وإن كان المراد به: الشق، فكأنه قال: والأرض ذات الشق الذي يخرج منه النبات ونحوه.

وجواب[٤] القسم قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾؛ أي: إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾؛ أي: لم ينزل باللعب، فهو جدّ ليس بالهزل، والهزل ضدّ الجدّ. قال الكميت[٥]:

يَجِدُّ بنا في كلِّ يومٍ ونَهْزِلُ[٦]

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ أي: يمكرون في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق.

قال الزجاج[٧]: يخاتلون النبيّ ﷺ، ويُظْهرون ما هم على خلافه ﴿وَأَكِيدُ

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٣١/ ١٢٠ ـ ١٢١).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٤).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٢٥٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢١٦)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٥٦).
(٥) «شرح هاشميات الكميت» (ص١٤٨).
(٦) وصدر البيت:
أرانا على حُبِّ الحياة وطولها
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٣).

كَيْدًا﴾؛ أي: أستدرجهم من حيثُ لا يعلمون، وأجازيهم جزاء كيدهم، قيل: هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والأسر.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أخِّرهم، ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم، وارض بما يدبّره لك في أمورهم.

وقوله: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ بدل، من مهل، ومهل وأمهل بمعنى: مثل نَزَل وأنزل، والإمهال: الإنظارُ، وتمهل في الأمر: اتّأد، وانتصاب[١] ﴿رُوَيْدًۢا﴾ على أنه مصدر مؤكِّد للفعل المذكور، أو نعت لمصدر محذوف؛ أي: أمهلهم إمهالاً رويداً؛ أي: قريباً أو قليلاً. قال أبو عبيد[٢]: والرُّويد في كلام العرب تصغيراً لرُوْد، وأنشد:

كأنَّها ثَمِلٌ يمشي على رُودِ[٣]

أي: على مَهْل، وقيل: تصغير أرواد مصدر رَودَ تصغير الترخيم، ويأتي اسم فعل نحو رُويدَ زيداً؛ أي: أمهله، ويأتي حالاً نحو سار القوم رويداً؛ أي: متمهلين، ذكر معنى هذا الجوهريّ[٤]، [٤/٢٣١] والبحث مستوفى في علم النحو.

وقد أخرج ابن مردويه[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ قال: أقسم ربُّك بالطارق: وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه في قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قال: كل نفس عليها حفظة من الملائكة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ

---

(١) «الفريد» (٤/٦٥٨)، و«التبيان» (٢/١٢٨٢).

(٢) في الغريبين في «القرآن والحديث» (٣/ ٧٩٠).

(٣) وصدر البيت:

تكاد لا تثلم البطحا وطأتها

«الصحاح» (٢/ ٤٧٩).

والبيت للجَموح الظَّفَري. كما في «اللسان» (رود).

(٤) في «الصحاح» (٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٣).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٨٨، ٢٩٢) بسند ضعيف.

في «العظمة» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ قال: النجم المضيء ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ قال: إلّا عليها حافظ.

وأخرج عبد بن حميد[٢]، وابن المنذر عنه: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ قال: ما بين الجِيد والنّحر.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه في الآية قال: تريبة المرأة، وهي موضع القلادة.
وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٤] أيضاً قال: الترائب بين ثديي المرأة.

وأخرج الحاكم[٥] وصححه عنه أيضاً قال: الترائب أربعة أضلاع من كلّ جانب من أسفل الأضلاع.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه[٦] أيضاً: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ قال: على أن يجعل الشيخ شابّاً، والشابّ شيخاً.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال: المطر بعد المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال: صَدعُها عن النبات.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[٨]: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ تصدّع الأودية.

وأخرج ابن منده، والديلمي عن معاذ بن أنس[٩] مرفوعاً ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ قال: تصدع بإذن الله عن الأموال والنبات.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٣٦٥) ـ وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٨٧).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٥).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٣) بسند صحيح. (٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٠) وصححه.
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٥).
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٦٥)، والفريابي ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٦٤)، و«فتح الباري» (٨/ ٦٩٩)، والبخاري في «تاريخه» (٨/ ٢٦٢)، وابن جرير (٢٤/ ٣٠٢، ٣٠٤)، وأبو الشيخ رقم (٧٥٠)، والحاكم (٢/ ٥٢٠) بسند ضعيف.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٦).
(٩) أخرجه ابن منده ـ كما في «الإصابة» (١/ ١٣٣) ـ والديلمي رقم (٧١٩٧).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ قال: حقّ ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ قال: بالباطل، وفي قوله: ﴿أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ قال: قريباً.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٣٠٦، ٣٠٨) بسند صحيح.

سُورَةُ الأَعْلَى

ويقال سورة سبّح: هي تسع عشرة آية. وهي مكية في قول الجمهور(١). وقال الضحاك(٢): هي مدنية.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٣) قال: نزلت سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾؛ بمكة.

وأخرج ابن مردويه(٤) عن ابن الزبير، وعائشة مثله.

وأخرج البخاري وغيره عن البراء بن عازب(٥) قال: أوّل من قدم علينا من أصحاب النبيّ ﷺ مصعب بن عمير، وابن أمّ مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ في سورة مثلها.

وأخرج أحمد، والبزار، وابن مردويه عن عليّ(٦) قال: كان رسول الله ﷺ يحبّ هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

أخرجه أحمد عن وكيع عن إسرائيل عن ثُوير بن أبي فاختة عن أبيه عن عليّ.

وأخرج أحمد، ومسلم، وأهل السُّنن عن النعمان بن بشير(٧): أن رسول الله ﷺ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢١٩).

(٢) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٨٠) وهو ضعيف، وإنّما دعا إليه قول من قال: إنَّ ذكر صلاة العيد فيها.

(٣) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٤١)، وابن سعد (١/ ٢٣٤)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٨٢).

(٦) أخرجه أحمد رقم (٧٤٢)، والبزار رقم (٧٧٥، ٧٧٦) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٤١، ١٤٢، ١٧٦)، (١٤/ ٢٦٤)، وأحمد رقم (١٨٣٨٣) و(١٨٤٠٩)، ومسلم رقم (٨٧٨)، وأبو داود رقم (١١٢٢)، والترمذي رقم (٥٣٢)، والنسائي =

كان يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وإن وافق يوم جمعة قرأهما جميعاً وفي لفظ: «وربما اجتمعا في يوم واحد، فقرأهما» وفي الباب أحاديث.

وأخرج مسلم، وغيره عن جابر بن سمرة(١) أن النبيّ ﷺ: «كان يقرأ في الظهر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

وأخرج أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي عن أبيّ بن كعب(٢) قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وأخرج أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عائشة(٣) قالت: كان النبيّ ﷺ يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بـ﴿سَبِّحِ﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوّذتين»، وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلّا صليت بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تنزيه الله وقدرته وتحفيظه القرآن لنبيه]:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾.

= رقم (١٤٢٣، ١٥٦٧، ١٥٨٩)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١٧٣٨، ١٧٤٠، ١١٦٦٥)، وابن ماجه رقم (١٢٨١).

(١) أخرجه مسلم رقم (٤٦٠)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (١٤٢٣)، والنسائي رقم (١٦٩٨ ـ ١٧٠٠، ١٧٢٨، ١٧٢٩)، وابن ماجه رقم (١١٧١)، وابن حبان رقم (٢٤٣٦)، والدارقطني (٢/ ٣١)، والحاكم (٢/ ٢٥٧)، والبيهقي (٣/ ٣٨). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١٤٢٤)، والترمذي رقم (٤٦٣)، وابن ماجه رقم (١١٧٣)، والحاكم (١/ ٥٢٠)، والبيهقي (٣/ ٣٨). وهو حديث صحيح.

[التذكير وتزكية النفس والعمل للآخرة]:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾؛ أي: نزّهه[1] عن كل ما لا يليق به. قال السديّ[2]: سبّح اسم ربك الأعلى؛ أي: عظّمه، قيل: والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم، كما في قول لبيد[3]:

إلى الحولِ ثمَّ اسم السلامِ عليكُما ... ومَنْ يبكِ حولاً كامِلاً فقدِ اعْتَذَرْ

والمعنى: سبّح ربك الأعلى. قال ابن جرير[4]: المعنى نزّه اسم ربك أن يُسمّى به أحد سواه، فلا تكون على هذا مقحمة. وقيل المعنى: نزّه تسمية ربك، وذكرك إياه أن تذكره إلّا وأنت خاشع معظم، ولذكره محترم.

وقال الحسن[5]: معنى سبّح اسم ربك الأعلى: صلّ له. وقيل المعنى: صلّ

---

(١) ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان لازماً لصفة العلو فقط والأعلى اسم من أسماء الله تعالى يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى ومعناه الأعلى من كل شيء، فهو أفعل تفضيل دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدراً ومنزلة وهو الأعلى بالقهر والغلبة، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء.
قال الحافظ الحكمي:

الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي
علو قهر وعلو الشأن ... جَلّ عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية
ومع ذا مطلع إليهمو ... بعلمه مهيمنٌ عليهم
وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية
فإنَّه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه

«معارج القبول» (١/ ١٣٦)، ط. ابن الجوزي.

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥١). (٣) «ديوان لبيد» (ص٧٩).

(٤) في «جامع البيان» (٢٤/ ٣١١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

بأسماء الله لا كما يصلي المشركون بالمُكاء والتصدية. وقيل: المعنى: ارفع صوتك بذكر ربك، ومنه قول جرير[(١)]:

قَبَحَ الإلٰـهُ وجوهَ تَغْلِبَ كلَّما   سَبَحَ الحجيجُ وكبَّروا تكبيرا

والأعلى صفة للربّ، وقيل: للاسم، والأوّل أولى.

[خلق كل شي فسواه فأكمل صفته]:

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ صفة أخرى للربّ. قال الزجاج[(٢)]: خلق الإنسان مستوياً، ومعنى سوّى: عدّل قامته.

قال الضحاك[(٣)]: خلقه فسوّى خَلْقَه، وقيل: خلق الأجساد، فسوّى الأفهام، وقيل: خلق الإنسان وهيأه للتكليف.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ صفة أخرى للربّ، أو معطوف على الموصول الذي قبله[(٤)].

قرأ عليّ بن أبي طالب، والكسائي، والسلمي: «قَدَر» مخففاً، وقرأ الباقون بالتشديد[(٥)].

قال الواحدي[(٦)]: قال المفسِّرون: قدّر خلق الذكر والأنثى من الدّواب، فهدى الذكر للأنثى كيف يأتيها.

وقال مجاهد[(٧)]: هدى الإنسان لسبيل الخير والشرّ، والسعادة والشقاوة، وروي عنه[(٨)] أيضاً أنه قال في معنى الآية: قدّر السعادة والشقاوة، وهدى للرشد والضلالة، وهدى الأنعام لمراعيها. وقيل: قدّر أرزاقهم وأقواتهم، وهداهم لمعايشهم إن كانوا إنساً، ولمراعيهم إن كانوا وحشاً.

---

(١) ديوان جرير (١/ ٥٢) وفيه شَيَحَ الحجيج وكبروا إهلالاً.
قال شارحه: «الشيح: رفع الأيدي بالدعاء».
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٥).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٢).
(٤) «النشر» (٢/ ٣٩٩)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٦).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «الوسيط» (٤/ ٤٧٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣١١ ـ ٣١٢) بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٨٨).

وقال عطاء[١]: جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له. وقيل: خلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها. وقال السديّ[٢]: قدّر مدّة الجنين في الرحم تسعة أشهر وأقلّ وأكثر، ثم هداه للخروج من الرحم.

قال الفراء[٣]: أي قدّر، فهدى، وأضلّ فاكتفى بأحدهما، وفي تفسير الآية أقوال غير ما ذكرنا.

والأولى عدم تعيين فرد، أو أفراد ممّا يصدق عليه قدّر، وهدى إلا بدليل يدلّ عليه، ومع عدم الدليل يُحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين، إما على البدل، أو على الشمول، والمعنى: قدّر أجناس الأشياء وأنواعها، وصفاتها، وأفعالها، وأقوالها، وآجالها، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له، ويسَّره لما خلق له، وألهمه إلى أمور دينه ودنياه.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ صفة أخرى للربّ؛ أي: أنبت العُشْب، وما ترعاه النعم من النبات الأخضر.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾؛ أي: فجعله بعد أن كان أخضر غُثاءً؛ أي: هشيماً جافّاً كالغثاء الذي يكون فوق السيل أحوى؛ أي: أسود بعد اخضراره، وذلك أن الكلأ إذا يبس اسودّ.

قال قتادة[٤]: الغُثاء: الشيء اليابس، ويقال: للبقْل والحشيش إذا انحطم، ويبس غثاء وهشيم. قال امرؤ القيس[٥]:

كـأنَّ ذَرَى رأس الـمـجـمَّـرِ غـدوةً ... مـن الـسيـلِ والأغـثـاءِ فَـلْـكَـةَ مَـغْـزِلِ

وانتصاب[٦] ﴿غُثَاءً﴾ على أنه المفعول الثاني، أو على الحال، وأحوى صفة له، وقال الكسائي[٧]: هو حال من المرعى؛ أي: أخرجه أحوى من شدّة الخضرة

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٠٠).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٨٨).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٦٧) بسند صحيح.
(٥) «ديوان امرئ القيس» (ص٢٥) وفيه: من السيل والغثاء.
(٦) «التبيان» (٢/ ١٢٨٣)، و«الفريد» (٤/ ٦٥٩).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٦).

والريّ ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ بعد ذلك، والأحوى مأخوذ من الحوة، وهي: سواد يضرب إلى الخضرة.

قال في «الصحاح»(١): والحوَّة سُمْرة الشَّفة، ومنه قول ذي الرُّمة(٢):

لمياءُ في شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لعِسٌ وفي اللَّثاتِ وفي أنيابِها شَنَبُ

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي: سنجعلك قارئاً بأن نلهمك القراءة، فلا تنسى ما تقرؤه، والجملة مستأنفة لبيان هدايته ﷺ الخاصة به بعد بيان الهداية العامة، وهي هدايته ﷺ لحفظ القرآن. قال مجاهد(٣)، والكلبي(٤): كان النبيّ ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتّى يتكلم النبيّ ﷺ بأوّلها؛ مخافة أن ينساها، فنزلت: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

وقولُه: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ استثناء(٥) مفرغ مِنْ أعمّ المفاعيل؛ أي: لا تنسى مما تقرؤه شيئاً [٤/٢٣٣] مِنْ الأشياء إلَّا ما شاء الله أن تنساه.

قال الفرّاء(٦): وهو لم يشأ سبحانه أن يُنسي محمد ﷺ شيئاً كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هود: ١٠٧]، وقيل: إلا ما شاء الله أن تنسى، ثم تذكر بعد ذلك، فإذن قد نسي، ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئاً نسياناً كليّاً. وقيل: بمعنى النسخ؛ أي: إلَّا ما شاء الله أن ينسخه مما نسخ تلاوته. وقيل: معنى فلا تنسى: فلا تترك العمل إلَّا ما شاء الله أن تتركه لنسخه ورفع حكمه(٧).

وقيل: المعنى: إلَّا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله. وقيل: ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ للنهي. والألف مزيدة(٨) لرعاية الفاصلة، كما في قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] يعني: فلا تغفل قراءته وتذكره.

---

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢٣٢٢). (٢) «ديوان ذي الرِّمة» (١/ ٣٢).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣١٥) بسند صحيح.
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٠١).
(٥) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٧٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٢٣).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣٧)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٠٧).
(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٦)، و«الفريد» (٤/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٣).

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ الجملة تعليل[١] لما قبلها؛ أي: يعلم ما ظهر وما بطن، والإعلان والإسرار، وظاهره العموم، فيندرج تحته ما قيل: إنّ الجهر ما حفظه رسول الله ﷺ من القرآن، وما يخفى هو ما نسخ مِنْ صدره، ويدخل تحته أيضاً ما قيل من أن الجهر هو إعلان الصدقة، وما يخفى هو إخفاؤها، ويدخل تحته أيضاً ما قيل: إن الجهر جهره ﷺ بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة أن يتفلت عليه، وما يخفى ما في نفسه مما يدعوه إلى الجهر.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ معطوف على سنقرئك، وما بينهما اعتراض.

قال مقاتل[٢]: أي: نهوّن عليك عمل الجنة، وقيل: نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، وقيل: للشريعة اليسرى، وهي الحنيفية السهلة، وقيل: نهوّن عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل به.

والأولى حمل الآية على العموم؛ أي: نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كلّ أمر من أمورهما التي تتوجه إليك.

[فرصة للتذكير ومنفذاً للقلوب ووسيلة للبلاغ]:

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾؛ أي: عظ يا مُحمد الناس بما أوحينا إليك، وأرشدهم إلى سبل الخير، واهدهم إلى شرائع الدين.

قال الحسن[٣]: تذكرة للمؤمن، وحجة على الكافر.

قال الواحدي[٤]: إن نفعت أو لم تنفع؛ لأن النبيّ ﷺ بُعث مبلِّغاً للإعذار والإنذار، فعليه التذكير في كل حال نفع، أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] الآية.

قال الجرجاني[٥]: التذكير واجب، وإن لم ينفع، فالمعنى: إن نفعت الذكرى أو لم تنفع. وقيل: إنه مخصوص في قوم بأعيانهم، وقيل: «إن» بمعنى «ما»؛ أي:

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٠١)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٩).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٤٧٠).

(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢٠٦)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٢٩).

فذكر ما نفعت الذكرى؛ لأن الذكرى نافعة بكل حال، وقيل: إنها بمعنى قد، وقيل: إنها بمعنى إذ.

وما قاله الواحدي، والجرجاني أولى، وقد سبقهما إلى القول به الفراء[(١)]، والنحاس[(٢)].

قال الرازي[(٣)]: إنّ قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ للتنبيه على أشرف الحالين، وهو: وجود النفع الذي لأجله شُرعت الذكرى، والمعلق بإنّ على الشيء لا يلزم أن يكون عدماً عند عدم ذلك الشيء، ويدل عليه آيات: منها هذه الآية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ومنها قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] فإنّ القصر جائز عند الخوف وعدمه، ومنها قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] والمراجعة جائزة بدون هذا الظنّ، فهذا الشرط فيه فوائد: منها ما تقدّم، ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى، كما يقول الرجل لمن يرشده: قد أوضحت لك إن كنت تعقل، وهو تنبيه للنبيّ ﷺ على أنها لا تنفعهم الذكرى، أو يكون هذا في تكرير الدعوة، فأما الدعاء الأوّل فعامّ انتهى.

ثم بيّن سبحانه الفرق[(٤)] بين من تنفعه الذكرى، ومن لا تنفعه، فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: سيتعظ بوعظك مَنْ يخشى الله، فيزداد بالتذكير خشية وصلاحاً.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾؛ أي: ويتجنب الذكرى، ويبعد عنها الأشقى من الكفار لإصراره على الكفر بالله، وانهماكه في معاصيه.

ثم وصف الأشقى فقال: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾؛ أي: العظيمة الفظيعة؛ لأنها أشدّ حرّاً من غيرها. قال الحسن[(٥)]: النارُ الكبرى: نارُ جهنّم، والنار الصغرى: نار الدنيا. وقال الزجاج[(٦)]: هي السفلى من أطباق النار.

---

(١) «إعراب القرآن» للفراء (٣/٢٥٦).
(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/٢٠٦).
(٣) في «تفسيره» (٣١/١٤٣ ـ ١٤٤).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣١ ـ ٣٢)، و«روح المعاني» (٢٨/٤٧٦ ـ ٤٧٧).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/٤٠١).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣١٦).

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾؛ أي: لا يموت فيها، فيستريح مما هو فيه من العذاب، ولا يحيا حياة ينتفع بها، ومنه قول الشاعر:

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فينقضي عَنَاهَا ولا تحيا حياةً لها طَعْمُ[١]

و«ثم» للتراخي في مراتب الشدّة؛ لأن التردّد بين الموت، والحياة أفظع من صلي النار الكبرى.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي: مَنْ تطهر من الشرك، فآمن بالله ووَّحده، وعمل بشرائعه.

قال عطاء[٢]، والربيع: مَنْ كان عمله زاكياً نامياً. وقال قتادة[٣]: تزكى بعمل صالح.

قال قتادة، وعطاء، وأبو العالية: نزلت في صدقة الفطر[٤].

قال عكرمة[٥]: كان الرجل يقول: أقدّم زكاتي بين يدي صلاتي.

وأصل الزكاة في اللغة[٦]: النماء. وقيل: المراد بالآية: زكاة الأموال كلها، وقيل: المراد بها: زكاة الأعمال لا زكاة الأموال؛ لأن الأكثر أن يقال في الأموال زكّى لا تزكّى ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ قيل المعنى: ذكر اسم ربه بالخوف، فعبده وصلى له، وقيل: ذكر اسم ربه بلسانه فصلى؛ أي: فأقام الصلوات الخمس، وقيل: ذكر موقفه ومعاده فعبده، وهو كالقول الأوّل.

وقيل: ذكر اسم ربه بالتكبير في أوّل الصلاة، لأنها لا تنعقد[٧] إلا بذكره، وهو: قوله «الله أكبر» وقيل: ذكر اسم ربه في طريق المُصلّى فصلى، وقيل: هو أن يتطوّع بصلاة بعد زكاة، وقيل: المراد بالصلاة هنا: صلاة العيد[٨]، كما أن المراد

---

(١) البيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، «مجالس ثعلب» (ص٢٣٦).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٠٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣١٩) بسند صحيح.
(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٠٨)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣١).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣١٩)، و«الصحاح» (٦/ ٢٣٦٨).
(٧) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٠).
(٨) «الكشاف» (٦/ ٣٦٠).

بالتزكي في الآية الأولى: زكاة الفطر، ولا يخفى بُعد هذا القول؛ لأن السورة مكية، ولم تفرض زكاة الفطر، وصلاة العيد إلا بالمدينة.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا إضراب[1] عن كلام مقدّر يدلّ عليه السياق؛ أي: لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذّات الفانية الكائنة في الدنيا.

قرأ الجمهور[2]: «تُؤثرون» بالفوقية على الخطاب، ويؤيدها قراءة أبيّ[3]: «بل أَنتم تؤثرون» وقرأ أبو عمرو[4] بالتحتية على الغيبة. قيل: والمراد بالآية: الكفرة، والمراد بإيثار الحياة الدنيا: هو الرِّضا بها، والاطمئنان إليها، والإعراض عَنْ الآخرة بالكلية، وقيل: المراد بها: جميع الناس من مؤمن وكافر، والمراد بإيثارها: ما هو أعمّ من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس مِنْ تأثير جانب الدنيا على الآخرة، والتوجه إلى تحصيل منافعها، والاهتمام بها اهتماماً زائداً على اهتمامه بالطاعات.

[الآخرة خير وأبقى في نوعها وأبقى في أمدها]:

وجملة: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل تؤثرون؛ أي: والحال أن الدار الآخرة التي هي الجنة أفضل، وأدوم من الدنيا.

قال مالك بن دينار[5]: لو كانت الدنيا مِنْ ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى، فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى ما تقدّم مَنْ فلاح مَنْ تزكّى وما بعده، وقيل: إنه إشارة إلى جميع السورة، ومعنى ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: ثابت فيها، وقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل من الصحف الأولى.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٢٥).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٨)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٠).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢) عن ابن مسعود. «تفسير الرازي» (٣١/ ١٤٩)، و«زاد المسير» (٩٢١٩). قراءة أبيٍّ شاذة مخالفة للرسم.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٨)، و«التيسير» (ص٢٢١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

قال قتادة[١]، وابن زيد[٢]: يريد بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ والآخرة خير وأبقى. وقالا: تتابعت كتب الله ﷻ أنّ الآخرة خير وأبقى من الدنيا.

وقال الحسن[٣]: تتابعت كتب الله جلّ ثناؤه إن هذا لفي الصحف الأولى، وهو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى آخر السورة.

قرأ الجمهور[٤]: «في الصُحُف الأولى صُحُف إبراهيم» بضم الحاء في الموضعين، وقرأ الأعمش، وهارون، وأبو عمرو في رواية عنه[٥] بسكونها فيهما.

وقرأ الجمهور: «إبراهيم» بالألف[٦] بعد الراء، وبالياء بعد الهاء. وقرأ أبو رجاء بحذفهما[٧] وفتح الهاء.

وقرأ أبو موسى، وابن الزبير: «إبراهام» بألفين[٨].

وقد أخرج أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه عن عقبة بن عامر الجهني[٩] قال: «لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢] قال لنا رسول الله ﷺ: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم» ولا مطعن في إسناده.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس[١٠]: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) بسند صحيح.
(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٨) إلى ابن أبي حاتم.
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١١).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٩)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ١٠٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١١). سكون الحاء قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن أبي عمرو.
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥٩)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٨٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١١).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. هي قراءة شاذة.
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٨٦). وهي قراءة شاذة.
(٩) أخرجه أحمد رقم (١٧٤١٤)، وأبو داود رقم (٨٦٩)، وابن ماجه رقم (٨٨٧). وهو حديث ضعيف.
(١٠) أخرجه أحمد رقم (٢٠٦٩)، وأبو داود رقم (٨٨٣)، والطبراني رقم (١٢٣٣٥)، والبيهقي (٢/ ٣١٠) صحيح موقوفاً.

ربي الأعلى»، قال أبو داود: خولف فيه وكيع، فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً.

وأخرجه موقوفاً أيضاً عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس[1] أنه كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»، وفي لفظ لعبد بن حميد عنه قال: «إذا قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾. فقل: سبحان ربي الأعلى».

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن الأنباري في المصاحف عن عليّ بن أبي طالب[2] أنه قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فقال: «سبحان ربي الأعلى» وهو في الصلاة، فقيل له أتزيد في القرآن؟ قال: لا، إنما أمرنا بشيء فقلته.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي موسى الأشعري[3] أنه قرأ في الجمعة: بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فقال: «سبحان ربي الأعلى».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير[4] قال: سمعت ابن عمر يقرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ الأعلى فقال: «سبحان ربي الأعلى»، وكذلك هي في قراءة أبيّ بن كعب.

وأخرج ابن أبي شيبة[5] عن عمر أنه قال: إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ [٤/٢٣٤] ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن عبد الله بن الزبير[6] أنه قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فقال: «سبحان ربي الأعلى» وهو في الصلاة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٦٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٩)، وابن جرير (٢٤/ ٣١٠) وهو أثر صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٢)، أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٨).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٠)، وابن جرير (٢٤/ ٣٠٩)، والحاكم (٢/ ٥٢١) بسند ضعيف.

(٥) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٠٩).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً﴾ قال: هشيماً ﴿أَحْوَىٰ﴾ قال: متغيراً.

وأخرج ابن مردويه[٢] عنه قال: كان النبيّ ﷺ يستذكر القرآن مخافة أن ينسى، فقيل له قد كفيناك ذلك، ونزلت: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

وأخرج الحاكم[٣] عن سعد بن أبي وقاص نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤]: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يقول: إلا ما شئت أنا، فأنسيك.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه أيضاً ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال: للخير.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٦] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال: الجنة.

وأخرج البزار، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله[١] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: «من شهد أن لا إلٰه إلّا الله، وقطع الأنداد، وشهد أني رسول الله ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها، والاهتمام بمواقيتها». قال البزار: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: من الشرك ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ قال: وحّد الله ﴿فَصَلَّىٰ﴾ قال: الصلوات الخمس.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٣١٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٣).
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢١).
(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٤).
(٦) أخرجه البزار رقم (٢٢٨٤ ـ كشف) وقال الهيثمي: رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي، وهو متروك.
«مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٧).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/٣١٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٤، ٥٥) بسند صحيح.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(١) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: مَنْ قال لا إله إلا الله.

وأخرج البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في «الكُنى»، وابن مردويه والبيهقي في «سُننه» عن كثير بن عبد الله بن عَمْرو بن عوف(٢) عن أبيه عن جدّه عن النبيّ ﷺ: «أنّه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أنْ يصلي صلاة العيد، ويتلو هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾». وفي لفظ قال: «سئل النبي ﷺ عن زكاة الفطر، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: هي زكاة الفطر» وكثير بن عبد الله ضعيف جدّاً، قال فيه أبو داود: هو ركن مِنْ أركان الكذب، وقد صحح الترمذي حديثاً من طريقه، وخُطّئ في ذلك.

ولكنه يشهد له ما أخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري(٣) قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر» وليس في هذين الحديثين ما يدل على أن ذلك سبب النزول، بل فيهما أنه ﷺ تلا الآية، وقوله: «هي زكاة الفطر»، يمكن أن يراد به أنها مما يصدق عليه التزكي، وقد قدّمنا أن السورة مكية، ولم تكن في مكة صلاة عيد ولا فطرة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي سعيد الخدري(٤): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: أعطى صدقَة الفطر قبل أنْ يخرج إلى العيد ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قال: خرج إلى العيد وصلى.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي عن ابن عمر(٥) قال: إنما أنزلت هذه الآية في إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء(٦) قال: قلتُ لابن عباس: أرأيت قوله: ﴿قَدْ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٠٥).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٣٨٣)، والبيهقي (٤/ ١٥٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٨٠): وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٥).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٥).

(٥) أخرجه البيهقي (٤/ ١٥٩).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٥).

﴿أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ للفطر؟ قال: لم أسمع بذلك، ولكن للزكاة كلها. ثم عاودته فقال لي: والصدقات كلها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في «شعب» الإيمان عن عرفجة الثقفي قال: استقرأتُ ابن مسعود[١]: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ترك القراءة، وأقبل علي أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنّا رأينا زينتها، ونساءها، وطعامها، وشرابها، وزُويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل، وقال: «بل يؤثرون الحياة الدنيا» بالياء.

وأخرج البزار، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هي كلها في صحف إبراهيم، وموسى».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[٣] عنه في الآية قال: نسخت هذه السورة من صحف إبراهيم وموسى، وفي لفظ: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي ذرّ[٤] قال: «قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة كتاب، وأربعة كتب» الحديث.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٣٢٢)، والطبراني رقم (٩١٤٧)، والبيهقي رقم (١٠٦٤٥) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢٣٦): فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البزار ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٢٧) ـ، والحاكم (٢/٤٧٠).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٨٨).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٤٨٩)، أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٣/٢٧٦ ـ ٢٧٨) مطولاً. وهو ضعيف جداً انظر «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/٣٩١).

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

هي ست وعشرون آية وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الغاشية بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وقد تقدّم حديث النعمان بن بشير[٤]: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، والغاشية في صلاة العيد، ويوم الجمعة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[هول القيامة وأحوال أهل النار]:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾.

[أحوال المؤمنين المخلصين أهل الجنة]:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/٤٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٢٣٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٠).

(٤) تقدم نصه وتخريجه.

[المعجزة كامنة في كل الدلائل الكونية]:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

قوله: ﴿هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ قال جماعة من المفسرين[(١)]: هل هنا بمعنى قَدْ، وبه قال قُطْرب[(٢)]: أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية، وهي القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها. وقيل: إنّ بقاء هل هنا على معناها الاستفهامي[(٣)] المتضمن للتعجيب مما في خبره، والتشويق إلى استماعه أولى.

وقد ذهب إلى أن المراد بالغاشية هنا: القيامة أكثر المفسرين[(٤)]. وقال سعيد بن جبير[(٥)]، ومحمد بن كعب[(٦)]: الغاشية: النار تغشى وجوه الكفار كما في قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقيل[(٧)]: الغاشية: أهل النار؛ لأنهم يغشونها ويقتحمونها والأوّل أولى.

قال الكلبي: المعنى إن لم يكن أتاك حديث الغاشية، فقد أتاك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر كأنه قيل ما هو؟ أو مستأنفة استئنافاً نحويّاً لبيان ما تضمنته مِنْ كونٍ، ثم وجوه في ذلك اليوم متصفة بهذه الصفة المذكورة، ووجوه[(٨)] مرتفع على الابتداء، وإن كانت نكرة لوقوعه في مقام التفصيل، وقد تقدّم مثل هذا في سورة القيامة، وفي سورة النازعات.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣٨)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧٣).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٧)، و«زاد المسير» (٩/ ٩٤).
(٣) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٢٨).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٧٤)، و«زاد المسير» (٩/ ٩٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٧).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٥٧).
(٧) «زاد المسير» (٩/ ٩٤).
(٨) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٨٨)، و«الفريد» (٤/ ٦٦١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٤).

والتنوين في يومئذٍ عوض عن المضاف إليه؛ أي: يوم غشيان الغاشية، والخاشعة: الذليلة الخاضعة، وكل متضائل ساكن يقال له خاشع، يقال: خشع الصوت: إذا خفي، وخشع في صلاته: إذا تذلّل ونكس رأسه. والمراد بالوجوه هنا أصحابها.

قال مقاتل[(١)]: يعني الكفّار؛ لأنهم تكبروا عن عبادة الله. قال قتادة[(٢)]، وابن زيد[(٣)]: خاشعة في النار، وقيل: أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص، والأوّل أولى.

[عملت لغير الله ونصبت في غير سبيله]:

قوله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ معنى عاملة: أنّها تعمل عملاً شاقّاً. قال أهل اللغة[(٤)]: يقال للرجل إذا دأب في سيره: عمل يعمل عملاً، ويقال للسحاب إذا دام برقه: قد عمل يعمل عملاً.

قيل: وهذا العمل هو جرّ السلاسل والأغلال، والخوض في النار ﴿نَّاصِبَةٌ﴾؛ أي: تعبة، يقال: نصِب[(٥)] بالكسر يَنصَب نَصْباً: إذا تَعِبَ، والمعنى: أنها في الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله. وقيل: إن قوله: ﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدنيا إذ لا عمل في الآخرة؛ أي: تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي، وتنصب في ذلك. وقيل: إنها عاملة في الدنيا ناصبة في الآخرة، والأوّل أولى.

قال قتادة[(٦)]: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تكبّرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها الله، وأنصبها في النار بجرّ السلاسل الثقال، وحمل الأغلال، والوقوف حفاة عراة في العرصات ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] قال الحسن[(٧)]، وسعيد بن جبير[(٨)]: لم تعمل لله في الدنيا، ولم تنصب فأعملها، وأنصبها في جهنم.

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٧٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٠٧).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٢٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٦٨) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٩).
(٤) «تهذيب اللغة» (٢/ ٤٢٠)، و«الصحاح» (٥/ ١٧٧٥).
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٠٧).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٨) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٢٨) بسند حسن.
(٨) وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٠).

قال الكلبي(١): يُجرّون على وجوههم في النار. وقال أيضاً(٢): يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم، فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل، والأغلال، والخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

قرأ الجمهور(٣): «عاملةٌ ناصبةٌ» بالرفع فيهما على أنهما خبران آخران للمبتدأ، أو على تقدير مبتدأ، وهما خبران له، وقرأ ابن محيصن، وعيسى، وحميد، وابن كثير في رواية عنه بنصبهما(٤) على الحال، أو على الذم.

وقوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ خبر آخر للمبتدأ؛ أي: تدخل ناراً متناهية في الحرّ، يقال: حمي النهار، وحمي التنور؛ أي: اشتدّ حرّهما. قال الكسائي: [٤/٢٣٥] يقال: اشتدَّ حِمَى النهار، وحَمْوُه بمعنى.

قرأ الجمهور(٥): «تَصْلَى» بفتح التاء مبنيّاً للفاعل. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر بضمها(٦) مبنيّاً للمفعول. وقرأ أبو رجاء(٧) بضم التاء، وفتح الصاد، وتشديد اللّام، والضمير راجع إلى الوجوه على جميع هذه القراءات، والمراد أصحابها، كما تقدّم، وهكذا الضمير.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ والمراد بالعين الآنية: المتناهية في الحرّ، والآني: الذي قد انتهى حره، من الإيناء بمعنى التأخر، يقال: آناه يؤنيه إيناءً؛ أي: أخرّه وحبسه، كما في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] قال الواحدي(٨): قال المفسرون: لو وقعت منها نطفة على جبال الدنيا لذابت.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٤٧٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٠٧).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٤٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٨).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١٢).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٣٥٦)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١٥١). القراءة المتواترة بالرفع، أما النّصب فقراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن ابن كثير.اهـ.

(٥) «التيسير» (ص٢٢١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٢٩)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان لكن القراءة بفتح الصاد وتشديد اللّام قراءة شاذة «النشر» (٢/ ٤٠٠).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٢).

(٨) في «الوسيط» (٤/ ٤٧٢)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٩).

ولما ذكر سبحانه شرابهم عقّبه بذكر طعامهم فقال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو: نوع مِنْ الشوك يقال له: الشِّبْرق في لسان قريش إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع. كذا قال مجاهد[١]، وقتادة[٢]، وغيرهما من المفسرين. قيل: وهو سمّ قاتل، وإذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه، وقيل: هو شيء يَرْمي به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام، لا من أقوات الناس، فإذا رعت منه الإبل لم تشبع، وهلكت هزالاً.

قال الخليل[٣]: الضريع: نباتٌ أخضر منتن الريح يَرْمي به البحر.

وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بالأوّل، ومنه قول أبي ذؤيب[٤]:

رَعَى الشِّبرقُ الرَّيانُ حتى إذا ذَوَى ... وعادَ ضريعاً بانَ عنه النَّحائصُ

وقال الهذلي يذكر إبلاً، وسوء مرعاها:

وحُبِسْنَ في هزمِ الضريعِ فكلُّها ... قرناء داميةُ اليدينِ جَرَوْدُ[٥]

وقال سعيد بن جبير[٦]: الضريع: الحجارة، وقيل: هو شجرة في نار جهنم. وقال الحسن[٧]: هو بعض ما أخفاه الله من العذاب. وقال ابن كيسان[٨]: هو طعام يَضْرعون عنده ويذلّون، ويتضرّعون إلى الله بالخلاص منه، فسمي بذلك؛ لأن آكله يتضرّع إلى الله في أن يُعفى عنه لكراهته وخشونته. قال النحاس[٩]: قد يكون مشتقاً من الضارع وهو الذليل؛ أي: من شربه يلحقه ضراعة وذلة.

وقال الحسن[١٠] أيضاً: هو الزقوم، وقيل: هو واد في جهنم، وقد تقدّم في سورة الحاقة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٢)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٦٨) بسند صحيح.
(٣) في كتاب «العين» (ص٥٤٧).
(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١٥٣).
(٥) البيت لقيس بن عيزارة.
«ديوان الهذليين» (٣/ ٧٣).
قال شارح الديوان: الهَزَّم: ما تكسر من الضريع. وجَرود: لا تكاد تَدُر.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٣).
(٧) «زاد المسير» (٩/ ٩٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٥).
(٩) في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢١١).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٤٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢٢/ ٢٤٥).

والغسلين غير الضريع، كما تقدّم، وجمع بين الآيتين بأن النار دركات[١]، فمنهم من طعامه الضريع، ومنهم مَنْ طعامه الغسلين.

ثم وصف سبحانه الضريع فقال: ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾؛ أي: لا يُسمّن الضريعُ آكلَه، ولا يَدفع عنه ما به من الجوع. قال المفسرون[٢]: لما نزلت هذه الآية. قال المشركون: إنّ إبلنا تسمن مِنْ الضريع، فنزلت: ﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ وكذبوا في قولهم هذا، فإن الإبل لا تأكل الضريع ولا تقربه. وقيل: اشتبه عليهم أمره، فظنوه كغيره من النبات النافع.

[هؤلاء السعداء يبدو في وجوههم الرضى والنعيم]:

ثم شرع سبحانه في بيان حال أهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال أهل النار فقال: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾؛ أي: ذات نعمةٍ وبهجة، وهي وجوه المؤمنين صارت وجوههم ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم، وما أعدّه الله لهم من الخير الذي يفوق الوصف، ومثله قوله: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤].

ثم قال: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾؛ أي: لعملها الذي عملته في الدنيا راضية، لأنها قد أُعطيتْ من الأجر ما أرضاها، وقرّت به عيونُها، والمراد بالوجوه هنا: أصحابها، كما تقدّم.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ﴾؛ أي: عالية المكان مرتفعة على غيرها من الأمكنة، أو عالية القَدْر؛ لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين.

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «لا تَسمع» بفتح الفوقية، ونصب لاغيةً؛ أي: لا تسمع أنت أيها المخاطب، أو لا تسمع تلك الوجوه.

وقرأ ابن كثير، وأبو عَمْرو بالتحتية[٤] مضمومة مبنيّاً للمفعول، ورفع لاغية.

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص٤٨)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٤٩١).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٩٢)، و«الوسيط» (٤/ ٤٧٤).

(٣) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٣٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧١).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

وقرأ نافع بالفوقية مضمومة[١] مبنيّاً للمفعول، ورفع لاغية. وقرأ الفضل[٢]، والجحدري بفتح التحتية مبنيّاً للفاعل ونصب لاغيةً، واللّغو: الكلام الساقط.

قال الفرّاء[٣]، والأخفش[٤]: أي: لا تسمع فيها كلمة لغو. قيل: المراد بذلك: الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة، وقال مجاهد[٥]: أي: الشتم.

وقال الفرّاء[٦]: لا تسمع فيها حالفاً يحلف بكذب. وقال الكلبي[٧]: لا تسمع في الجنة حالفاً بيمين برّة ولا فاجرة.

وقال الفرّاء[٨] أيضاً: لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تُلْغى؛ لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم، وهذا أرجح الأقوال؛ لأنّ النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص إلا بمخصص يصلح للتخصيص، و(لاغية) إما صفة موصوف محذوف؛ أي: كلمة لاغية، أو نفس لاغية، أو مصدر؛ أي: لا تسمع فيها لغواً ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ قد تقدّم في سورة الإنسان أن فيها عيوناً، والعين هنا بمعنى العيون، كما في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] ومعنى جارية: أنها تجري مياهها، وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة.

قال الكلبي[٩]: لا أدري بماء أو بغيره.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾؛ أي: عالية مرتفعة السَّمْك، أو عالية القَدْر ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ قد تقدّم أن الأكواب جمع كوب، وأنه القدح الذي لا عروة له، ومعنى موضوعة: أنّها موضوعة بين أيديهم يشربون منها ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ النمارق: الوسائد. قال الواحدي[١٠]: في قول الجميع، واحدتها نُمرقة بضم النون، وزاد الفرّاء سماعاً عن

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٨٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٣).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٣)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٧٠٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٩٨). وهذه القراءة شاذة.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٧).
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٣٧).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٥) بسند صحيح.
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٧).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٧).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠).
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٤٧٥).

العرب: نِمرقة بكسرها. قال الكلبي[١]: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض، ومنه قول الشاعر:

وإنا لنُجرِي الكأسَ بَيْنَ شُروبِنا وبَيْنَ أَبِي قابوسَ فوقَ النَّمارِقِ[٢]

وقال الآخر:

كهولٌ وشبانٌ حِسانٌ وجوهُهم على سُرُرٍ مصفوفةٍ ونَمارِقِ[٣]

قال في «الصحاح»[٤]: النُّمْرق، والنُّمرقة وسادة صغيرة، وكذلك النِّمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؛ يعني: البُسُط، واحدها زربي وزربية. قال أبو عبيدة[٥]، والفرّاء[٦]: الزرابيّ: الطنافسُ التي لها خمل رقيق، واحدها زربية، والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة[٧]. وقال عكرمة[٨]: بعضُها فوق بعض. قال الواحدي[٩]: ويجوز أن يكون المعنى: أنها مفرّقة في المجالس. وبه قال القتيبي[١٠].

وقال الفرّاء[١١]: معنى مبثوثة: كثيرة، والظاهر أنّ معنى البث: التفرّق مع كثرة، ومنه: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الاستفهام للتقريع[١٢] والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدّر، كما في نظائره مما مرّ غير مرّة، والجملة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه، وكذا ما بعدها، وكيف منصوبة بما بعدها، والجملة في محل جر على أنها بدل اشتمال من الإبل.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠)، و«الوسيط» (٤/ ٢٧٥).
(٢) نسبه المبرد في «الكامل» (٣/ ١٣١٩) للفرزدق.
(٣) نسبه ابن عطية في «المحرر» (١٦/ ٢٩٠) لزهير.
(٤) في «الصحاح» (٤/ ١٥٦١).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٦).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٨) بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٠).
(٩) «الوسيط» (٤/ ٤٧٥).
(١٠) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥٢٥).
(١١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).
(١٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٤٩٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٣٠).

[دعوة لتدبر خلق الإبل وهي بين أيديهم لا تحتاج منهم إلى نقلة ولا علم جديد]:

والمعنى: أينكرون أمر البعث، ويستبعدون وقوعه؟! أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم، وأكبر ما يشاهدونه من المخلوقات ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ على ما هي عليه من الخَلْق البديع من عِظم جثتها، ومزيد قوّتها، وبديع أوصافها.

قال أبو عمرو بن العلاء[١]: إنما خصّ الإبل؛ لأنّها من ذوات الأربع تبرك فتُحمل عليها الحمولة، وغيرها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلَّا وهو قائم.

قال الزجّاج[٢]: نبههم على عظيم مِنْ خلقه قد ذلَّله للصغير يقوده، وينيخه، وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقل حمله، وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره، فأراهم عظيماً من خلقه ليدلّ بذلك على توحيده.

وسئل الحسن[٣] عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به، ثم هو خنزير لا يُركب ظهُره، ولا يؤكل لحمه، ولا يحلب دَرّه، والإبل من أعزّ مال العرب وأنفسه، تأكل النوى والقَتّ، وتخرج اللبن، ويأخذ الصبيّ بزمامها، فيذهب بها حيثُ شاء مع عظمها في نفسها.

وقال المبرِّد[٤]: الإبل هنا: هي القطع العظيمة من السحاب، وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة.

وروي عن الأصمعي[٥] أنه قال: مَنْ قرأ: «خُلِقَتْ» بالتخفيف عنى به البعير، ومن قرأ بالتشديد عنى به السحاب.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؛ أي: رفعت فوق الأرض بلا عمدٍ على وجه لا يناله الفهم، ولا يدركه العقل، وقيل: رُفعتْ فلا ينالها شيء.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ على الأرض مرساةً راسخة، لا تميد ولا تميل ولا تزول.

---

(١) ذكره ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥١).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٣١٨).

(٣) «الوسيط» (٤٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤١١).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢١٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥١) وذكر ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص١٧٢). اتفق القراء العشرة على القراءة بالتخفيف وأمّا القراءة بالتشديد فشاذة.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؛ أي: بُسطتْ، والسطح: بَسْطُ الشيء، يقال لظهر البيت إذا كان مستوياً: سطح. قرأ الجمهور[١]: «سُطِحتْ» مبنياً للمفعول مخففاً.

وقرأ الحسن[٢]: بالتشديد. وقرأ عليّ بن أبي طالب، وابن السميفع، وأبو العالية: «خَلْقتُ»، و«رفعْتُ»، و«نصبْتُ»، و«سطحْتُ» على البناء للفاعل، وضم[٣] التاء فيها كلها.

ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ بالتذكير فقال: ﴿فَذَكِّرْ﴾ والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ أي: فعظهم يا محمد، وخوّفهم، ثم علّل الأمر بالتذكير فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾؛ أي: ليس عليك إلا ذلك، و﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ المصيطر والمسيطر بالسين والصاد: المسلّط على الشيء ليشرف عليه، ويتعهّد أحواله كذا في «الصِّحاح»[٤]؛ أي: لستَ عليهم بمصيطر حتى تكرههم [٤/ ٢٣٧] على الإيمان، وهذا منسوخ بآية السيف.

قرأ الجمهور[٥]: «بمصيطر» بالصاد، وقرأ هشام[٦]، وقنبل في رواية بالسين.

وقرأ خلف[٧] بإشمام الصاد زاياً. وقرأ هارون الأعور بفتح الطاء[٨] اسم مفعول.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ هذا استثناء[٩] منقطع؛ أي: لكن من تولى عن الوعظ

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٥).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٥). وقراءة الحسن شاذة.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٥٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥٦). القراءة بالبناء للفاعل وضم التاء في الكلمات الأربع هي قراءات شاذة.اهـ.
(٤) «الصحاح» (٢/ ٦٨٤).
(٥) «التيسير» (ص٢٢٢)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠٠)، و«النشر» (٢/ ٣٧٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٢).
(٦) «الدر المصون» (٦/ ٥١٤)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٥٠١). وهو وجه أيضاً لحفص.
(٧) «النشر» (٢/ ٣٧٨)، التيسير (ص٢٢٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٥٠١). وهو وجه عن خلّاد عَنْ حمزة.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٣). القراءة بفتح الطاء قراءة شاذة.اهـ.
(٩) «روح المعاني» (٢٨/ ٥٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٣١).

والتذكير ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ وهو عذاب جهنّم الدائم. وقيل: هو استثناء[1] متصل من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: فذكر كلّ أحد إلا من انقطع طمعك عن إيمانه، وتولى فاستحقّ العذاب الأكبر، والأوّل أولى.

وإنما قال: ﴿ٱلْأَكْبَرَ﴾ لأنهم قد عُذبوا في الدنيا بالجوع والقحط، والقتل والأسر. وقرأ ابن مسعود[2] «فإنّه يعذبه الله» وقرأ ابن عباس[3]، وقتادة: «ألا من تولى» على أنها ألا التي للتنبيه والاستفتاح.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾؛ أي: رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يئوب: إذا رجع، ومنه قول عبيد بن الأبرص[4]:

وكــلُّ ذي غَــيْــبَــةٍ يــؤوبُ   وغــائــبُ الــمــوتِ لا يــؤوب

قرأ الجمهور[5]: «إيابهم» بالتخفيف، وقرأ أبو جعفر، وشيبة بالتشديد[6]. قال أبو حاتم[7]: لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام والقيام، وقيل: هما لغتان بمعنى.

قال الواحدي[8]: وأما «إيّابهم» بتشديد الياء، فإنّه شاذ لم يجزه أحد غير الزجاج[9].

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾؛ يعني: جزاءهم بعد رجوعهم إلى الله بالبعث، وثُمّ للتراخي في الرتبة لبعد منزلة الحساب في الشدّة عَنْ منزلة الإياب.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١٦٠). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«روح المعاني» (٢٨/ ٥٠٣). وقراءة ابن عباس وقتادة فشاذة.

(٤) «ديوان عبيد بن الأبرص» (ص٢٦).

(٥) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٤).

(٦) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٥). القراءة بتشديد كلمة (إيّابهم) قراءة متواترة عن أبي جعفر.اهـ.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٥).

(٨) في «الوسيط» (٤/ ٤٧٧).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١٩).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس قال: الغاشية من أسماء القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ قال: الساعة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال: تعمل، وتنصب في النار ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ قال: هي التي قد طال أنيها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال: الشِّبْرق.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه أيضاً ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال: يعني اليهود والنصارى تخشع، ولا ينفعها عملها ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ قال: قد أني غليانها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً في قوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ قال: حارّة، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ قال: انتهى حرّها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ يقول: من شجر من نار.

وأخرج عبد بن حميد[٥] عنه أيضاً: ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال: الشِّبْرق اليابس. وأخرج ابن جرير[٦] عنه أيضاً ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً﴾ يقول: لا تسمع أذى ولا باطل، وفي قوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال: بعضها فوق بعض ﴿وَنَمَارِقُ﴾ قال: مجالس.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٧] عنه أيضاً ﴿وَنَمَارِقُ﴾ قال: المرافق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٨] عنه أيضاً: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قال: جبار ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ قال حسابه على الله.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٧٠٠) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٣) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٢).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٥) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٤١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٥) بسند صحيح.

وأخرج أبو داود[1] في «ناسخه» عنه أيضاً ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ثم نسخ ذلك فقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وأخرج ابن المنذر[2] عنه أيضاً ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ قال: مرجعهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٥).

(٢) أخرجه ابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠١).

سُورَةُ الفَجْرِ

هي ثلاثون آية وقيل: تسع وعشرون آية. وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس في ناسخه، وابن مردويه، والبيهقي من طرق عن ابن عباس[٢] قال: نزلت ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير، وعائشة مثله.

وأخرج النسائي[٤] عن جابر قال: «صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه فطوّل، فصلى في ناحية المسجد، ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً فقال: منافق، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جئت أصلي فطوّل عليّ، فانصرفت فصليت في ناحية المسجد، فعلفتُ ناضحي، فقال رسول الله ﷺ: أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾.

أقسم سبحانه بهذه الأشياء، كما أقسم بغيرها من مخلوقاته. واختلف[٥] في

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٧).

(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٧٣).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٥٦).

الفجر الذي أقسم الله به هنا فقيل: هو الوقت المعروف، وسمي فجراً؛ لأنه وقت انفجار الظُلْمة عن النهار من كل يوم. وقال قتادة[1]: إنه فجر أوّل يوم من شهر محرّم، لأن منه تتفجر السنة. وقال مجاهد[2]: يريد يوم النحر.

وقال الضحاك[3]: فجر ذي الحجة؛ لأنّ الله قرن الأيام به فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي ليالي عشر من ذي الحجة، وبه قال السديّ[4]، والكلبي. وقيل: المعنى: وصلاة الفجر، أو ربّ الفجر. والأوّل أولى، وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ كذا قال ابن الأنباري[5]، وقيل: محذوف لدلالة السياق عليه؛ أي: ليجازينّ كل أحد بما عمل، أو ليعذبنّ، وقدّره أبو حيان[6] بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله؛ أي: والفجر إلخ لإيابهم إلينا، وحسابهم علينا، وهذا ضعيف جدّاً، وأضعف مِنْه قول مَنْ قال: إن الجواب قوله: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ وأن هل بمعنى قد؛ لأن هذا لا يصح أن يكون مقسماً عليه أبداً.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة في قول جمهور[7] المفسرين.

وقال الضحاك[8]: إنّها الأواخر من رمضان. وقيل: العشر الأوّل من المحرّم إلى عاشرها يوم عاشوراء.

قرأ الجمهور[9]: «ليالٍ» بالتنوين، وعَشْر صفة لها. وقرأ ابن عباس[10] «وليالي عشر» بالإضافة، قيل: والمراد ليالي أيام عشر، وكان حقه على هذا أن يقال عشرة لأن المعدود مذكر.

وأجيب عنه بأنه إذا حذف المعدود جاز الوجهان ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الشفع:

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٧٨).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٧٨).

(٤) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٧).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧١).

(٦) في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧١).

(٧) «الوسيط» (٤/ ٤٧٨)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠٢).

(٨) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٩٣).

(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٩)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٩٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١٨).

(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٥٦). وهي قراءة شاذة.

والوتر: يعمان كل الأشياء شفعها ووترها، وقيل: شفع الليالي ووترها. وقال قتادة[١]: الشفع: والوتر: شفع الصلاة ووترها، منها شفع، ومنها وتر. وقيل: الشفع: يوم عرفة ويوم النحر، والوتر: ليلة يوم النحر. وقال مجاهد[٢]، وعطية[٣] العوفي: الشفع: الخلق، والوتر الله الواحد الصمد، وبه قال محمد بن سيرين[٤]، ومسروق[٥]، وأبو صالح[٦]، وقتادة[٧].

وقال الربيع[٨] بن أنس، وأبو العالية[٩]: هي صلاة المغرب فيها ركعتان، والوتر: الركعة.

وقال الضحاك[٩]: الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام منى الثلاثة، وبه قال عطاء[٩]. وقيل: هما آدم وحواء؛ لأن آدم كان وتراً فشُفع بحوّاء.

وقيل: الشفع: درجات الجنة وهي ثمان، والوتر: دركات النار وهي سبع، وبه قال الحسين بن الفضل[١٠]. وقيل: الشفع: الصفا والمروة، والوتر: الكعبة.

وقال مقاتل[١١]: الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة بعده، وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة[١٢]: الوتر: هو الله سبحانه، وهو الشفع: أيضاً لقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية. وقال الحسن[١٣]: المراد بالشفع: والوتر: العدد كله؛ لأن العدد لا يخلو عنهما. وقيل: الشفع: مسجد[١٤] مكة والمدينة، والوتر: مسجد بيت المقدس. وقيل: الشفع: حجج القرآن، والوتر: الإفراد. وقيل: الشفع: الحيوان لأنه ذكر وأنثى، والوتر:

---

(١) «زاد المسير» (٩/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥١) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥١) بسند ضعيف. من طريق العوفي، عن ابن عباس.
(٤) «زاد المسير» (٩/ ١٠٧).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥٢) من طريق سفيان، به.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥١) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥٣) من طريق مهران، به.
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦).
(٩) «زاد المسير» (٩/ ١٠٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦).
(١٠) «معالم التنزيل» (٨/ ٤١٦).
(١١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤١٦).
(١٢) «زاد المسير» (٩/ ١٠٧).
(١٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٠).
(١٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٠) دون نسبة.

الجماد. وقيل: الشفع: ما سمي، والوتر: ما لا يسمى[١].

ولا يخفاك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط البين، والضعف الظاهر، والاتكال في التعيين على مجرّد الرأي الزائف، والخاطر الخاطئ.

والذي ينبغي التعويل عليه، ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع: والوتر: في كلام العرب، وهما معروفان واضحان، فالشفع: عند العرب الزوج، والوتر: الفرد. فالمراد بالآية إما نفس العدد، أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر. وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية، فإن كان الدليل يدلّ على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك، وإن كان الدليل يدلّ على أنه مما تناولته هذه الآية لم يكن ذلك مانعاً من تناولها لغيره.

قرأ الجمهور[٢]: «والوَتْر» بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف بكسرها[٣]، وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه، وهما لغتان، والفتح لغة قريش وأهل الحجاز، والكسر لغة تميم.

قال الأصمعي[٤]: كلّ فرد وتر، وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وَتْر في الفرد. وحكى يونس عن ابن كثير أنه قرأ بفتح الواو، وكسر التاء، فيحتمل أن تكون لغة ثالثة، ويحتمل أنه نقل كسرة الراء إلى التاء إجراء للوصل مجرى الوقف.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قرأ الجمهور[٥]: «يَسْرِ» بحذف الياء وصلاً ووقفاً اتباعاً لرسم المصحف.

وقرأ نافع، وأبو عمرو بحذفها في الوقف[٦]، وإثباتها في الوصل. وقرأ ابن

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦).

(٢) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٥)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠٤). هما قراءتان متواترتان وما حكاه يونس عن ابن كثير فرواية شاذة والمتواتر عنه كالجمهور.اهـ.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) انظر: «الصحاح» (٢/ ٨٤٢ ـ ٨٤٣).

(٥) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٥٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٤).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. ومع نافع وأبي عمرو أبو جَعْفر.

كثير، وابن محيصن، ويعقوب بإثباتها في الوصل[١] والوقف. [٤/٢٣٩] قال الخليل: تسقط الياء منها موافقة لرؤوس الآي.

قال الزجاج[٢]: والحذف أحب إليّ لأنّها فاصلة، والفواصل تحذف منها اليآت. قال الفرّاء[٣]: قد تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها، وأنشد بعضهم:

كفَّاكَ كفٌ ما تُليقُ دِرْهَما جوداً وأُخْرى تُعطِ بالسيفِ دما[٤]

ما تليق؛ أي: ما تمسك. قال المؤرِّج[٥]: سألت الأخفش عن العلة في إسقاط الياء مِنْ يسر فقال: لا أجيبك حتى تبيت على باب داري سنة، فبتّ على باب داره سنة، فقال: الليل لا يَسْري، وإنما يسرى فيه، فهو مصروف عن جهته، وكلّ ما صرفته عن جهته بخسته من إعرابه، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] ولم يقل: بغية؛ لأنه صرفها من باغية.

[المصنف يتعقب الأخفش في توجيه حذف ياء يسري]:

وفي كلام الأخفش هذا نظر، فإنّ صرف الشيء عن معناه لسبب من الأسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما يستحقه، ولو صحّ ذلك للزم في كلّ المجازات العقلية واللفظية، واللازم باطل، فالملزوم مثله، والأصل ههنا إثبات الياء؛ لأنها لام الفعل المضارع المرفوع، ولم تحذف لعلة من العلل إلا لاتباع رسم المصحف، وموافقة رؤوس الآي إجراء للفواصل مجرى القوافي:

ومعنى ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا يمضي، كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] ﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] وقيل: معنى يسر: يسار فيه، كما يقال ليل نائم، ونهار صائم، كما في قول الشاعر:

لقد لُمِتْنَا يا أمَّ غيلانَ في السُّرَى ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائم[٦]

---

(١) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٧١). وهي قراءات متواترة.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢١). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٠).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٣).

(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٤١٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٢)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٥٧).

(٦) البيت لجرير. وهو في «ديوانه» (٢/ ٩٩٣).

وبهذا قال الأخفش[(١)]، والقتيبي[(٢)] وغيرهما من أهل المعاني، وبالأوّل قال جمهور المفسرين[(٣)]. وقال قتادة[(٤)]، وأبو العالية: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾؛ أي: جاء، وأقبل. وقال النخعي[(٥)]؛ أي: استوى. قال عكرمة[(٦)]، وقتادة، والكلبي، ومحمد بن كعب[(٧)]: هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله سبحانه، وقيل: ليلة القدر لسراية الرحمة فيها. والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالي دون أخرى.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ هذا الاستفهام لتقرير تعظيم[(٨)] ما أقسم سبحانه به، وتفخيمه من هذه الأمور المذكورة، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى تلك الأمور، والتذكير بتأويل المذكور؛ أي: هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها قسم؟ أي: مُقْسَم به حقيق بأن تؤكد به الأخبار ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾؛ أي: عقل ولبّ، فمن كان ذا عقل ولبّ علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به، ومثل هذا قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦] قال الحسن[(٩)]: ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾؛ أي: لذي حِلْم.

وقال أبو مالك[(١٠)]: لذي ستر من الناس. وقال الجمهور[(١١)]: الحجر: العقل. قال الفرّاء[(١٢)]: الكلّ يرجع إلى معنى واحد، لذي عقل، ولذي حلم، ولذي ستر، الكلّ بمعنى العقل. وأصل الحجر[(١٣)]: المنع، يقال لمن ملك نفسه ومنعها:

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٤١٧).
(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥٢٦).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٨١).
(٤) «زاد المسير» (٩/ ١٠٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤١٨).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) من طريق سفيان، به.
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤١٨).
(٨) «روح المعاني» (٢٩/ ١٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٣٣).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٠) بسند صحيح.
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٧).
(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٦٤)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠).
(١٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٦٠).
(١٣) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٣٠)، و«الصحاح» (٢/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤).

إنه لذو حجر، ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته، ومنه حَجْر الحاكم على فلان؛ أي: مَنْعه. قال: والعرب تقول: إنه لذو[١] حجر: إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها.

[صيغة الاستفهام في مثل هذا السياق أشد إثارة لليقظة والالتفات]:

ثم ذكر سبحانه على طريقة الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفّار بسبب كفرهم، وعنادهم وتكذيبهم للرسل؛ تحذيراً للكفار في عصر نبينا ﷺ وتخويفاً لهم أنْ يصيبهم ما أصابهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قرأ الجمهور[٢] بتنوين: «عادٍ» على أن يكون إرم عطف بيان لعاد، والمراد بعاد اسم أبيهم، وإرَم اسم القبيلة، أو بدلاً منه، وامتناع صرف إرم للتعريف والتأنيث.

وقيل: المراد بعاد أولاد عاد، وهم عاد الأولى، ويقال لمن بعدهم عاد الأخرى، فيكون ذكر إرم على طريقة عطف البيان أو البدل، للدلالة على أنهم عاد الأولى لا عاد الأخرى، ولا بدّ من تقدير مضاف على كلا القولين؛ أي: أهل إرم، أو سبط إرم؟ فإنّ إرم هو: جدّ عاد؛ لأنّه عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح.

وقرأ الحسن، وأبو العالية بإضافة[٣] عاد إلى إرم.

وقرأ الجمهور[٤]: «إِرَمَ» بكسر الهمزة. وفتح الراء، والميم. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك «أَرَم» بفتح الهمزة[٥]، والراء، وقرأ معاذ[٦] بسكون الراء تخفيفاً، وقرئ بإضافة إرم[٧] إلى ذات العماد. قال مجاهد[٨]: من قرأ بفتح

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٦٢٤)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ١٣٢).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٣)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٦٤).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٣)، و«زاد المسير» (٩/ ١٠٩). وقراءة الحسن شاذة.

(٤) «جامع البيان» (٢٤/ ٣٦٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢). قراءة الجمهور في كلمة (إِرَمَ) هي المتواترة وما ذكره المؤلف من قراءات أخرى فشاذة.اهـ.

(٥) «تفسير الرازي» (٣١/ ١٦٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢٢٠).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٩)، و«الدر المصون» (٢/ ٥١٩).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٦٥).

الهمزة شبههم بالآرام التي هي الأعلام واحدها أَرِمْ، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ أي: والفجر وكذا، وكذا، إن ربّك لبالمرصاد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: أَلَمْ ينته علمُك إلى ما فعل ربُّك بعاد؟ وهذه الرؤية رؤية القلب، والخطاب للنبيّ ﷺ، أو لكلّ مَنْ يصلح له، وقد كان أمر عاد وثمود مشهوراً عند العرب؛ لأنّ ديارهم متصلة بديار العرب، وكانوا يسمعون من أهل الكتاب أمر فرعون.

وقال مجاهد[١] أيضاً: إرم أمة من الأمم، وقال قتادة[٢]: هي قبيلة من عاد، وقيل: هما عادان، فالأولى هي إِرَم، ومنه قول قيس بن الرقيّات[٣]:

مجداً تليداً بَنَاهُ أَوَّلُهم أدركَ عاداً وقبلَه إِرَمَا

قال معمر[٤]: إرم إليه مجتمع عاد وثمود، وكان يقال: عاد إرم وعاد ثمود، وكانت القبيلتان تنسب إلى إرم، قال أبو عبيدة[٥]: هما عادان، فالأولى إرم. ومعنى ذات العماد: ذات القوّة والشدّة، مأخوذ من قوة الأعمدة، كذا قال الضحاك. وقال قتادة، ومجاهد[٦]: إنهم كانوا أهل عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم.

وقال مقاتل[٧]: ذات العماد يعني: طولهم، كان طول الرجل منهم اثني عشرة[٨] ذراعاً ويقال: رجل طويل العماد؛ أي: القامة. قال أبو عبيدة[٩]: ذات العماد ذات الطول، يقال رجل مُعمَّد إذا كان طويلاً. وقال مجاهد[١٠]، وقتادة[١١]:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٢) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٣)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٧٠) بسند صحيح.
(٣) «ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات» (ص١٥٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٦٧).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٧).
(٦) ذكره عنهم الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨١).
(٧) «الوسيط» (٤/ ٤٨٧).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٧) عن قتادة بسند صحيح.
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٧).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٥) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٥) بسند صحيح.

أيضاً كان عماداً لقومهم، يقال: فلان عميد القوم وعمودُهم؛ أي: سيدهم. وقال ابن زيد[(١)]: ذات العماد يعني إحكام البُنيان بالعَمَد.

قال في «الصحاح»[(٢)]: والعماد الأبنيةُ الرفيعة تُذكّر وتؤنّث، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ إذا عمادُ الحيِّ خرَّتْ   على الأخفاضِ نمنعُ مَنْ يَلِيْنَا[(٣)]

وقال عكرمة[(٤)]، وسعيد[(٥)] المقبري: هي دمشق، ورواه ابن وهب[(٦)] وأشهب عن مالك. وقال محمد بن كعب[(٧)]: هي الإسكندرية.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ هذه صفة لعاد: أي لم يُخْلَق مثل تلك القبيلة في الطول والشدّة والقوّة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] أو صفة للقرية على قول مَنْ قال: إن إرم اسم لقريتهم، أو للأرض التي كانوا فيها. والأوّل أولى، ويدل عليه قراءة أبيّ[(٨)]: «التي لم يخلق مثلهم في البلاد» وقيل: الإرم: الهلاك.

قال الضحاك[(٩)]: أرَمَّ ذاتَ العماد؛ أي: أهلكهم فجعلهم رميماً، وبه قال شهر بن حوشب[(١٠)]. وقد ذكر جماعة من المفسرين أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ودورها، وبساتينها، وإن حصباءها جواهر، وترابها مسك، وليس بها أنيس، ولا فيها ساكن من بني آدم، وإنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع، فتارة تكون باليمن، وتارة تكون بالشام، وتارة تكون بالعراق، وتارة تكون بسائر البلاد، وهذا كذب بحت لا ينفق على مَنْ له أدنى تَمْيِيز.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٦) بسند صحيح.
(٢) في «الصحاح» (٢/ ٥١١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٨).
(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٦) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) من طريق ابن أبي ذئب، به.
(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩١٩).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦١) من طريق ابن وهب، به.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٦٩). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٩) «المحتسب» (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).
(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧١).

وزاد الثعلبي[١] في تفسيره فقال: إن عبد الله بن قِلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة.

[المصنف يشنع على المصنفين الكذابين]:

وهذا كذبٌ على كذب، وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام، وأهله بداهيةٍ دهياء، وفاقرة عُظْمى، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على ربّ العالمين، وتضاعف هذا الشرّ، وزاد كثرة بتصدّر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية مِنْ ضعيفها من موضوعها للتصنيف، والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة، والأقاصيص المنحولة، والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرّفوا، وغيروا، وبدّلوا.

ومَنْ أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا، فلينظر في كتابي الذي سميته «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».

[ثمود نحتت في الجبال ملاجئ ومغارات]:

ثم عطف سبحانه القبيلة الآخرة، وهي: ثمود على قبيلة عاد فقال: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ وهم: قوم صالح سُمّوا باسم جدّهم ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، ومعنى جابوا الصخر: قطعوه، والجوب: القطع، ومنه جاب البلاد: إذا قطعها، ومنه سُمّي جيب القميص؛ لأنه جيب؛ أي: قطع.

قال المفسّرون[٢]: أوّل مَنْ نحت الجبال والصخور ثمود، فبنوا من المدائن ألفاً وسبعمائة مدينة كلّها من الحجارة، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩] وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ويجعلون تلك الأنقاب بيوتاً يسكنون فيها.

وقوله: ﴿بِٱلْوَادِ﴾ متعلق بجابوا، أو بمحذوف على أنه حال من الصخر، وهو وادي القرى. قرأ الجمهور[٣]: «ثمودَ» بمنع الصرف على أنه اسم للقبيلة، ففيه

---

(١) في «تفسيره الكشف والبيان» (١٠/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٧١).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥١٩)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٩).

التأنيث والتعريف. وقرأ(١) يحيى بن وثّاب بالصرف على أنه اسم لأبيهم.

وقرأ الجمهور(٢) أيضاً [٤/٢٤٠] بالواد بحذف الياء وصلاً، ووقفاً اتباعاً لرسم المصحف. وقرأ ابن كثير(٣) بإثباتها فيهما. وقرأ قنبل(٤) في رواية عنه بإثباتها في الوصل دون الوقف.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾؛ أي: ذو الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدّونها بالأوتاد، أو جعل الجنود أنفسهم أوتاداً لأنهم يشدّون الملك، كما تَشدُّ الأوتاد الخيام، وقيل: كان له أوتاد يعذب الناس بها ويشدّهم إليها.

وقد تقدّم بيان هذا في سورة صٓ.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ الموصول(٥) صفة لعاد وثمود وفرعون؛ أي: طغت كلُّ طائفة منهم في بلادهم، وتمرّدت، وعتت، والطغيان: مجاوزة الحدّ.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ بالكفر، ومعاصي الله، والجور على عباده، ويجوز أن يكون الموصول(٦) في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين طغوا، أو في محل نصب(٧) على الذم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾؛ أي: أفرغ عليهم وألقى على تلك الطوائف سوط عذاب، وهو ما عذّبهم به.

قال الزجاج(٨): جعل صوته الذي ضربهم به العذاب، يقال: صبّ على فلان خلعة؛ أي: ألقاها عليه، ومنه قول النابغة(٩):

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. وقراءة العشرة بدون صرف (ثمود) وأما بالصرف فهي قراءة شاذة.

(٢) «النشر» (٢/١٨٣)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«زاد المسير» (٩/١١٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٧٤). ورش عن نافع قرأ بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. ومع ابن كثير ويعقوب.

(٤) «النشر» (٢/١٨٣) (١٩١، ١٩٢، ٤٠٠)، و«الدر المصون» (٦/٥١٩). رواية قنبل عن ابن كثير الصحيح عَنْهُ جواز الحذف والإثبات.

(٥) «التبيان» (٢/١٢٨٦)، و«الفريد» (٤/٦٦٩)، و«روح المعاني» (٢٩/٢٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «روح المعاني» (٢٩/٢٠)، و«التبيان» (٢/١٢٨٦).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣٢٣).

(٩) «ديوان النابغة» (ص٦٥) برواية: وزبَّ عليه الله.

فصبَّ عليه اللهُ أحسنَ صُنْعِه وكان له بَيْنَ البريَّةِ ناصِرا

ومنه قول الآخر:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أَظْهَرَ دينَهُ وصَبَّ على الكفَّار سوطَ عذابِ(١)

ومعنى سوط عذاب: نصيب عذاب، وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة إلى ما أعدّه لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذّب به.

وقيل: ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم، وكان السوط عندهم هو نهاية ما يعذب به.

قال الفرّاء(٢): هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب، وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذي يُعذبون به، فجرى لكل عذاب إذا كان فيه عندهم غاية العذاب. وقيل: معناه: عذاب يخالط اللحم والدم، من قولهم ساطه يَسُوطه سوطاً؛ أي: خلطه، فالسوطُ: خلطُ الشيء بعضِه ببعض، ومنه قول:كعب بن زُهير.

لكنّها خُلَّةٌ قد سِيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجْعٌ وولْعٌ وإخلافٌ وتبديلُ

وقال الآخر:

أحارثُ إنَّا لو تُسَاطُ دماؤُنا تزايلْنَ حتَّى لا يمسّ دمٌ دماً(٣)

وقال آخر:

فَسُطْهَا ذميمُ الرأي غيرَ موفَّقٍ فلستَ على تسويطِها بِمُعَانِ(٤)

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ قد قدّمنا قول مَنْ قال إنَّ هذا جواب القسم، والأولى أن الجواب محذوف، وهذه الجملة تعليل لما قبلها، وفيها إرشاد إلى أن كفار قومه ﷺ سيصيبهم ما أصاب أولئك الكفار، ومعنى بالمرصاد: أنه يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه عليه بالخير خيراً، وبالشرّ شرّاً.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٣).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦١).
(٣) البيت للمتلمس. «الشعر والشعراء» (١/ ١٨١).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٣).

قال الحسن[(١)]، وعكرمة[(٢)]: أي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد، والرصد والمرصاد: الطريق. وقد تقدّم بيانه في سورة براءة، وتقدّم أيضاً عند قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١].

وقد أخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشُّعب» عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ قال: فجر النهار.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه قال: يعني: صلاة الفجر.

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي في «الشُّعب»، وابن عساكر عنه[(٥)] أيضاً في قوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ قال: هو: المحرّم فجرُ السنة.

وقد ورد في فضل صوم شهر محرّم أحاديث صحيحة، ولكنّها لا تدلّ على أنه المراد بالآية لا مطابقة، ولا تضمناً، ولا التزاماً.

وأخرج أحمد، والنسائي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن جابر[(٦)]: «أن النبيّ ﷺ قال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ قال: إنّ العشر عشرُ الأضحى، والوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم النحر. وفي لفظ: هي ليالي من ذي الحجة».

وأخرج عبد بن حميد[(٧)] عن طلحة بن عبد الله أنّه دخل على ابن عمر هو وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن؛ فدعاهم ابن عمر إلى الغداء يوم عرفة، فقال أبو سلمة: أليس هذه الليالي العشر التي ذكرها الله في القرآن؟ فقال ابن عمر: وما يدريك؟

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٧٦)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٧١) بسند حسن.
(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٨٢).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٤٤)، والحاكم (٢/ ٥٢٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٧٤٥) من طريق سفيان، به.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٤٤) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه البيهقي رقم (٣٧٧١)، وابن عساكر (١/ ٥٢).
(٦) أخرجه أحمد رقم (١٤٥١١)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٤١٠١، ١١٦٧١)، والبزار رقم (٢٢٨٦ ـ كشف)، وابن جرير (٢٤/ ٣٤٨)، والحاكم (٤/ ٢٢٠)، والبيهقي رقم (٣٧٤٣) بسند حسن.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠١).

قال: ما أشك، قال: بلى، فاشكك. وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث، وليس فيها ما يدلّ على أنها المرادة بما في القرآن هنا بوجه من الوجوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: هي العشر الأواخر من رمضان.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وصحّحه، وابن مردويه عن عمران بن حصين[٢]، «أن النبيّ ﷺ سئل عن الشفع والوتر، فقال: هي الصلاة بعضها شفع، وبعضها وتر»، وفي إسناده رجل مجهول، وهو الراوي له عن عمران بن حصين.

وقد روي عَنْ عمران بن عصام عَنْ عمران بن حصين بإسقاط الرجل المجهول. وقال الترمذي[٣] بعد إخراجه بالإسناد الذي فيه الرجل المجهول: هو حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث قتادة. قال ابن كثير[٤]: وعندي أن وقفه على عمران بن حصين أشبه، والله أعلم. قال[٥]: ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر.

وقد أخرج[٦] هذا الحديث موقوفاً على عمران بن حصين عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، فهذا يقوّي ما قاله ابنُ كثير.

وأخرج عبد بن حميد[٧] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ فقال: كل شيء شفع، فهو اثنان، والوتر واحد.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، قال السيوطي[٨]: بسند ضعيف عن أبي

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٩٩١٩، ١٩٩٣٥، ١٩٩٧٣)، والترمذي رقم (٣٣٤٢)، وابن جرير (٢٤/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٤٠)، والحاكم (٢/ ٥٢٢). وهو حديث ضعيف.

(٣) في «السنن» (٩/ ٧٠).

(٤) في «تفسيره» (١٤/ ٣٤١).

(٥) أي: ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٣٤١).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٧٠)، وابن جرير (٢٤/ ٣٥٣).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٣).

(٨) في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٣).

أيوب[١] عن النبيّ ﷺ: «أنه سئل عن الشفع والوتر فقال: يومان وليلة، يوم عرفة، ويوم النحر، والوتر ليلة النحر ليلة جمع».

وأخرج ابن جرير[٢] عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «الشفع يومان، والوتر اليوم الثالث».

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الزبير[٣] أنه سئل عن الشفع والوتر فقال: الشفع قول الله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والوتر: اليوم الثالث. وفي لفظ: الوتر أوسط أيام التشريق.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعب» من طرق عن ابن عباس[٤] قال: الشفع: يومُ النحر، والوتر: يوم عرفة.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قال: إذا ذهب.

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود[٦] أنه قرأ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾ قال: هذا قسم على ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشُّعب» من طرق عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ قال: لذي حِجى وعقل ونُهي.

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٤٠٧٣) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٧) «وفيه واصل بن السائب وهو متروك».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٥٥) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٠): هكذا أُورد هذا الخبر بهذا اللفظ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والغساني وابن أبي حاتم، وما رواه هو أيضاً، والله أعلم.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٢)، وابن جرير (٢٤/ ٣٥٠) ـ وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٣٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٤٩)، والبيهقي رقم (٣٧٤٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٥٧) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٤).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٨٨)، وابن جرير (٢٤/ ٣٥٩)، والبيهقي رقم (٣٧٤٥) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير[(١)] عنه في قوله: ﴿بِعَادٍ ۞ إِرَمَ﴾ قال: يعني: بالإرم الهالك، ألا ترى أنّك تقول أَرَم بنو فلان ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾؛ يعني: طولهم مثل العماد.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن المقدام بن معدي كرب[(٢)] عن النبي ﷺ أنه ذكر ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ فقال: كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة، فيحملها على كاهله، فيلقيها على أيّ حيّ أراد فيهلكهم، وفي إسناده رجل مجهول؛ لأنّ معاوية بن صالح رواه عمّن حدّثه عن المقدام.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ قال: خرقوها.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه في الآية قال: كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال: الأوتاد: الجنود الذين يشدّون له أمره.

وأخرج الحاكم وصحّحه عن ابن مسعود[(٥)] في قوله: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال: وتّد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس[(٦)] في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ قال: يَسْمع ويرى.

وأخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن مسعود[(٧)] في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ قال: من وراء الصراط جسور: جسر عليه الأمانة، وجسر عليه الرحم، وجسر عليه الربّ ﷻ.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٣، ٣٦٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٤٣) ـ وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠١) بسند ضعيف لإبهام الراوي عن المقدام بن معديكرب.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٦٩، ٣٧١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٢، ٥٢٣) وصححه.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٥) ـ والبيهقي رقم (٩١٢) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٣)، والبيهقي رقم (٩١٤) بسند ضعيف.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ
ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [٤/٢٤١] ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ
يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

لما ذكر سبحانه أنه بالمرصاد ذكر ما يدلّ على اختلاف أحوال عباده عند إصابة الخير، وعند إصابة الشرّ، وأن مطمح أنظارهم، ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: امتحنه(١)، واختبره بالنِّعم ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾؛ أي: أكرمه بالمال، ووسّع عليه رزقه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فرحاً بما نال وسروراً بما أُعطي، غير شاكرٍ لله على ذلك، ولا خاطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه، واختبار لحاله وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزَع، والشكر للنعمة وكفرانها، و «ما» في قوله: ﴿إِذَا مَا﴾ زائدة.

[يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلاً على إكرام الله واصطفائه له]:

وقوله: ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ تفسير للابتلاء ومعنى: ﴿أَكْرَمَنِ﴾؛ أي: فضلني بما أعطاني مِنْ المال، وأسبغه عليّ من النِّعم لمزيد استحقاقي لذلك، وكوني موضعاً له، والإنسان مبتدأ وخبره: ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ ودخلت(٢) الفاء فيه لتضمن أمّا معنى الشرط، والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر، وإن تقدّم لفظاً فهو مؤخر في المعنى؛ أي: فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام.

قال الكلبي(٣): الإنسان هو الكافر أُبيّ بن خلف. وقال مقاتل(٤): نزلت في

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/٣٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٢٧٦).
(٢) «روح المعاني» (٢٩/٢٣)، و«تفسير ابن كثير» (٦/٥٣٦).
(٣) «الوسيط» (٤/٤٨٣)، و«زاد المسير» (٩/١١٨)، و«معالم التنزيل» (٨/٤٢١).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

أمية بن خلف، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وأبي حذيفة بن المغيرة.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾؛ أي: اختبره، وعامله معاملة مَنْ يختبره ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: ضيّقه، ولم يوسّعه له، ولا بسط له فيه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾؛ أي: أولاني هواناً، وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث؛ لأنّه لا كرامة عنده إلّا الدنيا والتوسّع في متاعها، ولا إهانة عنده إلّا فوتها، وعدم وصوله إلى ما يريد من زينتها، فأما المؤمن، فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته، ويوفقه لعمل الآخرة.

ويحتمل أن يراد: الإنسان[١] على العموم لعدم تيقظه أن ما صار إليه من الخير، وما أصيب به من الشرّ في الدنيا ليس إلّا للاختبار والامتحان، وأن الدنيا بأسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تعدل جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء.

قرأ نافع[٢] بإثبات الياء في: «أكرمن وأهانن» وصلاً وحذفهما وقفاً، وقرأ ابن كثير[٣] في رواية البزي عنه، وابن محيصن، ويعقوب بإثباتهما وصلاً، ووقفاً.

وقرأ الباقون[٤] بحذفهما في الوصل، والوقف اتباعاً لرسم المصحف، ولموافقة رؤوس الآي، والأصل إثباتها؛ لأنّها اسم، ومِنْ الحذف قول الشاعر:

ومِنْ كاشحٍ ظاهِرٍ غِمْرُهُ إذا ما انتسبتْ له أَنْكَرَنْ

أي: أنكرني.

وقرأ الجمهور[٥]: «فَقَدَر» بالتخفيف، وقرأ ابن عامر بالتشديد[٦]، وهما لغتان.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٣ ـ ٢٤)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٧٦).

(٢) «النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٤). ومع نافع أبو جعفر.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٤)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠).لكن الصحيح عن أبي عمرو التخيير بين الإثبات وصلاً لا وقفاً، وبين الحذف في الحاتين كالجمهور.اهـ.

(٥) «جامع البيان» (٢٤/ ٣٧٧)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«زاد المسير» (٩/ ١١٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٢).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. ومع ابن عامر أبو جعفر.اهـ.

وقرأ الحرميان، وأبو عمرو: ربي بفتح[(١)] الياء في الموضعين وأسكنها الباقون.

[حقيقة القيم في ميزان الله]:

وقولُه: ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان القائل في الحالتين ما قال وزجْر له، فإن الله سبحانه قد يوسّع الرزق، ويبسط النعم للإنسان لا لكرامته، ويضيقه عليه لا لإهانته، بل للاختبار والامتحان، كما تقدّم. قال الفراء[(٢)]: كلا في هذا الموضع بمعنى أنه لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله على الغنى والفقر.

ثم انتقل سبحانه من بيان سوء أقوال الإنسان إلى بيان سوء أفعاله فقال: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ والالتفات إلى الخطاب لقصد التوبيخ[(٣)]، والتقريع على قراءة الجمهور[(٤)] بالفوقية. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب[(٥)] بالتحتية على الخبر، وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا من الأفعال، فقرأ الجمهور[(٦)]: «تحضّون وتأكلون وتحبون» بالفوقية على الخطاب فيها.

وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتحتية[(٧)] فيها، والجمع في هذه الأفعال باعتبار معنى الإنسان؛ لأن المراد به الجنس؛ أي: بل لكم أفعال هي أقبح مما ذُكر، وهي أنكم تتركون إكرام اليتيم، فتأكلون ماله، وتمنعونه من فضل أموالكم.

قال مقاتل[(٨)]: نزلت في قدامة بن مظعون، وكان يتيماً في حجر أمية بن خلف.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ قرأ الجمهور[(٩)]: «تَحضّون» من حضَّه على

---

(١) «التيسير» (ص٢٢٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٧٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٤).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦١).
(٣) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٣٧).
(٤) «التيسير» (ص٢٢٢)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«زاد المسير» (٩/ ١٢٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧٤)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٧٨).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «الوسيط» (٤/ ٤٨٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ١٧٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٢١).
(٩) «جامع البيان» (٢٤/ ٣٧٨)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«التيسير» (ص٢٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٢).

كذا؛ أي: أغراه به، ومفعوله محذوف؛ أي: لا تحضون أنفسكم، أو لا يحضّ بعضكم بعضاً على ذلك، ولا يأمر به، ولا يرشد إليه، وقرأ الكوفيون[١] ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بفتح التاء والحاء بعدها ألف، وأصله تتحاضون، فحذف إحدى التاءين؛ أي: لا يحضّ بعضكم بعضاً.

وقرأ الكسائي[٢] في رواية عنه والسلمي: «تُحاضون» بضم التاء من الحضّ، وهو الحثّ، وقوله: ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ متعلق بتحضّون، وهو إما اسم مصدر؛ أي: على إطعام المسكين، أو اسم للمطعوم، ويكون على حذف مضاف؛ أي: على بذل طعام المسكين، أو على إعطاء طعام المسكين.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ أصله: الوارث، فأبدلت[٣] التاء من الواو المضمومة، كما في تجاه، ووجاه، والمراد به أموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم، وكذلك أموال النِّساء، وذلك أنهم كانوا لا يورّثون النساء والصبيان، ويأكلون أموالهم ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾؛ أي: أكلاً شديداً.

وقيل: معنى لمّاً: جَمْعاً، مِنْ قولهم: لممتُ الطعام: إذا أكلته جميعاً. قال الحسن[٤]: يأكل نصيبه ونصيب اليتيم، وكذا قال أبو عُبيدة[٥]. وأصل اللمّ في كلام العرب: الجمْع، يقال لممتُ الشيء ألمُّه لمّاً: جمعته، ومنه قولهم: لمّ الله شعثه؛ أي: جمع ما تفرّق من أموره، ومنه قول النابغة[٦]:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شَعث أيُّ الرجال المهذَّبُ

قال الليث[٧]: اللمّ: الجمع الشديد، ومنه حجر مَلْموم، وكتيبة ملمومة، وللآكل يلمّ الثريد، فيجمعه، ثم يأكله، وقال مجاهد[٨]: يسَفُّه سَفّاً. وقال ابن زيد[٩]: هو إذا أكل ماله ألمّ بمال غيره، فأكله، ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٣). الرواية عن الكسائي شاذة والصحيح عنه كقراءة الكوفيين لأنه كوفي .اهـ.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٣٢٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٧).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٠).
(٥) «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٨).
(٦) «ديوان النابغة» (ص١٨).
(٧) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٨٠) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٨١) بسند صحيح.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾؛ أي: حبّاً كثيراً؛ والجمّ: الكثير، يقال: جمّ الماء في الحوض: إذا كثُر واجتمع، والجمّة: المكان الذي يجتمع فيه الماء.

ثم كرّر سبحانه الردْع لهم والزجر فقال: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم، ثم استأنف سبحانه فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر، والدكُّ: الكسر والدقُّ، والمعنى هنا: أنها زُلزلت، وحركت تحريكاً بعد تحريك. قال ابن قتيبة[١]: دُكّت جبالها حتى استوت. قال الزجاج[٢]: أي: تزلزلت، فدكّ بعضها بعضاً. قال المبرّد[٣]؛ أي: بسطت، وذهب ارتفاعها. قال: والدك: حط المرتفع بالبسط، وقد تقدّم الكلام على الدك في سورة الأعراف، وفي سورة الحاقة.

والمعنى: أنّها دُكت مرةً بعد أخرى، وانتصاب[٤] دكّاً الأوّل على أنه مصدر مؤكِّد للفعل، ودكّاً الثاني تأكيد للأوّل، كذا قال ابن عصفور. ويجوز أن يكون النصب على الحال؛ أي: حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة، كما يقال: علمته الحساب باباً باباً، وعلمته الخط حرفاً حرفاً، والمعنى: أنه كرّر الدك عليها حتى صارت هباء منبثاً.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾؛ أي: جاء أمره[٥] وقضاؤه، وظهرت آياته، وقيل: المعنى: أنها

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٥٢٧). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٣).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٠).

(٤) «الفريد» (٤/ ٦٧١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٦).

(٥) الإتيان والمجيء صفتان فعليتان ثابتتان بالكتاب والسُّنَّة. قال أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص٢٢٧) «وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة والملك صفّاً صفّاً وقال شيخ الإسلام بعد ذكر قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ـ «في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل»، «شرح الواسطية» للهراس (ص١١٢).

• وقد حمل الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية على المجاز على طريقة حذف المضاف؛ أي: جاء أمره وهو باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية ومع أن الإمام الشوكاني قد أثبت صفة المجيء في سورة «الأنعام» بإيراد الأدلة على إثبات هذه الصفة. =

زالت الشُّبَه في ذلك اليوم، وظهرت المعارف، وصارت ضرورية، كما يزول الشكّ عند مجيء الشيء الذي كان يشكّ فيه، وقيل: جاء قهرُ ربِّك وسلطانه، وانفراده بالأمر، والتدبير من دون أن يجعل إلى أحد من عباده شيئاً من ذلك.

﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ انتصاب[1] صفّاً صفّاً على الحال؛ أي: مصطفين، أو ذوي صفوف. قال عطاء[2]: يريد صفوف الملائكة، وأهل كلّ سماء صفّ على حِدة. قال الضحاك[3]: أهل كلّ سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفّاً محيطين بالأرض ومن فيها، فيكونون سبعة صفوف.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ يومئذ منصوب بجيء، والقائم مقام الفاعل بجهنم، وجوّز مكيّ[4] أن يكون يومئذ هو القائم مقام الفاعل، وليس بذاك.

قال الواحدي[5]: قال جماعة من المفسِّرين: جيء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام مع كلّ زمام سبعون ألف ملك يجرّونها حتى تنصب عن يسار العرش، فلا يبقى ملك مقرّب، ولا نبي مرسل إلّا جثا لركبتيه يقول: يا ربّ نفسي نفسي. وسيأتي هذا الذي نقله عن جماعة المفسرين مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ إن شاء الله.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يومئذ هذا بدل من يومئذ الذي قبله؛ أي: يوم جيء بجهنم يتذكر الإنسان؛ أي: يتعظ، ويذكر ما فرط منه، ويندم على ما قدّمه في الدنيا من الكفر والمعاصي.

وقيل: إن قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ الثاني[6] بدل من قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾ والعامل فيهما

= قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً، صفاً: بعد صف، فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف، ومن الدلائل على بطلان تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء الأمر مع التصريح بمجيء الملائكة لأنَّه يكون ذكر الملائكة بلا فائدة.

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٦٧١).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٤٨٥)، و«زاد المسير» (٩/ ١٢١).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٨٥).
(٤) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).
(٦) «الفريد» (٤/ ٦٧١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٥).

هو قولُه: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: ومِنْ أين له التذكر والاتعاظ؟ وقيل: هو على حذف مضاف؛ أي: ومن أين له منفعة الذكرى؟

قال الزجاج[(١)]: [٤/٢٤٣] يظهر التوبة، ومِنْ أين له التوبة؟.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: ماذا يقول الإنسان؟ ويجوز أن تكون بدل اشتمال مِنْ قوله: يتذكر، والمعنى: يتمنى أنه قدّم الخير، والعمل الصالح، واللّام[(٢)] في لحياتي بمعنى لأجل حياتي، والمراد حياة الآخرة، فإنها الحياة بالحقيقة؛ لأنها دائمة غير منقطعة. وقيل: إن اللام بمعنى في، والمراد حياة الدنيا؛ أي: يا ليتني قدّمت الأعمال الصالحة في وقت حياتي في الدنيا أنتفع بها هذا اليوم، والأوّل أولى.

قال الحسن[(٣)]: علم والله أنه صادف حياة طويلة لا موت فيها.

[العذاب والوثاق]:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: يوم يكون زمان ما ذُكر من الأحوال لا يُعذِّب كعذاب الله أحد ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ كـ ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أو لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه إذ الأمر كله له، والضميران على التقديرين في عذابه ووثاقه لله ﷻ، وهذا على قراءة الجمهور[(٤)] يُعذِّب، ويُوثق مبنيين للفاعل.

وقرأ الكسائي[(٥)] على البناء للمفعول فيهما، فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان؛ أي: لا يُعذَّب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يُوثَق كوثاقه أحد، والمراد بالإنسان: الكافر؛ أي: لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر، وقيل: إبليس، وقيل: المراد به أبيّ بن خلف.

قال الفرّاء[(٦)]: المعنى أنّه لا يُعذَّب كعذاب هذا الكافر المعين أحد، ولا يوثق

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٤).
(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٢).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٨٦).
(٤) «التيسير» (ص٢٢٢)، و«النشر» (٢/ ٤٠٠)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. ومع الكسائي يعقوب الحضرمي.
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢٣).

بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد لتناهيه في الكفر والعناد. وقيل: المعنى: أنه لا يعذب مكانه أحد، ولا يوثق مكانه أحد، فلا تؤخذ منه فدية، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] والعذاب بمعنى التعذيب، والوثاق بمعنى التوثيق، واختار أبو عبيد(١)، وأبو حاتم قراءة الكسائي، قالا: وتكون الهاء في الموضعين ضمير الكافر؛ لأنّه معروف أنه لا يُعذّب أحد كعذاب الله.

قال أبو عليّ الفارسي(٢): يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة: أي لا يُعذِّب أحد أحداً مثل تعذيب هذا الكافر.

ولما فرغ سبحانه من حكاية أحوال الأشقياء ذكر بعض أحوال السعداء فقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المطمئنة هي: الساكنةُ الموقنة بالإيمان وتوحيد الله، الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يُخالطها شكّ، ولا يعتريها ريبٌ. قال الحسن(٣): هي المؤمنة الموقنة. وقال مجاهد(٤): الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها. وقال مقاتل(٥): هي الآمنة المطمئنة.

وقال ابن كيسان(٦): المطمئنة بذكر الله، وقيل: المخلصة. قال ابن زيد(٧): المطمئنة؛ لأنّها بُشّرت بالجنة عند الموت وعند البعث.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي: ارجعي إلى الله ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب الذي أعطاك ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنده، وقيل: ارجعي إلى موعده، وقيل: إلى أمره.

وقال عكرمة(٨)، وعطاء: معنى ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى جسدك الذي كنت فيه،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٤).
(٢) في «الحجة» (٦/ ٤١٢).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٨٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٧٢).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٩٤) بسند صحيح.
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٨٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٧٢).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨٥).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٩٦) بسند صحيح.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨٦).

واختاره ابن جرير[(١)]، ويدل على هذا قراءة[(٢)] ابن عباس: «فادخلي في عبدي» بالإفراد، والأوّل أولى.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾؛ أي: في زمرة عبادي الصالحين، وكوني من جملتهم، وانتظمي في سلكهم.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم قيل: إنَّه يقال لها: ارجعي إلى ربك عند خروجها من الدنيا، ويقال لها: ادخلي في عبادي، وادخلي جنتي يوم القيامة، والمراد بالآية: كلّ نفس مطمئنة على العموم، ولا ينافي ذلك نزولها في نفس معينة، فالاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ قال: سَفّاً، وفي قوله: ﴿حُبّٗا جَمّٗا﴾ قال: شديداً.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه ﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ قال: شديداً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[(٥)] عنه أيضاً في قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ قال: تحريكها.

وأخرج مسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن مسعود[(٦)] قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٧)] ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ يقول: وكيف له؟

---

(١) في «جامع البيان» (٢٤/ ٢٨٧).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٣٦٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٣). وقراءة ابن عباس قراءة شاذة.

(٣) أخرجه الفريابي ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٧٠٢)، وابن جرير (٢٤/ ٢٨٠) عن مجاهد بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٣٨٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٨٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه مسلم رقم (٢٨٤٢)، والترمذي رقم (٢٥٧٣)، وابن جرير (٢٤/ ٣٨٩).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٩٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٥) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عنه في قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ الآية قال: لا يعذب بعذاب الله أحد، ولا يوثق بوثاق الله أحد.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عنه[(٢)] أيضاً في قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: المؤمنة ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقول: إلى جسدك. قال: «نزلت هذه الآية، وأبو بكر جالس، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا، فقال: أما إنه سيقال لك هذا».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحِلْية» عن سعيد بن جبير[(٣)] نحوه مرسلاً. وأخرج الحكيم[(٤)] الترمذي في «نوادر الأصول» نحوه عن أبي بكر الصديق.

وأخرج ابن مردويه[(٥)] عن ابن عباس في قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: هو النبيّ ﷺ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر[(٦)] عنه قال: ﴿ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المصدّقة. وأخرج ابن جرير[(٧)] عنه أيضاً في الآية قال: تُردّ الأرواح يوم القيامة في الأجساد.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[(٨)] عنه أيضاً في قوله: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ قال: بما أعطيت من الثواب ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عنها بعملها ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ المؤمنين.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، والطبراني عن سعيد بن جبير[(٩)] قال: مات ابنُ عباس بالطائف، فجاء طير لم يُر على خلقته، فدخل نعشه، ثم لم يُر خارجاً منه، فلما دفن

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٠) ـ وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٣) ـ و«الضياء» (١٠/ ١٢٤، ١٢٥ رقم ١٢٤) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥١) ـ وأبو نعيم (٤/ ٢٨٣). وقال ابن كثير: وهذا مرسل حسن.

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي (١/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٤).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٩٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٩٧) بسند ضعيف.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٥).

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٢) ـ والطبراني رقم (١٠٥٨١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٥) «ورجاله رجال الصحيح».

تُليتْ هذه الآية على شفير القبر لا نَدْري مَنْ تلاها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾. وأخرج أبو نُعيم[1] في «الدلائل» عَنْ عكرمة مثله.

❁ ❁ ❁

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٤).

سُورَةُ البَلَدِ

ويقال: سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾، هي عشرون آية. وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ أي: سورة البلد؛ بمكة. وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[ابتلاء الإنسان بالتعب واغترارة بقوته وماله]:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

[مبدأ الاختيار وطريق النجاة في الآخرة]:

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾.

قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ لا زائدة، والمعنى: أُقْسم ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ وقد تقدّم الكلام

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٦).

على هذا في تفسير ـ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ـ [القيامة: ١] ومن زيادة «لا»[(١)] في الكلام في غير القسم قول الشاعر:

تذكرتُ ليلى فاعترتني صبابةٌ وكادَ صميم القلبِ لا يتصدّع

أي: يتصدّع، ومن ذلك قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

قال الواحدي[(٢)]: أجمع المفسِّرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة. قرأ الجمهور[(٣)]: «لا أقسم» وقرأ الحسن، والأعمش: «لأقسم»[(٤)] من غير ألف، وقيل: هو نفي للقسم، والمعنى: لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه.

وقال مجاهد[(٥)]: إن ﴿لَآ﴾ رد على من أنكر البعث، ثم ابتدأ، فقال أقسم، والمعنى: ليس الأمر كما تحسبون، والأوّل أولى. والمعنى: أقسم بالبلد الحرام الذي أنت حِلٌّ فيه.

وقال الواسطي[(٦)]: إن المراد بالبلد: المدينة، وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين هو أيضاً مدفوع لكون السورة مكية لا مدنية، وجملة قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ معترضة، والمعنى: أقسم بهذا البلد.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ واعترض بينهما بهذه الجملة، والمعنى: ومِنْ المكابد أن مثلك على عظيم حرمته يستحل بهذا البلد، كما يستحلّ الصيد في غير الحرم.

وقال الواحدي[(٧)]: الحلّ والحلال والمحل واحد، وهو ضدّ المحرّم، أحلّ الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل، وقد قال ﷺ: «لم تحلّ لأحد قبلي، ولا تحلّ

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٢١).

(٢) في «الوسيط» (٤/ ٤٨٨).

(٣) «زاد المسير» (٩/ ١٢٦)، و«المهذب» (٢/ ٣٣٥).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٣٦١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٨٨). القراءة بحذف الألِفْ شاذة.

(٥) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٢١، ١٩٢٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٩).

(٧) في «الوسيط» (٤/ ٤٨٨).

لأحد بعدي، ولم تحلّ لي إلّا ساعة من نهار»[١] قال: والمعنى أن الله لما ذكر القسم بمكة دلّ ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً، فوعد نبيه ﷺ أَنْ يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده، فهذا وعد من الله تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حلاً. انتهى.

فالمعنى: وأنت حِلّ بهذا البلد في المستقبل، كما في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] قال مجاهد[٢]: المعنى ما صنعت فيه من شيء فأنت حلّ. قال قتادة[٣] أنت حلّ به لست بآثم يعني: أنك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصي.

وقيل: المعنى: لا أُقسم بهذا البلد وأنت حالّ [٤/٢٤٤] به، ومقيم فيه، وهو محلك، فعلى القول بأنْ لا نافية غير زائدة يكون المعنى: لا أقسم به وأنت حالّ به، فأنت أحقّ بالإقسام بك، وعلى القول بأنها زائدة يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الذي أنت مقيم به تشريفاً لك وتعظيماً لقدرك؛ لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيماً شريفاً، وزاد على ما كان عليه مِنْ الشرف والعِظَم، ولكن هذا إذا تقرّر في لغة العرب أن لفظ «حلّ» يجيء بمعنى حالّ، وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون في محل نصب على الحال ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ عطف على البلد.

قال قتادة[٤]، ومجاهد[٥]، والضحاك[٦]، والحسن[٧]، وأبو صالح[٨]: ﴿وَوَالِدٍ﴾؛ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾؛ أي: وما تناسل من ولده أقسم بهم؛ لأنهم أعجب

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٣٤٩)، ومسلم رقم (١٣٥٣)، وأحمد رقم (٢٣٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وأخرجه البخاري رقم (١١٢)، ومسلم رقم (١٣٥٥)، وأحمد رقم (٧٢٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٣) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٧)، وعبد الرزاق (٢/٣٧٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٧) بسند حسن.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩١).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٠٧) بسند صحيح من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

ما خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير، وفيهم الأنبياء والعلماء والصالحون. وقال أبو عمران الجوني[١]: الوالد إبراهيم، وما ولد: ذريته. قال الفرّاء[٢]: إن: «ما» عبارة عن الناس كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] وقيل: الوالد إبراهيم[٣]، والولد: إسماعيل، ومحمد ﷺ.

وقال عكرمة[٤]، وسعيد بن جبير[٥]: ﴿وَوَالِدٍ﴾؛ يعني: الذي يولد له ﴿وَمَا وَلَدَ﴾؛ يعني: العاقر الذي لا يولد له، وكأنهما جعلا «ما» نافية، وهو بعيد، ولا يصح ذلك إلّا بإضمار الموصول؛ أي: ووالد والذي ما ولد، ولا يجوز إضمار الموصول عند البصريين.

وقال عطية العوفي[٦]: هو عامٌّ في كل والد ومولود من جميع الحيوانات، واختار هذا ابن جرير[٧].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ هذا جواب القسم، والإنسان هو هذا النوع الإنساني، والكَبَد: الشدّة والمشقة، يقال: كابدتُ الأمر: قاسيت شدّته، والإنسان لا يزال في مكابدة الدنيا، ومقاساة شدائدها حتّى يموت، وأصل الكَبد[٨]: الشدّة، ومنه تكبّد اللبن: إذا غَلُظ واشتدّ، ويقال كبد الرجل: إذا وجعت كَبده، ثم استعمل في كل شدّة ومشقة، ومنه قول أبي الأصبع:

لِيَ ابنُ عمٍّ لَوَ أنَّ الناسَ فِي كَبَدٍ ... لظلَّ محتجراً بالنبلِ يرميني

قال الحسن[٩]: يُكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال أيضاً: يكابد الشكر على السرّاء، ويكابد الصبر على الضرّاء، لا يخلو عن أحدهما[١٠].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٨) بسند حسن.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٤). (٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٥).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٤) بسند حسن.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩١).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٦) بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس.
(٧) في «جامع البيان» (٢٤/ ٤٠٨).
(٨) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٩٥)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١٢٥).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٩) بسند صحيح.
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٦).

قال الكلبي[١]: نزلت هذه الآية في رجل من بني جُمَح يقال له أبو الأشدّين، وكان يأخذ الأديم العُكاظي ويجعله تحت رجليه ويقول: مَنْ أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة حتّى يتمزّق، ولا تزول قدماه، وكان مِنْ أعداء النبيّ ﷺ، وفيه نزل.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؛ يعني: لقوّته، ويكون معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا: في شدّة خَلْقٍ، وقيل معنى: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أنه جريء القلب، غليظ الكبد ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: يظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد، أو يظنّ أبو الأشدّين أن لن يقدر عليه أحد، وأنْ هي المخففة[٢] من الثقيلة، واسمها ضمير شأن مقدّر.

ثم أخبر سبحانه عن مقال هذا الإنسان فقال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾؛ أي: كثيراً مجتمعاً بعضه على بعض. قال الليث: مال لُبَد: لا يخاف فناؤه من كثرته.

قال الكلبي[٣]، ومقاتل: يقول أهلكتُ في عداوة محمد مالاً كثيراً.

وقال مقاتل[٤]: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل: أذنب، فاستفتى النبيّ ﷺ، فأمره أنْ يكفّر، فقال: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلتُ في دين محمد.

قرأ الجمهور[٥]: «لُبَداً» بضم اللام، وفتح الباء مخففاً.

وقرأ مجاهد، وحميد بضم اللام[٦] والباء مخففاً. وقرأ أبو جعفر[٧] بضم اللام، وفتح الباء مشدّداً.

قال أبو عبيدة[٨]: لُبَد فعل مِنْ التلبيد، وهو المال الكثير بعضه على بعض.

---

(١) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٤)، و«الوسيط» (٤/ ٤٨٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٣١).

(٢) «الفريد» (٤/ ٦٧٤)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤٩).

(٣) ذكر عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٥).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٨٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٢٥)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٠٥).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٩٥)، و«زاد المسير» (٩/ ١٣١). القراءة بضم اللّام والباء مخففاً قراءة شاذة.

(٧) «النشر» (٢/ ٤٠١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٨٢)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٠٥). وهي قراءة متواترة.

(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٩).

قال الزجّاج(١): فُعَل للكثرة، يقال: رجل حُطَم: إذا كان كثير الحطم. قال الفرّاء(٢): واحدته لُبْدة، والجمع لُبَد. وقد تقدّم بيان هذا في سورة الجنّ.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظنّ أنه لم يعاينه أحد.

قال قتادة(٣): أيظنّ أن الله سبحانه لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين كسبه، وأين أنفقه؟ وقال الكلبي(٤): كان كاذباً لم ينفق ما قال، فقال الله: أيظنّ أن الله لم ير ذلك منه، فعل أو لم يفعل، أنفق أو لم ينفق؟

ثم ذكر سبحانه ما أنعم به عليهم ليعتبروا فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يُبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما ثَغْره. قال الزجاج(٥): المعنى ألم نفعل به ما يدل على أن الله قادر على أن يبعثه؟ والشفة محذوفة اللام، وأصلها شَفَهَةٌ بدليل تصغيرها على شُفيهة.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ النجد: الطريق في ارتفاع. قال المفسِّرون(٦): بيَّنا له طريق الخير وطريق الشرّ.

قال الزجاج(٧): المعنى ألم نعرّفه طريق الخير وطريق الشرّ، مبيَّنتين كتبيُّن الطريقين العاليتين؟ وقال عكرمة(٨)، وسعيد بن المسيب، والضحاك(٩): النجدان: الثديان؛ لأنهما كالطريقين لحياة الولد، ورزقه، والأوّل أولى. وأصل النجد: المكان المرتفع، وجمعه نجود، ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة، فالنجدان الطريقان العاليان، ومنه قول امرئ القيس(١٠):

فريقانِ منهم قاطعٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ... وآخرُ منْهم قاطعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام: الرمي بالنفس في شيء من غير رويّة، يقال منه:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٨).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٤).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٥) بسند صحيح.
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٤٩٠).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٨).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٤٩٠).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٨).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٩٧).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٩) بسند ضعيف.
(١٠) «ديوان امرئ القيس» (ص٤٣).

قَحَم في الأمر قُحوماً؛ أي: رمى بنفسه فيه من غير رويّة، وتقحيم النفس في الشيء: إدخالها فيه مِنْ غير رويّة، والقُحْمة[1] بالضم: المُهلكة. والعقبة في الأصل: الطريقُ التي في الجبل، سُمّيت بذلك لصعوبة سلوكها، وهو مَثلٌ ضربه سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلّف صعود العقبة.

قال الفرّاء[2]، والزجاج[3]: ذكر سبحانه هنا: «لا» مرةً واحدة، والعربُ لا تكاد تُفْرد «لا» مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتّى يعيدوها في كلام آخر كقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وإنّما أفردها هنا لدلالة آخر الكلام على معناه، فيجوز أن يكون قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قائماً مقام التكرير كأنه قال: فلا اقتحم العقبة، ولا آمن. قال المبرِّد[4]، وأبو علي الفارسي[5]: إن «لا» هنا بمعنى لم؛ أي: فلم يقتحم العقبة، وروي نحو ذلك عن مجاهد، فلهذا لم يحتج إلى التكرير، ومنه قول زُهير[6]:

وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ فلا هوَ أَبْدَاها ولم يتقدَّمِ

أي: فلم يبدها، ولم يتقدم، وقيل: هو جار مجرى الدعاء كقولهم: لا نجاء. قال ابن زيد[7]، وجماعة من المفسرين[8]: معنى الكلام هنا الاستفهام الذي بمعنى الإنكار، تقديره: أفلا اقتحم العقبة، أو هلا اقتحم العقبة؟

[كشف العقبة وبيان طبيعتها]:

ثم بيّن سبحانه العقبة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾؛ أي: أيّ شيء أعلمك ما اقتحامها؟

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾؛ أي: هي إعتاقُ رقبةٍ، وتخليصها من أسار الرق، وكل شيء أطلقته فقد فككته، ومنه: فكُّ الرهْن، وفك الكتاب، فقد بيّن سبحانه أن العقبة هي هذه القُرب المذكورة التي تكون بها النجاة مِنْ النار.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٥٦)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٧٧).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢٩).
(٤) «تفسير الرازي» (٣١/ ١٨٥).
(٥) في «الحجة» (٦/ ٤١٤).
(٦) «ديوان زهير» (ص٢٢).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٢١) بسند صحيح.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٩٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٣١).

قال الحسن(١)، وقتادة(٢): هي عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحموها بطاعة الله.

وقال مجاهد(٣)، والضحاك، والكلبي: هي الصراط الذي يُضْرَب على جهنم كحد السيف.

وقال كعب(٤): هي نار دونَ الجسر. قيل: وفي الكلام حذف؛ أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ قرأ أبو عمرو(٥)، وابن كثير، والكسائي: «فكّ رقبةً» على أنه فعل ماض، ونصب رقبة على المفعولية، وهكذا قرآ، أو أطعم(٦): على أنه فعل ماض.

وقرأ الباقون(٧): «فكُّ، أو إطعام» على أنهما مصدران، وجرّ رقبة بإضافة المصدر إليها، فعلى القراءة الأولى يكون الفعلان بدلاً من اقتحم، أو بياناً له كأنه قيل: فلا فك ولا أطعم، والفكّ في الأصل: حلّ القيد، سُمّي العتق فكّاً؛ لأن الرق كالقيد، وسمي المرقوق رقبة؛ لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبته.

[إطعام الطعام هو المحك لحقيقة الإيمان]:

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ المسغبة: المجاعةُ، والسَّغَب: الجوعُ، والسّاغبُ: الجائع.

قال الراغب(٨): يقال مِنْه سَغِبَ الرجل سَغَباً، وسُغُوباً فهو ساغِبٌ، وسَغْبان، والمسْغَبة مَفْعلة منه، وأنشد أبو عبيدة(٩):

فلو كنتَ حرّاً يابنَ قيسِ بنِ عاصمٍ ... لما بِتَّ شبعاناً وجارُك ساغِبا

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٢٠) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٢٠) بسند صحيح.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٩٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٣٢).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٠).
(٥) «التيسير» (ص٢٢٣)، و«النشر» (٢/ ٤٠١)، و«زاد المسير» (٩/ ١٣٥)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٤٢٣).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «جامع البيان» (٢٤/ ٤٢٣)، و«النشر» (٢/ ٤٠١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٥).
(٨) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤١٢).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٣)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٣٠).

قال النخعي[١]: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾؛ أي: عزيز فيه الطعام.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾؛ أي: قرابة، [٤/٢٤٥] يقال: فلان ذو قرابتي، وذو مَقْرَبتي، واليتيم في الأصل: الضعيفُ يقال: يتُم الرجل: إذا ضعُف، واليتيم عند أهل[٢] اللغة: من لا أب له، وقيل: هو مَنْ لا أب له ولا أمّ، ومنه قول قيس بن الملوّح[٣]:

إلى اللهِ أشكُو فَقْدَ لَيْلَى كما شَكَا إلى اللهِ فَقْدَ الوالِدَيْنِ يتيمُ

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾؛ أي: لا شيء له كأنه لصق بالتراب لفقره، وليس له مأوى إلّا التراب، يقال: تَرِب الرجلُ يترب ترباً ومَتْربةً: إذا افتقر حتى لصق بالتراب ضرّاً. قال مجاهد[٤]: هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره. وقال قتادة[٥]: هو ذو العيال. وقال عكرمة[٦]: هو المديون.

وقال أبو سنان[٧]: هو ذو الزَّمانة. وقال ابن جبير: هو الذي ليس له أحد. وقال عكرمة[٨]: هو البعيد التُربة الغريب عَنْ وطنه، والأوّل أولى، ومنه قول الهذلي[٩]:

وكُنَّا إذا ما الضيفُ حلَّ بأرضِنا سفكْنا دماءَ الْبُدْنِ في تُرْبَةِ الحالِ

قرأ الجمهور[١٠]: «ذي مَسْغبة» على أنّه صفة ليوم، ويتيماً هو مفعول إطعام. وقرأ الحسن[١١]: «ذا مسغبة» بالنصب على أنّه مفعول إطعام؛ أي: يطعمون ذا مسغبة، ويتيماً بدل منه.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٥) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٢) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٣٣٩)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠٦٤).
(٣) «ديوان مجنون ليلى» (ص٢٤٤).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٢٨) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٤٣٠) بسند صحيح.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٠٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٧٩).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٢٧٩).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤).
(٩) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٩٣).
(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٨٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٢٦).
(١١) «المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٤). وهي قراءة شاذة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف على المنفيّ بلا، وجاء بثمّ للدلالة على تراخي رتبة الإيمان ورفعة محلِّه. وفيه دليل على أن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان.

وقيل: المعنى: ثم كان من الذين آمنوا بأنّ هذا نافع لهم. وقيل: المعنى: أنه أتى بهذه القرب لوجه الله.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ معطوف على آمنوا؛ أي: أوصى بعضُهم بعضاً بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا، والمصائب.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾؛ أي: بالرحمة على عباد الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين، واستكثروا من فعل الخير بالصدقة ونحوها، والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول باعتبار اتصافه بالصفات المذكورة هم ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: أصحابُ جهة اليمين، أو أصحابُ اليمن، أو الذين يعطون كتبهم بأيمانهم.

وقيل: غير ذلك مما قد قدّمنا ذكره في سورة الواقعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: بالقرآن، أو بما هو أعمّ منه، فتدخل الآيات التنزيلية، والآيات التكوينية التي تدل على الصانع سبحانه ﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾؛ أي: أصحابُ الشمال، أو أصحاب الشؤم، أو الذين يعطون كتبهم بشمالهم، أو غير ذلك مما تقدّم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾؛ أي: مُطْبَقَة مغلقة، يقال: آصدتُ البابَ، وأوصدته إذا أغلقته، وأطبقته، ومنه قول الشاعر:

تحِنُّ إلى أجبالِ مكَّةَ ناقتي ... ومِنْ دونِها أبوابُ صنعاءُ مُؤْصَدَةْ[(١)]

قرأ الجمهور[(٢)]: «موصدة» بالواو. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وحفص بالهمزة[(٣)] مكان الواو، وهما: لغتان، والمعنى واحد.

وقد أخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ قال: مكة ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾؛ يعني: بذلك النبيّ ﷺ، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحيي مَنْ شاء، فُقتل له يومئذ ابن خَطَل صبراً، وهو

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٠٧).

(٢) «التيسير» (ص٢٢٣)، و«النشر» (١/ ٣٩٠ ـ ٣٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨٩).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ بالهمز: يعقوب وخلف.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠١، ٤٠٣) بسند ضعيف.

آخذ بأستار الكعبة، فلم يحلّ لأحد من الناس بعد النبيّ ﷺ أن يفعل فيها حراماً حرّمه الله، فأحلّ الله له ما صنع بأهل مكة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه(١) عنه في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قال: مكة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قال: أنت يا محمد يحلّ لك أن تقاتل فيه، وأما غيرك فلا.

وأخرج ابن مردويه(٢) عن أبي بَرْزة الأسلمي قال: نزلتْ هذه الآية: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ فيّ، خرجتُ، فوجدتُ عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، فضربتُ عنقه بين الركن والمقام.

وأخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس(٣): ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ قال: أحلّ له أن يصنع فيه ما شاء ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ قال: يعني: بالوالد آدم، وما ولد: ولده.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم(٤) عنه في الآية قال: الوالد: الذي يلد، وما ولد العاقر لا يلد من الرجال والنساء.

وأخرج ابن جرير، والطبراني(٥) عنه أيضاً ووالد قال: آدم ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في اعتدال وانتصاب.

وأخرج ابن جرير(٦) عنه أيضاً: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في نَصَبٍ.

وأخرج ابن جرير(٧) عنه أيضاً: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ قال: في شدّة.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠١)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٣، ٧٠٤) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٣) وصححه. من طريق مجاهد، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٤) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠١، ٤١٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٢٤١٢) وفي «الأوسط» رقم (٥٠٩٦) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٠٨) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٠) من طريق سفيان، به.

حاتم[1] عنه أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: في شدة خَلْق ولادته، ونبت أسنانه، ومعيشته، وختانه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[2] عنه أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: خلق الله كل شيء يمشي على أربعة إلّا الإنسان فإنه خلق منتصباً.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة[3] عنه أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ قال: منتصباً في بطن أمه أنه قد وكل به ملك إذا نامت الأمّ أو اضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق في الدم.

وأخرج ابن جرير[4] عنه أيضاً في قوله: ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ قال: كثيراً.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[5] في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: سبيل الخير والشرّ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6]: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الهدى والضلالة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير[7] عنه قال: سبيل الخير والشرّ.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سنان بن سعد عن أنس[8] قال: قال النبيّ ﷺ: «هما نجدان، فما جعل نجد الشرّ أحب إليكم من نجد الخير» تفرّد به سنان بن سعد، ويقال: سعد بن سنان[9]. وقد وثقه يحيى بن معين. وقال الإمام أحمد،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٠)، والحاكم (٢/ ٥٢٣) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٩).
(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٩٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٣) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٧٤)، وابن جرير (٢٤/ ٤١٥)، والطبراني رقم (٩٠٩٧)، والحاكم (٢/ ٥٢٣)، وقال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٧٠٤) إسناده حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤١٦) بسند ضعيف.
(٨) ذكره ابن عدي في «الضعفاء» (٣/ ١١٩٣) في ترجمة سنان بن سعد.
(٩) «تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٦٥).

والنسائي، والجوزجاني: منكر الحديث. وقال أحمد: تركت حديثه لاضطرابه، قد روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها ما أعرف منها حديثاً واحداً، يشبه حديثه حديث الحسن البصري، لا يشبه حديث أنس.

وأخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه من طرق عن الحسن[١] قال: ذكر لنا أن النبيّ ﷺ كان يقول، فذكره. وهذا مرسل، وكذا رواه قتادة[٢] مرسلاً.

أخرجه عنه ابن جرير[٣]، ويشهد له ما أخرج الطبراني عن أبي أمامة[٤] أن النبيّ ﷺ قال: «يا أيها الناس إنهما نجدان: نجد خير، ونجد شرّ، فما جعل نجد الشرّ أحب إليكم من نجد الخير».

ويشهد له أيضاً ما أخرجه ابن مردويه[٥] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنما هما نجدان، نجد الخير، ونجد الشرّ، فلا يكن نجد الشرّ أحب إليكم من نجد الخير».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الثديين.

أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عمر[٧] في قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل زلال في جهنم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٨] عن ابن عباس قال: العقبة: النار.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٧٤)، وابن جرير (٢٤/ ٤١٧، ٤١٨) مرسلاً.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٤١٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٧٤) مرسلاً.
(٣) انظر: التعليقة المتقدمة.
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٨٠٢٠)، وفي «الأوسط» رقم (٢٥٤١). وهو حديث ضعيف.
(٥) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٤).
(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٧٤)، وابن جرير (٤/ ٤١٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥٧) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٢٦)، وابن جرير (٢٤/ ٢٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «التخويف من النار» (ص٧٦) من طريق عطية، به.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٣).

وأخرج عبد بن حميد[١] عنه قال: العقبة بين الجنة والنار.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عائشة[٢] قالت: «لما نزل: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قيل: يا رسول الله ما عند أحدنا ما يعتق إلّا أن عند أحدنا الجارية السوداء تخدمه، فلو أمرناهنّ بالزنا، فجئن بالأولاد، فأعتقناهم، فقال رسول الله : لأنْ أُمتّع بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن آمر بالزنا، ثم أعتق الولد».

وأخرجه ابن جرير[٣] عنها بلفظ: «لعلاقة سوط في سبيل الله أعظم أجراً من هذا». وقد ثبت الترغيب في عتق الرقاب بأحاديث كثيرة:

منها في الصحيحين، وغيرهما عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أعتق رقبةً مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى الفرج بالفرج».

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥]: ﴿فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ قال: مجاعة.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٦]: ﴿فِي يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ قال: جوع.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه أيضاً: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قال: ذا قرابة، وفي قوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: بعيد التربة؛ أي: غريباً عن وطنه.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٣).
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢١٥)، والبيهقي (١٠/ ٥٨). وهو حديث ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٢٩٥).
(٣) عزاه السيوطي في «الدر المصون» (٨/ ٥٢٤) إلى مردويه.
(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٥١٧) وطرفه رقم (٦٧١٥)، ومسلم رقم (٢١ ـ ٢٤/ ١٥٠٩)، والترمذي رقم (١٤٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٤٨٧٤، ٤٨٧٦).
(٥) أخرجه الفريابي ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٦٨)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٧٠٤)، وابن جرير (٢٤/ ٤٢٥، ٤٢٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٤) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه الفريابي ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٦٨) وفي «فتح الباري» (٨/ ٧٠٤)، وابن جرير (٢٤/ ٤٢٥) عن مجاهد بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٦١).

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عنه[١] أيضاً: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: هو المطروح الذي ليس له بيت. وفي لفظ للحاكم: هو الذي لا يقيه من التراب شيء. وفي لفظ: هو اللازق بالتراب [٤/٢٤٦] من شدّة الفقر.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ: ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ قال: «الذي مأواه المزابل».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣]: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾؛ يعني: بذلك رحمة الناس كلهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤]: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قال: مُغْلَقة الأبواب.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة[٥]: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قال مُطْبقَة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٠٤) ـ وابن جرير (٢٤/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٣١).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٦).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٦).

سُورَةُ الشَّمْسِ

هي خمس عشرة آية. وهي مكية بلا[١] خلاف.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي عن بريدة[٤]: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة العشاء: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، وأشباهها من السور». وقد تقدّم حديث جابر في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلّا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ ، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾.

وأخرج الطبراني[٥] عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ أمره أن يقرأ في صلاة الصبح بـ﴿الليل إذا يغشى﴾، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

وأخرج البيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر[٦] قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بـ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾».

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٠٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٦١).
(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٧).
(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٢٩٩٤)، والترمذي رقم (٣٠٩)، والنسائي رقم (٩٩٨). وهو حديث صحيح.
(٥) أخرجه الطبراني رقم (١١٢٧٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١١٩): وفيه ابن لهيعة، واختلف في الاحتجاج به.
(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٨٦٠). وهو حديث موضوع كما قال الألباني رحمه الله «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٧٧٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[جزاء إصلاح النفس وإهمالها]:

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾.

[العظة بقوم ثمود]:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾.

[القسم بهذه الخلائق والمشاهد الكونية]:

أقسم سبحانه بهذه الأمور، وله أنْ يُقسم[1] بما شاء مِنْ مخلوقاته، وقال قوم: إن القسم بهذه الأمور، ونحوها مما تقدّم، ومما سيأتي هو على حذف مضاف؛ أي: ﴿و﴾ ربّ ﴿الشَّمْسِ﴾ وربّ القمر، وهكذا سائرها، ولا ملجئ إلى هذا، ولا موجب له، وقوله: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ هو: قَسَمٌ ثان. قال مجاهد[2]: وضحاها؛ أي: ضوئها وإشراقها، وأضاف الضحى إلى الشمس؛ لأنه إنما يكون عند ارتفاعها، وكذا قال الكلبي[3].

وقال قتادة[4]: ضحاها: نهارُها كله. قال الفراء[5]: الضحى هو النهار. وقال المبرِّد[6]: أصل الضحى: الصبح، وهو نور الشمس.

قال أبو الهيثم[7]: الضحى نقيض الظلّ، وهو نور الشمس على وجه الأرض،

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٨٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٣٤) بسند صحيح.

(٣) «الوسيط» (٤/ ٤٩٤). (٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٠٨).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦). (٦) «تهذيب اللغة» (٣/ ٣٩٨).

(٧) «تهذيب اللغة» (٣/ ٣٩٨).

وأصله: الضحيّ، فاستثقلوا الياءً، فقلبوها ألفاً. قيل: والمعروف عند العرب أن الضحى إذا طلعت الشمس وبُعيد ذلك قليلاً، فإذا زاد فهو الضّحَاء بالمدّ.

قال المبرد[(١)]: الضُّحى، والضحْوة مشتقان مِنْ الضحّ، وهو النّور، فأبدلت الألف، والواو من الحاء.

واختلف في جواب القسم ماذا هو؟ فقيل: هو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قاله الزجاج[(٢)] وغيره. قال الزجاج[(٢)] وحذفت اللام؛ لأنّ الكلام قد طال، فصار طوله عوضاً منها، وقيل: الجواب محذوف؛ أي: والشمس، وكذا لتبعثنّ.

وقيل تقديره: ليدمدمنّ الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود؛ لأنّهم كذبوا صالحاً.

وأما: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء، وقيل: هو على التقديم والتأخير بغير حذف، والمعنى: قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، والشمس وضحاها والأوّل أولى.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾؛ أي: تَبِعها، وذلك بأن طلع بعد غروبها، يقال: تلا يتلو تلواً: إذا تبع.

قال المفسرون[(٣)]: وذلك في النصف الأوّل من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة، وخلفها في النور.

قال الزجاج[(٤)]: تلاها حين استدار، فكان يتلو الشمس في الضياء والنور؛ يعني: إذا كمل ضوءه، فصار تابعاً للشمس في الإنارة؛ يعني: كان مثلها في الإضاءة، وذلك في الليالي البيض. وقيل: إذا تلا طلوعه طلوعها.

قال قتادة[(٥)]: إن ذلك ليلة الهلال إذا سقطت رؤي الهلال.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٢).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣١).

(٣) في «الوسيط» (٤/ ٤٩٤).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٣٦) بسند صحيح.

قال ابن زيد[١]: إذا غربت الشمس في النصف الأوّل من الشهر تلاها القمر بالطلوع، وفي آخرها يتلوها بالغروب.

وقال الفراء[٢] تلاها أخذ منها يعني: أنَّ القمر يأخذ من ضوء الشمس.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: جلّى الشمس، وذلك أنّ الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء، فكأنّه جلاها مع أنها الذي تبسطه. وقيل: الضمير عائد إلى الظلمة؛ أي: جلى الظُلْمة، وإن لم يجر للظلمة ذكر؛ لأن المعنى معروف.

قال الفراء[٣]: كما تقول أصبحت باردة؛ أي: أصبحت غداتنا باردة، والأوّل أولى. ومِنْه قول قيس بن الحَطيم[٤]:

تجلَّتْ لنا كالشمسِ تحتَ غمامةٍ بدا حاجبُ منها وضنَّتْ بحاجب[٥]

وقيل: المعنى: جلا ما في الأرض مِنْ الحيوانات، وغيرها بعد أن كانت مستترة في الليل، وقيل: جلا الدنيا، وقيل: جلا الأرض.

[التغشية هي مقابلة التجلية]:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾؛ أي: يغشَى الشمسَ، فيذهب بضوئها، فتغيب، وتظلم الآفاق، وقيل: يغشى الآفاق، وقيل: الأرض، وإن لم يجر لهما ذكر؛ لأن ذلك معروف، والأوّل أولى.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ يجوز أن تكون[٦] ما مصدرية؛ أي: والسماء وبنيانها، ويجوز أن تكون موصولة؛ أي: والذي بناها، وإيثار «ما» على (مَنْ) لإرادة الوصفية لقصد التفخيم كأنه قال: والقادر العظيم الشأن الذي بناها.

ورجح الأوّل الفراء[٧]، والزجاج[٨]، ولا وجه لقول من قال: إن جعلها مصدرية مخلّ بالنظم. ورجح الثاني ابن جرير[٩].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٣٦) بسند صحيح.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦). (٤) «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٢٨).
(٥) والبيت في «ديوان مجنون ليلى» (ص٧٥).
(٦) «الفريد» (٤/ ٦٧٨)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٦٧).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦). (٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٢).
(٩) في «جامع البيان» (٢٤/ ٤٣٧).

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ الكلام في «ما» هذه كالكلام في التي قبلها، ومعنى طحاها: بسطها، كذا قال عامة[١] المفسِّرين، كما في قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] قالوا: طحاها ودحاها واحد؛ أي: بسطها من كل جانب، والطحو: البَسْطُ، وقيل: معنى طحاها: قسمها، وقيل: خلقها، ومنه قول الشاعر:

وما تدري جذيمةُ مَنْ طَحَاهَا ... ولا مَنْ ساكِنُ العرشِ الرفيعِ[٢]

والأوّل أولى. والطحو أيضاً: الذهاب. قال أبو عمرو[٣] بن العلاء: طحا الرجل: إذا ذهب في الأرض، يقال: ما أدري أين طحا؟ ويقال: طحا به قلبه: إذا ذهب به، ومنه قول الشاعر:

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ ... بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حانَ مشِيبُ[٤]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ الكلام في «ما» هذه، كما تقدّم، ومعنى سوّاها خلقها وأنشأها، وسوّى أعضاءها. قال عطاء[٥]: يريد جميع ما خلق من الجنّ والإنس، والتنكير[٦] للتفخيم، وقيل: المراد نفس آدم.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾؛ أي: عرّفها وأفهمها حالهما، وما فيهما من الحسن والقبح. قال مجاهد[٧]: عرّفها طريق الفجور، والتقوى، والطاعة، والمعصية

قال الفراء[٨]: «فألهمها» عرّفها طريق الخير، وطريق الشرّ، كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]. قال محمد بن كعب[٩]: إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه الخير فعمل به، وإذا أراد به الشرّ ألهمه الشرّ فعمل به.

قال ابن زيد[١٠]: جعل فيها ذلك بتوفيقه إيّاها للتقوى، وخذلانه إيّاها للفجور، واختار هذا الزجاج[١١]، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣١١)، و«الوسيط» (٤/ ٤٩٥).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣١١).
(٣) «تهذيب اللغة» (٥/ ١٨٤). (٤) «ديوان علقمة الفحل» (ص٣٣).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٩٥).
(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٦٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٤٤).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٤١) بسند صحيح.
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٦). (٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٢).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٤٢) بسند صحيح.
(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٢).

قال الواحدي[١]: وهذا هو الوجه لتفسير الإلهام، فإن التبيين والتعليم، والتعريف دون الإلهام، والإلهام أَنْ يوقع في قلبه، ويجعل فيه، وإذا أوقع الله في قلب عبده شيئاً ألزمه ذلك الشيء.

قال: وهذا صريح في أن الله خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر فجوره.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: قد فاز مَنْ زكى نفسه وأنماها، وأعلاها بالتقوى بكلّ مطلوب، وظفر بكلّ محبوب، وقد قدّمنا أن هذا جواب القسم على الراجح، وأصل الزكاة: النموّ والزيادة، ومنه زكا الزرع: إذا كثُر.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: خسر من أضلها وأغواها.

قال أهل اللغة[٢]: دساها أصلُه: دسّسها، من التدسيس، وهو إخفاءُ الشيء في الشيء، فمعنى دسّاها في الآية:[٤/٢٤٧] أخفاها وأخملها، ولم يُشْهرها بالطاعة والعمل الصالح، وكانت أجواد العرب تنزل الأمكنة المرتفعة ليشتهر مكانها، فيقصدها الضيوف، وكانت لئام العرب تنزل الهضاب، والأمكنة المنخفضة؛ ليخفى مكانها عَنْ الوافدين. وقيل: معنى دسّاها: أغواها، ومنه قول الشاعر:

وأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمْراً فأصبحتْ حلائِلُه منه أراملَ ضُيَّعَا[٣]

وقال ابن الأعرابي[٤]: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ أي: دسّ نفسه في جملة الصالحين، وليس منهم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ الطغوى: اسم من الطغيان كالدعوى من الدعاء.

قال الواحدي[٥]: قال المفسرون: كذبت ثمود بطغيانها؛ أي: الطغيان حملهم على التكذيب، والطغيان مجاوزة الحدّ في المعاصي، والباء للسببية. وقيل: كذبت ثمود بطغواها؛ أي: بعذابها الذي وعُدت به، وسمّي العذاب طغوى لأنه طغى عليهم، فتكون الباء على هذا للتعدية. وقال محمد بن كعب[٦]: بطغواها؛ أي: بأجمعها.

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٤٩٥).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٨٠)، و«الصحاح» (٣/ ٩٢٨ ـ ٩٢٩).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٤١)، و«جمهرة اللغة» (٣/ ٢٤٢).
(٤) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٨١).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٤٩٨).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٤٨) بسند حسن.

قرأ الجمهور[١]: «بطَغواها» بفتح الطاء. وقرأ الحسن، والجحدري، ومحمد بن كعب، وحماد بن سلمة بضم[٢] الطاء؛ فعلى القراءة الأولى هو مصدر بمعنى الطغيان، وإنما قُلبت الياء والواو للفرق بين الاسم والصفة؛ لأنهم يقلبون الياء في الأسماء كثيراً نحو تقوى، وسروى، وعلى القراءة الثانية هو مصدر كالرجعى والحُسنى، ونحوهما، وقيل: هما لغتان.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ العامل في الظرف كذّبتْ، أو بطغواها؛ أي: حين قام أشقى ثمود، وهو قُدَار بن سالف، فعقر النّاقة، ومعنى انبعث: انتدب لذلك وقام به، يقال: بعثته على الأمر، فانبعث له، وقد تقدّم بيان هذا في الأعراف.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: صالحاً ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ قال الزجاج[٣]: ناقة الله منصوبة على معنى: ذروا ناقةَ الله.

قال الفراء[٤]: حذّرهم إياها، وكل تحذير فهو نصب.

﴿وَسُقۡيَٰهَا﴾ معطوف على ناقة، وهي شربها من الماء.

قال الكلبي[٥]، ومقاتل: قال لهم صالح: ذروا ناقة الله، فلا تعقروها، وذروا سقياها، وهو شربُها من النهر، فلا تعرّضوا له يوم شربها، فكذبوا بتحذيره إياهم: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: عقرها الأشقى، وإنما أسند العقر إلى الجميع؛ لأنّهم رضوا بما فعله.

قال قتادة[٦]: إنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم.

قال الفراء[٧]: عقرها اثنان، والعرب تقول: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس، فلهذا لم يقل أشقياها.

[عاقبة قوم ثمود الهلاك]:

﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: أهلكهم، وأطبق عليهم العذاب،

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٣).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٣٦٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٤). اتفق القراء العشرة على فتح الطاء، وأما الضم فقراءة شاذة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٣). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨).

(٥) «الوسيط» (٤/ ٥٠٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٤٠).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٥٠) بسند صحيح. (٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٨).

وحقيقة الدمدمة: تضعيفُ العذاب، وترديدُه، يقال: دمدمتُ على الشيء؛ أي: أطبقت عليه، ودمدم عليه القبر؛ أي: أطبقه، وناقة مدمومة: إذا لبسها الشحم، والدمدمة: إهلاكُ باستئصال، كذا قال المؤرِّج[١].

قال في «الصحاح»[٢]: دمدمتُ الشيء: إذا ألزقته بالأرض، وطحطحته، ودمدم الله عليهم؛ أي: أهلكَهم.

وقال ابن الأعرابي[٣]: دمدم إذا عذّب عذاباً تاماً. والضمير في فسوّاها يعود إلى الدمدمة؛ أي: فسوّى الدمدمة عليهم، وعمّهم بها، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم، وقيل: يعود إلى الأرض؛ أي: فسوّى الأرض عليهم، فجعلهم تحت التراب، وقيل: يعود إلى الأمة؛ أي: ثمود. قال الفراء[٤]: سوّى الأمة أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى سوّى بينهم.

قرأ الجمهور[٥]: «فدمدم» بميم بين الدالين، وقرأ ابن الزبير[٦]: «فدهدم» بهاء بين الدالين.

قال القرطبي[٧]: وهما لغتان، كما يقال: امتقع لونه، واهتقع لونه.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛ أي: فعل الله ذلك بهم غير خائف من عاقبة، ولا تبعةٍ، والضمير في عقباها يرجع إلى الفعلة، أو إلى الدمدمة المدلول عليها بدمدم. وقال السديّ[٨]، والضحاك[٩]، والكلبي[١٠]: إنّ الكلام يرجع إلى العاقر لا إلى الله سبحانه؛ أي: لم يخف الذي عقرها عُقْبى ما صنع. وقيل: لا يخاف رسول الله ﷺ

---

(١) «زاد المسير» (٩/ ١٤٣)، و«الوسيط» (٤/ ٥٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣١٨).
(٢) في «الصحاح» (٢/ ٩٢٢).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٨١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٩).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٣).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٧٦). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٧) في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٩).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٥٣) بسند حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٥٢) من طريق أبي ورق، به.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٩).

عاقبة إهلاك قومه، ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم؛ لأنه قد أنذرهم، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[١]: «ولا يخافُ» بالواو، وقرأ نافع، وابنُ عامر بالفاء[٢].

وقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس[٣] ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ قال: ضوئها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال: تبعها ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ قال: أضاءها ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ قال: الله بنى السماء ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ قال: دحاها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ قال: علمها الطاعة، والمعصية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ يقول: قسَمها ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ قال: مِنْ الخير والشرّ.

وأخرج الحاكم[٥] وصحّحه عنه أيضاً ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ قال: ألزمها فجورها وتقواها.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، ومُسلم، وابنُ جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عَنْ عمران بن حصين[٦]: «أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، شيء قد قضي عليهم، ومضى في قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم نبيهم، واتخذت عليهم به الحجة، قال: بل شيء قد قضي عليهم؟ قال: فلم يعملون إذن؟ قال: مَنْ كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾» وسيأتي في السورة التي بعد هذه نحو هذا الحديث.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي عن زيد بن أرقم[٧] قال: كان

---

(١) «التيسير» (ص٢٢٣)، و«النشر» (٢/ ٤٠١)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٤٥٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٠). هما قراءتان متواترتان وقرأ بالفاء أيضاً أبو جعفر.

(٢) «فلا يخاف» انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٤) وصححه.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٤) وصححه.

(٦) أخرجه أحمد رقم (١٩٩٣٦)، ومسلم رقم (٢٦٥٠)، وابن جرير (٢٤/ ٤٤٢).

(٧) أخرجه أحمد رقم (١٩٣٠٨)، ومسلم رقم (٢٧٢٢)، والنسائي رقم (٥٤٧٣، ٥٥٥٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٨٦).

رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها».

وأخرجه ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه من حديث ابن عباس[(١)]، وزاد «كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ قال: فذكره» وزاد أيضاً: «وهو في الصلاة».

وأخرج حديث زيد بن أرقم مسلم[(٢)] أيضاً.

وأخرج نحوه أحمد[(٣)] من حديث عائشة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ يقول: قد أفلح مَنْ زكّى اللهُ نفسَه ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ يقول: قد خاب من دسّ الله نفسه فأضله ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قال: لا يخاف من أحد تبعة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[(٥)] عنه ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؛ يعني: مكر بها.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والديلمي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس[(٦)]: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الآية: أفلحت نفسٌ زكاها الله، وخابت نفس خيبها الله من كل خير» وجويبر ضعيف.

وأخرج ابن جرير[(٧)] عنه أيضاً: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ قال: اسم العذاب الذي جاءها الطغوى، فقال: كذبت ثمود بعذابها.

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (١١١٩١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٣٨) إسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٧٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/٢٠٩).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/٥٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٤٥) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٣٦٧)، والديلمي رقم (٤٦٠٠).
وقال ابن كثير: جويبر بن سعيد متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٤٧) بسند صحيح.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عبد الله بن زمعة[(١)] قال: «خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ قال: انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أَبي زمعة».

وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والبغوي، والطبراني، وابن مردويه، والحاكم، وأبو نعيم في «الدلائل» عَنْ عمّار بن ياسر[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدّثك بأشقى الناس؟ قال: بلى. قال رجلان: أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك على هذا ـ يعني: قرنه ـ حتى تبتلّ منه هذا ـ يعني: لحيته».

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٢٢٢، ١٦٢٢٣)، والبخاري رقم (٤٩٤٢)، ومسلم رقم (٢٨٥٥)، والترمذي رقم (٣٣٤٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٧٥)، وابن جرير (٢٤/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه رقم (١٨٣٢٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٧٠) ـ والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٦)، وأبو نعيم رقم (٤٩٠)، والحاكم (٣/ ١٤٠، ١٤١). وهو حديث حسن لغيره.

سُورَةُ اللَّيۡلِ

هي إحدى وعشرون آية وهي مكية[(١)] عند الجمهور، وقيل: مدنية.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج البيهقي في «سُننه» عن جابر بن سمرة[(٤)] قال: «كان النبيّ ﷺ يقرأ في الظهر والعصر: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ ونحوها».

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس[(٥)] «أن رسول الله ﷺ صلى بهم الهاجرة، فرفع صوته، فقرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ فقال له أبيّ بن كعب: يا رسول الله أمرت في هذه الصلاة بشيء؟ قال: لا، ولكن أردت أن أوقت لكم» وقد تقدّم حديث: «فهلا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾، ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس[(٣)] قال: إني لأقول إن هذه السورة نزلت في السماحة والبخل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٢٠).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٢).

(٤) أخرجه البيهقي (٢/ ٣٩١) وهو عند مسلم برقم (٤٥٩).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (٩٣٦١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١١٦): وفيه أبو الرجال الأنصاري البصري، وهو منكر الحديث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾.

[حقيقة العمل والجزاء]:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ [٤/٢٤٨] مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾.

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾؛ أي: يُغطّي بظلمته ما كان مضيئاً. قال الزجاج[١]: يغشى الليل الأفق، وجميع ما بين السماء والأرض، فيذهب ضوءُ النهار، وقيل: يغشى النهار، وقيل: يغشى الأرض، والأوّل أولى.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾؛ أي: ظهر وانكشفَ، ووضحَ لزوال الظُّلْمة التي كانت في الليل، وذلك بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ ما هنا[٢] هي الموصولة؛ أي: والذي خلق الذكر والأنثى، وعبّر عن مَنْ بما للدلالة على الوصفية، ولقصد التفخم؛ أي: والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذكر والأنثى. قال الحسن[٣]، والكلبي[٤]: معناه، والذي خلق الذكر والأنثى فيكون قد أقسم بنفسه. قال أبو عبيدة[٥]: وما خلق؛ أي: ومن خلق.

وقال مقاتل[٦]: يعني: وخلق الذكر والأنثى فتكون «ما» على هذا مصدرية.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٥).

(٢) «الفريد» (٤/ ٦٨٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٧٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٥٨) من طريق القاسم، به.

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٦). (٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٠١).

قال الكلبي[١]، ومقاتل: يعني: آدم وحواء، والظاهر العموم. قرأ الجمهور[٢]: «وما خلق الذكر والأنثى» وقرأ ابن مسعود[٣]: «والذّكرِ والأنثى» بدون ما خلق.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: إن عملكم لمختلف: فمنه عمل للجنة، ومنه عمل للنار.

قال جمهور المفسرين[٤]: السعي العمل، فساعٍ في فكاك نفسه، وساع في عطبها، وشتّى جمع شَتيت: كمرْضى ومريض، وقيل: للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾؛ أي: بذل ماله في وجوه الخير، واتقى محارم الله التي نهى عنها.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بالخَلَف مِنْ الله. قال المفسِّرون[٥]: فأما من أعطى المعسِّرين. وقال قتادة[٦]: أعطى حقّ الله الذي عليه. وقال الحسن[٧]: أعطى الصدق من قلبه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: أي: بلا إله إلّا الله، وبه قال الضحاك[٨]، والسلمي[٩]. وقال مجاهد[١٠]: بالحسنى بالجنّة.

وقال زيد بن أسلم[١١]: بالصلاة، والزكاة، والصوم، والأوّل أولى. قال

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٤٥)، و«الوسيط» (٤/ ٥٠١).
(٢) «فتح الباري» (٨/ ٥٤٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٥٣٤).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤). وهي شاذة مخالفة للرسم، وقد رواها البخاريُّ في «صحيحه» (٣٥٣٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٢٢)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٨٢)، و«معالم التنزيل» (٤/ ٥٠٢).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦١) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبيُ في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٣) بسند حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٣) من طريق وكيع، به.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٤) بسند صحيح.
(١١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٨).

قتادة[١]: بالحسنى؛ أي: بموعود الله الذي وعده أن يثيبه. قال الحسن[٢]: بالخَلَف مِنْ عطائه، واختار هذا ابن جرير[٣].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ أي: فسنهيئه للخَصْلة الحسنى، وهي: عمل الخير، والمعنى: فسنيسر له الإنفاق في سبيل الخير، والعمل بالطاعة لله.

[نزلت ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ في أبي بكر]:

قال الواحدي[٤]: قال المفسِّرون: نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصدّيق اشترى ستة نفر من المؤمنين كانوا في أيدي أهل مكة يعذبونهم في الله.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي بخل بماله، فلم يبذله في سبل الخير، واستغنى؛ أي: زهد في الأجر والثواب، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: بالخَلَف مِنْ الله ﷻ، وقال مجاهد[٥]: بالجنة.

وروي[٦] عنه أيضاً أنه قال: بلا إلٰه إلّا الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾؛ أي: فسنهيئه للخصلة العسرى، ونسهلها له حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح، ويَضْعُف عن فعلها، فيؤديه ذلك إلى النار.

قال مقاتل[٧]: يعسر عليه أن يعطي خيراً. قيل: العسرى: الشرّ، وذلك أن الشرّ يؤدي إلى العذاب، والعسرة في العذاب، والمعنى: سنهيئه للشرّ بأن نجريه على يديه.

قال الفراء[٨]: سنيسره سنهيئه، والعرب تقول: قد يَسَّرتِ الغنمُ إذا وَلَدتْ، أو تهيأت للولادة. قال الشاعر:

هما سيِّدانا يزعُمانِ وإنَّما ... يسوَدانِنَا إنْ يَسِّرتْ غَنَماهُما[٩]

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾؛ أي: لا يغني عنه شيئاً مالُه الذي بخل به، أو أي شيء يغني عنه إذا تردّى؛ أي: هلك، يقال: رَدِيَ الرجل يَرْدى رَدىً، وتردى

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٣) بسند صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤).

(٣) في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٢).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٥٠٣).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٨).

(٧) «الوسيط» (٤/ ٥٠٤).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١).

(٩) البيت لأبي أسيدةَ الدُّبيري. «تهذيب الألفاظ» لابن السكيت (١/ ١٣٥).

يتردّى: إذا هلك. وقال قتادة[١]، وأبو صالح[٢]، وزيد بن أسلم[٣]: إذا تردّى: إذا سقط في جهنم، يقال: رَدَى في البئر، وتردّى: إذا سقط فيها، ويقال: ما أدري أين رَدَى؛ أي: أين ذهب؟

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ هذه الجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها؛ أي: إن علينا البيان.

قال الزجاج[٤]: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال. قال قتادة[٥]: على الله البيان: بيان حرامه، وطاعته، ومعصيته.

قال الفراء[٦]: مَنْ سلك الهدى، فعلى الله سبيله، لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] يقول: من أراد الله، فهو على السبيل القاصد. قال الفراء[١٠] أيضاً: المعنى: إن علينا للهدى والإضلال، فحذف الإضلال كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وقيل: المعنى: إن علينا ثواب هداه الذي هديناه.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: لنا كلّ ما في الآخرة، وكلّ ما في الدنيا نتصرف به كيف نشاء، فمن أرادهما أو إحداهما، فليطلب ذلك منا.

وقيل: المعنى: إن لنا ثواب الآخرة، وثواب الدنيا.

[الأشقى مقابل الأسعد]:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾؛ أي: حذّرتكم وخوّفتكم ناراً تتوقد وتتوهج، وأصله: تتلظى، فحُذفت إحدى التاءين تخفيفاً. وقرأ على الأصل[٧] عُبيد بن عمير، ويحيى بن يعمر، وطلحة بن مصرف.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾؛ أي: يصلاها صَلْياً لازماً على جهة الخلود إلّا الأشقى

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٧٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٧٤) بسند صحيح.

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٢٨٩).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٦).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٧٥) بسند صحيح.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١). هي قراءة شاذة، ولكن قرأ البزيّ في وجه عنه ورويس بتشديد التاء في حال الوصل (ناراً تلظّى) وقرأ الباقي العشرة بتخفيف التاء حال الوصل والبدء.

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٨٨)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٤٣).

وهو الكافر، وإنْ صليها غيره من العصاة، فليس صليه كصليه، والمراد بقوله يصلاها: يدخلها، أو يجد صَلَاها، وهو حرّها.

ثم وصف الأشقى فقال: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة والإيمان. قال الفراء[١] ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ إلّا من كان شقياً في علم الله جلّ ثناؤه. قال أيضاً: لم يكن كذّب بردّ ظاهر، ولكن قصّر عما أُمر به من الطاعة، فجُعل تكذيباً، كما تقول: لقي فلان العدوّ، فكذّب: إذا نَكَلَ، ورجع عن اتّباعه.

قال الزجاج[٢]: هذه الآية هي التي مِنْ أجلها قال أهلُ الإرجاء بالإرجاء، فزعموا أنّه لا يدخل النارَ إلّا كافر؛ ولأهل النار منازل، فمنها أن المنافقين في الدرْك الأسفل من النار.

[تعقب «المصنف» المرجئة في استدلالهم بالآية على قصر النار على الكافر فقط]:

والله سبحانه كلّ ما وعد عليه بجنس مِنْ العذاب، فجدير أَنْ يعذب به، وقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فلو كان كلّ مَنْ لم يشرك لم يُعذّب لم يكن في قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فائدة.

وقال في «الكشاف»[٣]: الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين، وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين. فقيل: الأشقى، وجُعل مختصّاً بالصَّلْي كأنّ النار لم تخلق إلّا له، وقيل: الأتقى، وجعل مختصّاً بالنجاة كأنّ الجنة لم تخلق إلّا له.

وقيل: المراد بالأشقى: أَبو جهل، أو أمية بن خلف، وبالأتقى: أبو بكر الصدّيق، ومعنى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ سيباعد عنها المتقي للكفر اتقاء بالغاً.

قال الواحدي[٤]: الأتقى: أبو بكر الصدّيق في قول جميع المفسِّرين انتهى.

والأولى حمل الأشقى والأتقى على كلِّ متصف بالصفتين المذكورتين، ويكون المعنى: أنه لا يصلاها صلياً تاماً إلّا الكامل في الشقاء، وهو الكافر، ولا يجنبها

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧١).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٦).

(٣) في «الكشاف» (٦/ ٣٨٨).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٥٠٥).

ويبعد عنها تبعيداً كاملاً بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها إلّا الكامل في التقوى، فلا ينافي هذا دخول بعضُ العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم، ولا تبعيد بعض مَنْ لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيداً غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها.

والحاصل أَنَّ من تمسك من المرجئة بقوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ زاعماً أن الأشقى الكافر؛ لأنّه الذي كذّب وتولى، ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين، فيقال له: فماذا تقول في قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾؟ فإنّه يدلّ على أنه لا يجنب النار إلّا الكامل في التقوى، فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار، فإن أوّلت الأتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الأشقى، فخذ إليك هذه مع تلك، وكن كما قال الشاعر:

على أنّني راضٍ بأنْ أَحْمِلَ الهوى ... وأخرجَ منه لا عليَّ ولا لِيَهْ

وقيل: أراد بالأشقى، والأتقى الشقيّ، والتقيّ، كما قال طرفة بن العبد[1]:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سبيلٌ لَسْتَ فيها بِأَوْحَدِ

أي: بواحد، ولا يخفاك أنه ينافي هذا وصف الأشقى بالتكذيب، فإن ذلك لا يكون إلّا مِنْ الكافر، فلا يتمّ ما أراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين.

ثم ذكر سبحانه صفة الأتقى فقال: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ﴾؛ أي: يعطيه، ويصرفه في وجوه الخير، وقوله: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ في محل نصب على الحال من فاعل يؤتي؛ أي: حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكياً لا يطلب رياء ولا سمعة، ويجوز أن يكون بدلاً من يؤتي داخلاً معه في حكم الصلة.

قرأ الجمهور[2] [٤/٢٤٩] : «يتزكى» مضارع تزكى.

وقرأ عليّ بن الحسين بن علي: «تزكى» بإدغام[3] التاء في الزاي.

---

(١) البيت ليس في ديوان طرفة. ونسبه الأخفش في الاختيارين (ص١٦١) لمالك بن القَيْن.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٦).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤) وفيه: الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٩٢).

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ الجملة مستأنفة؛ لتقرير ما قبلها من كون التزكي على جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافي الخلوص؛ أي: ليس ممن يتصدّق بماله ليجازي بصدقته نعمةً لأحد من الناس عنده، ويكافئه عليها، وإنما يبتغي بصدقته وجه الله تعالى.

ومعنى الآية: أنه ليس لأحد من الناس عنده نعمة من شأنها أن يجازى عليها حتى يقصد بإيتاء ما يُؤتي مِنْ ماله مجازاتها، وإنما قال (تُجزى) مضارعاً مبنيّاً للمفعول لأجل الفواصل، والأصل يجزيها إيّاه، أو يجزيه إياها.

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ قرأ الجمهور[١]: «إلّا ابتغاءَ» بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النِّعمة؛ أي: لكن ابتغاء وجه ربه الأعلى، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول له على المعنى؛ أي: لا يؤتي إلّا لابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة.

قال الفراء[٢]: هو منصوب على التأويل؛ أي: ما أعطيتك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله.

وقرأ يحيى بن وثّاب بالرفع على البدل[٣] من محل نعمة؛ لأن محلها الرفع إما على الفاعلية، وإما على الابتداء، و«من» مزيدة، والرفع لغة تميم؛ لأنهم يجوّزون البدل في المنقطع[٤]، ويجرونه مجرى المتصل.

قال مكي[٥]: وأجاز الفراء[٦] الرفع في «ابتغاء» على البدل من موضع نعمة، وهو بعيد.

قال شهاب الدين[٧]: كأنّه لم يطلع عليها قراءةً، واستبعاده، هو البعيد فإنها

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٢٠٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٢٠).
(٢) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٢).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤، ١٧٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٦٩)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٩٣). والقراءة بالرفع قراءة شاذة.
(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ٩٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٥٣)، و«شرح المفصل» (٢/ ٨٠).
(٥) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٨٠).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٢). (٧) «حاشية الشهاب» (٨/ ٣٦٩).

لغة فاشية، وقرأ الجمهور[١] أيضاً: «ابتغاء» بالمدّ، وقرأ ابن أبي عبلة[٢] بالقصر، والأعلى: نعت للربّ.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ اللام هي: الموطئة للقسم؛ أي: وتاللهِ لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم. قرأ الجمهور[٣]: «يَرْضى» مبنيّاً للفاعل، وقرئ[٤] مبنيّاً للمفعول.

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس[٥]: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ قال: إذا أظلم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر عن ابن مسعود[٦] قال: إنّ أبا بكر الصدّيق اشترى بلالاً مِنْ أمية بن خلف، وأبيّ بن خلف ببُردةٍ، وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ سعي أبي بكر، وأمية وأبيّ إلى قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: لا إلٰه إلّا الله، إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ قال: النار.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ من الفضل ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ قال: اتقى ربَّه ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: صدّق بالخَلَف مِنْ الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ قال: للخير مِنْ الله ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ قال: بخل بماله، واستغنى عن ربه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: بالخَلَف من الله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ قال: للشرّ من الله.

وأخرج ابن جرير[٨] عنه: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: أيقن بالخلف.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٦).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٤)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٩٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤). القراءة بالقصر قراءة شاذة.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٦)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣١٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالبناء للمفعول قراءة شاذة.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٧).

(٦) أخراجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٦٨، ٦٩).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦١، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٧٣)، وفي «التغليق» (٤/ ٣٧٠) وفي «فتح الباري» (٨/ ٧٠٦)، والبيهقي رقم (١٠٨٢٥) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٦٣) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير[١] عنه أيضاً: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ يقول: صدّق بلا إلٰه إلّا الله ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ يقول: من أغناه الله، فبخل بالزكاة.

وأخرج ابن جرير، وابن عساكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير[٢] قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، وكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أيْ بُنيّ أراك تعتق أناساً ضعفاً، فلو أنك تعتق رجالاً جُلْداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك. قال: أيْ أبتِ إنما أُريد ما عند الله، قال: فحدّثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: أبو بكر الصدّيق، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: أبو سفيان بن حرب.

وأخرج البخاري، ومسلم، وأهل السُّنن، وغيرهم عن عليّ بن أبي طالب[٤] قال: «كنا مع النبيّ ﷺ في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلّا وقد كُتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتّكل؟ قال: اعملوا، فكلٌّ ميسر لما خُلِق له؛ أما من كان مَنْ أهل السعادة، فَيُيسّر لعمل أهل السعادة، وأما مَنْ كان من أهل الشقاء، فَيُيسّر لعمل أهل الشقاء ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾».

وأخرج أحمد، ومسلم، وغيرهما عن جابر بن عبد الله[٥]: «أن سراقة بن مالك قال: يا رسول الله في أيّ شيء نعمل؟ أفي شيء ثبتت فيه المقادير، وجرت به

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٦٦)، وابن عساكر (٣٠/٦٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/٦٩، ٧٠).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٠٦٧، ١٠٦٨، ١١١٠)، وعبد بن حميد رقم (٨٤ ـ منتخب)، والبخاري رقم (٤٩٤٥، ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٧٥٥٢)، ومسلم رقم (٢٦٤٧)، وأبو داود رقم (٤٦٩٤)، والترمذي رقم (٢١٣٦، ٣٣٤٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٧٨، ١١٦٧٩)، وابن ماجه رقم (٧٨)، وابن جرير (٢٤/٤٦٩ ـ ٤٧٢).

(٥) أخرجه أحمد (٣/٣٠٤)، ومسلم رقم (٨/٢٦٤٨)، وابن ماجه رقم (٢٩١).

الأقلامُ، أم في شيء نستقبل فيه العمل؟ قال: بل في شيء ثبتت فيه المقادير، وجرت فيه الأقلام، قال سراقة: ففيمَ العملُ إذن يا رسول الله؟ قال: اعملوا، فكلّ مُيَسّر لما خُلق له، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾». وقد تقدّم حديث عمران بن حصين في السورة التي قبل هذه.

وفي الباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة.

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة(١) قال: «لتدخلن الجنة إلّا مَنْ يأبى، قالوا: ومَنْ يأبى أن يدخل الجنة؟ فقرأ: ﴿الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي أمامة(٢) قال: لا يبقى أحد من هذه الأمة إلّا أدخله الله الجنة، إلّا مَنْ شرد على الله، كما يشرُدُ البعير السوء على أهله، فمن لم يصدّقني فإن الله يقول: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ كذّب بما جاء به محمد ﷺ، وتولّى عنه.

وأخرج أحمد، والحاكم، والضياء عن أبي أمامة الباهلي(٣) أنه سئل عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلُّكم يَدْخُلُ الجنَّة إلّا مَنْ شرد على الله شِراد البعير على أهله».

وأخرج أحمد، وابن ماجه، وابن مردويه عن أبي هريرة(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلّا شقيّ. قيل: ومَنْ الشقيّ؟ قال: الذي لا يعمل لله بطاعة، ولا يترك لله معصية».

وأخرج أحمد، والبخاري(٥) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلّا مَنْ أبى، قالوا: ومَنْ يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٧٧) من طريق مكحول، به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٢٠)، والطبراني رقم (٧٧٣٠) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٣) ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٢٢٢٦)، والحاكم (١/ ٥٥، ٥٦) و(٤/ ٢٤٧) بسند حسن.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٨٥٩٤)، وابن ماجه رقم (٤٢٩٨). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد رقم (٨٧٢٨)، والبخاري رقم (٧١٣٧، ٧٢٨٠).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن عروة أنّ أبا بكر الصدّيق أعتق سبعة كلهم يُعذَّب في الله: بلال، وعامر بن فُهيرة، والنهدية، وابنتها، وزِنّيرة، وأمّ عُبيس، وأَمَة بني المؤمل، وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج الحاكم وصححه عن عامر بن عبد الله بن الزبير[٢] ما قدّمنا عنه، وزاد فيه، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر عنه نحو[٣] هذا من وجه آخر.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ قال: هو: أبو بكر الصدّيق.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) وصححه.

(٣) أخرجه البزار رقم (٢٢٠٩)، وابن جرير (٢٤/ ٤٧٩)، (والطبراني رقم ٢٣٧ ـ قطعة من الجزء ١٣)، وابن عساكر (٣٠/ ٧٠، ٧١).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٥٠ ـ ٥١): فيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٨).

سُورَةُ الضُّحَىٰ

هي إحدى عشرة آية وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢]: نزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ بمكة.

[سنة التكبير تفرد بها أبو الحسن]:

وأخرج الحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن[٣] المقري قال: سمعتُ عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن قسطنطين، فلما بلغت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قال: كبِّر حتى تختم. وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، فأمره بذلك. وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك. وأخبره ابن عباس أن أبيّ بن كعب أمره بذلك. وأخبره أبيّ أن النبي ﷺ أمره بذلك. وأبو الحسن المقري المذكور هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقري.

قال ابن كثير[٤]: فهذه سُنَّة تفرّد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي مِنْ ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القرآت.

وأما في الحديث فقد ضعّفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أخذت عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. قال ابن كثير: ثم اختلف القرّاء في موضع هذا التكبير، وكيفيته، فقال بعضهم: يُكبّر من آخر الليل [٤/٢٥٠] إذا يغشى، وقال آخرون: من آخر الضحى. وكيفية التكبير عند بعضهم: أن يقول الله أكبر ويقتصر، ومِنْهم من يقول الله أكبر لا إِلٰه إلّا الله الله أكبر. وذكروا في مناسبة التكبير من أول الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ، وفتر تلك المدة، ثم جاء

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٣٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣٠٤)، والبيهقي رقم (٢٠٧٩).

(٤) في «تفسيره» (١٤/٣٨٠).

الملَك، فأوحى إليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ السورة كبَّر فرحاً وسروراً، ولم يرووا ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف.

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما عن جُنْدب البجلي(١) قال: اشتكى النبيّ ﷺ فلم يقم ليلتين، أو ثلاثاً، فأتته امرأة فقالت: يا مُحمد ما أرى شيطانك إلّا قد تركك لم يقربك ليلتين أو ثلاثاً، فأنزل الله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه عن جندب(٢) قال: أبطأ جبريل عن النبيّ ﷺ، فقال المشركون: قد ودّع محمد، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

وأخرج الطبراني عن جندب(٣) قال: احتبس جبريل عن النبيّ ﷺ، فقالت بعضُ بنات عمه: ما أرى صاحبك إلّا قد قلاك، فنزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

وأخرجه الترمذي وصححه، وابن أبي حاتم عن جندب(٤)، وفيه: فقالت له امرأة: ما أرى شيطانك إلّا قد تركك، فنزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[نعم الله تعالى على النبي ﷺ: تسلية وتسرية وترويح وتطمين]:

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧

(١) أخرجه أحمد رقم (١٨٧٩٦، ١٨٨٠١، ١٨٨٠٤)، والبخاري رقم (١١٢٥، ٤٩٥٠، ٤٩٥١، ٤٩٨٣)، ومسلم رقم (١١٥/ ١٧٩٧)، والترمذي رقم (٣٣٤٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٨١)، وابن جرير (٢٤/ ٤٨٥، ٤٨٦)، والطبراني رقم (١٧٠٩، ١٧١١)، والبيهقي (٧/ ٥٨، ٥٩)، وفي «السنن» (٣/ ١٤).

(٢) أخرجه الفريابي ـ كما في «فتح الباري» (٣/ ٩)، وابن جرير (٢٤/ ٤٨٥)، والطبراني رقم (١٧١٢)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٢٢٨)، والحديث عند مسلم رقم (١١٤/ ١٧٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٧١٠).

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٤٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٨١). وهو حديث صحيح.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

والمراد بالضحى هنا: النهار كله، لقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فلما قابل الضحى بالليل دلّ على أن المراد به النهار كله لا بعضه. وهو في الأصل اسم لوقت ارتفاع الشمس، كما تقدّم في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١] والظاهر أن المراد به الضحى مِنْ غير تعيين.

وقال قتادة[١]، ومقاتل، وجعفر الصادق: إن المراد به الضحى الذي كلم الله فيه موسى، والمراد بقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ليلة المعراج، وقيل: المراد بالضحى: هو الساعة التي خرّ فيها السحرةُ سجداً، كما في قوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] وقيل: المقسم به مضاف مقدّر، كما تقدّم في نظائره؛ أي: وربّ الضحى.

وقيل تقديره: وضحاوة الضحى، ولا وجه لهذا، فللّه سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه: وقيل: الضحى: نور الجنّة، والليل: ظلمة النار، وقيل: الضحى: نور قلوب العارفين، والليل: سواد قلوب الكافرين.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾؛ أي: سكن، كذا قال قتادة[٢]، ومجاهد[٣]، وابن زيد[٤]، وعكرمة[٥]، وغيرهم: يقال: ليلة ساجية؛ أي: ساكنة، ويقال للعين إذا سكن طرفها ساجية، يقال: سجا الشيء يسجو سَجْواً: إذا سكن. قال عطاء[٦]: سجا إذا غطّي بالظُّلْمة.

وروى ثعلب[٧] عن ابن الأعرابي: سجا امتدّ ظلامه. وقال الأصمعي[٨]:

(١) «اللباب» (٢/ ٣٨٠)، تفسير الرازي (٣١/ ٣٠٨).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٣) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٢) بسند صحيح.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٣) بسند صحيح.
(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٠٥)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٥٤).
(٧) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٤٠).
(٨) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٤١).

سجو الليل تغطيتُه النهارَ، مثل ما يُسجّى الرجلُ بالثوب. وقال الحسن[(١)]: غَشِي بظلامه. وقال سعيد بن جبير[(٢)]: أقبل. وقال مجاهد[(٣)]: أيضاً استوى، والأوّل أولى، وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة. ومعنى سكونه: استقرار ظلامه واستواؤه، فلا يزاد بعد ذلك.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: ما قطعك قطع المودّع.

قرأ الجمهور[(٤)]: «ما ودّعك» بتشديد الدال من التوديع، وهو توديع المفارق، وقرأ ابن عباس، وعروة بن الزبير، وابنه هشام، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة بتخفيفها[(٥)]، من قولهم ودعه؛ أي: تركه، ومنه قول الشاعر:

سَلْ أميري ما الذي غَيَّرَهُ ... عن وصالي اليومَ حتَّى ودَعَهْ

والتوديع أبلغ في الودْع؛ لأنّ من ودّعك مفارقاً، فقد بالغ في تركك. قال المبرِّد[(٦)]: لا يكادون يقولون: ودع ولا وذر لضعف الواو إذا قدّمت، واستغنوا عنها بترك.

قال أبو عبيدة[(٧)]: ودّعك من التوديع، كما يودّع المفارق. وقال الزجاج[(٨)]: لم يقطع الوحي، وقد قدّمنا سبب نزول هذه الآية في فاتحة هذه السورة.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ القلي: البغضُ، يقال: قلاه يقليه قلاء.

قال الزجاج[(٩)]: وما أبغضك، وقال: وما قلى، ولم يقل: وما قلاك لموافقة رؤوس الآي، والمعنى: وما أبغضك، ومنه قول امرئ القيس[(١٠)]:

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٣٦).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٢) بسند صحيح.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٦)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٩٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٧٢٤).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤). القراءة بالتخفيف قراءة شاذة.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩). (٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٢).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٩).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٤٠).

(١٠) «ديوان امرئ القيس» (ص٣٥).

ولستُ بِمَقْليِّ الخِلال ولا قالي(١)

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ اللّام جواب قسم محذوف؛ أي: الجنة خير لك من الدنيا، مع أنه ﷺ قد أُوتي في الدنيا مِنْ شرف النبوّة ما يَصْغر عنده كلُّ شرف، ويتضاءل بالنسبة إليه كلّ مكرمة في الدنيا؛ ولكنّها لما كانت الدنيا بأسرها مشوبة(٢) بالأكدار، منغّصة بالعوارض البشرية، وكانت الحياة فيها كأحلام نائم، أو كظل زائل لم تكن بالنسبة إلى الآخرة شيئاً؛ ولمّا كانت طريقاً إلى الآخرة، وسبباً لنيل ما أعدّه الله لعباده الصالحين مِنْ الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الأعمال الموجبة للفوز بالجنة كان فيها خير في الجملة مِنْ هذه الحيثية.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ هذه اللّام(٣) قيل: هي لام الابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك إلخ، وليست للقسم؛ لأنها لا تدخل على المضارع إلّا مع النون المؤكدة، وقيل: هي للقسم.

قال أبو عليّ الفارسي(٤): ليست هذه اللام هي التي في قولك: إنّ زيداً لقائم، بل هي التي في قولك: لأقومنّ، ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد، فكأنه قال: وليعطينّك. قيل المعنى: ولسوف يعطيك ربُّك الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة، فترضى. وقيل: الحوض والشفاعة، وقيل: ألف قصر مِنْ لؤلؤ أبيض ترابه المسك، وقيل: غير ذلك.

والظاهر أنّه سبحانه يعطيه ما يرضى به مِنْ خيري الدنيا والآخرة، ومن أهمّ ذلك عنده، وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمّته.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ هذا شروع في تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم؛ أي: وجدك يتيماً لا أب لك، فآوى؛ أي: جعل لك مأوى تأوي إليه، قرأ

---

(١) وصدر البيت:

صرفتُ الهوى عنهنَّ من خشية الردى

(٢) «روح المعاني» (٢٩/١٠٨).

(٣) «الفريد» (٤/٦٨٨)، و«روح المعاني» (٢٩/١٠٨ ـ ١٠٩).

(٤) انظر: «روح المعاني» (٢٩/١١٢ ـ ١١٣)، و«المحرر الوجيز» (١٦/٣٢١).

الجمهور[١]: «فآوى» بألف بعد الهمزة رباعياً، من آواه يؤويه، وقرأ الأشهب[٢]: «فأوى» ثلاثياً، وهو إما بمعنى: الرباعي، أو هو من أوى له إذا رحمه.

[اختلفوا في توجيه ضالاً]:

وعن مجاهد[٣] معنى الآية: ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك، فآواك الله بأصحابٍ يحفظونك ويحوطونك؟ فجعل يتيماً من قولهم دُرّة يتيمة، وهو بعيد جدّاً، والهمزة لإنكار[٤] النفي، وتقرير المنفيّ على أبلغ وجه، فكأنه قال: قد وجدك يتيماً فآوى، والوجود بمعنى العلم، ويتيماً مفعوله الثاني.

وقيل: بمعنى المصادفة، ويتيماً حال من مفعوله.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ معطوف[٥] على المضارع المنفي، وقيل: هو معطوف على ما يقتضيه الكلام الذي قبله، كما ذكرنا؛ أي: قد وجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، والضلال هنا بمعنى الغَفْلة، كما في قوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] وكما في قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] والمعنى: أنّه وجدك غافلاً عما يراد بك مِنْ أمر النبوّة، واختار هذا الزجاج[٦]. وقيل: معنى ضالاً لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع، فهداك لذلك.

وقال الكلبي[٧]، والسديّ، والفراء[٨]: وجدك في قوم ضُلال، فهداهم الله لك. وقيل: وجدك طالباً للقبلة، فهداك إليها، كما في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] ويكون الضلال بمعنى الطلب. وقيل: وجدك ضائعاً في قومك فهداك إليه، ويكون الضلال بمعنى: الضياع.

وقيل: وجدك محبّاً للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى: المحبة، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٧)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٢١٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٨).
(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ١١٨)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٢).
(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ١١٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٥١).
(٥) «الفريد» (٦/ ٦٨٨).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٤).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).

عجباً لِعَزَّة في اختيارِ قطيعتي بعدَ الضَّلالِ فَحَبْلُها قد أَخْلَقَا[١]

وقيل: وجدك ضالاً في شِعاب مكة، فهداك؛ أي: ردّك إلى جدّك عبد المطلب.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾؛ أي: وجدك فقيراً لا مال لك فأغناك، يقال: عال الرجل يَعيلُ عَيْلَةً إذا افتقر، ومنه قول أُحيحة[٢] بن الجُلاح:

فما يدري الفقيرُ متى غِنَاهُ وما يَدْرِي الغنيُّ متى يَعِيْلُ

أي: يفتقر.

قال الكلبي[٣]: فأغنى: أي رضّاك بما أعطاك من الرزق، واختار هذا الفراء[٤]، قال: لأنه لم يكن غنيّاً من كثرة، ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه، وذلك حقيقة الغنى. وقال الأخفش[٥]: عائلاً [٤/٢٥١] ذا عيال، ومنه قول جرير[٦]:

اللهُ أَنْزَلَ في الكتابِ فريضةً لابنِ السبيلِ، وللفقيرِ العائلِ

وقيل: فأغنى بما فتح لك من الفتوح، وفيه نظر؛ لأن السورة مكية، وقيل: بمال خديجة بنت خويلد، وقيل: وجدك فقيراً من الحجج والبراهين، فأغناك بها.

قرأ الجمهور[٧]: «عائلاً» وقرأ محمد بن السميفع، اليماني: «عِيّلاً» بكسر الياء[٨] المشدّدة كسيّد.

[النهي عن قهر اليتيم وكسر خاطره وإذلاله]:

ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾؛ أي: لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائناً ما كان. قال مجاهد[٩]: لا تحقر اليتيم، فقد كنت يتيماً.

قال الأخفش[١٠]: لا تَسلَّط عليه بالظلم، ادفع إليه حقَّه، واذكر يُتْمك. قال

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٤).
(٢) «ديوان أحيحة بن الجلاح» (ص٧٤).
(٣) «زاد المسير» (٩/ ١٥٩)، و«الوسيط» (٤/ ٥١١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٤).
(٦) «ديوان جرير» (٢/ ٧٣٧) برواية والله.
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٤٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٧).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٢٢). وهذه القراءة شاذة.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٠) بسند صحيح.
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٤).

الفراء[١]، والزجاج[٢]: لا تقهره على ماله، فتذهب بحقه لضعفه، وكذا كانت العرب تفعل في حقّ اليتامى تأخذ أموالهم، وتظلمهم حقوقهم، وكان رسول الله ﷺ يحسن إلى اليتيم، ويبرّه، ويوصي باليتامى.

قرأ الجمهور[٣]: «فلا تقهر» بالقاف، وقرأ ابن مسعود، والنخعي، والشعبيّ، والأشهب العُقيلي: «تكهر» بالكاف[٤]. والعرب تعاقب بين القاف والكاف.

قال النحاس[٥]: إنما يقال كهره: إذا اشتدّ عليه وغلظ. وقيل: القهر: الغلبة، والكهر: الزجر.

قال أبو حيان[٦]: هي لغة يعني قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور، واليتيم منصوب بتقهر.

[إغناء السائل مع الرفق به والكرامة]:

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره، فهو نهي عن زجر السائل والإغلاظ له، ولكن يبذل له اليسير، أو يردّه بالجميل. قال الواحدي[٧]: قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره: إذا سألك فقد كنت فقيراً، فإما أن تُطعمه، وإما أن تردّه ردّاً ليناً.

قال قتادة[٨]: معناه: ردّ السائل برحمة ولين. وقيل: المراد بالسائل الذي يسأل عن الدين، فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجبه برفق ولين، كذا قال سفيان[٩]، والسائل منصوب بتنهر، والتقدير: مهما يكن من شيء، فلا تقهر اليتيم، ولا تنهر السائل.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٤).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٩٠).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٨)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٤٩٠)، و«تفسير الرازي» (٣١/ ٢٢٠).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٧٣). القراءة المتواترة بالقاف أما القراءة بالكاف فشاذة.
(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٢٠).
(٦) في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٨).
(٧) في «الوسيط» (٤/ ٥١٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٠) بسند صحيح.
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٣٥).

[التحدث بنعمة الله]:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أمره سبحانه بالتحدّث بنعم الله عليه، وإظهارها للناس، وإشهارها بينهم.

والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها، أو نوع من أنواعها.

وقال مجاهد[(١)]، والكلبي[(٢)]: المراد بالنعمة هنا: القرآن. قال الكلبي[(٣)]: وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه، فأمره أن يقرأه. قال الفراء[(٤)]: وكان يقرؤه ويحدّث به.

وقال مجاهد[(٥)] أيضاً: المراد بالنعمة: النبوّة التي أعطاه الله. واختار هذا الزجاج[(٦)] فقال: أي: بلّغ ما أُرسلتَ به، وحدّث بالنبوّة التي آتاك الله، وهي أجلّ النعم.

وقال مقاتل[(٧)]: يعني: اشكر ما ذُكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهُدى بعد الضلالة، وجبر اليتم، والإغناء بعد العيلة، فاشكر هذه النعم. والتحدّث بنعمة الله شكر، والجارّ والمجرور متعلق بحدّث، والفاء غير مانعة من تعلقه به، وهذه النواهي لرسول الله ﷺ هي نواهٍ له ولأمته؛ لأنّهم أسوته، فكل فرد من أفراد هذه الأمة منهيّ بكلّ فرد من أفراد هذه النواهي.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس[(٨)]: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ قال: أذا أقبل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[(٩)]: ﴿إِذَا

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٥١٣).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٥٨)، و«الوسيط» (٤/ ٥١٣).

(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٥٨)، و«الوسيط» (٤/ ٥١٣).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٠) من طريق أبي بشر، به.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٤٠).

(٧) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٥٨)، و«الوسيط» (٤/ ٥١٣).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٢) بسند ضعيف.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٢، ٤٨٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧١١) ـ وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٧١) بسند صحيح.

سَجَىٰ﴾ [الضّحىٰ: ٢] قال: إذا ذهب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ قال: ما تركك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ قال: ما أبغضك.

وأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل(١) عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرض عليّ ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرّني، فأنزل الله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضّحىٰ: ٤]».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، وأبو نعيم(٢) عنه أيضاً قال: «عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده، فسرّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ فأعطاه في الجنة ألف قصر من لؤلؤ، ترابُه المسك في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم».

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قال: رضاه أن يُدخل أمته كلّهم الجنة.

وأخرج ابن جرير(٤) عنه أيضاً في الآية قال: مِنْ رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وأخرج الخطيب(٥) في «التلخيص» من وجه آخر عنه أيضاً في الآية قال: لا يرضى محمد، وأحد من أمته في النار، ويدلّ على هذا ما أخرجه مسلم عن ابن عمرو: «أن النبيّ ﷺ تلا قول الله في إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية، فرفع يديه، وقال: اللّهم

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٥٧٢)، والبيهقي (٧/ ٦١).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٩): وفيه معاوية بن أبي العباس ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٠٤)، وابن جرير (٢٤/ ٤٨٨)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٩٣، ٩٤)، والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٦٥٠)، وفي «الأوسط» رقم (٣٢٠٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٦)، والبيهقي (٧/ ٦١) وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: تفرد به عصام بن رواد عن أبيه. وقد ضعف.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١٤٤٥) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٨٨) بسند حسن.

(٥) أخرجه الخطيب في «تلخيص المتشابه» عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٢).

أمتي أمتي، وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك».

وأخرجَ ابنُ المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» من طريق حرب بن شريح[١] قال: قلتُ لأبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدّث بها أهل العراق أحقّ هي؟ قال: إي والله. حدّثني محمد بن الحنفية عن عليّ أنّ رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت، ثم أقبل عليّ فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أرجى آية في كتاب الله ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] قلتُ: إنا لنقول ذلك، قال: فكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ وهي الشفاعة».

وأخرج ابنُ أبي شيبة عَنْ ابن مسعود[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾».

وأخرج العسكري في «المواعظ»، وابن مردويه، وابن النجار عن جابر بن عبد الله[٣] قال: «دخل رسول الله ﷺ على فاطمة، وهي تطحن بالرّحى، وعليها كساء من جلد الإبل، فلما نظر إليها قال: يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن عساكر عن ابن عباس[٤] أن النبيّ ﷺ قال: «سألتُ ربي مسألةً وددتُ أنّي لم أكن سألته، قلت: قد كانت قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح، ومنهم من كان يُحيي الموتى، فقال تعالى: يا محمد ألم أجدك يتيماً، فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً، فهديتك؟ ألم أجدك عائلاً، فأغنيتك؟ ألم أشرح لك

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٧٩). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٢٣٥، ٢٣٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٣). وقال الذهبيّ في«التلخيص» :موضوع.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٨٥) ـ، والطبراني رقم (١٢٢٨٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٦)، والبيهقي (٧/ ٦٢، ٦٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): «وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قلت: بلى يا ربّ».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس(١) قال: «لما نزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: يمنّ عليّ ربي وأهلٌ أن يمنّ ربي».

وأخرج ابن مردويه(٢) عنه في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ قال: وجدك بين الضالين، فاستنقذك من ضلالتهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن بن عليّ(٣) في قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: ما عملتَ من الخير.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عنه في الآية قال: إذا أصبت خيراً، فحدّث إخوانك.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، والبيهقي في الشعب، والخطيب في «المتفق»، قال السيوطي(٥): بسند ضعيف عن النعمان بن بشير(٦) قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدّث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة».

وأخرج أبو داود، والترمذي وحسنه، وأبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، والضياء عن جابر بن عبد الله(٧) عن النبيّ ﷺ قال: «من أبلى بلاءً فذكره فقد شكره، وإنْ كتمه فقد كفره».

وأخرج البخاري في الأدب، وأبو داود، والضياء عنه(٨) قال: قال

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٥).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٥).

(٥) في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٥).

(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد رقم (١٨٤٤٩، ١٨٤٥٠، ١٩٣٥٠)، والبيهقي رقم (٤٤١٩، ٩١١٩)، والخطيب (١/ ٦٣٠). وهو حديث ضعيف دون قوله: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» فهو صحيح لغيره.

(٧) أخرجه أبو داود رقم (٤٨١٤)، والضياء رقم (٨٣٦). وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه البخاري رقم (٢١٥)، وأبو داود رقم (٤٨١٣)، والترمذي رقم (٢٠٣٤)، وأبو يعلى رقم (٢١٣٧)، وابن حبان رقم (٣٤١٥)، والبيهقي (٦/ ١٨٢) وفي «الشعب» رقم (٩١٠٨، ٩١٠٩). وهو حديث صحيح.

رسول الله ﷺ: «من أعطى عطاء فوجد، فَلْيجزِ به، فإنْ لم يجد فليُثن به. فمن أثنى به فقد شكره، ومَنْ كتمه فقد كفره، ومن تحلّى بما لم يعط فإنه كلابس ثوبي زور».

وأخرج أحمد، والطبراني في الأوسط، والبيهقي عن عائشة[1] قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أولى معروفاً فليُكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره، فإن من ذكره، فقد شكره».

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٤٥٩٣)، والطبراني رقم (٢٤٦٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩١١٣، ٩١١٤). وهو حديث حسن لغيره.

سُورَةُ الشَّرح

هي ثمان آيات وهي مكية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنّحاس، وابنُ مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بمكة، وزاد بعضُهم: بعد الضحى.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن عائشة قالت: نزلت سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[نعم الله على نبيه وما أمره به]:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ [٤/ ٢٥٢] أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾.

معنى شرح الصدر: فتحه بإذهاب ما يصدّ عن الإدراك، والاستفهام[٤] إذا دخل على النفي قرّره، فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك، وإنما خصّ الصدر؛ لأنه محل أحوال النفس مِنْ العلوم، والإدراكات.

والمراد: الامتنان عليه ﷺ بفتح صدره، وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة، وقَدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوّة، وحفظ الوحي، وقد مضى القول في هذا عند تفسير قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٥٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٩).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٧).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩٩).

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ معطوف على معنى ما تقدّم، لا على لفظه؛ أي: قد شرحنا لك صدرك، ووضعنا.. إلخ، ومنه قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

ألستُم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا   وأَنْدَى العالمينَ بُطُوْنَ راحِ[1]

أي: أنتم خيرُ مَنْ ركب المطايا، وأندى إلخ.

قرأ الجمهور[2] «نشرحْ» بسكون الحاء بالجزم، وقرأ أبو جعفر المنصور العباسي بفتحها[3].

قال الزمخشري[4]: قالوا لعله بيَّن الحاء، وأشبعها في مخرجها، فظنّ السامع أنّه فتحها.

وقال ابنُ عطية[5]: إنّ الأصل ألم نشرحن بالنون الخفيفة، ثم إبدالها ألفاً، ثم حذفها تخفيفاً، كما أنشد أبو زيد:

مِنْ أي يومَيَّ من الموتِ أَفِرْ   أيومَ لم يُقْدَرَ أمْ يوم قُدِرْ[6]

بفتح الراء من لم يقدر، ومثله قوله:

اضربَ عنْكَ الهمومَ طارِقَها   ضربَك بالسيفِ قَوْنَسَ الفرسِ[7]

بفتح الباء من اضرب، وهذا مبني على جواز توكيد المجزوم بلم، وهو قليل جدّاً كقوله:

يحسبُه الجاهلُ ما لم يَعْلَمَا   شيخاً على كُرْسِيِّهِ معمَّمَا[8]

فقد تركبت هذه القراءة من ثلاثة أصول كلها ضعيفة:

الأول: توكيد المجزوم بلم، وهو ضعيف.

الثاني: إبدالها ألفاً، وهو خاص بالوقف، فإجراء الوصل مجرى الوقف ضعيف.

---

(١) «ديوان جرير» (١/ ٨٩).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٠).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٦٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٣٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٠). والفتح قراءة شاذة.
(٤) في «الكشاف» (٦/ ٣٩٦).
(٥) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢٥).
(٦) لم نقف عليه.
(٧) البيت لطرفة بن العبد.
(٨) البيت لأبي الصمعاء مساور بن هند العبسي وهو شاعر مخضرم. «شرح المفصل» (٢/ ١٦)، و«شرح المغني» (٤/ ٣٩٧).

والثالث: حذف الألف، وهو ضعيف أيضاً؛ لأنه خلاف الأصل، وخرّجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون بلم ويجزمون بلن، ومنه قول الشاعر:

في كلِّ ما همَّ أمْضَى رأيهَ قدما ... ولم يشاوِرَ في إقدامِه أحدا

بنصب الراء من يشاور، وهذه اللغة لبعض العرب ما أظنها تصح، وإن صحت، فليست من اللغات المعتبرة، فإنها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب بأسرها. وعلى كل حال، فقراءة هذا الرجل مع شدّة جوره، ومزيد ظلمه، وكثرة جَبروته، وقلّة علمه ليس بحقيقة بالاشتغال بها. والوَزْر: الذنب؛ أي: وضعنا عنك ما كنت فيه مِنْ أمر الجاهلية.

قال الحسن[١]، وقتادة، والضحاك، ومقاتل: المعنى: حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهذا كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

ثم وصف هذا الوزر فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال المفسرون: أي: أثقل ظهرك.

قال الزجاج[٢]: أثقله حتى سمع له نقيض؛ أي: صوت، وهذا مَثلٌ معناه: أنه لو كان حملاً يُحمل لسمع نقيض ظهره، وأهل[٣] اللغة يقولون: أنقض الحمل ظهر الناقة: إذا سمع له صرير، ومنه قول جميل:

وحتَّى تداعتْ بالنقيضِ حِبَالُ ... وهمَّتْ بَوَانِي زُورهِ أن تَحَطَّمَا[٤]

وقول العباس بن مرداس[٥]:

وأنقضَ ظهري ما تطوَّيْتُ منهم ... وَكُنْتُ عليهم مُشْفِقاً مُتَحَنِّنا

قال قتادة[٦]: كان للنبيّ ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها الله له، وقوم يذهبون إلى أنّ هذا تخفيف أعباء النبوّة التي تُثقل الظهر من القيام بأمرها، سهل الله ذلك عليه

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٥٦).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٤١).

(٣) «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٤٤).

(٤) البيت لحميد بن ثور وهو في «ديوانه» (ص١٩).

(٥) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٣٧).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٣)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٨٠) بسند صحيح.

حتى تيسرت له: وكذا قال أبو عبيدة[١] وغيره وقرأ ابن مسعود[٢] (وحلَلْنا عنك وقرك).

ثم ذكر سبحانه منّته عليه وكرامته فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال الحسن[٣]: وذلك أن الله لا يُذكر في موضع إلّا ذكر معه ﷺ. قال قتادة[٤]: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا مُتشهِّد، ولا صاحب صلاة إلّا ينادي، فيقول: أشهد أن لا إلٰه إلّا الله، أشهد أن محمداً رسول الله.

قال مجاهد[٥]: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ يعني: بالتأذين.

وقيل: المعنى: ذكرناك في الكتب المنزلة[٦] على الأنبياء قبله، وأمرناهم بالبشارة به، وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وعند المؤمنين في الأرض. والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتنّ الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور، فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر، وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه، وإخباره ﷺ عن الله ﷻ أن من صلّى عليه واحدة، صلى الله عليه بها عشراً، وأمر الله بطاعته كقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وغير ذلك. وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السمٰوات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق، والذكر الحسن، والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] اللّهم صلّ وسلم عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان في كل زمان، وما أحسن قول حسان[٧]:

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٣).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٢٦). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٧).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٨٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٤) بسند صحيح.

(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ١٣٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٠١).

(٧) «ديوان حسان» (ص١٣٤).

أغــرُّ عــلــيــه لــلــنــبــوَةِ خــاتــمٌ مِــنَ اللهِ مــشــهــودٌ يــلــوحُ، ويــشــهــدُ
وضــمَّ الإلٰــهُ اسْــمَ الــنــبــيِّ مع اسْــمِــهِ إذا قال فــي الــخــمْــسِ الــمــؤذِّنُ أشــهــدُ
وشَــقَّ لــه مِــنِ اسْــمِــهِ لِــيُــجِــلَّــهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمَّدُ

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾؛ أي: إنّ مع الضيقة سعة، ومع الشدّة رخاء، ومع الكرب فَرَجٌ. وفي هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر، وكل شديد يهون، وكل صعب يلين. ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريراً وتأكيداً، فقال: مكرّراً له بلفظ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾؛ أي: إن مع ذلك العسر المذكور سابقاً يسراً آخر لما تقرّر من أنه إذا أعيد[١] المعرّف يكون الثاني عين الأوّل سواء كان المراد به الجنس أو العهد، بخلاف[٢] المنكر إذا أعيد، فإنه يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالفرد الأوّل في الغالب، ولهذا قال النبيّ ﷺ في معنى هذه الآية: «لن يغلب عسر يسرين».

قال الواحدي[٣]: وهذا قول النبي ﷺ والصحابة والمفسرين على أن العسر واحد، واليسر اثنان.

قال الزجاج[٤]: ذكر العسر مع الألف واللام ثم ثنى ذكره، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. قيل، والتنكير في اليُسر للتفخيم والتعظيم، وهو في مصحف[٥] ابن مسعود غير مكرّر.

قرأ الجمهور[٦] بسكون السين في العُسْر، واليسر في الموضعين.

وقرأ يحيى بن وثاب، وأبو جعفر، وعيسى بضمها[٧] في الجميع.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾؛ أي: إذا فرغت مِنْ صلاتك، أو من التبليغ، أو من الغزو، فانصب؛ أي: فاجتهد في الدعاء، واطلب من الله حاجتك، أو فانصب في العبادة، والنصبُ: التعبُ، يقال: نصب ينصبُ نَصْباً؛ أي: تَعِب.

---

(١) «الوسيط» (٤/٥١٨)، و«النكت والعيون» (٦/٢٩٨)، و«البحر المحيط» (١٠/٥٠١).
(٢) قال العكبري في «التبيان» (٢/١٢٩٣): (العُسْر): في الموضعين واحد؛ لأنَّ الألف واللام توجب تكرير الأول. وأمَّا (يسرا) في الموضعين فاثنان؛ لأنَّ النكرة إذا أُريدَ تكررها جيء بضميرها، أو بالألف واللام، ومن هنا قيل: «لن يغلب عُسر يُسرين».
(٣) في «الوسيط» (٤/٥١٦).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣٤١).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«روح المعاني» (٢٩/١٤٢). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٦) «النشر» (٢/٢١٦)، و«زاد المسير» (٩/١٢٤)، و«الدر المصون» (٦/٥٥١).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

قال قتادة[١]، والضحاك، ومقاتل، والكلبي[٢]: إذا فرغت من الصلاة المكتوبة، فانصب إلى ربك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة يعطك، وكذا قال مجاهد[٣].

قال الشعبي[٤]: إذا فرغت من التشهد، فادعو لدنياك وآخرتك، وكذا قال الزهري[٥]. وقال الكلبي[٦] أيضاً: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب؛ أي: استغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات.

وقال الحسن[٧]، وقتادة[٨]: إذا فرغت من جهاد عدوّك، فانصب لعبادة ربك.

وقال مجاهد[٩] أيضاً: إذا فرغت من دنياك، فانصب في صلاتك.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ قال الزجاج[٥]؛ أي: اجعل رغبتك إلى الله وحده.

قال عطاء[١٠]: يريد أنّه يضّرع إليه راهباً من النار، راغباً في الجنة، والمعنى: أنه يرغب إليه سبحانه لا إلى غيره كائناً من كان، فلا يطلب حاجاته إلّا منه، ولا يعوّل في جميع أموره إلّا عليه.

قرأ الجمهور[١١] «فارْغَبْ» وقرأ زيد بن عليّ، وابن أبي عبلة: «فرغّب» بتشديد الغين[١٢]؛ أي: فرغّب الناسَ إلى الله، وشوّقهم إلى ما عنده من الخير.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[١٣] في قوله: [٤/٢٥٣] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قال: شرح الله صدره للإسلام.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٩٨) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٦/٢٩٨ ـ ٢٩٩)، و«الوسيط» (٤/٥٢٠)، و«زاد المسير» (٩/١٦٦).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٩٧) بسند صحيح.
(٤) «زاد المسير» (٩/١٦٦)، و«الوسيط» (٤/٥٢١).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣٤١). (٦) «الوسيط» (٤/٥٢١).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٩٨) بسند صحيح.
(٨) «الوسيط» (٤/٥٢١)، و«جامع البيان» (٢٤/٤٩٨).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/٤٩٩) بسند صحيح. (١٠) «الوسيط» (٤/٥٢١).
(١١) «تفسير الرازي» (٣٢/٧)، و«الدر المصون» (٦/٥٣٢).
(١٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٣٦٢). وهي قراءة شاذة.
(١٣) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٤/٣٧٣) وفي «فتح الباري» (٨/٧١٢) وقال الحافظ: إسحاق ضعيف.

وأخرج أبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري[(١)] عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل فقال: إن ربك يقول: تدري كيف رفعتَ ذكرك؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي» وإسناد ابن جرير هكذا: حدّثني يونس أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث عن درّاج عَنْ أبي الهيثم عن أبي سعيد.

وأخرجه أبو يعلى[(٢)] من طريق ابن لهيعة عن دراج.

وأخرجه ابن أبي حاتم[(٣)] من طريق يونس بن عبد الأعلى به.

وأخرج ابن عساكر[(٤)] من طريق الكلبي عَنْ أبي صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الآية قال: لا يُذكر الله إلّا ذكر معه.

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُّعب» عن أنس[(٥)] قال: كان النبي ﷺ جالساً، وحياله جُحْر، فقال: «لو دخل العُسر هذا الجُحرَ لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه. فأنزل الله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾» ولفظ الطبراني: «وتلا رسول الله ﷺ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾».

وأخرج ابن النجار[(٦)] عنه مرفوعاً نحوه.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه[(٧)] عنه أيضاً مرفوعاً نحوه. قال السيوطي[(٨)]: وسنده ضعيف.

---

(١) أخرجه أبو يعلى رقم (١٣٨٠)، وابن جرير (٢٤/ ٤٩٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٨٩)، وابن حبان رقم (٣٣٨٢) بسند ضعيف، «السلسلة الضعيفة» رقم (١٧٤٦).

(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٩).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).

(٥) أخرجه البزار رقم (٢٢٨٨ ـ كشف)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٩٠)، والطبراني رقم (١٥٢٥)، والحاكم (٢/ ٢٥٥)، والبيهقي رقم (١٠٠١٢)، وقال الألباني: ضعيف جدّاً، «السلسلة الضعيفة» رقم (١٤٠٣).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٠).

(٧) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٩٩٧٧).

(٨) في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥١).

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الصبر، وابن المنذر، والبيهقي في «الشُّعب» عن ابن مسعود(١) مرفوعاً: «لو كان العسر في جُحر لتبعه اليسر حتى يدخل فيه، فيخرجه، ولن يَغْلبَ عُسرٌ يسرين إن الله يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾» قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلّا عائذ بن شريح.

قال فيه أبو حاتم الرازي: في حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرّة عن رجل عن عبد الله بن مسعود.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي عن الحسن(٢) قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فرحاً مسروراً وهو يضحك، ويقول: «لن يَغْلبَ عُسرٌ يسرين، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾» وهذا مرسل. وروي نحوه مرفوعاً مرسلاً عن قتادة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ الآية قال: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، واسأل الله، وارغب إليه.

وأخرج ابن مردويه(٤) عنه قال: قال الله لرسوله: إذا فرغت من الصلاة وتشهدت، فانصب إلى ربِّك واسأله حاجتك.

وأخرج ابن أبي الدنيا(٥) في «الذكر» عن ابن مسعود: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ إلى الدعاء ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ في المسألة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٨٠، ٣٨١) وسعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧١٢) ـ وعبد بن حميد ـ كما في «التغليق» (٤/ ٢٧٢) وفي «فتح الباري» (٨/ ٧١٢) ـ والبيهقي رقم (١٠٠١١). وقال الحافظ: إسناد جيد

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٨٠)، وابن جرير (٢/٤٩٦)، والحاكم (٢/ ٥٢٨)، والبيهقي رقم (١٠٠١٣) وقال الألباني: ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٣٤٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٩٧) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥١).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥١).

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[١] عنه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ قال: إذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل.

۞ ۞ ۞

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥١).

سُورَةُ التِّينِ

هي ثمان آيات وهي مكية في قول الجمهور(١). وروى القرطبي(٢) عن ابن عباس أنها مدنية، ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٣) قال: أنزلت سورة التين بمكة.

وأخرج ابن مردويه(٤) عن ابن الزبير مثله.

وأخرج البخاري، ومسلم، وأهل السُّنن، وغيرهم عن البراء بن عازب(٥) قال: «كان النبيّ ﷺ في سفر فصلى العشاء، فقرأ في إحدى الركعتين بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ سورة التين، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً، ولا قراءةً منه».

وأخرج الخطيب(٦) عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ المغرب، فقرأ: بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾».

وأخرج ابن أبي شيبة في المُصنّف، وعبد بن حميد في «مسنده»، والطبراني عن عبد الله بن يزيد(٧): «أن النبيّ ﷺ قرأ في المغرب، ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾».

وأخرج ابن قانع، وابن السكن، والشيرازي في «الألقاب» عن زرعة بن

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٤٨).

(٢) في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٣).

(٥) أخرجه مالك (١/ ٧٩، ٨٠)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥٩)، والبخاري رقم (٧٦٧، ٧٦٩، ٤٩٥٢، ٧٥٤٦)، ومسلم رقم (٤٦٤)، وأبو داود رقم (١٢٢١)، والترمذي رقم (٣١٠)، والنسائي رقم (٩٩٩، ١٠٠٠)، وابن ماجه رقم (٨٣٤، ٨٣٥).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٥٨)، وعبد بن حميد رقم (٤٩٢ ـ منتخب)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ١١٨) وقال الهيثمي: فيه جابر الجعفي وثقه شعبة وسفيان، وضعفه بقية الأئمة.

خليفة(١) قال: «أتيت النبيّ ﷺ من اليمامة، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، فلما صلينا الغداة قرأ بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

قال أكثر المفسِّرين(٢): هو التين الذي يأكله الناس ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ الذي يعصرون مِنْه الزيت، وإنما أقسم بالتين؛ لأنّه فاكهة مخلّصة من شوائب التنغيص، وفيها أعظم عبرةً لدلالتها على من هيأها لذلك، وجعلها على مقدار اللقمة. قال كثير(٣) من أهل الطب: إن التين أنفعُ الفواكه للبدن، وأكثرها غذاء، وذكروا له فوائد، كما في كتب «المفردات» والمركبات، وأما الزيتون، فإنّه يُعْصَر منه الزيتُ الذي هو إدام غالب البلدان ودهنُهم، ويدخل في كثير من الأدوية.

وقال الضحاك(٤): التين: المسجدُ الحرام، والزيتون: المسجدُ الأقصى.

وقال ابن زيد(٥): التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس.

وقال قتادة(٦): التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقال عكرمة(٧)، وكعب(٨) الأحبار: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس.

وليت شعري ما الحاملُ لهؤلاء الأئمة على العدول عَنْ المعنى الحقيقي في

---

(١) أخرجه ابن قانع (١/ ٢٤١)، وابن السكن والشيرازي ـ كما في «الإصابة» (٢/ ٥٦٤).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٥٢٣)، و«زاد المسير» (٩/ ١٦٨ ـ ١٦٩).
(٣) انظر: تذكره أولي الألباب، و«الجامع للعجب العجاب» (١/ ١٠٠).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦٤).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٣) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٨٢) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٤) من طريق وكيع، به.
(٨) في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٠٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٠١).

اللّغة العربية، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل. وأعجب من هذا اختيار ابن جرير[١] للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية.

قال الفرّاء[٢]: سمعتُ رجلاً يقول: التين: جبال حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام. قلتُ: هب أنّك سمعتَ هذا الرجل، فكان ماذا؟ فليس بمثل هذا تثبت اللغة، ولا هو نقل عَنْ الشارع.

وقال محمد بن كعب[٣]: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، وقيل: إنّه على حذف مضاف؛ أي: ومنابت التين: والزيتون. قال النحاس: لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوِّز خلافه.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو: الجبلُ الذي كلّم الله عليه موسى اسمه الطور.

ومعنى ﴿سِينِينَ﴾: المبارك الحسن بلغة الحبشة قاله قتادة[٤].

وقال مجاهد[٥]: هو المبارك بالسريانية. وقال مجاهد[٦]، والكلبي: سينين كل جبل فيه شجر مُثْمر فهو سينين، وسيناء بلغة النبط. قال الأخفش[٧]: طور: جبل، وسينين: شجر، واحدته سينة.

قال أبو علي الفارسي[٨]: سينين، فعْليل، فُكرّرت اللام التي هي نون فيه، ولم ينصرف سينين، كما لم ينصرف سيناء؛ لأنه جُعل اسماً للبقعة، وإنما أقسم بهذا الجبل؛ لأنّه بالشام، وهي الأرض المقدسة، كما في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] وأعظم بركة حلت به، ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه.

قرأ الجمهور[٩]: «سِينين» بكسر السين، وقرأ ابن إسحاق، وعمرو بن ميمون،

---

(١) في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٤).
(٢) في«معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٦).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣٠١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢٥٤).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٧) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٧) بسند صحيح ولكن دون قوله بالسريانية.
(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦٦).
(٧) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٤٠).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٣)، و«زاد المسير» (٩/ ١٧٠). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور، وما عداها فقراءات شاذة.

وأبو رجاء بفتحها[١]، وهي لغة بكر وتميم. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، والحسن، وطلحة «سيناء» بالكسر[٢] والمدّ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾؛ يعني: مكة، سمّاه أميناً؛ لأنه آمن، كما قال: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧] يقال أَمِنَ الرجلُ أمانةً فهو أمين. قال الفراء[٣] وغيره: الأمين بمعنى الآمِن، ويجوز أن يكون، فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه؛ لأنه مأمون الغوائل.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: خلقنا جنس الإنسان كائناً في أحسن تقويم وتعديل.

قال الواحدي[٤]: قال المفسِّرون: إن الله خلق كل ذي روح مُكباً على وجهه إلّا الإنسان، خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، ومعنى التقويم: التعديل، يقال: قوّمته، فاستقام.

قال القرطبي[٥]: هو اعتدالُه واستواء شأنه، كذا قال عامة المفسرين[٦].

قال ابن العربي[٧]: ليس لله تعالى خَلْق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيّاً عالماً قادراً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً، وهذه صفات الرب سبحانه، وعليها حمل بعض العلماء قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»[٨] يعني: على صفاته التي تقدم ذكرها.

قلت: وينبغي أَنْ يُضم إلى كلامه هذا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ومن أراد أن يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الإنسان من بديع الخلق، وعجيب الصنع، فلينظر في كتاب: «العبر والاعتبار» للجاحظ، وفي الكتاب الذي

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٤٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٣).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٤٩).
(٣) في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٦).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٥٢٣).
(٥) في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٨).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦٨).
(٧) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠).
(٨) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١١٥/ ٢٦١٢).

عقدَه النيسابوري على قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وهو في مجلدين ضَخْمين.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي: رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم، والضعف بعد الشباب، والقوّة حتى يصير كالصبيّ، فيخرف وينقص عقله، [٤/٢٥٤] كذا قال جماعة من المفسرين. قال الواحدي[١]: والسافلون هم: الضعفاء، والزّمناء، والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً.

وقال مجاهد[٢]، وأبو العالية[٣]، والحسن[٤]: المعنى ثم رددنا الكافر إلى النار، وذلك أن النار درجات بعضها أسفل من بعض، فالكافر يُرد إلى أسفل الدرجات السافلة، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فلا مانع من كون الكفار، والمنافقين مجتمعين في ذلك الدرك الأسفل.

وقوله: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ إما حال من المفعول؛ أي: رددناه حال كونه أسفل سافلين، أو صفة لمقدر محذوف؛ أي: مكاناً أسفل سافلين.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذا الاستثناء على القول الأوّل منقطع[٥]: أي لكن الذين آمنوا إلخ، ووجهه أن الهرم والردّ إلى أرذل العمر يصاب به المؤمن، كما يصاب به الكافر، فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه الاتصال معنى.

وعلى القول الثاني يكون الاستثناء[٦] متصلاً من ضمير رددناه، فإنه في معنى الجمع؛ أي: رددنا الإنسان أسفل سافلين من النار ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣].

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع؛ أي: فلهم ثواب دائم غير منقطع

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٥٢٤).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥١٥) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٢).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥١٥) بسند صحيح.
(٥) «روح المعاني» (٢٩/ ١٥٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٧١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

على طاعاتهم؛ فهذه الجملة على القول الأوّل مبينة لكيفية حال المؤمنين، وعلى القول الثاني مقرّرة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الردّ، وقال: أسفل سافلين على الجمع؛ لأنّ الإنسان في معنى الجمع، ولو قال: أسفل سافل لجاز؛ لأن الإنسان باعتبار اللفظ واحد.

وقيل: معنى رددناه أسفل سافلين: رددناه إلى الضلال، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٢، ٣]؛ أي: إلّا هؤلاء، فلا يردّون إلى ذلك.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ الخطاب للإنسان الكافر، والاستفهام للتقريع[(١)] والتوبيخ، وإلزام الحجة؛ أي: إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردّك أسفل سافلين، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء؟ وقيل: الخطاب للنبيّ ﷺ؛ أي: أيّ شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه «الدلائل» الناطقة، فاستيقن مع ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين.

قال الفراء[(٢)]، والأخفش[(٣)]: المعنى: فَمَنْ يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين؟ كأنه قال: مَنْ يقدر على ذلك؟؛ أي: على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان ما ظهر، واختار هذا ابن جرير[(٤)]. والدين: الجزاء، ومنه قول الشاعر:

دنَّا تميماً كما كانتْ أوائِلُنا ... دانتْ أوائِلُهم من سالفِ الزمنِ[(٥)]

وقال الآخر:

ولما صرَّحَ الشرُّ ... فأمسى وهو عُرْيانَ
ولم يبقَ سوى العُدْوَا ... ن دنَّاهم كما دانُوا

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ١٥٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٠).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٧).
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٤٠).
(٤) في «تفسيره» (٢٤/ ٥٢٤).
(٥) البيت للطرماح وهو في «ديوانه» (ص١٧٢).

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي: أليس الذي فعل ما فعل ممّا ذكرنا بأحكم الحاكمين صُنعاً وتدبيراً؟ حتى تتوهم عدم الإعادة والجزاء، وفيه وعيد شديد للكفار، ومعنى: أحكم الحاكمين: أتقن الحاكمين في كلِّ ما يخلق.

وقيل: أحكم الحاكمين قضاءً وعدلاً. والاستفهام إذا دخل على النفي صار الكلام إيجاباً، كما تقدّم تفسير قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وقد أخرج الخطيب، وابنُ عساكر قال السيوطي[١]: بسند فيه مجهول عن الزهري عن أنس[٢] قال: لما أُنزلتْ سورة التين والزيتون على رسول الله ﷺ فرح فرحاً شديداً حتى تبين لنا شدّة فرحه، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال: التين: بلاد الشام، والزيتون: بلاد فلسطين، وطور سيناء: الذي كلم الله عليه موسى وهذا البلد الأمين: مكة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ محمداً ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ عبدة اللات والعزّى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ إذ بعثك فيهم نبيّاً، وجمعك على التقوى يا محمد، ومثل هذا التفسير مِنْ ابن عباس لا تقوم به حجة لما تقدّم مِنْ كون في إسناده ذلك المجهول.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال: مسجد نوح الذي بُني على الجوديّ، والزيتون قال: بيت المقدس: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال: مسجد الطور ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ قال: مكة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يقول: يردّ إلى أرذل العمر كبر حتى ذهب عقله، هم نفرٌ كانوا على عهد رسول الله ﷺ، فسئل رسول الله ﷺ حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أنّ لهم أجرَهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ يقول: بحكم الله.

---

(١) في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٥).

(٢) أخرجه الخطيب (٢/ ٩٧)، وابن عساكر (١/ ٢١٤). وقال الخطيب: هذا الحديث بهذا الإسناد باطل لا أصل له يصح فيما نعلم والرجال المذكورون في إسناده كلهم أئمة مشهورون غير محمد بن بيان، ونرى العلة من جهته.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٣، ٥٢٥) بسند ضعيف.

وأخرج ابن مردويه[١] عنه نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عنه[٢] أيضاً ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ قال: الفاكهة التي يأكلها الناس ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ قال: الطور: الجبل، والسينين: المبارك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] أيضاً قال: سينين: هو الحسن.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٤] أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أعدل خلق: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يقول: إلى أرذل العمر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ يعني: غير منقوص، يقول فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر، وكان يعمل في شبابه عملاً صالحاً كُتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضرّه ما عمل في كبره، ولم تكتب عليه الخطايا التي يعمل بعد ما يبلغ أرذل العُمر.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب عن ابن عباس[٥] قال: مَنْ قرأ القرآن لم يُردّ إلى أرذل العمر، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يقول: إلى الكبر وضعفه، فإذا كبر وضعف عَنْ العمل كتب له مثل أجر ما كان يعمل في شبيبته.

وأخرج أحمد، والبخاري، وغيرهما عن أبي موسى[٧] قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مرض العبدُ، أو سافر كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٦).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧١٣)، والحاكم (٢/ ٥٢٨).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٦).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥١٠، ٥١١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢١)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧١٣) وقال الحافظ: إسناده حسن.
(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٨، ٥٢٩)، والبيهقي رقم (٢٧٠٦). وهو حديث صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٨).
(٧) أخرجه أحمد رقم (١٩٦٧٩، ١٩٧٥٣)، والبخاري رقم (٢٩٩٦)، وابن حبان رقم (٢٩٢٩).

وأخرج الترمذي، وابن مردويه عن أبي هريرة(١) مرفوعاً «من قرأ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فقرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

وأخرج ابن مردويه(٢) عن جابر مرفوعاً «إذا قرأت ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فقرأت: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فقل: بلى».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس(٣) أنه كان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: سبحانك اللَّهم فبلى. اهـ.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٤٧). وهو حديث ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٩).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٢٦).

سُورَةُ العَلَقِ

«اقرأ»

ويُقال: سورة العلق وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون آية وهي مكية[(١)] بلا خلاف، وهي أوّل ما نزل من القرآن.

وأخرج ابن مردويه من طرق عن ابن عباس[(٢)] قال: أوّل ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن الضُّريس، وابن الأنباري، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي موسى[(٣)] الأشعري قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أوّل سورة أنزلت على محمد.

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي وصحّحه عن عائشة[(٤)] قالت: إن أوّل ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ويدل على أن هذه السورة أول ما نزل الحديث الطويل الثابت في البخاري، ومسلم وغيرهما من حديث عائشة، وفيه: «فجاءه الحقُّ وهو في غار حراء، فقال له: اقرأ» الحديث.

وفي الباب أحاديث، وآثار عن جماعة من الصحابة.

وقد ذهب الجمهور[(٥)] إلى أن هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ١٦٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٧٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٢)، (١٤/ ٨٨)، وابن الضريس رقم (٢٤)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٩) ـ والحاكم (٢/ ٢٢٠)، وأبو نعيم (١/ ٢٥٦، ٢٥٧) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٣٠)، والحاكم (٢/ ٢٢٠)، والبيهقي (٢/ ١٥٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٧٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٤٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الحكمة في خلق الإنسان وتعليمه القراءة والكتابة]:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾.

[صور أخرى من الطغيان وتهديد الطغاة ووعيدهم]:

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب۩ ١٩﴾.

قرأ الجمهور(١): «اقرأْ» بسكون الهمزة أمراً من القراءة. وقرأ عاصم في رواية عنه بفتح الراء(٢)، وكأنه قلب الهمزة ألفاً ثم حذفها للأمر، والأمر بالقراءة يقتضي مقروءاً، فالتقدير: اقرأ ما يُوحى إليك، أو ما نزل عليك، أو ما أمرت بقراءته.

وقوله: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف هو حال؛ أي: اقرأ ملتبساً باسم ربك، أو مبتدئاً باسم ربك، أو مفتتحاً، ويجوز أن تكون الباء زائدة، والتقدير: اقرأ اسم ربك كقول الشاعر:

سودُ المحاجرِ لا يقرأْنَ بالسورِ(٣)

قاله أبو عبيدة(٣). وقال أيضاً: [٤/٢٥٥] الاسم صلة؛ أي: اذكر ربك. وقيل:

---

(١) «النشر» (١/ ٣٩٠)، و«زاد المسير» (٩/ ١٧٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٨٤).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٠٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٥). هي رواية شاذة عن عاصم، وقد قرأ أبو جعفر (إقرا) بإبدال الهمزة ألفاً مدية، وكذا يقف عليها حمزة، وهي قراءة متواترة «النشر» (١/ ٣٩٠).

(٣) البيت للراعي النميري. وهو في «ديوانه» (ص١٢٢).
وصدر البيت:

هن الحرائر لا ربَّاتُ أُحمِرة

الباء بمعنى على؛ أي: اقرأ على اسم ربِّك، يقال افعل كذا بسم الله، وعلى اسم الله قاله الأخفش[١]. وقيل: الباء للاستعانة؛ أي: مستعيناً باسم ربك، ووصف الربّ بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لتذكير النِّعمة لأن الخلق هو أعظم النعم، وعليه يترتب سائر النعم.

قال الكلبي[٢]: يعني الخلائق.

[تبدأ صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء]:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾؛ يعني: بني آدم، والعلَقةُ: الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح. وقال[٢]: (مِنْ عَلَق) بجمع علق؛ لأنّ المراد بالإنسان الجنس، والمعنى: خلق جنس الإنسان مِنْ جنس العلق، وإذا كان المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ كل المخلوقات، فيكون تخصيص[٣] الإنسان بالذكر تشريفاً له لما فيه من بديع الخلق، وعجيب الصنع، وإذا كان المرادُ بالذي خلق: الذي خلق الإنسان فيكون الثاني تفسيراً للأول. والنكتة ما في الإبهام، ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه إلى معرفة ما أُبهم أوّلاً، ثُم فسّرَ ثانياً.

ثم كرر الأمر بالقراءة للتأكيد والتقرير، فقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾؛ أي: افعل ما أُمرتَ به من القراءة، وجملة: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ مستأنفة لإزاحة ما اعتذر به ﷺ من قوله: «ما أنا بقارئ» يريد أن القراءة شأن مَنْ يكتب ويقرأ وهو أميّ، فقيل له: اقرأ، وربُّك الذي أمرك بالقراءة هو الأكرم.

قال الكلبي[٤]: يعني الحليم عن جهل العباد، فلم يعجّل بعقوبتهم، وقيل: إنه أمره بالقراءة أوّلاً لنفسه، ثم أمره بالقراءة ثانياً للتبليغ، فلا يكون من باب التأكيد، والأوّل أولى.

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

(٢) «الوسيط» (٤/٥٢٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٧٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٧٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٢)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٦٨).

(٤) «الوسيط» للواحدي (٤/٥٢٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٧٧).

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾؛ أي: علم الإنسان الخطَ بالقلم، فكان بواسطة ذلك يقدر على أن يعلم كلَّ مكتوب. قال الزجاج[١]: علّم الإنسان الكتابةَ بالقلم. قال قتادة[٢]: القلم نعمة من الله ﷻ عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش.

فدلّ[٣] على كمال كرمه بأنّه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه مِنْ المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلّا هو، وما دوّنت العلوم، ولا قيدت الحِكم، ولا ضبطت أخبار الأوّلين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلّا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين، ولا أمور الدنيا، وسمي قلماً لأنه يقلم؛ أي: يقطع.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هذه الجملة بدل اشتمال من التي قبلها؛ أي: علّمه بالقلم مِنْ الأمور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها.

قيل: المراد بالإنسان هنا آدم[٤] كما في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وقيل: الإنسان هنا[٥]: رسول الله ﷺ.

والأولى حمل الإنسان على العموم، والمعنى: أَنَّ من علّمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم فقد علّمه ما لم يعلم.

وقوله: ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر لمن كفر نعم الله عليه بسبب طغيانه وإن لم يتقدم له ذكر، ومعنى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ أنه يجاوز الحد، ويستكبر على ربه.

[نزلت ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾ وما بعدها في أبي جهل]:

وقيل: المراد بالإنسان هنا: أبو جهل[٦]، وهو المراد بهذا، وما بعده إلى آخر السورة، وأنه تأخر نزول هذا وما بعده عَنْ الخمس[٧] الآيات المذكورة في أوّل هذه

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٤٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٢٧) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٨١)، و«الوسيط» (٤/ ٥٢٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٧٩).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤) بسند صحيح عن مجاهد.
وأخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٣٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٨٤) عن قتادة بسند صحيح.
(٧) «تفسير الرازي» (٣٢/ ١٨).

السورة. وقيل: ﴿كَلَّآ﴾ هنا بمعنى حقاً قاله الجرجاني، وعلل ذلك بأنه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردّاً له.

وقوله: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ علة ليطغى: أي ليطغى أنْ رأى نفسه مستغنياً، والرؤية هنا بمعنى العلم، ولو كانت البصرية لامتنع الجمع بين الضميرين في فعلها لشيء واحد لأن ذلك من خواص باب عَلِمَ، ونحوه.

قال الفرّاء[١]: لم يقل رأى نفسَه كما قيل: قتل نفسه لأن رأى من الأفعال التي تريد اسماً وخبراً نحو الظنّ والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد، والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول: رأيتُني وحسبتُني، ومتى تراك خارجاً، ومتى تظنُك خارجاً، قيل: والمراد هنا أنه استغنى بالعشيرة والأنصار والأموال.

قرأ الجمهور[٢]: «أَنْ رآه» بمد الهمزة. وقرأ قُنْبل عن ابن كثير بقصرها.

قال مقاتل[٣]: كان أبو جهل إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه، ومركبه، وطعامه، وشرابه، فذلك طغيانه، وكذا قال الكلبي[٤].

ثم هدد سبحانه وخوّف، فقال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾؛ أي: المرجع، والرجعى والمرجع والرجوع مصادر، يقال: رجع إليه مرجعاً ورجُوعاً ورُجْعى، وتقدّم الجار[٥] والمجرور للقصر؛ أي: الرجعى إليه سبحانه لا إلى غيره.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾.

قال المفسرون[٦]: الذي ينهي: أبو جهل، والمراد بالعبد محمد ﷺ، وفيه تقبيح لصُنْعه، وتشنيع لفعله حتى كأنَّه بحيث يراه كل من تتأتى منه الرؤية.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني العبد المنهيّ إذا صلّى، وهو محمد ﷺ ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾؛ أي: بالإخلاص والتوحيد، والعمل الصالح الذي تتقي به النار.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) «النشر» (١/ ٤٠١، ٤٠٢)، و«التيسير» (ص٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣). والوجه الثاني لقنبل كقراءة العشرة، وهما قراءتان متواترتان.

(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٧٩).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤٧٩).

(٥) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٧٥).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٨٣)، و«الوسيط» (٤/ ٥٧٩).

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني أبا جهل، كذّب بما جاء به رسول الله ﷺ، وتولى عن الإيمان.

وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ في الثلاثة المواضع بمعنى أَخبرني لأنّ الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرئي أُجرى الاستفهام[١] عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها، والخطاب لكل مَنْ يصلح له.

وقد ذكر هنا أرأيت؟ ثلاث مرات، وصرح بعد الثالث[٢] منها بجملة استفهامية، فتكون في موضع المفعول الثاني لها، ومفعولها الأوّل محذوف، وهو ضمير يعود على الذي ينهى الواقع مفعولاً[٣] أوّلَ لأرأيت الأولى، ومفعول أرأيت الأولى الثاني محذوف، وهو جملة استفهامية كالجُمْلة الواقعة بعد أرأيت الثانية، وأما أرأيت الثانية فلم يذكر لها مفعول لا أوّل، ولا ثاني، حذف الأوّل لدلالة مفعول أرأيت الثالثة عليه فقد حذف الثاني مِنْ الأولى، والأول من الثالثة، والاثنان من الثانية، وليس طلب كل من رأيت للجُمْلة الاستفهامية على سبيل التنازع؛ لأنه يستدعي إضماراً، والجمل لا تُضْمَر، إنما تضمر المفردات، وإنما ذلك من باب الحذف للدلالة.

وأما جواب الشرط[٤] المذكور مع أرأيت في الموضعين الآخرين. فهو محذوف تقديره: إنْ كان على الهدى، أو أمر بالتقوى.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني.

ومعنى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾؛ أي: يطلّع[٥] على أحواله، فيجازيه بها، فكيف

---

(١) «الفريد» (٤/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١٠).

(٣) «الفريد» (٤/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١٠).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٧٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١٠).

(٥) فسر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرؤية بالعلم وهذا فيه نظر؛ لأنَّ العلم من لوازم الرؤية لكن الرؤية غير العلم.
قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه». =

اجترأ على ما اجترأ عليه؟ والاستفهام للتقريع[١] والتوبيخ، وقيل: أرأيت الأولى مفعولها الأوّل الموصول، ومفعولها الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالمذكور، وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد، وقيل كل واحدة من أرأيت؟ بدل من الأولى، و: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ الخبر.

قوله: ﴿كَلَّآ﴾ رَدْع للناهي[٢]، واللام في قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ هي الموطئة للقسم؛ أي: واللهِ لئنْ لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ السّفْعُ: الجَذْب[٣] الشديد، والمعنى: لنأخذنّ بناصيته، ولنجرّنه إلى النار وهذا كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمٰن: ٤١] ويقال سفعت الشيء: إذا قبضته وجذبته، ويقال: سَفَع بناصية فرسه.

قال الراغب[٤]: السّفْعُ: الأخذ بسفعة الفرس؛ أي: بسواد ناصيته، وباعتبار السواد قيل: به سفعة[٥] غضب اعتباراً بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتدّ به الغضبُ، وقيل للصقر: أسفع لما فيه من لمع السواد، وامرأة سفعاء اللون. انتهى، وقيل: هو مأخوذ من سفع النار والشمس: إذا غيرت وجهه إلى سواد. ومنه قول الشاعر:

أثـافـيَّ سَـفْـعـاً فـي مـعـرَّسٍ مِـرْجَـل[٦]

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من الناصية[٧]، وإنما أُبدل النكرة من المعرفة لوصفها

= ففي الآية إثبات صريح لصفة الرؤية عنه تعالى بلا كيف.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٨٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٧٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٦٣).

(٢) «الفريد» (٤/ ٧٠٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٥) عن المبرد.

(٤) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤١٣).

(٥) «الصحاح» (٣/ ١٢٣١)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ١٠٨).

(٦) وعجز البيت:

ونُـؤي كـجِـذْمِ الـحـوض أثـلَـمَ خـاشِـع

والبيت لزهير بن أبي سلمى برواية:

وتـؤيًّـا كـحـوض الـحُـدِّ لـم يـتـثـلـم

«ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٧).

(٧) «روح المعاني» (٢٩/ ١٨٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٥)، و«الفريد» (٤/ ٧٠٠).

بقوله: ﴿كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وهذا على مذهب الكوفيين فإنّهم لا يجيزون إبدال النكرة من المعرفة إلَّا بشرطٍ وصفها. وأما على مذهب البصريين[(١)]، فيجوز إبدال النكرة من المعرفة، وأنشدوا:

فلا وأبيكَ خيرٌ منك إني ليؤذيني التَّحَمْحُم والصهيلُ

قرأ الجمهور[(٢)] بجرّ «ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ» والوجه ما ذكرنا. وقرأ الكسائي[(٣)] في رواية عنه برفعها على إضمار مبتدأ؛ أي: هي ناصيةٌ، وقرأ أبو حيوة، وابن أبي عبلة، وزيد بن عليّ بنصبها[(٤)] على الذمّ. [٤/٢٥٦].

قال مقاتل[(٥)]: أخبر عنه بأنه فاجر خاطئ، فقال: ناصيةٌ كاذبة خاطئة، تأويلها: صاحبها كاذب خاطئ.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾؛ أي: أهل ناديه، والنادي: المجلسُ الذي يجلس فيه القوم، ويجتمعون فيه من الأهل والعشيرة؛ والمعنى: ليدع عشيرته وأهله ليعينوه وينصروه، ومنه قول الشاعر:

واستبَّ بعدَك يا كليبُ المجلِسُ[(٦)]

أي: أهله. قيل: إن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: أتهدّدني وأنا أكثر الوادي نادياً؟ فنزلت: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾؛ أي: الملائكة الغلاظ الشداد، كذا قال الزجاج[(٧)]. قال الكسائي[(٨)]، والأخفش[(٩)] وعيسى بن عمر: واحدهم زابن.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥١١)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٨٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٧).
القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور بجر الألفاظ الثلاثة أما الرفع فرواية شاذة عن الكسائي، والنصب قراءة شاذة.ا.هـ

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٨٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١١).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «الوسيط» (٤/ ٥٣٠).

(٦) البيت للمهلهل بن ربيعة. وصدره:
نُبِّئتُ أن النار بعدك أُوْقِدتْ

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» للفراء (٥/ ٣٤٥).

(٨) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٥/ ٣٤٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٥).

(٩) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٤١).

وقال أبو عبيدة[١]: زِبْنِيَة، وقيل: زَبَاني، وقيل: هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبابيل. وقال قتادة: هم الشُّرَط في كلام العرب، وأصل الزبن: الدّفع، ومنه قول الشاعر:

ومستعجِبٍ مما يَرَى مِنْ أناتِنا ... ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتدّ بطشه، ومنه قول الشاعر:

مطاعيمُ في القُصْوى مطاعينُ في الوغَى ... زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حلُومُها[٢]

قرأ الجمهور[٣]: «سندعُ» بالنون، ولم ترسم الواو، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وقرأ ابن أبي عبلة[٤]: «سيُدعى» على البناء للمفعول، ورفع الزبانية على النيابة.

[التوجيه الرباني الأخير لا تطعه واسجد واقترب]:

ثم كرّر الردع والزجر فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾؛ أي: لا تطعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة: ﴿وَاسْجُدْ﴾؛ أي: صلّ لله غير مكترث به، ولا مبال بنهيه: ﴿وَاقْتَرِب﴾؛ أي: تقرّب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة. وقيل المعنى: إذا سجدت اقترب من الله بالدعاء.

وقال زيد بن أسلم[٥]: واسجد أنتَ يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار، والأوّل أولى.

والسجود هذا الظاهر[٦] أنّ المراد به: الصلاة، وقيل: سجود التلاوة، ويدلّ على هذا ما ثبت عنه ﷺ من السجود عند تلاوة هذه الآية، كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

(٢) البيت لابن الزِّبَعْري. وفيه:

«المَقْرَى» بدل «القصوى»

«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٢).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٥١١). وهي قراءة شاذة.

(٤) «روح المعاني» (١٠/ ٥١١).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٨٨).

(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٤٨).

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وأبو نعيم في «الدلائل» عن عبد الله بن شداد[١] قال: «أتى جبريل محمداً ﷺ فقال: يا مُحمد اقرأ. فقال: وما أقرأ؟ فضمه ثم قال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾».

وفي الصحيحين[٢]: وغيرهما مِنْ حديث عائشة «فجاءه الملَك، فقال: اقرأ، فقال: قلتُ ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾» الآية.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عَنْ ابن عباس[٣] قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمّداً يُصلّي عند الكعبة لأطأنّ عنقه، فبلغ النبيّ ﷺ فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي[٤] عنه قال: «كان النبيّ ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عَنْ هذا؟ إنّك لتعلم أن ما بها رجل أكثر نادياً مني، فأنزل الله ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ فجاء النبيّ ﷺ يصلي، فقيل: ما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٢)، وابن جرير (٢٤/ ٥٢٩، ٥٣٠) من طريق أبي إسحاق سليمان الشيباني، به.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» رقم (٩٧١٩)، وأحمد رقم (٢٥٢٠٢، ٢٥٨٥٩، ٢٥٩٥٩)، والبخاري رقم (٤٩٥٣، ٤٦٥٤)، ومسلم رقم (١٦/ ٢٥٢)، وابن جرير (٢٤/ ٥٢٩)، والبيهقي (٩/ ٥، ٦)، وفي «الدلائل» (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٨٤)، والبخاري رقم (٤٩٥٨)، وابن جرير (٢٤/ ٥٣٩)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٤) ـ، وأبو نعيم رقم (١٥٦)، والبيهقي (٢/ ١٩١، ١٩٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٨)، وأحمد رقم (٢٣٢١، ٣٠٤٤)، والترمذي رقم (٣٣٤٩)، وابن جرير (٢٤/ ٥٣٧)، والطبراني رقم (١١٩٥٠)، والبيهقي (٢/ ١٩٢) بسند صحيح.

يمنعك؟ فقال: قد اسودّ ما بيني وبينه». قال ابن عباس: والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه.

وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن أبي هريرة[١] قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: واللّات والعُزّى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأنّ على رقبته، ولأعفّرن وجهَه في التراب فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلّا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده، فقيل له: ما لك؟ فقال: إنّ بيني وبينه خندقاً مِنْ نار وهولاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ:«لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» قال: وأنزل الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ إلى آخر السورة: يعني أبا جهل ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ يعني قومه ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ يعني الملائكة.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ قال: أبو جهل بن هشام حين رمى رسول الله ﷺ بالسِّلى على ظهره وهو ساجد لله ﷻ.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه في قوله: ﴿لَنَسْفَعًۢا﴾ قال: لنأخذن.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه أيضاً ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ قال: ناصره.

وقد قدّمنا أن النبيّ ﷺ كان يسجد في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الإنشقاق: ١] وفي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٨٨٣١)، ومسلم رقم (٣٨/ ٢٧٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٨٣)، وابن جرير (٢٤/ ٥٣٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (٦٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٨٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٣٩) بسند ضعيف.

سُورَةُ القَدْرِ

هي خمس آيات وهي مكية عند أكثر المفسرين[١].

كذا قال الماوردي[٢]. وقال الثعلبي[٣]: هي: مدنية في قول أكثر المفسرين، وذكر الواقدي أنها أوّل سورة نزلت بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة أنها نزلت بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[بدء نزول القرآن وفضائل ليلة القدر]:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

الضمير في أنزلناه للقرآن، وإنْ لم يتقدّم[٥] له ذكر، أُنزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ، وكان ينزل على النبيّ ﷺ نجوماً على حسب الحاجة، وكان بين نزول أوّله وآخره على رسول الله ﷺ ثلاث وعشرون سنة، وفي آية أخرى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهي: ليلة القدر؛ وفي آية أخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وليلة القدر في شهر رمضان.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٩١).

(٢) في «النكت والعيون» (٦/ ٣١١).

(٣) في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٧).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ١٩٣).

قال مجاهد[١]: في ليلة القدر ليلة الحكم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ ليلة الحكم، قيل[٢] سُميت ليلة القدر لأن الله سبحانه يقدّر فيها ما شاء مِنْ أمره إلى السنة القابلة. وقيل: إنها سميت بذلك لعظيم قدرها وشرفها، من قولهم: لفلان قَدْر؛ أي: شرف ومنزلة، كذا قال الزهري[٣]. وقيل: سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً، وثواباً جزيلاً.

وقال الخليل[٤]: سُمّيت ليلة القدر؛ لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة، كقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضيق.

وقد اختلف في تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولاً، قد ذكرناها بأدلتها، وبيَّنا الراجح منها في شرحنا[٥] للمنتقى.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هذا الاستفهام[٦] فيه تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخَلْق لا يدر بها إلّا الله سبحانه.

قال سفيان[٧]: كلّ ما في القرآن من قوله: وما أدراك، فقد أدراه، وكلّ ما فيه وما يدريك، فلم يدره، وكذا قال الفراء[٨]. والمعنى: أيّ شيء تجعله دارياً بها؟ وقد قدّمنا الكلام في إعراب هذه الجملة في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣].

[آثار هذا الحدث في حياة البشرية جميعاً]:

ثم قال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال كثير من المفسرين[٩]؛ أي: العمل فيها خير مِنْ العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، واختار هذا الفراء[١٠]، والزجاج[١١]، ولك أن الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع، فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة كانت خيراً من ألف شهر

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٤٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٨٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٦٦٠) بسند صحيح.

(٢) «زاد المسير» (٩/ ١٨٢).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣١٢)، و«زاد المسير» (٩/ ١٨٢).

(٤) «زاد المسير» (٩/ ١٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٢).

(٥) في «نيل الأوطار» (٨/ ٤٨٤).

(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ١٩٣).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٢).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٠).

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٣).

(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٠).

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٤٧).

لا يكون فيها من الخير والبركة ما في هذه الليلة. وقيل: أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر؛ لأن العرب تذكر الألف في كثير من الأشياء على طريق المبالغة.

وقيل: وجه ذكر الألف شهر أَنّ العابد[١] كان فيما مضى لا يسمى عابداً حتى يعبد الله ألف شهر، وذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فجعل الله سبحانه لأمة محمد عبادة ليلة خيراً مِنْ عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها. وقيل: إنّ النبيّ ﷺ رأى أعمار أمته قصيرة، فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم، وقيل: غير ذلك مما لا طائل تحته.

وجملة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ مستأنفة مبينة لوجه فضلها موضحة للعلة التي صارت بها خيراً من ألف شهر، وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يتعلق بتنزل، [٤/٢٥٧] أو بمحذوف، هو حال؛ أي: ملتبسين بإذن ربهم، والإذن: الأمر، ومعنى تنزل: تهبط من السماوات إلى الأرض.

والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين[٢]؛ أي: تنزل الملائكة ومعهم جبريل، ووجه ذكره بعد دخوله في الملائكة التعظيم له والتشريف لشأنه.

وقيل: الرّوح: صنف مِنْ الملائكة هم أشرافهم، وقيل: هم جند من جنود الله من غير الملائكة، وقيل: الروح: الرحمة.

وقد تقدّم الخلاف في الروح عند قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] قرأ الجمهور[٣]: «تَنزل» بفتح التاء، وقرأ طلحة بن مصرف، وابن السميفع بضمها[٤] على البناء للمفعول.

وقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ أي: مِنْ أجل كلّ أمر من الأمور التي قضى الله بها في تلك السنة، وقيل: إن مِنْ بمعنى اللام؛ أي: لكلّ أمر، وقيل: هي بمعنى الباء؛ أي: بكلّ أمر.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٤)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٠٥).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٥٣٧)، و«زاد المسير» (٩/ ١٩٣).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٣٢، ٤٠٢)، و«التيسير» (ص٨٤)، و«المبسوط» (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة على البناء للمفعول شاذة. والقراء على تخفيف التاء في البدء والوصل وللبزيِّ وجه في تشديد التاء في الوصل وتخفيفها في البدء. «النشر» (٢/ ٢٣٢).

قرأ الجمهور(١): «أمرٍ» وهو واحد الأمور، وقرأ عليّ، وابن عباس، وعكرمة، والكلبي «امرئ»(٢) مذكر امرأة؛ أي: مِنْ أجل كلّ إنسان، وتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل مع الملائكة، فيسلمون على كلّ إنسان، فمن على هذا بمعنى على، والأوّل أولى.

وقد تمّ الكلام عند قوله من كلّ أمر، ثم ابتدأ فقال: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ أي: ما هي إلّا سلامة وخير كلها لا شرّ فيها، وقيل: هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة. قال مجاهد(٣): هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أذى.

وقال الشعبي(٤): هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر يمرّون على كلّ مؤمن ويقولون السلام عليك أيها المؤمن، وقيل: يعني سلام الملائكة بعضهم على بعض.

قال عطاء(٥): يريد سلام على أولياء الله، وأهل طاعته. ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أي: حتى وقت طلوعه.

قرأ الجمهور(٦): «مَطْلَعِ» بفتح اللام. وقرأ الكسائي(٧)، وابن محيصن بكسرها، فقيل: هما لغتان في المصدر، والفتح أكثر نحو: المخرج والمقتل.

وقيل(٨): بالفتح اسم مكان، وبالكسر المصدر، وقيل: العكس، و«حتى» متعلقة بيتنزل على أنها غاية لحكم التنزل؛ أي: لمكثهم في محل تنزلهم بأن لا ينقطع

---

(١) «زاد المسير» (٩/ ١٩٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٤٩).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٨)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٨٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٤٩١)، و«الوسيط» (٤/ ٥٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٩٧).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «الوسيط» (٤/ ٥٣٧).

(٦) «النشر» (٢/ ٤٠٣)، و«التيسير» (ص٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٥٧).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٥١٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٢٠).

تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر، وقيل: متعلقة بسلام بناءً على أن الفصل بين المصدر، ومعموله بالمبتدأ مغتفر.

وقد أخرج ابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر حتى وضع في بيت العزّة في السماء الدنيا، ثم جَعَل جبريل ينزل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم.

وأخرج عبد بن حميد عن أنس[٢] قال: العمل في ليلة القدر، والصدقة، والصلاة، والزكاة أفضل من ألف شهر.

وأخرج الترمذي وضعفه، وابن جرير، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب[٣] أن النبيّ ﷺ أري بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يا محمد يعني نهراً في الجنة، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بنو أمية. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً، ولا تنقص يوماً، والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور في إسناده. قال الترمذي: إنّ يوسف هذا مجهول، يعني يوسف بن سعد الذي رواه عن الحسن بن عليّ.

قال ابن كثير[٤]: فيه نظر، فإنّه قد روى عنه جماعة، منهم: حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد. وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور. وفي رواية عن ابن معين قال: هو ثقة، ورواه ابن جرير[٥] من طريق القاسم بن الفضل عن

---

(١) أخرجه ابن الضريس رقم (١١٦، ١١٧، ١٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٤٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٣١٠، ٣١١ رقم ١٦٥٠)، والحاكم (٢/ ٢٢٢)، والبيهقي (٧/ ١٣١، ١٣٢) من طريق عكرمة، به.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٥٠)، وابن جرير (٢٤/ ٥٤٦، ٥٤٧) عن عيسى بن مازن، والطبراني رقم (٢٧٥٤)، والحاكم (٣/ ١٧٠، ١٧١)، والبيهقي (٦/ ٥٠٩، ٥١٠) بسند ضعيف مضطرب، ومتنه منكر.

(٤) في «تفسيره» (١٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٥) في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٧).

عيسى بن مازن. قال ابن كثير[(١)]، ثمّ هذا الحديث على كلّ تقدير مُنكر جدّاً.

قال المزي: هو حديث منكر، وقول القاسم بن الفضل: إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد، ولا تنقص ليس بصحيح، فإن جملة مدّتهم من عند أن استقلّ بالملك معاوية، وهي سنة أربعين إلى أن سلبهم الملك بنو العباس، وهي سنة اثنين وثلاثين ومائة مجموعها اثنتان وتسعون سنة.

وأخرج الخطيب في «تاريخه» عن ابن عباس[(٢)] نحو ما روي عن الحسن بن عليّ.

وأخرج الخطيب[(٣)] عن سعيد بن المسيب مرفوعاً مرسلاً نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ قال: في تلك الليلة تصفّد مردة الشياطين، وتغلّ عفاريت الجنّ، وتفتح فيها أبواب السماء كلها، ويقبل الله فيها التوبة لكلّ تائب، فلذا قال: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قال: وذلك مِنْ غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

والأحاديث في فضل ليلة القدر كثيرة، وليس هذا موضع بسطها، وكذلك الأحاديث في تعيينها، والاختلاف في ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) في «تفسيره» (١٤/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨/ ٢٨١).

(٤) أخرجه محمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٥٠). وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧٠) إلى محمد بن نصر وابن مردويه.

سورة البينة

سورة «لم يكن»

هي ثمان آيات وهي مدنية في قول الجمهور[(١)]، وقيل: مكية.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن عائشة قالت: نزلت سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ بمكة.

وأخرج أبو نعيم[(٤)] في المعرفة عن إسماعيل بن أبي حكيم المزني، حدّثني فضل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يستمع قراءة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فيقول: أبشر عبدي، وعزتي، وجلالي لأمكننّ لك في الجنة حتى ترضى» قال ابن كثير[(٥)]: حديث غريب جدّاً. وأخرجه أبو موسى[(٦)] المديني عن مطر المزني، أو المدني بنحوه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[(٧)] قال: قال رسول الله ﷺ لأبيّ بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: وسمّاني لك؟ قال: نعم، فبكى».

وأخرج أحمد، وابن قانع في «معجم الصحابة» والطبراني، وابن مردويه عن

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٢٦)، و«الإتقان» (١/ ٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٠٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣١٥).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «المعرفة» (١/ ٣١٥ رقم ١٠٨١).

(٥) في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٣).

(٦) أخرجه أبو موسى ـ كما في «أسد الغابة» (٥/ ٣٢٥) وفي «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٢٣) وقال: حديث غريب جداً.

(٧) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٤٠)، وأحمد رقم (١٢٣٢٠، ١٢٤٠٣، ١٢٩١٩، ١٣٢٨٦)، والبخاري رقم (٣٨٠٩، ٤٩٥٩ ـ ٤٩٦١)، ومسلم رقم (٧٩٩).

أبي حَبَّة[١] البدري قال: «لما نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى آخرها قال جبريل: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تُقْرِئُها أُبيّاً، فقال النبيّ ﷺ لأبيّ: إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة، فقال أبيّ: وقد ذكرتُ ثَمَّ يا رسول الله؟ قال: نعم، فبكى».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ
ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ
أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾
جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

[ما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة]:

المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ اليهود والنصارى، والمراد بـ ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مشركو العرب، وهم عبدة الأوثان، و﴿مُنفَكِّينَ﴾ خبر كان، يقال: فككتُ[٢] الشيء فانفك؛ أي: انفصل، والمعنى: أنّهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عنه.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وقيل الانفكاك بمعنى الانتهاء وبلوغ الغاية؛ أي: لم يكونوا يبلغون نهاية أعمارهم فيموتوا حتّى تأتيهم البينة، وقيل: منفكين: زائلين؛ أي: لم تكن مدّتهم لتزول حتى تأتيهم البينة، يقال: ما انفك فلان قائماً؛ أي: ما زال قائماً، وأصل الفك: الفتحُ، ومنه فكّ الخَلخال. وقيل: منفكين: بارحين؛ أي: لم يكونوا ليبرحوا أو يفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٠٠٠، ١٦٠٠١)، وابن قانع رقم (٩٩٣)، والطبراني (ج٢٢ رقم ٨٢٣). وهو حديث صحيح لغيره.
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٣).

وقال ابن كيسان(١): المعنى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد ﷺ حتى بُعث، فلما بُعث حسدوه وجحدوه، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وعلى هذا فيكون قوله: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أنهم ما كانوا يسيئون القول في محمد ﷺ حتى بُعث، فإنهم كانوا يسمّونه الأمين، فلما بعث عادوه وأساءوا القول فيه.

وقيل: منفكين: هالكين(٢)، من قولهم: انفكّ صلبه؛ أي: انفصل[٤/٢٥٨] فلم يلتئم فيهلك، والمعنى: لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم. وقيل: إن المشركين هم أهل الكتاب، فيكون وصفاً لهم لأنهم قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله.

قال الواحدي(٣): ومعنى الآية: إخبارُ الله تعالى عن الكفار أنهم لن ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتّى أتاهم محمد ﷺ بالقرآن، فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان، وهذا بيان عَنْ النعمة والإنقاذ به من الجهل والضلالة والآية فيمن آمن مِنْ الفريقين. قال(٤): وهذه الآية مِنْ أصعب ما في القرآن نَظْماً وتفسيراً، وقد تخبط فيها الكبار من العلماء، وسلكوا في تفسيرها طرقاً لا تفضي بهم إلى الصواب.

والوجهُ ما أخبرتُك فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ولا إشكال. قال(٥): ويدلّ على أن البينة محمد ﷺ أنّه فسرها وأبدل منها فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن، ويدل على ذلك أنه كان يتلو عن ظهر قلبه، لا عن كتاب. انتهى كلامه.

وقيل: إن الآية حكاية لما كان يقوله أهل الكتاب والمشركون إنهم لا يفارقون دينهم حتى يُبعث النبيّ الموعود به، فلما بعث تفرّقوا كما حكاه الله عنهم في هذه

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٤٠٧).
(٢) «تهذيب اللغة» (٥/٣٤١)، و«الصحاح» (٤/١٦٥٣ ـ ١٦٥٤).
(٣) في «الوسيط» (٤/٥٣٩).
(٤) أي: الواحدي في «الوسيط» (٤/٥٣٩).
(٥) الواحدي في «الوسيط» (٤/٥٣٩).

السورة. والبينة على ما قاله الجمهور هو محمد ﷺ، لأنه في نفسه بينة وحجة ولذلك سمَّاه سراجاً منيراً.

وقد فسر الله سبحانه هذه البينة المجملة بقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فاتضح الأمر وتبين أنه المراد بالبينة. وقال قتادة[١] وابن زيد: البينة هي القرآن كقوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] وقال أبو مسلم: المراد بالبينة: مطلق الرسل، والمعنى: حتى تأتيهم رسل من الله، وهم الملائكة يتلون عليهم صحفاً مطهرة، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[٢]: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وقرأ ابن مسعود[٣]: «لم يكن المشركون وأهل الكتاب» قال ابن العربي[٤]: وهي قراءة في معرض البيان، لا في معرض التلاوة. وقرأ الأعمش والنخعي: والمشركون بالرفع[٥] عطفاً على الموصول. وقرأ أبيّ[٦]: «فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون».

قرأ الجمهور: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ برفع[٧] رسول على أنه بدل كل من كلّ مبالغة، أو بدل اشتمال.

قال الزجاج[٨]: ﴿رَسُولٌ﴾ رفع على البدل من البينة. وقال الفراء[٩]: رفع على أنه خبر مبتدأ مضمر؛ أي: هي رسول أو هو رسول. وقرأ أبيّ وابن مسعود «رسولاً» بالنصب[١٠] على القطع، وقوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لرسول؛ أي: كائن من الله، ويجوز تعلقه بنفس رسول، وجوّز أبو البقاء[١١] أن يكون حالاً من صحف، والتقدير: يتلو صحفاً مطهرة منزلة من الله.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٣٠).
(٢) «النشر» (١/ ٢٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٠٦). القراءة المتواترة قراءة الجمهور، وما ذكره من بقية القراءات فشواذ.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦).
(٤) في «أحكام القرآن» (٤/ ١٩٥٧).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٥١٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥١)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٢٨).
(٦) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٤٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥١).
(٧) «البحر المحيط» (١٦/ ٥١٩)، و«المحرر الوجيز» (٦/ ٣٤٤).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٤٩).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣١٦). القراءة بالنصب شاذة ومخالفة للرسم.
(١١) «التبيان» (٢/ ١٢٩٧).

وقوله: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يجوز أن تكون صفة أخرى لرسول، أو حالاً من متعلق الجار والمجرور قبله. ومعنى ﴿يَتْلُوا﴾: يقرأ، يقال تلا يتلو تلاوةً، والصُّحُف جمع صَحيفة، وهي ظَرفُ المكتوب، ومعنى ﴿مُّطَهَّرَةً﴾: أنها منزّهة من الزور والضلال. قال قتادة[1]: مطهرة من الباطل، وقيل: مطهرة من الكذب والشبهات والكفر، والمعنى واحد؛ والمعنى: أنّه يقرأ ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها لأنه كان ﷺ يتلو عَنْ ظهر قلبه، لا عن كتاب كما تقدّم.

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ صفة لـ ﴿صُحُفًا﴾، أو حال من ضميرها، والمراد الآيات والأحكام المكتوبة فيها، والقيمة المستقيمة المستوية المحكمة، من قول العرب: قام[2] الشيء: إذا استوى وصحّ. وقال صاحب النظم: الكُتُب بمعنى الحكم كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١] أي حَكَم، وقوله ﷺ في قصة العسيف: «لأقضين بينكما بكتاب الله»[3] ثم قضى بالرجم، وليس الرجم في كتاب الله، فالمعنى: لأقضينّ بينكما بحكْم الله، وبهذا يندفع ما قيل: إن الصحف هي الكتب، فكيف قال: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؟ وقال الحسن[4]: يعني بالصحف المطهرة التي في السماء، يعني في اللوح المحفوظ كما في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ هذه الجملة مستأنفة لتوبيخ أهل الكتاب وتقريعهم[5]، وبيان أن ما نسب إليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الأمر، بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب.

قال المفسرون[6]: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين حتى بعث الله محمداً، فلما بُعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فآمن به بعضُهم وكفر آخرون. وخصّ أهل الكتاب،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٥٢/ ٤٠٩).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٩٠)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٣٥٦).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم رقم (١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني.
(٤) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤١٠).
(٥) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٧١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥١٩).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٣٩).

وإنْ كان غيرهم مثلهم في التفرّق بعد مجيء البينة لأنهم كانوا أهل علم، فإذا تفرّقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾(١) مفرّغ من أعم الأوقات؛ أي: وما تفرّقوا في وقت من الأوقات إلّا مِنْ بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة، وهي بعثة رسول الله ﷺ بالشريعة الغرّاء والمحجة البيضاء. وقيل البينة: البيان الذي في كتبهم أنه نبيّ مرسل كقوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال القرطبي(٢): قال العلماء: من أوّل السورة إلى قوله: ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ حكمها فيمن آمن مِنْ أهل الكتاب والمشركين، وقوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ...﴾ إلخ فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج.

وجملة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ في محل(٣) نصب على الحال مفيدة لتقريعهم(٤) وتوبيخهم بما فعلوا من التفرّق بعد مجيء البينة؛ أي: والحال أنهم ما أمروا في كتبهم إلا لأجل أن يعبدوا الله ويوحدوه حال كونهم ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: جاعلين دينهم خالصاً له سبحانه أو جاعلين أنفسهم خالصة له في الدين، وقيل: إن اللام في: ﴿لِيَعۡبُدُواْ﴾ بمعنى «أن»؛ أي: ما أمروا إلا بأن يعبدوا كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦] أي: أن يبين، و﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ٨] أي: أن يطفئوا.

قرأ الجمهور(٥): ﴿مُخۡلِصِينَ﴾ بكسر اللام.

وقرأ الحسن(٦) بفتحها. وهذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية في العبادات لأن الإخلاص من عمل القلب.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٧٢).
(٢) في «تفسيره» (٢٢/ ٤١١).
(٣) «الفريد» (٤/ ٧٠٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٧).
(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٣٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٧١).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٥١٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٧٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٣٧). القراءة بفتح اللّام شاذة.

وانتصاب[١] ﴿حُنَفَآءَ﴾ على الحال من ضمير مخلصين، فتكون من باب التداخل، ويجوز أن تكون من فاعل يعبدوا.

والمعنى: مائلين عَنْ الأديان كلها إلى دين الإسلام. قال أهل اللغة[٢]: أصله أن يحنف إلى دين الإسلام؛ أي: يميل إليه. ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ أي: يفعلوا الصلوات في أوقاتها، ويعطوا الزكاة عند محلها، وخصّ الصلاة والزكاة لأنهما من أعظم أركان الدين. قيل: إن أريد بالصلاة والزكاة ما في شريعة أهل الكتاب من الصلاة والزكاة فالأمر ظاهر، وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا، وهما من جملة ما وقع الأمر به فيها.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: وذلك المذكور من عبادة الله وإخلاصها وإقامة الصلاة والزكاة ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الملة المستقيمة.

قال الزجاج[٣]؛ أي: ذلك دين الملة المستقيمة، فالقيمة صفة لموصوف محذوف. قال الخليل[٤]: القيمة جمع القيم، والقيم: القائم.

قال الفرّاء[٥]: أضاف الدين إلى القيّمة، وهو نعته لاختلاف اللفظين. وقال[٦] أيضاً: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، ودخلت الهاء للمدح والمبالغة.

ثم بيَّن سبحانه حال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الموصول اسم «إنّ»، ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف عليه، وخبرها ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، و﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ حال[٧] من المستكنّ في الخبر، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مجروراً عطفاً على أهل الكتاب ومعنى كونهم في نار جهنم: أنّهم يصيرون إليها يوم القيامة، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى من تقدّم ذكرهم من أهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون في نار

---

(١) «الفريد» (٤/ ٧٠٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٧).
(٢) «تهذيب اللغة» (٥/ ١٠٩)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٤٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٥٠).
(٤) في كتاب «العين» (ص٨٢٦).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢).
(٦) الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٢).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٢٩٨)، و«الفريد» (٤/ ٧٠٨).

جهنم والخلود فيها ﴿هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أي: الخَليقة، يقال: برأ[١]؛ أي: خلق، والبارىء: الخالق، والبريّة: الخليقة.

قرأ الجمهور[٢]: ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ بغير همز في الموضعين وقرأ نافع وابن ذكوان فيهما بالهمز[٣].

قال الفرّاء[٤]: إنْ أخذت البرية من البراء وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ، وإن أخذتها من بَريتُ القلم؛ أي: قدّرته دخلت.

وقيل: إن الهمز هو الأصل لأنّه يقال برأ الله الخلق بالهمز؛ أي: ابتدعه واخترعه ومنه قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] ولكنّها خففت الهمزة، والتزم تخفيفها عند عامة العرب. [٤/٢٥٩]

ثم بين حال الفريق الآخر فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المنعوتون بهذا ﴿هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قال: والمراد أن أولئك شرّ البرية في عصره ﷺ، ولا يبعد أنْ يكون في كفار الأمم من هو شرّ منهم، وهؤلاء خير البرية في عصره ﷺ، ولا يبعد أنْ يكون في مؤمني الأمم السابقة مَنْ هو خير منهم.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي ثوابهم عند خالقهم بمقابلة ما وقع منهم من الإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ والمراد بجنات عدن: هي أوسط الجنات وأفضلها، يقال: عَدَنَ بالمكان يَعدن عَدْناً؛ أي: أقام، ومعدن الشيء: مركزهُ ومستقرّه، ومنه قول الأعشى:

وإنْ يُسْتَضَافُوْا إلى عِلْمِهِ ... يُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[٥]

وقد قدّمنا في غير موضع أنه إن أريد بالجنات: الأشجار الملتفة، فجريان

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٢١).

(٢) «التيسير» (ص٢٢٤)، و«النشر» (٢/٤٠٣)، و«زاد المسير» (٩/١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٢).

(٥) البيت في «ديوان الأعشى» (ص٦٩) برواية:

يُضَافُوا إلى هَادِنٍ قَد رَزَنْ

الأنهار من تحتها ظاهر، وإنْ أريد مجموع قرار الأرض والشجر، فجري الأنهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر، وهو الشجر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ لا يخرجون منها ولا يظعنون عنها، بل هم دائمون في نعيمها مستمرّون في لذاتها.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ الجملة مستأنفة لبيان ما تفضّل الله به عليهم من الزيادة على مجرّد الجزاء، وهو رضوانُه عنهم؛ حيثُ أطاعوا أمره وقبلوا شرائعه، ورضاهم عنه حيثُ بلغوا مِنْ المطالب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ويجوز أن تكون الجملة خبراً ثانياً، وأن تكون في محل نصب[1] على الحال بإضمار قد ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي: ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية لله سبحانه في الدنيا، وانتهى عَنْ معاصيه بسبب تلك الخشية التي وقعت له لا مجرّد الخشية مع الانهماك في معاصي الله سبحانه فإنها ليست بخشية على الحقيقة.

وقد أخرج ابن المنذر[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ قال: برحين.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن أبي هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة مِن الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرأوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

وأخرج ابن مردويه[4] عن عائشة قالت: «قلتُ يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أما تقرئين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾».

وأخرج ابنُ عساكر[5] عن جابر بن عبد الله قال: «كنا عند النبيّ ﷺ فأقبل

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٤٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٨).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٩).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٩).
(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٢٧١). قال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٩٢٥) موضوع.

عليّ، فقال النبيّ ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل قالوا: قد جاء خير البرية».

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد[١] مرفوعاً «على خير البرية».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعليّ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين».

وأخرج ابن مردويه[٢] عن عليّ مرفوعاً نحوه.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيعةً استوى عليه، ألا أخبركم بشرّ البرية؟ قالوا: بلى، قال: الذي يسأل بالله ولا يُعطي به». قال أحمد: حدّثنا إسحاق بن عيسى، حدّثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبو هريرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره.

❁ ❁ ❁

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٠). أورده المؤلف في «الفوائد المجموعة» ص(٣٤٨) وهو حديث موضوع.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٠). هذا الحديث وحديث ابن عباس قبله هو موضوع باتفاق العلماء انظر: «منهاج السُّنَّة» (٧/ ٢٥٩) و«الفوائد المجموعة» للمؤلف (ص٣٨٠ ـ ٣٨٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٩١٣١) بسند ضعيف. وهو حديث صحيح بشواهده.

سُورَةُ الزَّلزَلَة

هي ثمان آيات وهي مدنية[١] في قول ابن عباس وقتادة، ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر.

أخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بالمدينة.

وأخرج أحمد وأبو داود والنَّسائي ومحمد بن نصر والحاكم وصحّحه والطبراني وابنِ مردويه والبيهقي في «الشُّعب» عن عبد الله بن عَمْرو[٣] قال: «أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: أقرئني يا رسول الله، قال: اقرأ ثلاثاً من ذوات الراء، فقال الرجل: كَبُر سنّي، واشتدّ قلبي، وغلظ لساني، قال: اقرأ ثلاثاً مِنْ ذوات حمَ، فقال مثل مقالته الأولى، فقال: اقرأ ثلاثاً مِنْ المسبحات، فقال مثل مقالته الأولى، وقال: ولكنْ أقرئني يا رسول الله سورة جامعة، فأقرأه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتىّ فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحقِّ لا أزيدُ عليها، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرُّويجل، أفلح الرويجل».

وأخرج الترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أنس[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عدلت له بثلث القرآن، ومن قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] عدلت له بربع القرآن».

وأخرج الترمذي وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عباس[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن. و﴿قُلْ هُوَ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤١٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٠١).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٦٥٧٥)، وأبو داود رقم (١٣٩٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٠٢٧، ١٠٥٥٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٢)، والطبراني رقم (١٥٨ ـ قطعة من الجزء ١٣)، والبيهقي رقم (٢٥١٢). وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٩٣)، والبيهقي رقم (٢٥١٦). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٩٤)، وابن الضريس رقم (٢٩٨)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٥)، والحاكم (١/ ٥٦٦). وهو حديث صحيح دون فضل «زلزلت».

﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن». قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة.

وأخرج الترمذي[1] عن أنس: «أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: هل تزوّجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوّج به، قال: أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [الفتح: ١]؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن تزوّج». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرج ابن مردويه[2] عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ في ليلة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ كان له عدل نصف القرآن».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: إذا حُرِّكت حركة شديدة، وجواب الشرط: «تحدث»، والمراد: تحركها عند قيام الساعة فإنّها تضطرب حتى يتكسر كلّ شيء عليها.

[من أشد أهوال القيامة]:

قال مجاهد[3]: وهي النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧] وذكر المصدر للتأكيد ثم أضافه إلى الأرض فهو مصدر مضاف إلى فاعله، والمعنى: زلزالها المخصوص الذي يستحقّه ويقتضيه جُرْمها وعظمها.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٩٥). وهو حديث ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢).
(٣) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٥٨).

قرأ الجمهور[(١)]: ﴿زِلۡزَالَهَا﴾ بكسر الزاي، وقرأ الجحدري وعيسى بفتحها[(٢)]، وهما مصدران بمعنى، وقيل: المكسور مصدر والمفتوح اسم.

قال القرطبي[(٣)]: والزَلزَال بالفتح مصدر كالوَسواس والقَلْقَال ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ أي: ما في جوفها مِنْ الأموات والدفائن، والأثقال: جمع ثِقل، قال أبو عبيدة[(٤)] والأخفش[(٥)]: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثِقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثِقل عليها.

قال مجاهد[(٦)]: أثقالها: موتاها تُخرجهم في النفخة الثانية، وقد قيل للإنس والجنّ الثقلان، وإظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير.

﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي: قال كلُّ فرد من أفراد الإنسان ما لها زُلزلت؟ لما يدهمه من أمرها ويبهره من خَطْبها، وقيل: المراد بالإنسان: الكافر.

وقوله: ﴿مَا لَهَا﴾ مبتدأ وخبر، وفيه معنى التعجّب؛ أي: أيّ شيء لها؟ أو لأيّ شيء زلزلت وأخرجت أثقالها؟ وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدل[(٧)] من ﴿إِذَا﴾، والعامل فيهما قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ ويجوز أن يكون العامل في «إذا» محذوفاً والعامل في ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ [٢٦٠/٤] تحدّث، والمعنى: يوم إذا زلزلت وأخرجت تخبر بأخبارها وتُحدّثهم بما عمل عليها من خير وشرّ، وذلك إما بلسان الحال حيث يدلّ على ذلك دلالة ظاهرة، أو بلسان المقال، بأن ينطقها الله سبحانه.

وقيل هذا متصل بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ أي قال: ما لها تحدّث أخبارها؟ متعجباً من ذلك، وقال يحيى بن سلام[(٨)]: تحدّث أخبارها بما أخرجت من أثقالها، وقيل تحدّث بقيام الساعة، وأنها قد أتت وأن الدنيا قد انقضت.

قال ابنُ جرير[(٩)]: تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة وإخراج الموتى، ومفعول

---

(١) «البحر المحيط» (٥٢٢/١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤١٦/٢٢).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٧)، و«حاشية الشهاب» (٣٨٨/٨). القراءة بفتح الزاي شاذة.
(٣) في «تفسيره» (٤١٦/٢٢).
(٤) في «مجاز القرآن» (٣٠٦/٢).
(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٥٨/٣٢).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥٥٩/٢٤).
(٧) «الفريد» (٧١٢/٤)، و«التبيان» (١٢٩٩/٢).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٤١٨/٢٢).
(٩) في «جامع البيان» (٥٦٠/٢٤).

تحدّث الأوّل محذوف والثاني هو أخبارها؛ أي: تحدّث الخلق أخبارها ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ متعلق بتحدّث، ويجوز أن يتعلق بنفس أخبارها، وقيل: الباء زائدة، وأنّ وما في حيزها بدل من ﴿أَخْبَارَهَا﴾، وقيل الباء سببية؛ أي: بسبب إيحاء الله إليها.

قال الفراء[١]: تحدّث أخبارها بوحي الله وإذنه لها، واللام في ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ بمعنى إلى وإنما أُثّرت على «إلى» لموافقة الفواصل، والعرب تضع لام الصفة موضع إلى، كذا قال أبو عبيدة[٢].

وقيل: إن ﴿أَوْحَىٰ﴾ يتعدّى باللام تارة، وبإلى أخرى، وقيل: إن اللام على بابها من كونها للعلة، والموحى إليه محذوف، وهو الملائكة، والتقدير: أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض؛ أي: لأجلِ ما يفعلون فيها، والأوّل أولى.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ الظرف إما بدل من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ الذي قبله، وإما منصوب بمقدّر هو اذْكر، وإما منصوب بما بعده، والمعنى: يوم إذْ يقع ما ذُكر يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: متفرّقين، والصدر[٣]: الرجوع وهو ضدّ الورود، وقيل يصدرون مِنْ موضع الحساب إلى الجنة أو النار، وانتصاب أشتاتاً على الحال.

والمعنى: أن بعضهم آمِن وبعضهم خائف، وبعضُهم بلون أهل الجنة وهو البياض، وبعضهم بلون أهل النار وهو السواد، وبعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم إلى جهة الشمال، مع تفرّقهم في الأديان واختلافهم في الأعمال.

﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدُرُ﴾، وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: تحدّث أخبارها بأنّ ربك أوحى لها ليروا أعمالهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾.

قرأ الجمهور[٤]: ﴿لِّيُرَوْاْ﴾ مبنيّاً للمفعول، وهو من رؤية البصر؛ أي: ليريهم الله أعمالهم.

وقرأ الحسنُ والأعرج وقتادة وحمّاد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة بن مُصرِّف

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٣).

(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٦).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٧٧).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٤)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٠٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٥٥).

على البناء[(١)] للفاعل، ورُويت هذه القراءة عن نافع، والمعنى: ليَروا جزاءَ أعمالهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ أي: وزن نملة، وهي أصغر ما يكون من النمل.

[الحساب الدقيق الذي لا يدع ذرة من خير أو ذرة من شر]:

قال مقاتل[(٢)]: فمَن يعمل في الدنيا مثقال ذرّة خيراً يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به.

وكذلك من يعمل في الدنيا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ يوم القيامة فيسوؤه، ومثل هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال بعض أهل اللغة[(٣)]: إن الذرّة هو أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق من التراب فهو الذرّة، وقيل: الذرّ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء، والأوّل أولى، ومنه قول امرىء القيس[(٤)]:

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرّ فَوْقَ الأَتْبِ مِنْهـا لأَثَّرَا

و «مَنْ» الأولى عبارة عن السعداء، و «مَنْ» الثانية عبارة عن الأشقياء. وقال محمد بن كعب[(٥)]: فمن يعمل مثقال ذرّة مِنْ خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا وفي نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا، وليس له عند الله خير، ومن يعمل مثقال ذرّة مِنْ شرّ من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا، وليس له عند الله شرّ، والأوّل أولى.

قال مقاتل[(٦)]: نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقلّ أن يعطيه التمرة والكسرة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول: إنما أوعد الله النار على الكافرين.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٧٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٩٩). القراءة المتواترة بالبناء للمفعول، وأما القراءة بالبناء للمفعول فهي شاذة، وهي رواية شاذة عن نافع، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

(٢) «الوسيط» (٤/ ٥٤٣).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٢٣)، و«الصحاح» (٢/ ٦٦٣).

(٤) ديوان امرئ القيس (ص٦٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٦٤) من طريق محمد بن يزيد الواسطي، به.

(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

قرأ الجمهور(١): «يَرَهُ» في الموضعين بضم الهاء وصلاً وسكونها وقفاً، وقرأ هشام(٢) بسكونها وصلاً ووقفاً، ونقل أبو حيّان(٣) عن هشام وأبي بكر سكونها، وعن أبي عمرو ضمها مُشبعة، وباقي السبعة بإشباع الأولى وسكون الثانية، وفي هذا النقل نظر، والصواب ما ذكرنا. وقرأ الجمهور(٤): «يره» مبنيّاً للفاعل في الموضعين.

وقرأ ابن عباس وابن عمر والحسن والحسين ابنا عليّ وزيد بن عليّ وأبو حيوة وعاصم والكسائي في رواية عنهما والجحدري والسلمي وعيسى على البناء للمفعول(٥) فيهما؛ أي: يُريه الله إيّاه. وقرأ عكرمة(٦): «يَرَاهُ» على توهم أن مَنْ موصولة، أو على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدّرة في الفعل.

وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس(٧) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ قال: تحرّكت من أسفلها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال: الموتى ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ قال: الكافر يقول: ما لها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: قال لها ربُّك قولي ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال: أوحى لها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ قال: مِنْ كل من هاهنا وهاهنا.

وأخرج ابن المنذر(٨) عنه ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قال: الكنوز والموتى.

وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة(٩) قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٥)، و«التيسير» (ص٢٢٤)، و«النشر» (١/ ٣٠٥، ٣١١).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٧٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٨٩).
(٣) في «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٥).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٠٤)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٦١).
المتواتر قراءة الجمهور أمّا (يُره) على البناء للمفعول فقراءة شاذة، وهي رواية عن كل مِنْ عاصم والكسائي وكذلك قراءة عكرمة بإثبات الألف بعد الراء فقراءة شاذة.اهـ.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٧٧).
(٦) «الدر المصون» (٦/ ٥٥٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٥)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٦٥).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٥٩، ٥٦٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٧) بسند ضعيف.
(٨) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢) إلى ابن أبي حاتم عن عطية.
(٩) أخرجه مسلم رقم (١٠١٣)، والترمذي رقم (٢٢٠٨).

الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قَتلتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قَطعتُ يدي، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة(١) قال: «قرأ رسول الله ﷺ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل كذا وكذا، فهذا أخبارها».

وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن أنس(٢) أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عُمل على ظهرها، وقرأ رسول الله ﷺ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾».

وأخرج الطبراني عن ربيعة الجُرشي(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شرّاً إلا وهي مخبرة».

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في «الأوسط» والحاكم في «تاريخه» وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس(٤) قال: «بينما أبو بكر الصدّيق يأكل مع النبيّ ﷺ إذ نزلت عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله إنّي لراءٍ ما عملت من مثقال ذرّة من شرّ، فقال: يا أبا بكر أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرّ الشر ويُدّخر لك مثاقيل ذرّ الخير حتى تُوفّاه يوم القيامة».

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٨٨٦٧)، والترمذي رقم (٢٤٢٩، ٣٣٥٣)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (١١٦٩٣)، والحاكم (٤/ ٢٥٦، ٥٣٢)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٢٦١، ٢٦٢)، والبيهقي رقم (٧٢٩٨). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٢٦١، ٢٦٢)، والبيهقي رقم (٧٢٩٦). وفي رواية «لتخبر بكل عملٍ...».

(٣) أخرجه الطبراني رقم (٤٥٩٦). وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٦٤، ٥٦٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٣٢) ـ والطبراني رقم (٨٤٠٧)، والبيهقي رقم (٩٨٠٨) بسند ضعيف.

وأخرج إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه عن أبي أسماء[١] قال: «بينا أبو بكر يتغدّى مع رسول الله ﷺ إذ نزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ فأمسك أبو بكر وقال: يا رسول الله ما عملنا من شرّ رأيناه، فقال: ما ترون مما تكرهون فذاك مما تُجزون ويؤخّر الخير لأهله في الآخرة».

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الشُّعب» عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] قال: «أنزلت إذا زلزلت الأرض زلزالها وأبو بكر الصديق قاعد فبكى، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: يبكيني هذه السورة، فقال: لولا أنكم تُخطئون وتُذنبون فيغفر لكم لخلق الله قوماً يخطئون ويذنبون فيغفر لهم».

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة[٣] أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل سِتْر، وعلى رجل وزر» الحديث، وقال: «وسئل عن الحُمُر فقال: ما أنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾».

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٨١)، والحاكم (٢/ ٥٣٢، ٥٣٣). وهو حديث ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٥٢١٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «البكاء» رقم (٨٦)، وابن جرير (٢٤/ ٥٦٨، ٥٦٩)، والطبراني رقم (٨٧ ـ قطعة من الجزء ١٣)، والبيهقي رقم (٧١٠٣) من طرق عن ابن وهب، به.

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٤٤٤)، وأحمد رقم (٧٥٦٣، ٨٩٧٧، ٨٩٧٩)، والبخاري رقم (٢٣٧١، ٢٨٦٠، ٣٦٤٦، ٤٩٦٢، ٤٩٦٣، ٧٣٥٦)، ومسلم رقم (٩٨٧)، والنسائي رقم (٣٥٦٤، ٣٥٦٥)، وابن ماجه رقم (٢٧٨٨).

سُورَةُ العَادِيَاتِ

هي إحدى عشر آية. وهي مكية[١] في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة[٢].

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس قال: نزلت سورة ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ بمكة [٤/٢٦١].

وأخرج أبو عُبيد في «فضائله» عن الحسن[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ تعدل نصف القرآن»، وهو مرسل.

وأخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس[٥] مرفوعاً مثله، وزاد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] تعدل ربع القرآن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يقسم الله سبحانه بخيل المعركة ويصف حركاتها واحدة واحدة]:

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

العاديات[٦]: جمعُ عاديةٍ، وهي الجارية بسرعة، من العدو: وهو المشي

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤٢٦/٢٢)، و«روح المعاني» (٢٦٦/٢٩)، و«البحر المحيط» (٥٢٧/١٠).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٣)، و«زاد المسير» (٢٠٦/٩).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٩).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائله» رقم (١٤١).

(٥) أخرجه محمد بن نصر (ص٦٥). (٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٥٤).

بسرعة، فأبدلت الواو ياء لكسر ما قبلها كالغازيات من الغزو، والمراد بها: الخيل العادية في الغزو نحو العدوّ.

وقوله: ﴿ضَبْحًا﴾ مصدر مؤكد لاسم الفاعل، فإنّ الضَّبْح[١] نوع من السير ونوع مِنْ العدو، يقال ضبح الفرس: إذا عدا بشدّة، مأخوذ من الضَّبْع، وهو الدفع، وكأن الحاء بدل من العين. قال أبو عُبيدة[٢] والمبرِّد[٣]: الضبح من إضباحها في السير ومنه قول عنترة:

والخَيْل تَكْدَحُ في حِيَاضِ المَوْتِ ضَبْحَا[٤]

ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال؛ أي: ضابحاتٍ، أو ذوات ضبح، ويجوز أن يكون مصدراً لفعل محذوف؛ أي: تضبح ضَبْحاً، وقيل: الضبح: صوت حوافرها إذا عَدَتْ، وقال الفراء[٥]: الضبح صوت أَنْفاس الخيل إذا عدت. قيل كانت تُكْعم لئلا تَصْهَل فيعلم العدوّ بهم، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوّةٍ، وقيل: الضَّبْح: صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو ليس بصهيل.

وقد ذهب الجمهور[٦] إلى ما ذكرنا من أن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ هي الخيل، وقال عُبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدّي: هي الإِبل[٧]، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب[٨]:

فلا والعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ بأَيْدِيها إذا صَدَعَ الغُبَارُ

ونقل أهل اللغة[٩] أنّ أصل الضبح للثعلب فاستعير للخيل، ومنه قول الشاعر:

تَضْبَحُ في الكَفِّ ضُبَاحَ الثَّعْلَبِ

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ هي الخيل حين توري النار بسنابكها، والإِيراء: إخراجُ النار،

---

(١) «تهذيب اللغة» (٤/ ٢١٨)، و«الصحاح» (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٧) (٣) «زاد المسير» (٩/ ٢٠٧).
(٤) البيت في «الصحاح» (١/ ٣٨٥) برواية:
والخيل تعلمُ حين تضـ ـبَحُ في حياض الموتِ ضَبْحَا
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٤).
(٦) «زاد المسير» (٩/ ٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٢٧).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٢٨)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٠٢).
(٨) ذكره ابن حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٨).
(٩) «تهذيب اللغة» (٤/ ٢١٨)، و«الصحاح» (١/ ٣٨٥).

والقدح: الصّكُ، فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد. قال الزجاج[١]: إذا عدت الخيل بالليل أصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النِّيران. والكلام في انتصاب ﴿قَدۡحٗا﴾ كالكلام في انتصاب ﴿ضَبۡحٗا﴾، والخلاف في كونها الخيل أو الإبل كالخلاف الذي تقدّم في العاديات.

والراجح أنّها الخيل كما ذهب إليه الجمهور[٢]، وكما هو الظاهر من هذه الأوصاف المذكورة في هذه السورة ما تقدّم منها وما سيأتي، فإنها في الخيل أوضح منها في الإبل، وسيأتي ما في ذلك من الخلاف بين الصحابة.

[مغيرة في الصباح لمفاجأة العدو مثيرة للنقع والغبار]:

﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ أي: التي تغير على العدوّ وقت الصباح، يقال: أغار يغير إغارةً إذا باغت عدوّه بقتلٍ أو أسر أو نهب وأسند الإغارة إليها وهي لأهلها للإشعار بأنّها عمدتهم في إغارتهم، وانتصاب ﴿صُبۡحٗا﴾ على الظرفية[٣].

﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ معطوف على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل، إذ المعنى: واللّاتي عدون فأثرنْ، أو على اسم الفاعل نفسه لكونه في تأويل الفعل لوقوعه صلة للموصول، فإن الألف واللام في الصفات أسماء موصولة، فالكلام في قوّة: واللاتي عدون فأورين فأغرنْ فأثرنْ، والنقع: الغبارُ الذي أثرته في وجه العدو عند الغزو، وتخصيص[٤] إثارته بالصُّبح لأنّه وقت الإغارة، ولكونه لا يظهر أثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح. وقيل: المعنى: فأثرن بمكان عدوهنّ نقعاً، يقال: ثار النقع وأثرته؛ أي: هاج أو هيجته.

قرأ الجمهور[٥]: ﴿فَأَثَرۡنَ﴾ بتخفيف المثلثة. وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة بالتشديد[٦]؛ أي: فأظهرن به غباراً. وقال أبو عبيد[٧]: النقع: رفعُ الصوت، وأنشد

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٥٣).
(٢) «زاد المسير» (٩/ ٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٢٧).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٩٣)، و«الفريد» (٤/ ٧١٥)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٠).
(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٦٩).
(٥) «البحر المحيط» (١/ ٥٢٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥٩).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٧٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧٠). القراءة بالتشديد قراءة شاذة.
(٧) في «غريب الحديث» (٣/ ٢٧٥).

قول لبيد[١]:

فـمـتـى يـنـقـعْ صُـرَاخٌ صَـادِقٌ   يُـجْـلِـبُـوهـا ذَاتَ جَـرْسٍ وزَجْـلِ

يقول حين سمعوا صراخاً أجلبوا الحرب؛ أي: جمعوا لها. قال أبو عبيد[٢]: وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم انتهى. والمعروف عند جمهور أهل اللغة[٣] والمفسرين أن النقع الغبار، ومنه قول الشاعر:

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْتَطَار النَّقْعِ دَامِيَةً   كـأنَّ أذْنَـابَـهـا أطْـرَافُ أَقْـلامِ

وقول عبد الله بن رواحة[٤]:

عَـدِمْـتُ بُـنـيَّـتـي إنْ لـم تَـرَوْهَـا   تُـثِـيـرَ الـنَّـقْـعَ مِـنْ كَـنَـفَـيْ كَـدَاءِ

وقول الآخر: [بشار بن بُرد]

كـأنَّ مَـثَـارَ الـنَّـقْـعِ فَـوْقَ رُؤُوسِـنَـا   وأَسْـيَـافِـنَـا لَـيْـلٌ تَـهَـاوَى كَـوَاكِـبُـهْ

وهذا هو المناسب لمعنى الآية، وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى، فإن قولك أغارت الخيل على بني فلان صبحاً فأثرن به صوتاً، قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة. وقيل: النقع: شقّ الجيوب، وقال محمد بن كعب[٥]: النقع ما بين مزدلفة إلى منى، وقيل: إنه طريق الوادي.

قال في «الصحاح»[٦]: النقع: الغبارُ، والجمع أنقاع، والنقع: محبس الماء، وكذلك ما اجتمع في البئر منه، والنقع: الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ أي: توسطن بذلك الوقت، أو توسطن ملتبسات بالنقع جمعاً من جموع الأعداء، أو صرن بعدوهن وسط جمع الأعداء، والباء إما للتعدية[٧]، أو للحالية، أو زائدة؛ يقال: وسطت المكان؛ أي: صرت في وسطه،

---

(١) «ديوان لبيد» (ص١٩١) وفيه يُحلبوه بدل يُحلبِوها.
(٢) «غريب الحديث» (٣/ ٢٧٥).
(٣) «تهذيب اللغة» (١/ ٢٦٢)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٢٣٤).
(٤) هكذا في «المخطوط» والصواب «أنّ البيتَ لحسّان بن ثابت» انظر: ديوانه (ص٦٠).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٥).
(٦) «الصحاح» (٣/ ١٢٣٢).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٣٠٠)، و«الفريد» (٤/ ٧١٧).

وانتصاب ﴿جَمْعًا﴾ على[١] أنّه مفعول به، والفاءات في المواضع الأربعة للدلالة على ترتب ما بعد كل واحدة منها على ما قبلها.

قرأ الجمهور[٢]: ﴿فَوَسَطْنَ﴾ بتخفيف السين، وقرىء[٣] بالتشديد.

[جحود النعمة إنكار جزيل الفضل]:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم، والمراد بالإنسان: بعض أفراده، وهو الكافر، والكنود[٤]: الكفور للنعمة، وقوله: ﴿لِرَبِّهِۦ﴾ متعلق بكنود، قدّم لرعاية الفواصل، ومنه قول الشاعر[٥]:

كَنُودٌ لِنَعْمَاءِ الرِّجَالِ ومَنْ يَكُنْ ... كَنُوداً لِنَعْمَاءِ الرِّجَالِ يُبَعَّدِ

أي: كفور لنعماء الرجال، وقيل: هو الجاحد للحقّ، قيل: إنها إنما سميت كندة لأنها جحدت أباها. وقيل: الكنود مأخوذ من الكَند، وهو القطع، كأنه قطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر. يقال: كَند الحبل: إذا قطعه، ومنه قول الأعشى[٦]:

وصُولِ حِبالٍ وكَنَّادِها[٧]

وقيل[٨]: الكنود البخيل، وأنشد أبو زيد:

إنَّ نَفْسي لم تَطِبْ مِنْكَ نَفْساً ... غيرَ أَنِّيَ أُمْسِي بِدَيْنٍ كَنُود

وقيل[٩]: الكنود الحسود، وقيل: الجهول لقدره، وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام، والجاحد للنعمة كافر لها، ولا يناسب المقام سائر ما قيل.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي: وإنّ الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه به

---

(١) «الفريد» (٤/ ٧١٧)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٧٢).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥٩).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٢٧٢). تشديد السين قراءة شاذة.
(٤) «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٢٢)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٢٧).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٧).
(٦) «ديوان الأعشى» (ص١١٩).
(٧) وصدر البيت:
أميطي تميطي بصُلْبِ الفؤادِ
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٥)، والبخيل بلسان مالك بن كنانة.
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٣٩).

لظهور أثره عليه، وقيل: المعنى: وإن الله جلّ ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد، وبه قال الجمهور[(١)].

وقال بالأوّل الحسن وقتادة ومحمد بن كعب[(٢)]، وهو أرجح من قول الجمهور لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ فإن الضمير راجع إلى الإنسان، والمعنى: إنه لحبّ المال قويّ مُجدّ في طلبه وتحصيله متهالك عليه، يقال: هو شديد لهذا الأمر وقويّ له: إذا كان مطيقاً له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨] ومنه قول عديّ بن حاتم[(٣)]:

ماذا تُرْجِي النُّفُوسُ مِنْ طَلَبِ الْـ ... ـخَيْرِ وحُبُّ الحَيَاةِ كَاذِبُها

وقيل: المعنى: وإن الإنسان من أجل حب المال لبخيل، والأوّل أولى. واللام في ﴿لِحُبِّ﴾ متعلقة بشديد. قال ابن زيد[(٤)]: سمى الله المال خيراً، وعسى أن يكون شرّاً، ولكن الناس يجدونه خيراً، فسماه خيراً.

قال الفراء[(٥)]. أصل نظم الآية أن يقال: وإنه لشديد الحبّ للخير، فلما قدّم الحبّ قال: لشديد، وحذف من آخره ذكر الحبّ، لأنه قد جرى ذكره، ولرؤوس الآية كقوله: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] والعصوف للريح لا لليوم، كأنه قال: في يوم عاصف الريح.

[تحصيل لأسرار الصدور التي ضنَّت بها وخبأتها بعيداً عن العيون]:

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ الاستفهام للإنكار[(٦)]، والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام؛ أي: يفعل ما يفعل مِنْ القبائح فلا يعلم؟ و﴿بُعْثِرَ﴾ معناه نثر وبُحث؛ أي: نثر ما في القبور من الموتى وبُحث عنهم وأخرجوا. قال أبو عبيدة[(٧)]: بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٥٤٥)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٨٥)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٥٨٩).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٥٨٩) بسند صحيح.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٥).
(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٨٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٧٨).
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٨).

قال الفرّاء(١): سمعت بعض العرب من بني أسد يقول: بحثر بالحاء مكان العين، وقد تقدّم الكلام على هذا في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: مُيز وبين ما فيها من الخير والشرّ، والتحصيل: التمييز، [٤/٢٦٢] كذا قال المفسرون(٢)، وقيل: حصل أبرز.

قرأ الجمهور(٣): «حُصّل» بضم الحاء وتشديد الصاد مكسوراً مبنيّاً للمفعول.

وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم «حَصَلَ» بفتح(٤) الحاء والصاد وتخفيفها مبنيّاً للفاعل؛ أي: ظهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: إن ربّ المبعوثين بهم لخبير لا تخفى عليه منهم خافية فيجازيهم بالخير خيراً، وبالشرّ شرّاً.

قال الزجاج(٥): الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، ومثله قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] معناه: أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم.

قرأ الجمهور(٦): «إِنّ ربهم» بكسر الهمزة وباللام في «لخبير»، وقرأ أبو السمال بفتح(٧) الهمزة وإسقاط اللام من «لخبير».

وقد أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في «الأفراد» وابن مردويه عن ابن عباس(٨) قال «بعث رسول الله ﷺ خيلاً فاستمرّت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ ضبحت بأرجلها» ولفظ ابن مردويه: ضبحت بمناخرها ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورتْ ناراً ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ صبّحتِ القومَ بغارة ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أثارت بحوافرها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ صبّحت القوم جميعاً.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٥).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤١).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٠)، «الدر المصون» (٦/ ٥٦١).
(٤) «القراءات الشاذة» (١٠/ ١٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٢). وهي قراءة شاذة.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٥٤).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٣١)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٦١)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٦٩).
(٧) «زاد المسير» (٩/ ٢١١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٧٨). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٨) أخرجه البزار رقم (٢٢٩١ ـ كشف) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٢): فيه حفص بن جميع. وهو ضعيف.

وأخرج ابن مردويه[1] من وجه آخر عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية إلى العدوّ فأبطأ خبرها، فشقّ ذلك عليه، فأخبره الله خبرهم وما كان من أمرهم، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الخيلُ». والضبح: نخيرُ الخيل حين تنخر ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: حين تجري الخيل توري ناراً أصابت سنابكها الحجارة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال: هي الخيل أغارت فصبّحت العدوّ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ قال: هي الخيل أثرن بحوافرها، يقول: بعدو الخيل، والنقع: الغبار ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: الجمع: العدو.

وأخرج عبد بن حميد[2] عن أبي صالح قال: تقاولت أنا وعكرمة في شأن العاديات، فقال: قال ابن عباس: هي الخيل في القتال، وضبحها: حين ترخي مشافرها إذا عدت ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ أرتْ المشركين مكرهم ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال: إذا صبّحت العدو ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: إذا توسطت العدو. وقال أبو صالح: فقلت: قال عليّ: هي الإبل في الحج ومولاي كان أعلم مِنْ مولاك.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب «الأضداد» والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس[3] قال: بينما أنا في الحِجْر جالس إذ أتاني رجل يسأل عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلتُ: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عنّي فذهب إلى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت ساقيه زمزم، فسأله عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس، فقال: هي الخيل حين تغير في سبيل الله، فقال: اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله إن كان لأوّل غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلّا فَرَسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات ضَبْحا؛ إنما العاديات ضبحا من

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٠).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٠).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٣٤)، وابن الأنباري (ص٣٦٤ ـ ٣٦٥)، والحاكم (٢/ ١٠٥)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٤/ ٢٦٧)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٧٢٧) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: «لا والله، ولا ذكر لأبي معاوية في الكتب الستة ولا احتج البخاري بأبي صخر والخبر منكر.

عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوقدوا النيران، والمغيرات صُبْحا: من المزدلفة إلى منى، فذلك جَمْع. وأما قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ فهي نقع الأرض حين تطؤه بأخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: فنزعت عَنْ قولي ورجعت إلى الذي قال عليّ.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود(١) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: الإبل.

أخرجوه(٢) عنه من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي. قال إبراهيم: وقال عليّ بن أبي طالب: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيلُ، فبلغ عليّاً قول ابن عباس: فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كانت تلك في سرية بُعثتْ.

وأخرج عبد بن حميد عن عامر الشعبي(٣) قال: تمارى عليّ وابن عباس في ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾، فقال ابن عباس: هي الخيل؛ وقال عليّ: كذبت يابن فلانة، والله ما كان معنا يوم بدر فارس إلا المقداد كان على فرس أبلق. قال: وكان يقول هي الإبل، فقال ابن عباس: ألا ترى أنها تثير نقعاً فما شيء تثير إلا بحوافرها.

وأخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس(٤) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: الخيل ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: الرجل إذا أورى زنده ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال: الخيل تُصبّح العدوّ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ قال: التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: العدوّ.

وأخرج(٥) عبد بن حميد عن مجاهد ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: قال ابن عباس: القتال. وقال ابن مسعود: الحج.

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٣، ٥٧٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٣٤) بسند منقطع. إبراهيم النخعي لم يسمع من ابن مسعود.
(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠١).
(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٣).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠١).

من طريق عَمْرو بن دينار عن ابن عباس[١] ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: ليس شيء من الدواب يَضْبح إلا الكلب أو الفرس ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال: هو مكر الرجل قدح فأورى ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال: غارة الخيل صُبْحاً ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ قال. غباراً وقع سنابك الخيل ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: جمع العدوّ.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس[٢] ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: الخيل ضَبْحُها زحيرها، ألم تر أن الفرس إذا عدا قال: أح أح، فذلك ضبحها.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن عليّ قال: الضبح من الخيل: الحَمْحمة، ومن الإبل: النَّفَس.

وأخرج ابن جرير[٤] عن ابن مسعود ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: هي الإبل في الحج ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ إذا سفت الحصى بمناسمها فضرب الحصى بعضه بعضاً فيخرج منه النار ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ حين يفيضون من جَمْع ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ قال: إذا سرن يثرن التراب.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٥] قال: الكنود بلساننا أهل البلد: الكفور.

وأخرج ابن عساكر[٦] عن أبي أمامة عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ قال لكفور.

وأخرج عبد بن حميد والبخاري في «الأدب» والحكيم الترمذي وابن مردويه عن أبي أمامة[٧] قال: الكنود الذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٠)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٩٠).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٧٤) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٨٤)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٧) من طرق يقوي بعضها بعضاً.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٣).
(٧) أخرجه البخاري رقم (١٦٠)، والحكيم الترمذي (٣/ ٧٢). وهو حديث ضعيف.

ورواه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والديلمي وابن عساكر[١] مرفوعاً، وضعف إسناده السيوطي[٢]، وفي إسناده جعفر بن الزبير وهو متروك، والموقوف أصحّ لأنه لم يكن من طريقه.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن عباس ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال: الإنسان ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ قال: المال.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر[٤] عنه ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ قال: بُحث ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ قال: أُبرزَ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٥٨٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٣٦)، والطبراني رقم (٧٧٧٨، ٧٩٥٨)، والديلمي رقم (٦٩٧٧).

(٢) في «الدر المنثور» (٨/٦٠٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٠٣).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٩٠) بسند صحيح.

سُورَةُ القَارِعَةِ

هي إحدى عشرة آية وقيل: عشر آيات، وقيل: مكية[١] بلا خلاف.

أخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: نزلت سورة القارعة بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[أهوال القيامة: القارعة حقيقتها وما يقع فيها وما تنتهي إليه]:

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب. والعرب تقول قرعتهم القارعةُ إذا وقع بهم أمر فظيع. قال ابن أحمر:

وقـارعـةٍ مِـنَ الأيـامِ لـولا　　سبيلُهم لزاحَتْ عنك حِينا[٣]

وقال آخر:

متى نَقْرعْ بمروءتِكم نسؤْكُم　　ولم يُوْقَدْ لنا في القِدْرِ نارُ[٤]

والقارعة مبتدأ[٥] وخبرها قوله: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وبالرفع قرأ الجمهور[٦]، وقرأ عيسى بنصبها[٧] على تقدير: احذروا القارعة، والاستفهام للتعظيم، والتفخيم

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٣٨)، و«زاد المسير» (٩/٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٩/٢٨٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٠٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٤٤٢).　(٤) «النكت والعيون» (٦/٣٢٧).

(٥) «الفريد» (٤/٧١٩)، و«روح المعاني» (٢٩/٢٨٤).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/٥٣٣)، و«الدر المصون» (٦/٥٦٣).

(٧) «روح المعاني» (٢٩/٢٨٤)، و«البحر المحيط» (١٠/٥٣٣). القراءة بالنصب قراءة شاذة.

لشأنها، كما تقدّم بيانه في قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣] وقيل: معنى الكلام على التحذير. قال الزجاج[(١)]: والعرب تحذر وتُغري بالرفع كالنصب، وأنشد قول الشاعر:

لـجـديـرونَ بـالـوفـاءِ إذا قـالَ أخـو الـنَّـجْـدةِ الـسـلاحُ الـسـلاحُ[(٢)]

والحمل على معنى التفخيم، والتعظيم أولى، ويؤيده وضع الظاهر موضع الضمير، فإنه أدلّ على هذا المعنى، ويؤيده أيضاً قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فإنه تأكيد لشدّة هولها، ومزيد فظاعتها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية أحد منهم، وما الاستفهامية مبتدأ، وأدراك خبرها، وما القارعة مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب[(٣)] على أنها المفعول الثاني.

والمعنى: وأيّ شيء أعلمك ما شأن القارعة؟

ثم بيّن سبحانه متى تكون القارعة فقال:[٤/٢٦٣] ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ وانتصاب الظرف بفعل محذوف تدلّ عليه القارعة؛ أي: تقرعهم يوم يكون الناس إلخ، ويجوز أن يكون منصوباً بتقدير اذكر.

وقال ابن عطية[(٤)]، ومكي[(٥)]، وأبو البقاء[(٦)]: هو منصوب بنفس القارعة، وقيل: هو خبر مبتدأ محذوف، وإنما نصب لإضافته إلى الفعل، فالفتحة فتحة بناء لا فتحة إعراب؛ أي: هي يوم يكون إلخ. وقيل: التقدير: ستأتيكم القارعة يوم يكون، وقرأ زيد بن عليّ[(٧)] برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدّر.

والفراش: الطير الذي تراه يتساقط في النار والسراج، والواحدة فَراشة، كذا قال أبو عبيدة[(٨)] وغيره. قال الفراء[(٩)]: الفراش هو الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣٥٥). (٢) «البحر المحيط» (١٠/٥٣٣).
(٣) «الفريد» (٤/٧١٩)، و«روح المعاني» (٢٩/٢٨٥).
(٤) «المحرر الوجيز» (١٦/٣٥٦). (٥) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/٤٩٥).
(٦) في «التبيان» (٢/١٣٠١).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/٥٣٤)، و«الدر المصون» (٦/٥٦٤)، و«روح المعاني» (٢٩/٢٨٥). القراءة بالرفع قراءة شاذة.
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/٣٠٩) حيث قال: طيرٌ لا بعوض ولا ذباب هو الفراش.
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/٢٨٦).

قال: وبه يُضرب المثل في الطيش، والهوج، يقال: أطيش من فراشة، وأنشد:

فراشةُ الحلم فرعونُ العذابِ وإنْ يُطلَبْ نداهُ فكلبٌ دونَه كلبُ

وقال آخر:

وقد كان أقوامٌ رَدَدْتُ حلومهم عليهم وكانوا كالفراشِ مِنَ الجْهلِ(١)

والمراد بالمبثوث(٢): المتفرّق المنتشر، يقال: بثّه: إذا فرقه، ومثل هذا قوله سبحانه في آية أخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وقال: المبثوث، ولم يقل: المبثوثة؛ لأن الكل جائز، كما في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقد تقدّم بيان وجه ذلك.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ أي: كالصوف الملوّن بالألوان المختلفة الذي نُفش بالندف، والعهن عند أهل اللغة: الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة.

وقد تقدّم بيان هذا في سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج: ١]، وقد ورد في الكتاب العزيز أوصاف للجبال يوم القيامة. وقد قدّمنا بيان الجمع بينها.

ثم ذكر سبحانه أحوال الناس، وتفرّقهم فريقين على جهة الإجمال فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ قد تقدّم القول في الميزان في سورة الأعراف، وسورة الكهف، وسورة الأنبياء.

وقد اختلف فيها هنا، فقيل: هي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، وبه قال الفرّاء(٣) وغيره، وقيل: هي جمع ميزان، وهو الآلة التي توضع فيها صحائف الأعمال، وعبّر عنه بلفظ الجمع، كما يقال لكلّ حادثة: ميزان.

وقيل: المراد بالموازين: الحجج(٤) والدلائل، كما في قول الشاعر:

قد كنتُ قبلَ لقائِكم ذا مِرَّةٍ عندي لكلٍّ مخاصِمٍ ميزانَه(٥)

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٣).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٠٨).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٨٦).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٥).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

ومعنى عيشة راضية: مرضية يرضاها صاحبها. قال الزجاج: أي: ذات رضى يرضاها صاحبها، وقيل: عيشة راضية؛ أي: فاعلة للرضى، وهو اللين، والانقياد لأهلها. والعيشة كلمة تجمع النِّعم التي في الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت سيئاته على حسناته، أو لم تكن له حسنات يعتدّ بها.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: فمسكنه جهنم، وسماها أمه؛ لأنه يأوي إليه، كما يأوي إلى أمه، والهاوية من أسماء جهنم، وسميت هاوية؛ لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها. ومنه قول أمية بن أبي الصلت[١]:

فالأرضُ معقِلُنا وكانتْ أُمَّنَا ... فيها مقابِرُنا وفيها نُولَدْ

وقول الآخر:

يا عمرُو لو نالتْكَ أرماحُنا ... كنتَ كَمَنْ تهوي به الهاويةْ[٢]

والمهوى، والمهواة: ما بين الجبلين، وتهاوى القوم في المهواة: إذا سقط بعضهم في إثر بعض.

قال قتادة[٣]: معنى ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ فمصيره إلى النار. قال عكرمة[٤]: لأنه يهوي فيها على أمّ رأسه.

قال الأخفش[٥]: أمه: مستقرّه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾؟ هذا الاستفهام للتهويل[٦]، والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر، ولا تدري كنهها.

ثم بيّنها سبحانه فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾؛ أي: قد انتهى حرّها، وبلغ في الشدّة إلى الغاية، وارتفاع[٧] ﴿نَارٌ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي نار حامية.

---

(١) «ديوان أمية» (ص٥٢).
(٢) البيت لعمرو بن مِلْقط وهو شاعر جاهلي. «خزانة الأدب» (٩/ ٢١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٩٥) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٦).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦).
(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٩١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٨٣).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٣٠١)، و«الفريد» (٤/ ٧٢٠).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس[١] قال: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة.

وأخرج ابن المنذر[٢] عنه في قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ قال: كقوله: هوت أمه.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن عكرمة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ قال: أمّ رأسه هاوية في جهنم.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن أنس، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة؟ فإذا كان مات، ولم يأتهم قالوا: خُولف به إلى أمه الهاوية، فبئست الأمّ، وبئست المربية».

وأخرج ابن مردويه[٥] من حديث أبي أيوب الأنصاري نحوه.

وأخرج ابن المبارك[٦] من حديث أبي أيوب نحوه أيضاً.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٩٢) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٦).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٦).
(٤) أخرجه مردويه ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٣٩).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٦).
(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٤٤٧).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

هي ثمان آيات وهي مكية[١] عند الجميع. وروى البخاري[٢] أنها مدنية.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزل بمكة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

وأخرج الحاكم، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾»؟.

وأخرج الخطيب في «المتفق» والمفترق، والديلمي عن عمر بن الخطاب[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ في ليلة ألف آية لقي الله وهو ضاحك في وجهه، قيل: يا رسول الله، ومن يقوى على ألف آية؟ فقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ إلى آخرها، ثم قال: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ألف آية».

وأخرج مسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن عبد الله بن الشّخير[٥] قال: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وفي لفظ: وقد أنزلت عليه ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وهو يقول: «يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلّا ما أكلت، فأفنيت». وأخرجه مسلم، وغيره من حديث أبي هريرة، ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة، ولا نزولها بلفظ: «يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٥٤٨)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٣٣٩، ٦٤٤٠) من حديث أُبي بن كعب.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٦٦)، والبيهقي رقم (٢٥١٨). وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه الخطيب رقم (١٩٧) وقال: الراوي له عن يحيى بن بكير مجهول. والحديث غير ثابت.

(٥) أخرجه الطيالسي رقم (١٢٤٤)، وأحمد رقم (١٦٣٠٥، ١٦٣٠٦، ١٦٣٢٢) وعبد بن حميد رقم (٥١٣ ـ منتخب)، ومسلم رقم (٢٩٥٨)، والترمذي رقم (٢٣٤٢، ٣٣٥٤)، والنسائي رقم (٣٦١٥)، وابن جرير (٢٤/ ٥٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٨٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٣).

ثلاثة: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدّق فأقنى، وما سوى ذلك، فهو ذاهب، وتاركه للناس».

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والبيهقي في «الشُّعب»، وضعفه عن جرير بن عبد الله[1] قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إني قارئ عليكم سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، فمن بكى، فله الجنة، فقرأها، فمنّا مَنْ بكى، ومنا من لم يبك، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي، فلم نقدر عليه، فقال: إني قارئها عليكم الثانية، فمن بكى، فله الجنة، ومن لم يقدر أن يبكي، فليتباكى».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[التفاخر في الدنيا والسؤال عن الأعمال]:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؛ أي: شغلكم التكاثُر بالأموال والأولاد، والتفاخر بكثرتها، والتغالب فيها. يقال: ألهاه عن كذا، وألهاه: إذا شغله، ومنه قول امرئ القيس[2]:

فألهيتُها عن ذي تمائِمَ مُحْوِلِ[3]

وقال الحسن[4]: معنى ألهاكم: أنساكم ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾؛ أي: حتى أدرككم الموت، وأنتم على تلك الحال. وقال قتادة[5]: إن التكاثر التفاخر بالقبائل والعشائر.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ١٩٨)، والبيهقي رقم (٢٠٥٤).
(٢) «ديوان امرئ القيس» (ص١٢).
(٣) وصدر البيت:

فمثلكِ حُبْلى قد طرقتُ ومرضعٍ.

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٨٧).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٩٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٣٠) بسند صحيح.

وقال الضحاك[١]: ألهاكم التشاغلُ بالمعاش. وقال مقاتل[٢]، وقتادة[٣] أيضاً، وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا.

وقال الكلبي[٤]: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سَهْم تعادّوا، وتكاثروا بالسيادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حيّ منهم: نحن أكثر سيداً، وأعزّ عزيزاً، وأعظم نفراً، وأكثر قائداً، فكثر بنو عبد مناف بني سهم، ثم تكاثروا بالأموات، فكثرتهم بهم، فنزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فلم ترضوا ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ مفتخرين بالأموات. وقيل: نزلت في حيين من الأنصار.

والمقابر: جمع مقبرة بفتح الباء وضمها.

[الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة]:

وفي الآية دليل على أنّ الاشتغال بالدنيا، والمكاثرة بها، والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة، وقال سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ولم يقل عن كذا، بل أطلقه؛ لأنّ الإطلاق أبلغ في الذمّ؛ لأنّه يذهب الوهم فيه كلّ مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام، ولأن حذف المتعلق مشعر بالتعميم[٥]، كما تقرّر في علم البيان؛ والمعنى أنه شغلكم التكاثر عن كلّ شيء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله، والعمل للآخرة، وعبّر عن موتهم بزيارة المقابر؛ لأن الميت قد صار [٤/٢٦٤] إلى قبره، كما يصير الزائر إلى الموضع الذي يزوره هذا على قول من قال: إن معنى ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: متم.

أما على قول من قال: إن معنى: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ ذكرتم الموتى، وعددتموهم للمفاخرة، والمكاثرة، فيكون ذلك على طريق التهكّم بهم، وقيل: إنهم كانوا يزورون المقابر، فيقولون: هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٨٧).

(٢) «أسباب النزول» (ص٤٩٩)، «معالم التنزيل» (٨/ ٥١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٤٩).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥١٧).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٥٤٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥١٧).

(٥) «روح المعاني» (٢٩/ ٢٩٦).

[الثاني أبلغ من الأول في الردع والزجر]:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ردْع وزجر لهم عن التكاثر، وتنبيه على أنّهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة، وفيه وعيد شديد. قال الفرّاء[١]: أي: ليس الأمر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر. ثم كرّر الردع والزجر، والوعيد فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ و«ثم» للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأوّل، وقيل: الأوّل عند الموت أو في القبر، والثاني يوم القيامة.

قال الفرّاء[٢]: هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد. قال مجاهد[٣]: هو وعيد بعد وعيد. وكذا قال الحسن[٤]، ومقاتل[٥].

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ أي: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علماً يقيناً كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير، وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه، (وكلّا) في هذا الموضع الثالث للزجر، والردع كالموضعين الأوّلين. وقال الفرّاء[٦]: هي بمعنى «حقاً»، وقيل: هي في المواضع الثلاثة بمعنى «ألا».

قال قتادة: اليقين هنا الموت، وروي عنه أيضاً أنه قال: هو البعث. قال الأخفش[٧]: التقدير لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم، وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواب قسم محذوف، وفيه زيادة وعيد وتهديد؛ أي: والله لترونّ الجحيم في الآخرة.

قال الرازي[٨]: وليس هذا جواب «لو»، لأن جواب «لو» يكون منفيّاً، وهذا مثبت؛ ولأنه عطف عليه ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وهو: مستقبل لا بدّ من وقوعه قال: وحذف جواب «لو» كثير، والخطاب للكفار، وقيل: عام كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٧). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٧).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٥٤٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥١٨).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٥٤٩). (٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٥١٨).
(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٩٣) بسند صحيح.
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧).
(٨) في «تفسيره» (٣٢/ ٧٨).

قرأ الجمهور[١]: «لَتَرونّ» بفتح التاء مبنيّاً للفاعل وقرأ الكسائي، وابن عامر بضمها[٢] مبنيّاً للمفعول.

ثم كرّر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: ثم لترونّ الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين، وهي المشاهدة والمعاينة، وقيل: المعنى: لترونّ الجحيم بأبصاركم على البعد منكم، ثم لترونها مشاهدة على القرب. وقيل: المراد بالأوّل رؤيتها قبل دخولها، والثاني رؤيتها حال دخولها. وقيل: هو إخبار عن دوام بقائهم في النار؛ أي: هي رؤية دائمة متصلة.

وقيل: المعنى: لو تعلمون اليوم علم اليقين، وأنتم في الدنيا لترونّ الجحيم بعيون قلوبكم، وهو أن تتصوّروا أمر القيامة وأهوالها.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن العمل للآخرة. قال قتادة: يعني: كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا ربّ النعم حيث عبدوا غيره، وأشركوا به.

قال الحسن[٣]: لا يسأل عن النعيم إلّا أهل النار. وقال قتادة[٤]: إن الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه، وهذا هو الظاهر، ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من «الأفراد»، أو نِوع من الأنواع؛ لأن تعريفه للجنس، أو الاستغراق، ومجرّد السؤال لا يستلزم تعذيب المسئول على النعمة التي يسئل عنها، فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التي أنعم بها عليه فيم صرفها، وبم عمل فيها؟ ليعرف تقصيره، وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر.

وقيل[٥]: السؤال عن الأمن[٦] والصحة، وقيل: عن الصحة[٧] والفراغ، وقيل:

---

(١) «التيسير» (ص٢٢٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٧)، و«النشر» (٢/ ٤٠٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «الوسيط» (٤/ ٥٤٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥١٩).
(٤) «الوسيط» (٤/ ٥٤٩).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٠٣) عن ابن مسعود.
(٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٤١٢) عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «نعمتان =

عن الإدراك[١] بالحواسّ، وقيل[٢]: عن ملاذ المأكول والمشروب، وقيل: عن الغداء[٣] والعشاء، وقيل: عن بارد الشراب[٤] وظلال المساكن، وقيل: عن اعتدال[٤] الخَلْق، وقيل: عن لذة النوم، والأولى العموم، كما ذكرنا.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٥] عن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان، وفلان. وقال الآخرون: مثل ذلك تفاخروا بالأحياء. ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبر، ومثل فلان، وفعل الآخرون كذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: في الأموال والأولاد.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن زيد بن أسلم[٧] عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يعني عن الطاعة ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ يقول: حتى يأتيكم الموت ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: لو قد دخلتم قبوركم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ قال: لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ وذلك أن الصراط يوضع وسط جهنم، فناجٍ مُسلَّم، ومخدوش مُسلّم، ومكدوش في نار جهنم

= مغبون فيهما كثير من الناس: الصحةُ والفراغ».

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٠٤) عن ابن عباس بسند صحيح.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٢) عن الحسن.

(٤) قاله مكحول الشامي: أنَّه شبعُ البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخُلق، ولذّةُ النوم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) وهو أثر ضعيف لإرساله.

(٦) أخرجه ابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٨)

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٤٢) بسند ضعيف لضعف ابن زيد بن أسلم، وهو عبد الرحمٰن.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم.

وأخرج ابن مردويه[١] عن عياض بن غَنْم مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن مسعود[٣] عن النبيّ ﷺ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قال: «الأمن، والصحة».

وأخرج البيهقي عن عليّ بن أبي طالب[٤] قال: النعيم: العافية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه في الآية قال: من أكل خبز البُرّ، وشرب ماء الفرات مبرداً، وكان له منزل يسكنه، فذلك من النعيم الذي يسأل عنه.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في الآية: أكل خبز البُرّ، والنوم في الظلّ، وشرب ماء الفرات مبرداً. ولعل رفع هذا لا يصح، فربما كان مِنْ قول أبي الدرداء.

وأخرج أحمد في الزهد، وابن مردويه عن أبي قلابة[٧] عن النبيّ ﷺ في

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦١١).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٠٤)، والبيهقي رقم (٤٦١٣) بسند صحيح.
(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد (ص١٥٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٤٩)، وابن جرير (٢٤/ ٦٠٣) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه البيهقي رقم (٤٦١٢).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦١٢).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦١٢).
(٧) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٣١).

الآية قال: «ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل بالنقيّ، فيأكلونه» وهذا مرسل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن عكرمة[١] قال: لما نزلت هذه الآية. قال الصحابة: «يا رسول الله أيّ نعيم نحن فيه؟ وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد، فهذا من النعيم».

وأخرج ابن أبي شيبة، وهناد، وأحمد، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في الشُّعب عن محمود بن لبيد[٢] قال: «لما نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قالوا: يا رسول الله أيّ نعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: الماء، والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدوّ حاضر، فعن أيّ نعيم نُسأل؟ قال: أما إنّ ذلك سيكون».

وأخرجه عبد بن حميد، والترمذي، وابن مردويه من حديث أبي هريرة[٣].

وأخرجه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه من حديث الزبير بن العوّام[٤].

وأخرج أحمد في «الزهد»، وعبد بن حُميد، والترمذي، وابن جرير، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في «الشُّعب» عن أبي هريرة[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أوّل ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصحّ لك جسدك، ونروك من الماء البارد؟».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٤٤٩/١٤)، بسند ضعيف، لضعف حفص بن عمر العدني، وإرسال عكرمة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٣١/١٣)، وهناد رقم (٧٦٨)، وأحمد رقم (٢٣٦٤٠)، وابن جرير (٦٠٨/٢٤)، والبيهقي رقم (٤٥٩٨). وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٥٧). وهو حديث حسن لغيره.

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٤٠٥)، والترمذي رقم (٣٣٥٦)، وابن ماجه رقم (٤١٥٨) بسند حسن.

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٣١)، زوائد عبد الله، والترمذي رقم (٣٣٥٨)، وابن جرير (٦٠٩/٢٤)، وابن حبان رقم (٧٣٦٤)، والحاكم (١٣٨/٤)، والبيهقي رقم (٤٦٠٧). وهو حديث صحيح.

مردويه، والبيهقي في «الشُّعب» عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: «جاءنا رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، فأطعمناهم رُطباً، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله ﷺ: [٤/٢٦٥] هذا من النعيم الذي تسألون عنه».

وأخرج عبد بن حُميد، وابن مردويه، والبيهقي من حديث جابر بن عبد الله[(٢)] نحوه.

وأخرج مسلم، وأهل السُّنن، وغيرهم عن أبي هريرة[(٣)] قال: «خرج النبيّ ، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً، فقال النبيّ ﷺ أين فلان؟ قالت: انطلق يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاريّ فنظر إلى النبيّ ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً منّي، فانطلق، فجاء بَعذْق فيه بُسر، وتمر. فقال: كلوا من هذا، وأخذ المُدية، فقال له رسول الله ﷺ: إيّاك والحلوبَ، فذبح لهم فأكلوا مِنْ الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: والذي نفسي بيده لنسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة» وفي الباب أحاديث.اهـ.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه أحمد رقم (١٤٦٣٧، ١٤٧٨٦)، والنسائي رقم (٣٦٤١)، وابن جرير (٢٤/٦٠٥)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/٢٧٧) ـ والبيهقي رقم (٤٦٠٠، ٥٨٧٧). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي رقم (٤٥٩٩)، وأحمد رقم (١٥٢٠٦) بسند صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٠٣٨)، وأبو داود رقم (٥١٢٨)، والترمذي رقم (٢٣٦٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٩٧)، وابن ماجه رقم (٣١٨٠)، وابن جرير (٢٤/٦٠٥ ـ ٦٠٧)، والبيهقي رقم (٤٦٠٢).

سورة العصر

هي ثلاث آيات وهي مكية عند الجمهور[١]. وقال قتادة[٢]: هي مدنية.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس قال: نزلت سورة العصر بمكة.

وأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب عن أبي مزينة[٤] الدارمي، وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحاب النبيّ ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر. ثم يسلم أحدهما على الآخر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[رسالة الحياة: في هذه السورة يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام]:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ① إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ③﴾.

أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار، وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالة بينة على الصانع ﷻ، وعلى توحيده، ويقال لليل: عصر، وللنهار: عصر، ومنه قول حميد بن ثور:

ولم يَلْبَثَ العصْرانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبَا أنْ يُدْرَكَا ما تمنيا[٥]

ويقال للغداة والعشيّ: عصران، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٨).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٠٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢١).

(٤) أخرجه الطبراني رقم (٥١٢٤)، والبيهقي رقم (٩٠٥٧) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٧): ورجاله رجال الصحيح غير ابن عائشة وهو ثقة.

(٥) «ديوان حميد بن ثور» (ص٨)، و«إصلاح المنطق» (ص٤٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٣). في «المخطط» (ما تمنيا) والصواب: ما تيمّما.

وأمطُلُه العصريْنِ حتَّى يملَّني ويرضَى بنصفِ الدَّينِ والأنفُ راغِمُ[١]

وقال قتادة[٢] والحسن: المراد به في الآية العشيّ، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، ومنه قول الشاعر:

تَرَوَّحْ بنا عمرٌو وقد قَصَرَ العصْرُ وفي الرَّوْحةِ الأُوْلَى الغنيمةُ والأَجْرَ[٣]

وروي عن قتادة[٤] أيضاً: أنه آخر ساعة من ساعات النهار. وقال مقاتل[٥]: إن المراد به: صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها، وقيل: هو قسم بعصر النبيّ ﷺ.

قال الزجاج[٦]: قال بعضهم: معناه، وربِّ العصر، والأوّل أولى.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ هذا جواب القسم. الخسر، والخسران: النقصان، وذهابُ رأس المال، والمعنى: أن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص، وضلال عن الحق حتى يموت.

وقيل: المراد بالإنسان: الكافر، وقيل: جماعة[٧] من الكفار: وهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، والأوّل أولى لما في لفظ الإنسان من العموم، ولدلالة الاستثناء عليه. قال الأخفش[٨] «في خسر»: في هلكة. وقال الفراء[٩]: عقوبة. وقال ابن زيد[١٠]: لفي شرّ.

قرأ الجمهور[١١]: «والعَصْر» بسكون الصاد. وقرءوا أيضاً «خُسْر»[١٢] بضم الخاء، وسكون السين.

وقرأ يحيى بن سلام[١٣]: «والعَصِر» بكسر الصاد.

---

(١) البيت في «ديوان عبيد بن الأبرص» (ص١٢٧) برواية ويرضى ببعض الدَّين في غير نائل.
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٤).
(٣) «تهذيب اللغة» (٢/ ١٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٤).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٥٥١).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٥٩).
(٧) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٨٦).
(٨) «الصحاح» (٢/ ٦٤٥).
(٩) «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٩).
(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٤).
(١١) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٦٧).
(١٢) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٩٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣١١ ـ ٣١٢).
(١٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٩).

وقرأ الأعرج، وطلحة، وعيسى: «خُسُر» بضم الخاء[١] والسين، ورويت هذه القراءة عن عاصم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، فإنهم في ربح لا في خسر؛ لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها، والاستثناء[٢] متصل، ومن قال: إن المراد بالإنسان: الكافر فقط، فيكون منقطعاً، ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة، ولا وجه لما قيل: من أن المراد: الصحابة أو بعضهم، فإن اللفظ عام لا يخرج عنه أحد ممن يتصف بالإيمان، والعمل الصالح.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: وصّى بعضُهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله، والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه.

قال قتادة[٣]: بالحق؛ أي: بالقرآن. وقيل: بالتوحيد، والحمل على العموم أولى.

[الصبر يضاعف المقدرة مما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ووحدة المتجه]:

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ أي: بالصبر عَنْ معاصي الله سبحانه، والصبر على فرائضه. وفي جعل التواصي بالصبر قريناً للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره، وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وأيضاً التواصي بالصبر مما يندرج تحت[٤] التواصي بالحق، فإفراده بالذكر، وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق، ومزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها.

وقد أخرج ابن المنذر[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ قال: الدهر.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٣٩). القراءة المتواترة قراءة الجمهور بسكون الصاد في (العصر) والسين في (خسر) وغيرها قراءات شاذة، والرواية عن عاصم بضم السين شاذة.

(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٣١٠ ـ ٣١١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٨٦).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٧).

(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ٣١١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٨٧).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٢).

وأخرج ابن جرير[(١)] عنه قال: هو ساعة من ساعات النهار.

وأخرج ابن المنذر عنه[(٢)] أيضاً قال: هو ما قبل مغيب الشمس من العشيّ.

وأخرج الفريابي، وأبو عبيد في «فضائله»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف» عن عليّ بن أبي طالب[(٣)] أنه كان يقرأ: «﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: نوائب الدهر ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ وإنه فيه إلى آخر الدهر».

وأخرج عبد بن حميد[(٤)] عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «والعصر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفيه إلى آخر الدهر».اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦١٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٢).

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص١٨٩)، وابن جرير (٢٤/ ٦١٣)، والحاكم (٢/ ٥٣٤) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٢)، والقراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف. «جامع البيان» (٢٤/ ٦١٢ ـ ٦١٣).

سورة الهمزة

هي تسع آيات وهي مكية(١) بلا خلاف.

وأخرج ابن مردويه(٢) عن ابن عباس قال: أنزلت: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أي: سورة الهمزة؛ بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[يجمع المال ويظنه كفيلاً بالخلود؟]:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩﴾.

الويل: هو مرتفع(٣) على الابتداء، وسوّغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم، وخبره ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

والمعنى: خزي، أو عذاب، أو هلكة أو واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

قال أبو عبيدة(٤)، والزجاج(٥): الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس، وعلى هذا هما بمعنى وقال أبو العالية(٦)، والحسن(٧)، ومجاهد(٨)، وعطاء بن أبي رباح(٩): الهمزة الذي يغتاب الرجل في وجهه، واللمزة: الذي يغتابه من خلفه.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣١٤).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٩٨)، و«الفريد» (٤/ ٧٢٥).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١١). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦١).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٤/ ٦١٨) من طريق الربيع، به.
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٢٧).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦١٧) بسند صحيح. (٩) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٥).

وقال قتادة[١] عكس هذا. وروي عن قتادة[٢]، ومجاهد[٣] أيضاً أن الهمزة: الذي يغتاب الناس في أنسابهم. وروي عن مجاهد[٤] أيضاً أن الهمزة: الذي يهمز الناس بيده. واللمزة الذي يلمزهم بلسانه. وقال سفيان[٥] الثوري: يهمزهم بلسانه، ويلمزهم بعينه.

وقال ابن كيسان[٦] الهمزة: الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بيده وبرأسه وبحاجبه، والأوّل أولى، ومنه قول زياد الأعجم:

تُدْلي بُودٍّ إذا لاقيتَني كَذِباً ... وإنْ أُغِيَّبُ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ[٧]

وقول الآخر:

إذا لقيتُك عن سُخْطٍ تكاشِرني ... وإنْ تغيَّبْتُ كنتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ[٨]

وأصل الهمز: الكسر، يقال: همز رأسه: كسره، ومنه قول العجّاج[٩]:

ومَنْ هَمَزْنَا رأسَه تهشَّما

وقيل: أصل الهمز واللمز: الضرب والدفع، يقال: همَزه يهمزُه هَمْزاً، ولمزه يلمزُه لمْزاً: إذا دفعه وضربه، ومنه قول الشاعر[١٠]:

ومَنْ هَمَزْنَا عِزَّه تَبَرْكَعَا ... على أسْتِه زوبعةٌ أو زَوْبَعَا[١١]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦١٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦١٨) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦١٧) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦١٨) بسند صحيح.
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٥)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٢٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٩).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٦١٦).
(٨) «ديوان زياد الأعجم» (ص١٢٧) برواية:
إذا لقيتُك تُبْدي لي مكاشرة ... وإنْ أغِب فلأنْتَ الهامز اللُّمَزة
(٩) «ديوان رؤبة» (ص١٨٤ ـ الملحق).
(١٠) والذي في «ديوان رؤبة» (ص٦٣):
ومن همزنا رأسه تلعلعا ... ومن أبحنا عزَّه تبركعا
على استه روبعة أو روبعا
(١١) «مجالس ثعلب» (ص٦٤)، و«أمالي القالي» (١/ ١٠٥).

=

البركعة: القيام على أربع، يقال بركعَه، فتبركع؛ أي: صرعه، فوقع على أسته، كذا في «الصِّحاح»[(١)]، وبناء فُعَلَة يدلّ على الكثرة، ففيه دلالة على أنه يفعل ذلك كثيراً، وأنه قد صار ذلك عادة له،[٤/٢٦٦] ومثله ضُحَكة ولُعَنة. قرأ الجمهور[(٢)]: «هُمَزة لُمَزة» بضم أوّلهما، وفتح الميم فيهما.

وقرأ الباقر، والأعرج بسكون الميم[(٣)] فيهما. وقرأ أبو وائل، والنخعي، والأعمش: «ويل للهمزة[(٤)] اللمزة».

والآية تعمّ كلّ من كان متصفاً بذلك، ولا ينافيه نزولها على سبب خاص، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ الموصول[(٥)] بدل من كلّ، أو في محل نصب على الذمّ، وهذا أرجح؛ لأن البدل يستلزم أن يكون المبدل منه في حكم الطرح، وإنما وصفه سبحانه بهذا الوصف؛ لأنّه يجري مجرى السبب، والعلة في الهمز واللمز، وهو إعجابه بما جمع مِنْ المال، وظنه أنه الفضل، فلأجل ذلك يستقصر غيره.

قرأ الجمهور[(٦)]: «جَمَع» مخففاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بالتشديد[(٧)].

وقرأ الجمهور[(٨)]: «وعدّده» بالتشديد، وقرأ الحسن، والكلبي، ونصر بن عاصم، وأبو العالية بالتخفيف[(٩)]، والتشديد في الكلمتين يدلّ على التكثير وهو جمع الشيء بعد الشيء، وتعديده مرّة بعد أخرى.

= البركعة: القيام على أربع، وبركعه فتبركع؛ أي: صَرَعَه فوقع على اسْتِهِ.

(١) «الصحاح» (٣/ ٩٠٢).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤١)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٩١). قراءة الجمهور هي المتواترة، أما إسكان الميم فقراءة شاذة، وقراءة الاعمش ومن معه شاذة ومخالفة للرسم.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٩)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣١٥).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٤١).

(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٩٩)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٣)، و«الفريد» (٤/ ٧٢٥ ـ ٧٢٦).

(٦) «التيسير» (ص٢٢٥)، و«النشر» (٢/ ٤٠٣)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٢٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٩).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ بالتشديد أبو جعفر وخلف وروح وهي قراءة متواترة.

(٨) «جامع البيان» (٢٤/ ٦٢٠ ـ ٦٢١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٤١)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٣).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتخفيف قراءة شاذة.

قال الفراء[١]: معنى عدّده: أحصاه.

وقال الزجاج[٢]: وعدّده لنوائب الدّهور. يقال: أعددتُ الشيء وعددتُه: إذا أمسكته. قال السديّ[٣]: أحصى عدده.

وقال الضحاك[٤]: أعدّ ماله لمن يرثه. وقيل: المعنى فاخر بكثرته وعدده، والمقصود: ذمُّه على جمع المال، وإمساكه، وعدم إنفاقه في سبيل الخير. وقيل: المعنى على قراءة التخفيف في عدّده: أنه جمع عشيرته وأقاربه.

قال المهدوي[٥]: مَنْ خفف وعدّده، فهو معطوف على المال؛ أي: وجمع عدده.

وجملة: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ مستأنفة: لتقرير ما قبلها، ويجوز أن تكون في محل نصب[٦] على الحال؛ أي: يعمل عمل مَنْ يظنّ أن ماله يتركه حيّاً مخلداً لا يموت. وقال عكرمة[٧]: يحسب أن ماله يزيد في عمره؟ والإظهار في موضع الإضمار للتقريع[٨] والتوبيخ.

وقيل: هو تعريض بالعمل الصالح، وأنه الذي يخلد صاحبه في الحياة الأبدية لا المال.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ رَدْع له عن ذلك الحسبان؛ أي: ليس الأمر على ما يحسبه هذا الذي جمع المال وعدده.

واللام في: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليُطرحَنّ في النار، وليلقينّ فيها.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٩٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦١).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٦).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧١).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٢).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٩٩)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٣)، و«الفريد» (٦/ ٧٢٦).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٢).
(٨) «روح المعاني» (٢٩/ ٣١٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٨٩).

قرأ الجمهور(١): «لينبذنّ» وقرأ عليّ، والحسن، ومحمد بن كعب، ونصر بن عاصم، ومجاهد، وحُميد، وابن محيصن: «لينبذانّ»(٢) بالتثنية؛ أي: لينبذ هو وماله في النار.

وقرأ الحسن(٣) أيضاً: «لينبذنّ»؛ أي: لينبذن ماله في النار.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ هذا الاستفهام للتهويل(٤) والتفظيع حتى كأنها ليست مما تدركه العقول، وتبلغه الأفهام.

ثم بيّنها سبحانه فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾؛ أي: هي نار الله الموقدة بأمر الله سبحانه، وفي إضافتها إلى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم، وكذلك في وصفها بالإيقاد: وسُمّيت حطمة؛ لأنّها تحطم كلَّ ما يلقى فيها وتُهشّمه، ومنه:

إنا حَطَمْنَا بالقضيبِ مُصْعباً يومَ كَسَرْنا أَنْفَهُ لِيَغْضَبَا(٥)

قيل: هي الطبقةُ السادسة(٦) مِنْ طبقات جهنم، وقيل: الطبقة الثانية منها، وقيل: الطبقة الرابعة.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾؛ أي: يخلص حرّها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها، وخصّ الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم؛ لأنّها محلّ العقائد الزائغة، أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها؛ أي: إنّهم في حال مَنْ يموت، وهم لا يموتون.

وقيل: معنى: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بأمارات عرّفها الله بها.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ﴾؛ أي: مُطْبقة مغلقة، كما تقدّم بيانه في سورة البلد، يقال أصدتُ البابَ: إذا أغلقته، ومنه قول قيس بن الرقيّات(٧):

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤١)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٢٩)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتثنية شاذة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٣).

(٤) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٢٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٨٩).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٣).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤١)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤).

(٧) «ديوان عبد الله بن قيس الرقيَّات» (ص٨٤).

إنَّ فـي الـقـصـرِ لـو دخـلْـنـا غَـزَالاً   مُـصْـفَـقـاً مُـوْصَـداً عـلـيـه الـحِـجَـابُ

﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ في محل نصب[١] على الحال من الضمير في عليهم؛ أي: كائنين في عَمَد ممدّدة موثقين فيها، أو في محلّ[٢] رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم في عَمَد، أو صفة لمؤصدة؛ أي: مؤصدة بعمد ممدّدة. قال مقاتل[٣]: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدّت بأوتادٍ من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح.

ومعنى كون العمد ممدّدة: أنها مطوّلة، وهي: أرسخ من القصيرة. وقيل: العمد أغلال في جهنم، وقيل: القيود. قال قتادة[٤]: المعنى: هم في عمد يعذّبون بها، واختار هذا ابن جرير[٥].

قرأ الجمهور[٦]: «في عَمَدٍ» بفتح العين، والميم. قيل: هو اسم جمع لعمود. وقيل: جمع له.

قال الفرّاء[٧]: هي جمع لعمود كأديم وأَدَم. وقال أبو عبيدة: هي جمع عماد.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر بضم العين[٨]، والميم جمع عمود.

قال الفرّاء[٩]: هما جمعان صحيحان لعمود. واختار أبو عبيد[١٠]، وأبو حاتم قراءة الجمهور.

قال الجوهري[١١]: العمود عمود البيت، وجمع القلة أَعْمدة، وجمع الكثرة عَمَد وعُمُد، وقرئ بهما. قال أبو عبيدة[١٢]: العمود كل مستطيل من خشب أو حديد.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٣٠٤)، و«الفريد» (٤/ ٧٢٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٢٣) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٢٥)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٩٥) بسند صحيح.
(٥) في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٦).
(٦) «جامع البيان» (٢٤/ ٦٢٤)، و«النشر» (٢/ ٤٠٣)، و«التيسير» (ص٢٢٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٧٧٣).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).
(٨) انظر: المصادر في التعليقة رقم (٦).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩١).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦).
(١١) في «الصحاح» (٢/ ٥١١).
(١٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦).

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس(١) أنه سئل عن قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ قال: هو المشّاء بالنميمة، المفرّق بين الجمع، المُغري بين الإخوان.

وأخرج ابنُ جرير(٢) عنه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ قال: طعّان ﴿لُّمَزَةٍ﴾ قال: مُغْتاب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عنه أيضاً(٣) في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ قال: مُطْبقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ قال: عمد مِنْ نار.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عن ابن مسعود قال: هي الأدهم.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) عن ابن عباس قال: الأبواب هي الممدّدة.

وأخرج ابن جرير(٦) عنه في الآية قال: أدخلهم في عمد، فمدّت عليهم في أعناقهم، فشدّت بها الأبواب.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٩)، وابن أبي الدنيا رقم (١٢٦)، وابن جرير (٢٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦١٨) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٤٣٢، ٦٢٢) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٥).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٥).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٢٥) بسند ضعيف.

سُورَةُ الفِيلِ

هي خمس آيات وهي مكية[1] بلا خلاف.

وأخرج ابن مردويه[2] عن ابن عباس قال: أنزلت بمكة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قصة أصحاب الفيل]:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾.

الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لتقرير[3] رؤيته ﷺ بإنكار عدمها. قال الفراء[4]: المعنى ألم تُخبر؟ وقال الزجاج[5]: ألم تَعْلم؟ وهو تعجيب له ﷺ بما فعله الله ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة، وكيف منصوبة بالفعل الذي بعدها، ومعلقة لفعل الرؤية، والخطاب لرسول الله ﷺ، ويجوز أن يكون لكلّ مَنْ يصلح له.

والمعنى: قد علمت يا محمد، أو علم الناس الموجودون في عصرك، ومن بعدهم بما بلغكم من الأخبار المتواترة من قصة أصحاب الفيل، وما فعل الله بهم، فما لكم لا تؤمنون؟

والفيل هو الحيوان المعروف، وجمعه أفيال، وفيول، وفيلة. قال ابن

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٧)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٣١).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٢٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٩٠).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩١).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٢٣).

السكيت[١]: ولا تقول: أفيلة، وصاحبه فيّال.

وسيأتي ذكر قصة أصحاب الفيل إن شاء الله.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾؛ أي: ألم يجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة، واستباحة أهلها في تضليل عما قصدوا إليه حتى لم يصلوا إلى البيت ولا إلى ما أرادوه بكيدهم؟ والهمزة للتقرير كأنه قيل: قد جعل كيدهم في تضليل، والكيد: هو إرادة المضرّة بالغير؛ لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشاً بالقتل والسبي، ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾؛ أي: أقاطيع يتبع بعضُها بعضًا كالإبل المؤبلة.

قال أبو عبيدة[٢]: أبابيل: جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل؛ أي: جماعات من هٰهنا وهٰهنا.

قال النحاس[٣]: وحقيقته أنّها جماعات عِظام، يقال: فلان يؤبِّل على فلان؛ أي: يُعظْم عليه، ويُكْثر، وهو مشتق مِنْ الإبل، وهو من الجمع الذي لا واحد له. وقال بعضهم: واحده أبول مثل عجول. وقال بعضهم: أبيل.

قال الواحدي[٤]: ولم نر أحداً يجعل لها واحداً.

قال الفراء[٥]: لا واحد له من لفظه. وزعم الرؤاسي وكان ثقة أنه سمع في واحدها: أبّالة مشدّداً. وحكى الفرّاء[٦] أيضاً: أبالة بالتخفيف.

قال سعيد بن جبير[٧]: كانت طيراً من السماء لم ير قبلها ولا بعدها.

قال قتادة[٧]: هي: طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره لا يصيب شيئاً إلّا هشمه. وقيل[٨]: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع.

وقيل[٩]: كان لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكفّ كأكف الكلاب. وقيل: في صفتها غير ذلك، والعرب تستعمل الأبابيل في الطير، كما في قول الشاعر:

---

(١) في «إصلاح المنطق» (ص١٩١).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢).
(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٢٩٢).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٥٥٤).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩١).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٢).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٣٤) عن عكرمة.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٣٠) بسند صحيح عن ابن عباس.

تراهُم إلى الداعي سِراعاً كأنَّهم ... أبابيلُ طيرٍ تحتَ دَجْنٍ مُسْجَّنِ(١)

وتستعملها في غير الطير كقول الآخر:

كادتْ تهدَّ من الأصواتِ راحِلَتِي ... أنْ سالتِ الأرضُ بالجردِ الأبابيلِ(٢)

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ الجملة (٣)في محلّ نصب صفة لطير.

قرأ الجمهور(٤): «تَرْميهم» بالفوقية. وقرأ أبو حنيفة، وابن يَعْمُر، وعيسى، وطلحة بالتحتية(٥)، واسم الجمع يذكر ويؤنث. وقيل: الضمير في القراءة الثانية لله ﷻ.

قال الزجاج(٦) ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ أي: مما كتب عليهم العذاب به، مشتقاً من السجل.

قال في «الصحاح»(٧): قالوا: [٤/٢٦٧] هي حجارة من طين طُبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم. قال عبد الرحمٰن بن أبزى(٨): ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من السماء، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط، وقيل: من الجحيم التي هي سجين، ثم أبدلت النون لاماً، ومنه قول ابن مقبل(٩):

ضرباً تواصتْ به الأبطالُ سِجِّيلا

وإنما هو سجيناً. قال عكرمة(١٠): كانت ترميهم بحجارة معها، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجُدَري، وكان الحجر كالحِمّصة، وفوق العدسة، وقد قدّمنا الكلام في سجيل في سورة هود.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩١).
(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٠٢).
(٣) «الفريد» (٤/ ٧٣٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠٢).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٧٠)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٣٦).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٨٠)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٣٥). القراءة بالتحتية قراءة شاذة.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦٤). (٧) في «الصحاح» (٥/ ١٧٢٤).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٣٥) من طريق ابن وهب، عن ابن زيد بسند صحيح.
(٩) «ديوان ابن مقبل» (ص٣٣٣)، وصدر البيت:
ورجلة يضربون البيض عن عُرُضي
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٣)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٢٣) من طريق حصين، به.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾؛ أي: جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدّواب فرمت به من أسفل، شبَّه تقّطع أوصالهم بتفرّق أجزائه.

وقيل: المعنى: أنهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدّواب وبقي منه بقايا، أو أُكلت حبه، فبقي بدون حبه. والعصف[١]: جمع عَصْفة، وعُصافة، وعَصِيفة، وقد قدّمنا الكلام في العصف في سورة الرحمٰن، فارجع إليه.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِّفاح، فأتاهم عبد المطلب فقال: إن هذا بيت الله لم يُسلّط عليه أحداً، قالوا: لا نرجع حتى نهدمه، وكانوا لا يقدّمون فيلهم إلّا تأخر، فدعا الله الطير الأبابيل، فأعطاها حجارةً سوداً عليها الطين، فلما حاذتهم رمتهم، فما بقي منهم أحد إلّا أخذته الحِكّة، فكان لا يحكّ الإنسان منهم جلده إلّا تساقط لحمه.

وأخرج ابنُ المنذر، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي عنه[٣] قال: أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب، فقال لملكهم: ما جاء بك إلينا؟ ألا بعثت، فنأتيك بكل شيء؟ فقال: أُخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلّا أمِنَ، فجئتُ أخيف أهله، فقال: إنّا نأتيك بكل شيء تُريد، فارجع، فأبى إلّا أن يدخله، وانطلق يسير نحوه، وتخلّف عبد المطلب، فقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله، فأقبلت مثل السحابة مِنْ نحو البحر حتى أظلتهم طير أبابيل التي قال الله: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ فجعل الفيل يعجّ عجّاً ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

وقصة أصحاب الفيل مبسوطة مطوّلة في كتب التاريخ[٤] والسير، فلا نطوّل بذكرها.

وأخرج أبو نعيم[٥] في «الدلائل» عن ابن عباس في قوله: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٦٩).
(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٢٤).
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٥)، والبيهقي (١/ ١٢١، ١٢٢).
(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٣ ـ ٥٠)، و«الروض الأنف» (١/ ٦٨ ـ ٧١).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٣٢).

سِجِّيلٍ﴾ قال: حجارة مثل البندق، وبها نضح حُمرة مختّمة، مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره حلّقت عليهم من السماء، ثم أرسلت عليهم تلك الحجارة، فلم تَعْدُ عسكرهم.

وأخرج أبو نعيم[١] من طريق عطاء، والضحاك عنه أَنّ أبرهة الأشرم قدم من اليمن يريد هدمَ الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل يريدُ مجتمعة، لها خراطيم تحمل حصاة في منقارها، وحصاتين في رجليها، ترسل واحدة على رأس الرجل، فيسيل لحمه ودمه ويبقى عظاماً خاوية لا لحم عليها ولا جلد ولا دم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» عنه أيضاً[٢] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ يقول: كالتّبن.

وأخرج ابن إسحاق في السيرة، والواقديّ، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن عائشة[٣] قالت: لقد رأيتُ قائد الفيل، وسائسه بمكة أعميين مُقْعدين يستطعمان.

وأخرج الواقديّ[٤] نحوه عَنْ أسماء بنت أبي بكر.

وأخرج أبو نعيم، والبيهقي عَنْ ابن عباس[٥] قال: ولد النبيّ ﷺ عام الفيل. وأخرج ابن إسحاق، وأبو نعيم، والبيهقي عَنْ قيس بن مخرمة قال: ولدتُ أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٣)، والبيهقي (١/ ١٢٣).

(٣) أخرجه ابن إسحاق رقم (١٤)، والواقدي كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٦٢)، والبيهقي (١/ ١٢٥).

(٤) لم نقف عليه عند غير المصنف.

(٥) أخرجه البيهقي (١/ ٧٥).

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ويقال: سورة ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ وهي أربع آيات وهي مكيّة عند الجمهور[١]، وقال الضحاك، والكلبي: هي مدنية[٢].

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس قال: نزلت سورة: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ بمكة.

وأخرج البخاري في تاريخه، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن أم هانئ[٤] بنت أبي طالب، أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خصال لم يُعطها أحداً قبلهم، ولا يعطيها أحداً بعدهم: أَنّي فيهم. وفي لفظ: النبوّة فيهم، والخلافةُ فيهم، والحجابةُ فيهم، والسقاية فيهم، ونُصروا على الفيل، وعبدوا الله سبع سنين. وفي لفظ: عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾».

قال ابن كثير[٥]: هو: حديثٌ غريب، ويشهد له ما أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن مردويه، وابن عساكر عن الزبير بن العوّام[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل الله قريشاً بسبع خصال: فضلهم بأنّهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده إلّا قريش، وفضلهم بأنّه نصرهم يوم الفيل، وهم مشركون، وفضلهم بأنها نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين غيرهم، وهي: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، وفضلهم بأن فيهم النبوّة، والخلافة، والسقاية».

---

(١) «زاد المسير» (٩/ ٢٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٧٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٣٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥٤٠).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٣٤).

(٤) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٣٢٠، ٣٢١)، والطبراني (ج٢٤) رقم (٩٩٤)، والحاكم (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٦٥).
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٧٣٠) وأمّا هذه السورة لم أرَ فيها حديثاً مرفوعاً صحيحاً.

(٥) في «تفسيره» (١٤/ ٤٦٥).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (٩١٧٣)، وابن عساكر (٦٤/ ١٥).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥): «فيه من ضعف، ووثقهم ابن حبان».

وأخرج الخطيب[١] في «تاريخه» عن سعيد بن المسيب مرفوعاً نحوه، وهو مرسل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[التذكير بنعم الله على قريش]:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

اللام[٢] في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ قيل: هي متعلقة بآخر السورة التي قبلها، كأنه قال سبحانه: أهلكتُ أصحاب الفيل لأجل تألف قريش.

قال الفرّاء[٣]: هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكَّر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة. ثم قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾؛ أي: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منا على قريش، وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها، فلا يُغار عليها في الجاهلية، يقولون: هم أهل بيت الله ﷻ، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة، ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتاً في اليمن يحجّ الناس إليه، فأهلكهم الله ﷻ، فذكّرهم نعمته؛ أي: فعل ذلك لإيلاف قريش؛ أي: ليألفوا الخروج ولا يجترأ عليهم، وذكر نحو هذا ابن قتيبة[٤].

قال الزجاج[٥]: والمعنى: فجعلهم كعصف مأكول ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾؛ أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف. وقال في «الكشاف»[٦]: إن اللام متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط؛ لأن المعنى: أما لا، فليعبدوه.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٧/ ١٩٥).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٤٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٨٤٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٣).
(٤) في «مشكل تأويل القرآن» (ص٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦٣). (٦) في «الكشاف» (٦/ ٤٣٥).

وقد تقدّم صاحب «الكشاف» إلى هذا القول الخليل بن أحمد[١]، والمعنى: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة. وقال الكسائي[٢] والأخفش[٣]: اللّام لام التعجب: أي اعجبوا لإيلاف قريش. وقيل: هي بمعنى إلى.

قرأ الجمهور[٤]: «لإيلاف» بالياء مهموزاً من ألفت أؤلف إيلافاً، يقال: ألفت الشيء ألافاً وألفاً. وألفته إيلافاً بمعنى، ومنه قول الشاعر:

المنعِمينَ إذا النجومُ تغيَّرتْ ... والظاعنينَ لرحلةِ الإيلافِ[٥]

وقرأ ابن عامر[٦]: «لإلاف» بدون الياء، وقرأ أبو جعفر[٧]: «لإلف» وقد جمع بين هاتين القراءتين الشاعر، فقال:

زعمتُم أنَّ إخوتَكُمْ قريشٌ ... لهم إلِفٌ وليس لكم إلافُ[٨]

وقرأ عكرمة[٩]: «ليألفْ قريش» بفتح اللام على أنها لام الأمر، وكذلك هو: في مصحف ابن مسعود، وفتح لام الأمر لغة معروفة. وقرأ بعض[١٠] أهل مكة: «إلّاف قريش» واستشهد بقول أبي طالب:

تذودُ الورى مِنْ عُصبةٍ هاشميةٍ ... إلّافُهُمُ في الناسِ خيرُ إلّافِ[١١]

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٤٤)، و«الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٢٦).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧). (٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٤٣).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٧١)، و«النشر» (٢/ ٤٠٣)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ١٠٤)، و«التيسير» (ص٢٢٥). قرأ الجمهور (لإيلاف) بلام مكسورة فهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة، وقرأ أبو جعفر (ليلاف) بلام مكسورة فياء ساكنة، وقرأ ابن عامر (لإلاف) بلام مكسورة وهمزة مكسورة بدون ياء، فهي ثلاث قراءات متواترة وما عداها فقراءات شاذة. «النشر» (٢/ ٤٠٣).

(٥) البيت لمطرود بن كعب الخزاعي. «السيرة النبوية» (١/ ٥٦، ١٧٨).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٤٧).

(٨) لمساور بن هند.
«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (٤/ ١٢).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٨٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٤٨).

(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٤٧)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٦٨).

(١١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٦).
وفي «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص٢٠٨) أنَّ أبا طالب قاله في مدح عتبة بن ربيعة حين رد على أبي جهل فقال: ما تُنْكِرُ أنْ يكونَ محمد نبيّاً.

وقريش هم: بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي، وقريش يأتي منصرفاً إن أريد به الحيّ، وغير منصرف إن أريد به القبيلة ومنه قول الشاعر:

وكفَى قريشَ المُعْضلاتِ وسادَها[١]

وقيل: إنّ قريشاً بنو فِهْر بن مالك بن النضر، والأوّل أصح، وقوله: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ بدل من إيلاف قريش، و﴿رِحْلَةَ﴾ مفعول به لإيلافهم وأفردها، ولم يقل رحلتي الشتاء والصيف لأمن الإلباس.

وقيل: إن إيلافهم تأكيد للأوّل لا بدل، والأوّل أولى. ورجّحه أبو البقاء[٢]، وقيل: إن رحلة منصوبة[٣] بمصدر مقدّر؛ أي: ارتحالهم رحلة ﴿ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ وقيل: هي منصوبة على الظرفية والرحلة: الارتحال، وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء؛ لأنّها بلاد حارّة، والرحلة الأخرى إلى الشام في الصيف؛ لأنها بلاد باردة. وروي أنّهم كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف، والأوّل أولى، فإن ارتحال قريش للتجارة معلوم معروف في الجاهلية والإسلام.

[الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين]:

قال ابن قتيبة[٤]: إنما كانت تعيش قريش بالتجارة،[٤/٢٦٨] وكانت لهم رحلتان في كل سنة: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام، ولولا هاتان الرحلتان لم يمكن بها مقام، ولولا الأمن بجوارهم البيت لم يقدروا على التصرّف.

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أمرهم سبحانه بعبادته بعد أن ذكر لهم ما أنعم به عليهم؛ أي: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة، والبيت: الكعبةُ. وعرّفهم سبحانه بأنّه ربّ هذا البيت؛ لأنها كانت لهم أوثان يعبدونها، فميز نفسه عنها.

---

(١) البيت لعدي بن الرقاع. وصدره:
غلب المساميحَ الوليدُ سماحة.
«الكامل» للمبرد (٢/١٠٤٦)، و«خزانة الأدب» (١/٢٠٣).

(٢) في «التبيان» (٢/١٣٠٥).

(٣) «الفريد» (٤/٧٣٢)، و«التبيان» (٢/١٣٠٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٥٠٣).

(٤) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٣١٩ ـ ٣٢٠).

وقيل: لأنهم بالبيت تشرفوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً لنعمته.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ أي: أطعمهم بسبب تينك الرحلتين(١) من جوع شديدٍ كانوا فيه قبلهما، وقيل: إنّ هذا الإطعام هو أنَّهم لما كذبوا النبيّ ﷺ دعا عليهم، فقال: اللَّهُمَّ اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فاشتد القحط، فقالوا: يا محمّد ادع الله لنا فإنّا مؤمنون، فدعا، فأُخصبوا وزال عنهم الجوع، وارتفع القحط.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾؛ أي: مِنْ خوف شديد كانوا فيه.

قال ابن زيد(٢): كانت العرب يغير بعضُها على بعض، ويسبي بعضها بعضاً، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحَرَم. وقال الضحاك(٣)، والربيع(٤)، وشريك، وسفيان(٥): آمنهم مِنْ خوف الحبشة مع الفيل.

وقد أخرج أحمد، وابن أبي حاتم عن أسماء بنت(٦) يزيد قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ ويحكم يا قريش، اعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٧) في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قال: نعمتي على قريش ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ كانوا يشتون بمكة، ويصيفون بالطائف ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ قال: الكعبة ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ قال: الجذام.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه(٨) ﴿لِإِيلَٰفِ

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٧٠)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٦٦٠)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٥) من طريق رجاء، به.

(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٠٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٥) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه أحمد رقم (٢٧٦٠٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٦٦) بسند ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٤٨، ٦٥٢، ٦٥٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٠)، والضياء (١/ ١٠/ ١٢٥ رقم ١٢٥، ١٢٦) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٥٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٦) بسند صحيح.

قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ قال: لزومهم ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾؛ يعني: قريشاً أهل مكة بدعوة إبراهيم حيث قال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ حيث قال إبراهيم ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه عنه[1] أيضاً في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ الآية، قال: نهاهم عن الرحلة، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت، وكفاهم المؤنة، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، ولم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف، فأطعمهم الله بعد ذلك من جوع، وآمنهم من خوف، فألفوا الرحلة، وكان ذلك من نعمة الله عليهم.

وأخرج ابن جرير[2] عنه أيضاً في الآية قال: أمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت كإلفهم رحلة الشتاء والصيف.

وقد وردت أحاديث في فضل قريش، وإنّ النّاسَ تبع لهم في الخير والشرّ، وإنّ هذا الأمر يعني الخلافة لا يزال فيهم ما بقي مِنْهم اثنان، وهي في دواوين الإسلام.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٠، ٦٥١) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٣) بسند صحيح.

سُورَةُ المَاعُونِ

[سورة أرأيتَ]

ويقال[١]: سورة الدِّين، ويقال: سورة الماعون، ويقال: سورة اليتيم وهي سبع آيات وهي مكية في قول عطاء، وجابر، وإحدى قولي ابن عباس، ومدنية في قول قتادة[٢]، وآخرين.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن الزبير مثله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾.

الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والاستفهام لقصد[٥] التعجيب من حال من يكذِّب بالدين. والرؤية: بمعنى المعرفة، والدين: الجزاء والحساب في الآخرة. قيل: وفي الكلام حذف، والمعنى: أرأيت الذي يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ؟ قال[٦] مقاتل، والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وقال

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، و«زاد المسير» (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٥٢)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٥٠).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤١).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤١).
(٥) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٥١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٩٥).
(٦) انظر هذه الأقوال في: «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٥٠٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥١٠).

السديّ: في الوليد بن المغيرة. وقال الضحاك: في عمرو بن عائذ.

وقال ابن جريج[١] في أبي سفيان، وقيل: في رجل من المنافقين.

قرأ الجمهور[٢]: «أرأيتَ» بإثبات الهمزة الثانية. وقرأ الكسائي[٣] بإسقاطها.

قال الزجّاج[٤]: لا يقال في رأيت ريتَ، ولكن ألف الاستفهام سهّلت الهمزة ألفاً، وقيل الرؤية: هي البصرية، فيتعدّى إلى مفعول واحد، وهو الموصول؛ أي: أبصرت المكذب. وقيل: إنها بمعنى أخبرني، فيتعدى إلى اثنين. الثاني محذوف: أي مَنْ هو؟

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ الفاء جواب شرط مقدّر: أي إن تأملته أو طلبته، فذلك الذي يدعّ اليتيم، ويجوز أَنْ تكون عاطفة على الذي يكذب: إما عطف ذات على ذات، أو صفة على صفة[٥]. فعلى الأوّل يكون اسم الإشارة مبتدأ، وخبره الموصول بعده، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: فهو ذلك، والموصول صفته.

وعلى الثاني يكون في محل نصب[٦] لعطفه على الموصول الذي هو في محل نصب. ومعنى يدعّ يدفع دَفعْاً بعنف، وجفوةٍ؛ أي: يدفع اليتيم عَنْ حقه دفعاً شديداً، ومنه قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] وقد قدّمنا أنهم كانوا لا يورّثون النساء والصبيان.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يحضّ نفسه، ولا أهله، ولا غيرهم على ذلك بخلاً بالمال، أو تكذيباً بالجزاء، وهو مثل قوله في سورة الحاقة: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٤].

[من هم هؤلاء الذين هم عن صلاتهم ساهون]:

﴿فَوَيْلٌ﴾ يومئذ ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الفاء جواب لشرط محذوف كأنَّه قيل: إذا كان ما

---

(١) انظر هذه الأقوال في: «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٥٠٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥١٠).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٠)، و«البيان» (٢/ ٥٣٨)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٥١). وهما قراءتان متواترتان، ونافع وأبو جعفر يسهلان الهمزة الثانية بين بين. «النشر» (٢/ ٣٩٧).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦٧).

(٥) «الفريد» (٤/ ٧٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٥٢).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين، فويل للمصلين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؛ أي: عذاب لهم، أو هلاك، أو واد في جهنّم لهم، كما سبق الخلاف في معنى الويل.

ومعنى ساهون: غافلون غير مبالين بها، ويجوز أن تكون الفاء؛ لترتيب[(١)] الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم، ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوصل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح أخر غير ما ذكر.

[إنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصاً لله]:

قال الواحدي[(٢)]: نزلتْ في المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثواباً إن صلوا، ولا يخافون عليها عقاباً إنْ تركوا، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها، وإذا كانوا مع المؤمنين صلُّوا رياءً، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلُّوا، وهو معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾؛ أي: يراءون الناس بصلاتهم إن صلُّوا، أو يراءون الناس بكل ما عملوه من أعمال البرّ؛ ليثنوا عليهم.

قال النخعي[(٣)]: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا، وهكذا ملتفتاً. وقال قطرب[(٤)]: هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله. وقرأ ابن مسعود[(٥)]: «الذين هم عن صلاتهم لاهون».

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾. قال أكثر المفسِّرين[(٦)]: الماعون: اسمٌ لما يتعاوزه الناس بينهم: من الدلو، والفأس، والقدر، وما لا يمنع كالماء، والملح. وقيل: هو الزكاة؛ أي: يمنعون زكاة أموالهم.

وقال الزجاج[(٧)]، وأبو عبيد[(٨)]، والمبرّد[(٩)]: الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفأس، والدلو، والقِدْر، والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير،

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/٥٩٦)، و«روح المعاني» (٢٩/٣٥٢).
(٢) في «الوسيط» (٤/٥٥٨). (٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٥١١).
(٤) «النكت والعيون» (٦/٣٥٢).
(٥) «الوسيط» (٤/٥٥٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٩٧١).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٥٥٨). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٣٦٨).
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/٣١٣). (٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٥١٥).

وأنشدوا قول الأعشى[١]:

بأجودَ منه بماعونِه إذا ما سماؤُهم لم تَغِمْ

قال الزجاج[٢]، وأبو عبيد[٣]، والمبرّد[٤] أيضاً: والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة، وأنشدوا قول الراعي[٥]:

أخليفَةَ الرحمٰنِ إنّا معشرٌ حُنُفاء نسجدُ بكرةً وأصيلا
عَرَبٌ نَرَى للهِ مِنْ أموالِنا حقّ الزكاةِ مُنزَّلاً تنزيلا
قومٌ على الإسلام لما يَمْنَعُوا ماعونَهم ويضيّعوا التهليلا

وقيل: الماعون: الماء. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: الماعون: الماء[٦]، وأنشدني:

تمجَّ صبيرةُ الماعونِ صبًّا[٧]

والصبيرة: السحاب، وقيل: الماعون: هو الحق على العبد على العموم، وقيل: هو المستغلّ من منافع الأموال، مأخوذ من المعن، وهو القليل.

قال قطرب[٨]: أصل الماعون من القلة، والمعن: الشيء القليل، فسمى الله الصدقة والزكاة، ونحو ذلك من المعروف ماعوناً؛ لأنه قليل من كثير، وقيل: هو ما لا يبخل به كالماء، والملح، والنار.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] [٤/٢٦٩] ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ قال: يكذب بحكم الله ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ قال: يدفعه عن حقه.

---

(١) «ديوان الأعشى» (ص٨٩).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦٨).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٥).
(٥) «ديوان الراعي» (ص٢٢٩ ـ ٢٣٠) وفيه: «أوَليَّ أمرِ الله إنا معشر...».
(٦) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٥).
(٧) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٧٣).
قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٥): «ولست أحفظ أوله». وانظر: اللسان (معن).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٦).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب[(١)] عنه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم المنافقون يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضاً لهم، وهي الماعون.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عنه[(٢)] أيضاً ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم: المنافقون يتركون الصلاة في السرّ، ويصلون في العلانية.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «سُننه» عن مصعب بن سعد[(٣)] قال: قلت لأبيّ: أرأيت قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أيّنا لا يسهو، أينا لا يحدّث نفسه؟ قال: إنّه ليس ذلك، إنّه إضاعة الوقت.

وأخرج أبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن سعد بن أبي وقاص[(٤)] قال: سألت النبيّ ﷺ عن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. قال الحاكم، والبيهقي: الموقوف أصح. قال ابن كثير[(٥)]: وهذا يعني الموقوف أصح إسناداً. قال: وقد ضعف البيهقي رفعه وصحّح وقفه، وكذلك الحاكم.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه قال السيوطي: بسند ضعيف عن أبي برزة[(٦)]

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٦١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٥٣) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٦١ ـ ٦٦٢) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه أبو يعلى رقم (٧٠٤)، وابن جرير (٢٤/ ٦٥٩)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٠ ـ ٧٣١)، والبيهقي (٢/ ٢١٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٠٠) من طريق طلحة بن مصرف، به.
(٤) أخرجه أبو يعلى رقم (٨٢٢)، وابن جرير (٢٤/ ٦٦٣)، وابن المنذر (٢/ ٢٨٧ رقم ١٠٨١)، وابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ١٨٧، ١٨٨)، والطبراني رقم (٢٢٧٦)، والبيهقي (٢/ ٢١٤، ٢١٥) وقال: «عكرمة بن إبراهيم قد ضعّفه يحيى بن معين وغيره، وصحّح أبو زرعة والدارقطني وقفه». ينظر: «علل ابن أبي حاتم» (١/ ١٨٨)، وعلل الدارقطني (٤/ ٣٢٠، ٣٢١).
(٥) في «تفسيره» (١٤/ ٤٧١).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٦٣، ٦٦٤)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٤٧١): «فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يسم».

الأسلمي قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ قال رسول الله ﷺ: الله أكبر، هذه الآية خير لكم من أن يُعطى كلّ رجل منكم جميع الدنيا، هو الذي إنْ صلى لم يرج خير صلاته، وإنْ تركها لم يخف ربه» وفي إسناده جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يسمّ.

وأخرج ابن جرير[(١)] عن ابن عباس في الآية قال: هم الذين يؤخرونها عن وقتها.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والبيهقي في «سُننه» من طرق عن ابن مسعود[(٢)] قال: كنّا نعدّ الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو، والقِدْر، والفأس، والميزان، وما تتعاطون بينكم.

وأخرج ابنُ مردويه[(٣)] عنه قال: كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القِدْر، والفأس، وشبهه، فيمنعونهم، فأنزل الله ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾.

وأخرج أبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر عن أبي هريرة[(٤)] عن النبيّ ﷺ في الآية قال: ما تعاون الناس بينهم الفأس، والقدر، والدلو، وأشباهه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن قرّة بن دعموص[(٥)] النميري: «أنهم وفدوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ قال: لا تمنعوا الماعون، قالوا: وما الماعون؟ قال: في الحَجَر، والحديدة، وفي الماء، قالوا: فأيّ الحديدة؟ قال: قدوركم النحاس، وحديد الفأس الذي تمتهنون به، قالوا: وما الحجر؟ قال: قدوركم الحجارة». قال ابن كثير[(٦)]: غريب جدّاً، ورفعه منكر، وفي إسناده مَنْ لا يعرف.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٦٠) من طريق أبي جمرة الضُّبعيُّ نصر بن عمران، به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٢)، وأبو داود رقم (١٦٥٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٧٠١)، والبزار رقم (١٧١٩)، وابن جرير (٢٤/ ٦٧٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٧٢)، والطبراني رقم (٤٥٨٩)، والبيهقي (٤/ ١٨٣) (٦/ ٨٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٤).

(٤) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٧١٨٢)، وابن عساكر (٨/ ٢٧٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٧٤).

(٦) في «تفسيره» (١٤/ ٤٧٤).

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير عن سعيد بن عياض[١] عن أصحاب النبيّ ﷺ: الماعون: الفأس، والقِدْر، والدلو.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، والضياء في «المختارة» من طرق عن ابن عباس[٢] في الآية قال: عاريةُ متاعِ البيت.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في «سننه» عن عليّ بن أبي طالب[٣] قال: الماعون: الزكاة المفروضة ﴿يُرَآءُونَ﴾ بصلاتهم ﴿وَيَمْنَعُونَ﴾ زكاتهم.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٣)، وابن جرير (٢٤/ ٦٧٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه آدم «تفسير مجاهد» (ص٧٥٥)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٣)، وابن جرير (٢٤/ ٦٧٥، ٦٧٦)، والطبراني رقم (١٢٣٥٤)، والحاكم (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والضياء (١٠/ ١٤١ رقم ١٤١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩١): «رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣)، وابن جرير (٢٤/ ٦٦٥، ٦٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي (٤/ ١٨٤) من طريق شعبة، به.

سُورَةُ الكَوْثَرِ

هي ثلاث آيات وهي مكية[١] في قول ابن عباس، والكلبي، ومقاتل. ومدنية[٢] في قول الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة: أنها نزلت سورة الكوثر بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المنح المعطاة للنبي ﷺ]:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

قرأ الجمهور[٤]: «إنّا أعطيناك» وقرأ الحسن، وابن محيصن، وطلحة، والزعفراني: «أنطيناك» بالنون[٥]. قيل: هي لغة العرب العاربة. قال الأعشى[٦]:

حباؤك خير حباء الملوك يُصان الحلال وتنطى الحلولا

و﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ فَوْعَل مِنْ الكثرة، وصُف به للمبالغة في الكثرة، مثل النوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كلّ شيء كثير في العدد، أو القدر، أو الخطر كوثراً، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥١٩)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٤٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٥٩).

(٢) «زاد المسير» (٩/ ٢٤٧)، و«الإتقان» (١/ ٤٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٨).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٥٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٦٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٧٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٨١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٥٥)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٦٠). القراءة بالنون شاذة ومخالفة للرسم.

(٦) «ديوان الأعشى» (ص٨٨).

وقد ثار نقعُ الموتِ حتى تَكَوْثَرَا[١]

فالمعنى على هذا: إنا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة إلى الغاية.

وذهب أكثرُ المفسرين، كما حكاه الواحدي[٢] إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وقيل: هو حوض النبيّ ﷺ في الموقف قاله عطاء[٣]. وقال عكرمة[٤]: الكوثر: النبوّة. وقال[٥] الحسن: هو القرآن. وقال الحسن بن الفضل: هو تفسير القرآن، وتخفيف الشرائع.

وقال أبو بكر بن عياش: هو كثرة الأصحاب والأمة. وقال ابن كيسان: هو الإيثار. وقيل: هو الإسلام، وقيل: رفعة الذكر، وقيل[٦]: نور القلب، وقيل: الشفاعة، وقيل: المعجزات، وقيل: إجابة الدعوة، وقيل: لا إلٰه إلّا الله، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: الصلوات الخمس، وسيأتي بيان ما هو الحق.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد: الأمر له ﷺ بالدوام على إقامة الصلوات المفروضة ﴿وَٱنْحَرْ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب.

قال محمد بن كعب[٧]: إن ناساً كانوا يصلّون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن تكون صلاته ونحره له. وقال قتادة[٨]، وعطاء[٩]، وعكرمة[١٠]:

---

(١) وصدر البيت: أَبَوْا أن يبيحوا جارهم لعدوهم.
قائله: حسان بن نُشْبَةَ التيمي. كما في «شرح ديوان الحماسة» (١/ ١٧٦ ـ التبريزي).
(٢) في «الوسيط» (٤/ ٥٦٠).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٢١).
(٤) أخرجه ابن جرير (٤/ ٦٨٤)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥٠٨)، وهناد في «الزهد» رقم (١٤٢) بسند صحيح.
(٥) انظر هذه الأقوال في: «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٥)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٧٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٢١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) «الوسيط» (٤/ ٥٦٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٤٩).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٠١) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٤) بسند حسن.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٤) بسند ضعيف.

المراد: صلاة العيد، ونحر الأضحية. وقال سعيد بن جبير[١]: صلّ لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع. وانحر البدن في منى، وقيل: النحر: وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة حذاء النحر قاله محمد بن كعب[٢].

وقيل: هو أنْ يرفع يديه في الصلاة عند التكبيرة إلى حذاء نحره. وقيل: هو أن يستقبل القبلة بنحره قاله الفراء[٣]، والكلبي[٤]، وأبو الأحوص.

قال الفراء[٥]: سمعتُ بعض العرب يقول نتناحر: أي: نتقابل: نحر هذا إلى نحر هذا؛ أي: قبالته، ومنه قول الشاعر:

أبا حَكَمٍ ما أنت عمراً مجالدٌ وسيِّدَ أهلِ الأبطحِ المتناحِر[٦]

أي: المتقابل. وقال ابن الأعرابي[٧]: هو: انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب، من قولهم: منازلهم تتناحر: أي تتقابل.

وروي[٨] عن عطاء أنه قال: أمره أن يستوي بين السجدتين جالساً حتى يبدو نحره. وقال سليمان التيمي[٩]: المعنى: وارفع يديك بالدعاء إلى نحرك، وظاهر الآية الأمر له ﷺ بمطلق الصلاة، ومطلق النحر، وأن يجعلهما لله ﷻ لا لغيره، وما ورد في السُّنَّة من بيان هذا المطلق بنوع خاص، فهو في حكم التقييد له، وسيأتي إن شاء الله.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ أي: إنَّ مبغضك هو المنقطعُ عن الخير على العموم. فيعمّ خيري الدنيا والآخرة، أو الذي لا عقب له، أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته، وظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبيّ ﷺ، ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل[١٠]، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما مرّ غير مرّة.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) بسند صحيح.
(٢) انظر: «جامع البيان» (٢٤/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦). (٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٦).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٢٤). والبيت لبعض بني أسد كما في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٦) وصوابه «أباحكم ها أنت عمُّ مجالدٍ...»
(٧) «تهذيب اللغة» (٥/ ١١). (٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٧٥).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٢٥). (١٠) «أسباب النزول» للواحدي (ص٥٠٣).

قيل[١]: كان أهل الجاهلية إذا مات الذكور من أولاد الرجل قالوا: قد بتر فلان، فلما مات ابنُ رسول الله ﷺ إبراهيم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال: بتر محمد، فنزلت الآية. وقيل: القائل بذلك عقبة بن أبي معيط.

قال أهل اللغة[٢]: الأبتر من الرجال: الذي لا ولد له، ومن الدوابّ: الذي لا ذَنَب له، وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر، وأصل البتر: القطع، يقال: بترتُ الشيء بَتْراً: قطعته.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير،[٤/٢٧٠] وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه[٣] عن أنس قال: «أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً، فرفع رأسه مبتسماً فقال: إنه أنزل عليّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتى ختمها قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نَهرٌ أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته كعدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا ربّ إنه من أمتي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدث بعدك». وأخرجه أيضاً مسلم[٤] في صحيحه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أَذْفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله» وقد روي عن أنس مِنْ طرق كلها مصرحة بأنّ الكوثر هو النهر الذي في الجنة.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٦). وهذا ضعيف، لأنَّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ توفي بعد هلاك أبي جهل.

(٢) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٧٧)، و«الصحاح» (٢/ ٥٨٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٧، ٤٣٨) (١٣/ ١٤٤)، وأحمد رقم (١١٩٩١)، ومسلم رقم (٤٠٠)، وأبو داود رقم (٧٨٤، ٤٧٤٧)، والنسائي رقم (٩٠٣)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١١٧٠٢)، وابن جرير (٢٤/ ٦٨٦، ٦٨٧)، والبيهقي (٢/ ٤٣).

(٤) تقدم في التعليقة السابقة.

(٥) أخرجه الطيالسي رقم (٢١٠٤)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٧) و(١٣/ ١٤٧)، وأحمد رقم (١٢٠٠٨، ١٢١٥١)، والبخاري رقم (٦٥٨١)، والترمذي رقم (٣٣٥٩، ٣٣٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٧٠٦)، وابن حبان رقم (٦٤٧٣).

وأخرج ابن أبي شيبة، والبخاري، وابن جرير، وابن مردويه عن عائشة[١] أنها سئلت عن قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قالت: هو نهر أُعطيه نبيكم ﷺ في بطنان الجنة.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس أنه نهر في الجنة.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن حذيفة[٣] في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قال: نهر في الجنة، وحسّن السيوطي إسنادَه.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن أسامة بن زيد[٤] مرفوعاً: «أنه قيل لرسول الله ﷺ إنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر، فقال: أجل، وأرضه ياقوت، ومرجان، وزبرجد، ولؤلؤ».

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه[٥] عن جدّه «أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله» فهذه الأحاديث تدلّ على أنّ الكوثر هو النهرُ الذي في الجنة، فيتعين المصير إليها، وعدم التعويل على غيرها، وإن كان معنى الكوثر: هو الخير الكثير في لغة العرب، فمن فسره بما هو أعمّ مما ثبت عن النبيّ ﷺ، فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغويّ.

كما أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن عطاء بن السائب[٦] قال: قال محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلتُ: حدّثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: صدق إنّه للخير الكثير، ولكن حدّثنا ابن عمر قال: نزلت ﴿إِنَّآ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٤)، والبخاري رقم (٤٩٦٥)، وابن جرير (٢٤/ ٦٨٠)، وابن مردويه كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٧٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٩٧٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٣): «إسناده حسن».

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٨٩، ٦٩٠) بسند ضعيف؛ لضعف حرام بن عثمان.

(٥) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٩٥). وهو حديث موضوع.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٤٠) (١٣/ ١٤٤)، وأحمد رقم (٥٩١٣)، والترمذي رقم (٣٣٦١)، وابن ماجه رقم (٤٣٣٤)، وابن جرير (٢٤/ ٦٨٩)، وابن المنذر وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الإحياء» (٦/ ٢٧١٦). وهو حديث صحيح.

﴿أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدرّ، والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل».

وأخرج البخاري، وابن جرير، والحاكم من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس(١) أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلتُ لسعيد بن جبير، فإنّ ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: النهر الذي في الجنة مِنْ الخير الذي أعطاه الله إياه.

وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس ﵄ ناظر إلى المعنى اللغويّ كما عرّفناك، ولكن رسول الله ﷺ قد فسّره فيما صح عنه أنه النهر الذي في الجنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر مَعْقِل(٢).

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عليّ بن أبي طالب(٣) قال: «لما نزلت هذه السورة على النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ فقال: إنّها ليست بنحيرة، ولكن يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبَّرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، فإنها صلاتنا، وصلاة الملائكة الذين هم في السماوات السبع، وإن لكل شيء زينة، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة، قال النبيّ ﷺ: رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾» [المؤمنون: ٧٦] هو من طريق مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ.

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٦، ٦٥٧٨)، وابن جرير (٢٤/ ٦٨٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٧).
(٢) تقدم شرحه.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٧)، والبيهقي (٢/ ٧٥، ٧٦).
وسكت الحاكم عليه، وتعقبه الذهبي بقوله: «إسرائيل صاحب عجائب لا يُعتمد عليه، وأصبغ ـ وهو ابن نباتة ـ شيعي متروك عند النسائي».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٤٨٢): «حديث منكر جدّاً».
وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٧٧): «إسرائيل بن حاتم المروزي أبو عبد الله، شيخ يروي عن مقاتل بن حيان الموضوعات وعن غيره من الثقات الأوابد والطامات... ولم يذكر الحديث».

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس[١] في الآية قال: «إن الله أوحى إلى رسوله أن ارفع يديك حذاء نحرك إذا كبَّرت للصلاة، فذاك النحر».

وأخرج ابن أبي شيبة، والبخاري في تاريخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عليّ بن أبي طالب[٢] في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: وضعُ يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى، ثم وضعهما على صدره في الصلاة.

وأخرج أبو الشيخ، والبيهقي في «سننه» عن أنس[٣] عن النبيّ ﷺ مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن شاهين في سننه، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٤] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ قال: إذا صليت، فرفعت رأسك من الركوع، فاستو قائماً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٥] في الآية قال: الصلاة المكتوبة، والذبح يوم الأضحى.

وأخرج البيهقي[٦] في «سننه» عنه: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ قال: يقول: واذبح يوم النحر.

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٧] قال: قدم كعب بن الأشرف مكة. فقالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، ألا ترى إلى هذا الصابئ المُنبتر من قومه يزعم أنّه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السقاية، وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ونزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢] قال ابن كثير: وإسناده صحيح.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٩٠)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ٤٣٧)، وابن جرير (٢٤/ ٦٩٠، ٦٩١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣١٣)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٢٨٥)، والحاكم (٢/ ٥٣٧)، والبيهقي (٢/ ٢٩، ٣٠).
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٤٨١): «لا يصح».

(٣) أخرجه البيهقي (٢/ ٣٠، ٣١).

(٤) أخرجه البيهقي (٢/ ٣١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٦٩٣) بسند ضعيف. (٦) البيهقي (٢/ ٣١).

(٧) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٩٣ ـ كشف)، وابن جرير (٧/ ١٤٢) و(٢٤/ ٧٠٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٣ ـ ٩٧٤ رقم ٥٤٤٠) معلقاً.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن أبي أيوب قال: لما مات إبراهيم[١] ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إنّ هذا الصابئ قد بتر الليلة، فأنزل الله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج ابن سعد، وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٢] قال: كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فمات القاسم، وهو: أوّل ميت من أهله، وولده بمكة، ثم مات عبد الله، فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبْتر، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ وفي إسناده الكلبي.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ قال: أبو جهل.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٤] عنه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يقول: عدوّك.

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٤٠٧١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٤٣): «فيه واصل بن السائب، وهو متروك».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣/١٢٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/٤٠٢)، وابن جرير (٢٤/٦٩٨).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/٦٩٧)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/٥٧)، وابن مردويه كما في «تغليق التعليق» (٤/٣٧٨) بسند صحيح.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

هي ست آيات وهي مكيَّة[١] في قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة. ومدنية[٢] في أحد قولي ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عباس قال: أنزلت سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن عبد الله بن الزبير قال: أنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ بالمدينة.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث[٥] جابر: «أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة، وبـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، في ركعتي الطواف.

وفي صحيح مسلم[٦] أيضاً من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وابن مردويه عن ابن عمر[٧]: «أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بضعاً وعشرين مرة، أو بضع عشرة مرة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وأخرج الحاكم وصححه[٨] عن أبيّ قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بـ﴿سَبِّحِ﴾، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٣٢)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٧٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٥٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٤).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٤٧/ ١٢١٨).

(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٩٨/ ٧٢٦).

(٧) أخرجه أحمد رقم (٤٩٠٩)، والترمذي رقم (٤١٧) وقال: «هذا حديث حسن»، والنسائي (٢/ ١٧٠)، وابن ماجه رقم (١١٤٩)، وابن حبان رقم (٢٤٥٠). وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٧) وصحّحه. وقال الذهبي: «محمد رازي تفرّد بأحاديث».

وأخرج محمد بن نصر، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن، وكان يقرأ بهما في ركعتي الفجر».

وأخرج ابن مردويه[٢] عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ يا أيها الكافرون كانت له عدل ربع القرآن».

وأخرج الطبراني في الصغير، والبيهقي في «الشُّعب» عن سعد بن أبي وقاص[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن، ومَنْ قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن».

وأخرج أحمد، وابن الضريس، والبغوي، وحميد بن زنجويه في ترغيبه عن شيخ[٤] أدرك النبي ﷺ قال: «خرجت مع النبيّ ﷺ في سفر فمرّ برجل يقرأ: [٢٧١/٤] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فقال: أما هذا فقد برئ من الشرك، وإذا آخر يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال النبيّ ﷺ: بها وجبت له الجنة»، وفي رواية «أما هذا فقد غفر له».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن الأنباري في «المصاحف»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُّعب» عن فروة بن نوفل بن معاوية الأشجعي[٥] عن أبيه أنه قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أويت إلى فراشي قال: «اقرأ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك».

وأخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن مردويه عن عبد الرحمٰن بن

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٥)، والطبراني رقم (١٨٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٨) وفيه: عبد الله بن زحر، وثقه جماعة. وفيه ضعف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٦).

(٣) أخرجه الطبراني (١/ ٦١)، والبيهقي رقم (٢٥٢٧) بسند ضعيف. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٦): «وفيه من لم أعرفهم».

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٦٦٠٥، ١٦٦١٧)، وابن الضريس رقم (٣٠٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٧٤) (١٠/ ٢٤٩)، وأحمد رقم (٢٣٨٠٧)، وأبو داود رقم (٥٠٥٥)، والترمذي رقم (٣٤٠٣)، والنسائي رقم (١١٧٠٩)، والحاكم (١/ ٥٦٥) (٢/ ٥٣٨)، والبيهقي رقم (٢٥٢٠، ٢٥٢١). وهو حديث صحيح.

نوفل الأشجعي[١] عن أبيه مرفوعاً مثله.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ لنوفل بن معاوية الأشجعي: «إذا أتيت مضجعك للنوم فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فإنك إذا قلتها، فقد برئت من الشرك».

وأخرج أحمد، والطبراني في «الأوسط» عن الحارث بن جبلة[٣]، وقال الطبراني عن جبلة بن حارثة، وهو أخو زيد بن حارثة قال: «قلتُ يا رسول الله علّمني شيئاً أقوله عند منامي قال: إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتى تمرّ بآخرها، فإنها براءة من الشرك».

وأخرج البيهقي[٤] في «الشعب» عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «اقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند منامك، فإنها براءة من الشرك».

وأخرج أبو يعلى، والطبراني عن ابن عباس[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله تقرءون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند منامكم».

وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه عن خبّاب[٦] أن النبيّ ﷺ قال: «إذا أخذت مضجعك، فاقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وإن النبيّ ﷺ لم يأت فراشه قط إلّا قرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتى يختم».

وأخرج ابن مردويه[٧] عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور رقم (١٢٨ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة (٩/ ٧٤) (١٠/ ٢٤٩، ٢٥٠) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٧).

(٣) أخرجه أحمد ـ كما في أطراف المسند رقم (٢١٣٦)، والطبراني ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٤٨٥) وقال ابن حجر: «حديث متصل، صحيح الإسناد». «الإصابة» (١/ ٤٥٧). وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٥٢٢).

(٥) أخرجه أبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٨٥) ـ، والطبراني رقم (١٢٩٩٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢١): «وفيه جبارة بن المغلّس، وهو ضعيف جدّاً».

(٦) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣١١٣ ـ كشف)، والطبراني رقم (٣٧٠٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢١): «وفيه جابر الجعفي، وهو ضعيف».

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٨).

بسورتين، فلا حساب عليه ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وابن الضُّريس عن أبي مسعود الأنصاري[١] قال: مَنْ قرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ليلة فقد أكثر وأطاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سورة البراءة من الشرك والكفر وأعمال المشركين]:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾.

الألف، واللام في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ للجنس[٢]، ولكنها لما كانت الآية خطاباً لمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره كان المراد بهذا العموم خصوص مَنْ كان كذلك؛ لأنّ مَنْ الكفار عند نزول هذه الآية مَنْ أسلم وعبد الله سبحانه.

وسبب[٣] نزول هذه السورة أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلٰهه سنة، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: لا أفعل ما تطلبون مني من عبادة ما تعبدون من الأصنام، قيل: والمراد فيما[٤] يُستقبل من الزمان؛ لأنّ «لا» النافية لا تدخل في الغالب إلّا على المضارع الذي في معنى الاستقبال، كما أن «ما» لا تدخل إلّا على مضارع في معنى الحال.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلٰهي.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ أي: ولا أنا قطّ فيما سلف عابد ما عبدتم فيه. والمعنى: أنّه لم يعهد مني ذلك.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾؛ أي: وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا

---

(١) أخرجه أبو عبيد (ص١٤١)، وابن الضريس رقم (٣٠٤).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص٥٠٥)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٦٢).

(٤) «التبيان» (٢/ ١٣٠٧)، و«الفريد» (٤/ ٧٤١).

على عبادته، كذا قيل، وهذا على قول مَنْ قال: إنه لا تكرار[١] في هذه الآيات؛ لأن الجملة الأولى لنفي العبادة في المستقبل لما قدّمنا من أن «لا» لا تدخل إلّا على مضارع في معنى الاستقبال، والدليل على ذلك أن «لن» تأكيد لما تنفيه «لا».

قال الخليل[٢] في «لن»: إنّ أصله لا، فالمعنى: لا أعبد ما تعبدون في المستقبل، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أطلبه من عبادة إلهي.

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؛ أي: ولستُ في الحال بعابد معبودكم، ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي.

وقيل: بعكس هذا، وهو أن الجملتين الأوليين للحال، والجملتين الأخريين للاستقبال بدليل قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ كما لو قال القائل[٣]: أنا ضارب زيداً، وأنا قاتل عمراً، فإنه لا يفهم منه إلّا الاستقبال.

قال الأخفش[٤]، والفرّاء[٥]: المعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد.

قال الزجاج[٦]: نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عَنْ نفسه في الحال وفيما يستقبل، ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل.

وقيل: إن كل واحد منهما يصلح[٧] للحال، والاستقبال، ولكنا نخص أحدهما بالحال، والثاني بالاستقبال رفعاً للتكرار.

وكل هذا فيه من التكلّف والتعسف ما لا يخفى على منصف، فإن جعل قوله: لا أعبد ما تعبدون للاستقبال، وإن كان صحيحاً على مقتضى اللغة العربية، ولكنه لا يتمّ جعل قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ للاستقبال؛ لأن الجملة اسمية تفيد

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٣٦).

(٢) قال الخليل في كتاب «العين» (ص٨٨٦): «وأمّا (لن) فهي: لا أن وصلت لكثرتها في الكلام، ألا ترى أنَّها تُشبه في المعنى (لا) ولكنّها أولد، تقول: لن يكرمك زيد، معناه: كأنه يطمعُ في إكرامه، فنفيت عنه، ووكَدتَ النَّفي بـ(لن) فكانت أولد من (لا).

(٣) «الوسيط» (٤/ ٥٦٥).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٨).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٧).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧١).

(٧) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥).

الدوام، والثبات في كل الأوقات، فدخول النفي عليها يرفع ما دلت عليه من الدوام، والثبات في كل الأوقات، ولو كان حملها على الاستقبال صحيحاً للزم مثله في قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فلا يتمّ ما قيل من حمل الجملتين الأخريين على الحال، وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس، لأن الجملة الثانية، والثالثة، والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده منفية كلها بحرف واحد، وهو لفظ «لا» في كل واحد منها، فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها في الحال والاستقبال مختلفة.

وأما قول مَنْ قال: إن كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال، فهو إقرار منه بالتكرار؛ لأن حمل هذا على معنى، وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدلّ عليه دليل.

وإذا تقرّر لك هذا، فاعلم أن القرآن نزل بلسان العرب، ومن مذاهبهم التي لا تجحد، واستعمالاتهم التي لا تنكر أنهم إذا أرادوا التأكيد كرّروا؛ كما أن مذاهبهم أنهم إذا أرادوا الاختصار[(١)] أوجزوا، هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب، وهذا مما لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه؛ لأنه إنما يستدل على ما فيه خفاء، ويبرهن على ما هو متنازع فيه.

وأما ما كان مِنْ الوضوح، والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك، ولا يرتاب فيه مرتاب، فهو مستغن عن التطويل غير محتاج إلى تكثير القال والقيل.

وقد وقع في القرآن من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن، وربما يكثر في بعض السور، كما في سورة الرحمٰن، وسورة المرسلات، وفي أشعار العرب من هذا ما لا يأتي عليه الحصر، ومن ذلك قول الشاعر:

يا لَبَكْرِ انشُروا لي كُلَيباً ... يا لبكرٍ أينَ أينَ الفِرارُ[(٢)]

وقول الآخر:

هلّا سألتَ جموعَ كِنْـ ... ـدَةَ يوَم ولَّوْا أينَ أيْنَا[(٣)]

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩). (٢) البيت لمهلهل. «خزانة الأدب» (٢/ ١٦٢).
(٣) البيت لعبيد بن الأبرص وهو في «ديوانه» (ص١٤٢).

وقول الآخر:

يـا عـلـقـمةْ يـا عـلـقـمـةْ يـا عـلـقـمـةْ خـيـرُ تـمـيـمٍ كـلِّـهـا وأكـرُمـه[١]

وقول الآخر:

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثُمَّتَ اسلمي ثـلاثَ تـحـيـاتٍ وإنْ لـم تَـكَـلَّـمِـي[٢]

وقول الآخر:

يـا جـعـفـرٌ يـا جـعـفـرٌ يـا جـعـفـرُ إنْ أكُ دحـداحـاً فـأنـتَ أَقْـصَـرُ[٣]

وقول الآخر:

أتاكَ أتاكَ اللّاحقون احبسِ احبسِ[٣]

وقد ثبت عن الصادق المصدوق، وهو أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاث مرات، وإذا عرفت هذا، ففائدة ما وقع في السورة من التأكيد هو قطع أطماع الكفار عَنْ أن يجيبهم رسول الله ﷺ إلى ما سألوه من عبادته آلهتهم، وإنما عبّر سبحانه بـ«ما» التي لغير العقلاء في المواضع الأربعة؛ لأنه يجوز ذلك كما في قوله: سبحان ما سخركن لنا، ونحوه، والنكتة في ذلك أن يجري الكلام على نمط واحد، ولا يختلف.

وقيل: إنه أراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل، ولا تعبدون الحق[٤]. وقيل: إن «ما» في المواضع الأربعة[٥] هي: المصدرية لا الموصولة؛ أي: لا أعبد عبادتكم، ولا أنتم عابدون عبادتي إلخ.

وجملة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ مستأنفة؛ لتقرير قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ كما أن قوله: ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ تقرير لقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٥)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٦/ ٥٨٣).

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي. وهو في «ديوانه» (ص١٣٣)، وفيه: بلى فاسلمي، بدل: ألا يا اسلمي.

(٣) انظر: «الدر المصون» (٦/ ٥٨٣).

(٤) «جامع البيان» (٢٤/ ٧٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٣٦).

(٥) «الفريد» (٤/ ٧٤١)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٧)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٣٨٤).

﴿أَعْبُدُ﴾ في الموضعين؛ أي: إن رضيتم بدينكم، فقد رضيت بديني، كما في قوله: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩].

والمعنى: أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي، كما تطمعون، [٤/٢٧٢] وديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه إلى الحصول لكم. وقيل المعنى: لكم جزاؤكم ولي جزائي؛ لأن الدين الجزاء.

قيل: وهذه الآية منسوخة(١) بآية السيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأنها أخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ. قرأ الجمهور(٢) بإسكان الياء من قوله «ولي» وقرأ نافع، وهشام، وحفص، والبزي بفتحها(٣).

وقرأ الجمهور(٤) أيضاً بحذف الياء من «ديني» وقفاً ووصلاً، وأثبتها(٥) نصر بن عاصم، وسلام، ويعقوب، وصلاً ووقفاً. قالوا: لأنها اسم، فلا تحذف. ويجاب بأن حذفها لرعاية الفواصل سائغ، وإن كانت اسماً.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس(٦): «أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوّجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح، قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلٰهك سنة، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فجاء الوحي من عند الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر

(١) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥)، و«زا د المسير» (٩/ ٢٥٤).
(٢) «التيسير» (ص٢٢٥)، و«النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٥٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٩٠).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان، وللبزّي وجه آخر بالإسكان.
(٤) «النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٦١)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٥٤).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٠٣)، وابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٢٣)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٢٦٥)، وقال الحافظ: «وفي إسناده: أبو خلف عبد الله بن عيسى، وهو ضعيف».

السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾» [الزمر: ٦٤، ٦٦].

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» عن سعيد بن مينا[١] مولى أبي البَخْتري قال: «لقي الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف رسول الله ﷺ قالوا: يا محمد هلمّ، فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي نحن عليه أصحّ من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً، وإن كان الذي أنت عليه أصحّ من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة».

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] أن قريشاً قالت: لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلٰهك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ السورة كلها.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/٧٠٣، ٧٠٤) من طريق ابن عُلَيّة.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦٥٥).

سُورَةُ النَّصر

وتُسمّى سورة التوديع، هي ثلاث آيات وهي مدنية[١] بلا خلاف.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: أنزل بالمدينة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبزار، وأبو يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر[٣] قال: هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حتى ختمها، فعرف رسول الله ﷺ أنها الوداع.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] قال: «لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: نُعيتْ إليّ نفسي».

وأخرج ابن مردويه[٥] عنه قال: «لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: نُعيت إليّ نفسي، وقُرِّب إليّ أجلي».

وأخرج النسائي، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه[٦] عنه أيضاً قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ نُعيتْ لرسول الله نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشدّ ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٥٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٣٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٨٦) ـ، وعبد الحميد رقم (٨٥٦ ـ المنتخب)، والبزار في «مسنده» رقم (١١٤١ ـ كشف)، وأبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٨٨) ـ، والبيهقي (٥/ ٤٤٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٦٨): «وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف».

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٨٧٣)، وابن جرير (٢٤/ ٧٠٩) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٠).

(٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (٢/ ١١٧)، والطبراني رقم (١١٩٠٣). وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عَنْ أمّ حبيبة[١] قالت: «لما أنزل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: إن الله لم يبعث نبيّاً إلّا عُمّر في أمته شطر ما عمَّر النبيّ الماضي قبله، فإن عيسى ابن مريم كان أربعين سنة في بني إسرائيل، وهذه لي عشرون سنة، وأنا ميت في هذه السنة، فبكت فاطمة، فقال النبيّ ﷺ: أنت أوّل أهلي بي لحوقاً فتبسّمت».

وأخرج البيهقي[٢] عن ابن عباس قال: «لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة، وقال: إنه قد نعيت إليّ نفسي، فبكت، ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه فبكيت؟ فقال: اصبري، فإنك أوّل أهلي لحاقاً بي فضحكت» وقد تقدّم في سورة الزلزلة أن هذه السورة تعدل ربع القرآن.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[فتح مكة: تحمل السورة بشرى لرسول ﷺ بنصر الله والفتح]:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

النصر: العونُ، مأخوذ مِنْ قولهم: قد نصر الغيثُ الأرض: إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها، ومنه قول الشاعر:

إذا انصرفَ الشهرُ الحرامُ فودِّعي ... بلادَ تميمٍ وانصري أرض عامرِ

يقال: نصره على عدوّه يَنْصُره نصراً: إذا أعانه، والاسم النُّصْرة، واستنصره على عدوّه: إذا سأله أن ينصره عليه.

قال الواحدي[٣]: قال المفسرون: ﴿إِذَا جَآءَ﴾ك يا محمد ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ على من عاداك، وهم: قريش ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة، وقيل: المراد: نصره ﷺ على قريش من غير تعيين، وقيل: نصره على من قاتله من الكفار، وقيل: هو فتح سائر البلاد، وقيل: هو ما فتحه الله عليه من العلوم، وعبر عن حصول النصر، والفتح: بالمجيء

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٦٧). (٣) في «الوسيط» (٤/ ٥٦٧).

للإيذان بأنهما متوجهان إليه ﷺ. وقيل: «إذا» بمعنى «قد»، وقيل: بمعنى «إذ».

قال الرازي[١]: الفرق بين النصر: والفتح: أن الفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان منغلقاً، والنصر كالسبب للفتح، فلهذا بدأ بذكر النصر، وعطف عليه الفتح؛ أو يقال: النصر: كمال الدين، والفتح: إقبال الدنيا الذي هو تمام النعمة؛ أو يقال: النصر: الظفَر، والفتح: الجنّة، هذا معنى كلامه. ويقال: الأمر أوضح من هذا وأظهر، فإن النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم، والاستعلاء عليهم، والفتح: هو فتح مساكن الأعداء، ودخول منازلهم.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾؛ أي: أبصرت النَّاس من العرب، وغيرهم يدخلون في دين الله الذي بعثك به جماعات فوجاً بعد فوج.

قال الحسن[٢]: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قال العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً؛ أي: جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين، فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام.

قال عكرمة[٣]، ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن، وذلك أنه ورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين، وانتصاب أفواجاً على الحال مِنْ فاعل يدخلون، ومحل قوله: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ النصب[٤] على الحال إن كانت الرؤية بصرية، وإن كانت بمعنى العلم، فهو في محل نصب على أنه المفعول الثاني.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ هذا جواب الشرط، وهو العامل فيه، والتقدير: فسبح بحمد ربك إذا جاء نصر الله. وقال مكي[٥]: العامل في «إذا» هو جاء، ورجحه أبو حيان، وضعف الأوّل بأن ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها.

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في محل نصب[٦] على الحال؛ أي: فقل سبحان الله

---

(١) في «تفسيره» (٣٢/ ١٥١).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٥٦٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥٧٦).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٧٦)، و«الوسيط» (٤/ ٥٦٦).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٣٠٧)، و«الفريد» (٤/ ٧٤٣).
(٥) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠٦).
(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٣٩٧)، و«الفريد» (٤/ ٧٣٥).

ملتبساً بحمده، أو حامداً له. وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس، وبين الحمد له على جميل صنعه له، وعظيم منَّته عليه بهذه النعمة التي هي النصر، والفتح لأمّ القرى التي كان أهلها قد بلغوا في عداوته إلى أعلى المبالغ حتى أخرجوه منها بعد أن افتروا عليه من الأقوال الباطلة، والأكاذيب المختلفة ما هو معروف من قولهم: هو مجنون، هو ساحر، هو شاعر، هو كاهن. ونحو ذلك.

ثم ضم سبحانه إلى ذلك أمر(١) نبيه ﷺ بالاستغفار؛ أي: اطلب منه المغفرة لذنبك هضماً لنفسك، واستقصاراً لعملك، واستدراكاً لما فرط منك من ترك ما هو الأولى، وقد كان ﷺ يرى قصوره عن القيام بحق الله، ويكثر من الاستغفار والتضرّع، وإن كان قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر. وقيل: إن الاستغفار منه ﷺ ومن سائر الأنبياء هو تعبّد تعبدهم الله به، لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم. وقيل: إنما أمره الله سبحانه بالاستغفار تنبيهاً لأمته، وتعريضاً بهم فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار.

وقيل: إن الله سبحانه أمره بالاستغفار لأمته لا لذنبه. وقيل: المراد بالتسبيح هنا: الصلاة. والأولى حمله على معنى التنزيه مع ما أشرنا إليه من كون فيه معنى التعجب سروراً بالنعمة، وفرحاً بما هيأه الله من نصر الدين، وكبت أعدائه، ونزول الذلة بهم، وحصول القهر لهم.

قال الحسن(٢): أعلم الله [٤/٢٧٣] رسوله ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح، والتوبة؛ ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكانَ يُكْثر أن يقول: «سبحانك اللّهم وبحمدك اغفر لي إنّك أنت التوّاب». قال قتادة(٣)، ومقاتل: وعاش ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ تعليل لأمره ﷺ بالاستغفار؛ أي: من شأنه التوبة على المستغفرين له يتوب عليهم، ويرحمهم بقبول توبتهم، وتوّاب من صيغ

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/١٥٨ ـ ١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٩/٤٠١ ـ ٤٠٣).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/٥٧٧)، و«الوسيط» (٤/٥٦٦)، و«روح المعاني» (٢٩/٥٤٢ ـ ٥٤٣).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

المبالغة، ففيه دلالة على أنه سبحانه مبالغ في قبول توبة التائبين. وقد حكى الرازي[١] في تفسيره اتفاق الصحابة على أن هذه السورة دلَّت على نعي رسول الله ﷺ.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس[٢] أن عمر سألهم عن قول الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقالوا: فتح المدائن والقصور، قال: فأنت يا ابن عباس ما تقول؟ قال: قلت مَثَلٌ ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه.

وأخرج البخاري، وغيره عن ابن عباس[٣] قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضَهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنّه مَنْ قد علمتم، فدعاهم ذات يوم، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلّا ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فذلك: علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر: لا أعلم منها إلّا ما تقول.

وأخرج ابن النجار[٤] عن سهل بن سعد عن أبي بكر أن سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حين أنزلت على رسول الله ﷺ أن نفسه نعيت إليه.

وأخرج ابنُ أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة[٥] قالت: «كانَ رسول الله ﷺ يُكْثر مِنْ قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفره وأتوب

---

(١) في «تفسيره» (٣٢/ ١٦٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٢).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «الفتح» (٨/ ٧٣٦) ـ، وابن سعد (٢/ ٣٦٥)، والبخاري رقم (٣٦٢٧، ٤٢٩٤)، وابن جرير (٢٤/ ٧٠٨، ٧٠٩)، والطبراني رقم (١٠٦١٦، ١٠٦٧١)، والبيهقي (٧/ ١٦٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٨)، ومسلم رقم (٤٨٤/ ٢١٨، ٢٢٠)، وابن جرير (٢٤/ ٧٠٦، ٧٠٧).

إليه، فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال: خبّرني ربي أنّي سأرى علامةً في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾».

وأخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم عن عائشة[١] قالت: «كان رسول الله ﷺ يُكْثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، اللَّهم اغفر لي يتأوّل القرآن» يعني: إذا جاء نصر الله والفتح، وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن أبي هريرة قال: «لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: جاء أهلُ اليمن هم أرقّ قلوباً، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] قال: «بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: الله أكبر قد جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن، قوم رقيقة قلوبهم، لينة طاعتهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية».

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله[٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً». وأخرج الحاكم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (٢٨٧٨)، وأحمد رقم (٢٤١٦٣، ٢٤٢٢٣)، والبخاري رقم (٧٩٤، ٨١٧، ٤٢٩٣، ٤٩٦٨)، ومسلم رقم (٢١٧/ ٤٨٤)، وأبو داود رقم (٨٧٧)، والنسائي رقم (١٠٤٦، ١١٢١، ١١٢٢)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١١٧١٠)، وابن ماجه رقم (٨٨٩)، وابن جرير (٢٤/ ٧٠٩)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٤).

(٢) أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٣١٥)، وقال الزيلعي: «غريب من حديث أبي هريرة». وأصل الحديث عند البخاري رقم (٤٣٩٠)، ومسلم رقم (٥٢) بدون ذكر السورة.

(٣) أخرجه الطبراني رقم (١١٩٠٣، ١١٩٠٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٢، ٢٣): «وأحد أسانيده رجاله رجال الصحيح».

(٤) أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٣١٤)، والحديث أخرجه أحمد رقم (١٤٦٩٦) بسند ضعيف.

وصححه عن أبي هريرة[1] قال: «تلا رسول الله ﷺ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال: ليخرجنّ منه أفواجاً، كما دخلوا فيه أفواجاً».

(١) أخرجه الحاكم (٤/٤٩٦) وصحَّحه.

سُورَةُ المَسَدِ

سورة «تبت»

هي خمس آيات وهي مكية بلا[(١)] خلاف.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن ابن عباس، وابن الزبير، وعائشة قالوا: نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ بمكة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[جزاء أبي لهب وامرأته]:

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

[تبت الأولى دعاء]:

معنى: ﴿تَبَّتْ﴾ هَلكتْ. وقال مقاتل[(٣)]: خَسِرت، وقيل: خابت. وقال عطاء[(٤)]: ضلّت. وقيل: صفرت من كل خير، وخصّ اليدين بالتباب، لأن أكثر العمل يكون بهما.

وقيل: المراد باليدين نفسه، وقد يُعبّر باليد عن النفس، كما في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]؛ أي: نفسك، والعرب تعبر كثيراً ببعض الشيء عن كله، كقولهم: أصابته يد الدهر، وأصابته يد المنايا، كما في قول الشاعر:

لما أكبَّتْ يدُ الرزايا ... عليه نادى ألا مجيرُ[(٥)]

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/٤٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٥٤٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٥).

(٣) «الوسيط» للواحدي (٤/٥٦٨).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/٥٤٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/٥٤٦).

وأبو لهب: اسمه[١] عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم.

وقوله: ﴿وَتَبَّ﴾؛ أي: هلك. قال الفراء[٢]: الأوّل دعاء عليه، والثاني خبر، كما تقول: أهلكه الله وقد هلك. والمعنى: أنه قد وقع ما دعا به عليه، ويؤيده قراءة ابن مسعود[٣]: «وقد تبّ». وقيل: كلاهما إخبار، أراد بالأوّل: هلاك عمله، وبالثاني: هلاك نفسه. وقيل: كلاهما دعاء عليه، ويكون في هذا شبه من مجيء العامّ بعد الخاص، وإن كان حقيقة اليدين غير مرادة، وذكره سبحانه بكنيته لاشتهاره بها، ولكون اسمه، كما تقدّم عبد العزى، والعزّى اسم صنم، ولكون في هذه الكنية ما يدلّ على أنه ملابس للنار؛ لأن اللهب هي لهب النار، وإن كان إطلاق ذلك عليه في الأصل لكونه كان جميلاً، وأن وجهه يتلهب لمزيد حسنه، كما تتلهب النار[٤].

قرأ الجمهور[٥]: «لَهَب» بفتح اللام، والهاء. وقرأ مجاهد، وحُميد، وابن كثير وابن محيصن بإسكان الهاء[٦]، واتفقوا على فتح الهاء في قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وروى صاحب «الكشاف»[٧] أنه قرئ: «تبت يدا أبو لهب»، وذكر وجه ذلك.

[لم يغن عنه ماله وسعيه ولم يدفع عنه الهلاك والدمار]:

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾؛ أي: ما دفع عنه ما حلّ به من التباب، وما نزل به من عذاب الله ما جمع من المال، ولا ما كسب من الأرباح والجاه؛ أو المراد بقوله: ماله ما ورثه من أبيه، وبقوله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ الذي كسبه بنفسه. قال مجاهد[٨]: وما كسب من ولد، وولد الرجل من كسبه.

ويجوز أن تكون «ما» في قوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ استفهامية[٩]؛ أي: أيّ شيء أغنى

---

(١) «التعريف والإعلام» (ص١٨٨). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٨).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٦٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٣٨٦)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ١٦٧). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩٨٢).

(٥) «التيسير» (ص٢٢٥)، و«النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٧١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٩٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١٧) بسند صحيح.

(٩) «التبيان» (٢/ ١٣٠٨)، و«الفريد» (٤/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤١٠).

عنه؟ وكذا يجوز في قوله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ أن تكون استفهامية؛ أي: وأيّ شيء كسب؟ ويجوز[١] أن تكون مصدرية؛ أي: وكسبه. والظاهر أن «ما» الأولى نافية، والثانية موصولة.

ثم أوعده سبحانه بالنار فقال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ قرأ الجمهور[٢]: «سيَصْلَى» بفتح الياء، وإسكان الصاد، وتخفيف اللام؛ أي: سيصلى هو بنفسه.

وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوة، وابن مقسم، والأشهب العُقيلي، وأبو السمّال، والأعمش، ومحمد بن السميفع بضم[٣] الياء، وفتح الصاد، وتشديد اللام، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير، والمعنى سيصليه الله.

ومعنى ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾: ذات اشتعال وتوقّد، وهي: نارُ جهنّم.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ معطوف على الضمير في يصلى، وجاز ذلك للفصل؛ أي: وتصلى امرأته ناراً ذات لهب، وهي أمّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت تحمل الغضى والشوك، فتطرحه بالليل على طريق النبيّ ﷺ، كذا قال ابن زيد[٤]، والضحاك[٥]، والربيع بن أنس[٦]، ومرّة الهمداني[٧].

وقال مجاهد[٨]، وقتادة[٩]، والسديّ[١٠]: إنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس. والعرب[١١] تقول: فلان يحطب على فلان: إذا نمّ به، ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٦٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٠).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٨٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٦٧). القراءة المتواترة قراءة الجمهور، أما القراءة بالتشديد، فشاذة، وهي رواية شاذة عن ابن كثير.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٢٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١٩) بسند حسن.

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٣٩٧).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١٩) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٢٠) بسند صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٢١)، وعبد الرزاق (٢/ ٤٠٦) بسند صحيح.

(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٣٩٧).

(١١) «الصحاح» (١/ ١١٣)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٣٩٣).

إنَّ بـنـي الأَدْرَمِ حـمَّـالُـو الـحَـطـبْ ... هـم الـوشـاةُ في الرِّضـا وفي الـغـضـبِ
عـلـيـهـم الـلـعـنـةُ تَـتْـرى والـحـرَبْ[1]

وقال آخر:

مِنَ البيضِ لم يَصْطَدْ على ظهْرِ لامةٍ ... ولم يمشِ بينَ الناس بالحَطبِ الرَّطْبِ[2]

وجعل الحطب في هذا البيت رطباً لما فيه مِن التدخين الذي هو زيادة في الشرّ، ومن الموافقة للمشي بالنميمة. وقال سعيد بن جبير[3]: معنى حمالة الحطب: أنها حمالة الخطايا والذنوب، من قولهم: فلان يحتطب على ظهره، كما في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] وقيل: المعنى: حمالة الحطب في النار.

قرأ الجمهور[4]: «حمالةُ» بالرفع على الخبرية على أنها جملة مسوقة للإخبار بأن امرأة أبي لهب حمالة الحطب، وأما على ما قدّمنا من عطف وامرأتُه على الضمير في تَصْلى، فيكون رفع حمالة على النعت لامرأته، والإضافة حقيقية؛ لأنها بمعنى المضيّ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي حمالة. وقرأ عاصم بنصب[5]: «حمالةَ» على الذمّ، أو على أنه حال من امرأته.

وقرأ أبو قلابة[6]: «حاملة الحطب» ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ [٤/ ٢٧٤] مِّن مَّسَدٍ﴾ الجملة في محل نصب[7] على الحال من امرأته، والجيد: العُنق، والمسد الليف الذي تُفتل منه الحبال، ومنه قول النابغة[8]:

مقذوفةٌ بدخيسِ النّحضِ بازلُها ... له صريفٌ صريفُ القَعْوِ بالمسدِ

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٠)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٦٧).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٢).
(٤) «النشر» (٢/ ٤٠٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٩٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٦٧)، و«التيسير» (ص٢٢٥).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٣). وهي قراءة شاذة.
(٧) «الفريد» (٤/ ٧٤٦)، و«التبيان» (٢/ ١٣٠٨).
(٨) «ديوان النابغة» (ص٣١).

وقول الآخر:

يـا مـسـدَ الـخـوص تـعـوَّذْ مـنِّـي إنْ كـنـتَ لِـدْنـا لـيِّـنـا فـإنـي[(١)]

وقال أبو عبيدة[(٢)]: المسد: هو حبل يكون من صوف. وقال الحسن[(٣)]: هي حبال تكون من شجر ينبت باليمن تُسمّى بالمسد. وقد تكون الحبال من جلود الإبل أو من أوبارها. قال الضحاك[(٤)]، وغيره: هذا في الدنيا، كانت تعيِّر النبيّ ﷺ بالفقر، وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها فخنقها الله به فأهلكها، وهو في الآخرة حبل من نار.

وقال مجاهد، وعروة بن الزبير[(٥)]: هو سلسلة من نار تدخل في فيها وتخرج من أسفلها.

وقال قتادة[(٦)]: هو قلادة من ودَع كانت لها. قال الحسن[(٧)]: إنما كان خرزاً في عنقها.

وقال سعيد بن المسيب[(٨)]: كانت لها قلادة فاخرة من جوهر، فقالت: واللات والعزّى، لأنفقنها في عداوة محمد، فيكون ذلك عذاباً في جسدها يوم القيامة. والمسد: الفتل، يقال: مسد حبله يمسده مَسْداً: أجاد فَتْله.اهـ.

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس[(٩)] قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج النبيّ ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل

---

(١) وتمام الرجز: ما شِئتَ من أشمَطَ مُقْثِنّ. «إصلاح المنطق» (ص٥٩).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٥٤).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٤).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٤).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٢٥) بسند صحيح.
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٨).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ٥٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٤).
(٩) أخرجه البخاري رقم (٤٨٠، ٤٩٧١، ٤٩٧٢)، ومسلم رقم (٣٠٨)، وابن جرير (١٧/ ٦٥٩، ٦٦٠) (٢٤/ ٧١٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٥)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٣٧)، وأبو نعيم رقم (١١٦)، والبيهقي (٢/ ١٨١، ١٨٢).

أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد؛ فقال أبو لهب: تباً لك إنما جمعتنا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾».

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ قال: خَسِرتْ. وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن عائشة قالت: إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ابنه من كسبه. ثم قرأت: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قالت: وما كسب: ولده.

وأخرج عبد الرزاق، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ قال: كسبه: ولده.

وأخرج ابن جرير، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ قال: كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبيّ ﷺ ليعقره وأصحابه، وقال ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ نقّالة الحديث ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ قال: هي حبال تكون بمكة. ويقال: المسد العصا التي تكون في البَكَرة. ويقال: المسد قلادة من ودَع.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو زرعة عن أسماء بنت أبي بكر(٤) قالت: «لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مـــذمَّـــمـــاً أَبَـــيْـــنَـــا ودينـه قَـلَـيْـنَـا وأمـره عـصـيـنـا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت، وأنا أخاف أَنْ تراك، فقال رسول الله ﷺ: إنِّها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٦).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٦٦).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧١٩، ٧٢٣)، والبيهقي (٢/ ١٨٣)، وابن عساكر ـ كما في «مختصر تاريخ دمشق» (٢٩/ ١٢٨، ١٢٩) بسند ضعيف.
(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٤٥)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤١٦).

رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر إِنِّي أخبرت أَنّ صاحبك هجاني، قال: لا، وربّ البيت ما هجاك، فولَّت وهي تقول: قد علمت قريش أَنّي ابنةُ سيدها».

وأخرجه البزار بمعناه، وقال: لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الإخلاص

هي أربع آيات وهي مكية[(١)] في قول ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر، ومدنية[(٢)] في أحد قولي ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسديّ.

وأخرج أحمد، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن أبي عاصم في السُّنَّة، والبغوي في «معجمه»، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أُبيّ بن كعب[(٣)]: «أن المشركين قالوا للنبيّ ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إلخ ليس شيء يولد إلّا سيموت، وليس شيء يموت إلّا سيورث، وإن الله لا يموت، ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قال: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثله شيء».

ورواه الترمذي[(٤)] من طريق أخرى عن أبي العالية مرسلاً، ولم يذكر أُبيّاً، ثم قال: وهذا أصح.

وأخرج أبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن جابر[(٥)]، قال: «جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فقال: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة» وحسَّن السيوطي إسناده.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٢٣)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٦٤).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٧).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢١٢١٩)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ٢٤٥)، والترمذي رقم (٣٣٦٤)، وابن جرير (٢٤/ ٧٢٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» رقم (٤٥)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» رقم (٦٦٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي رقم (٥٠، ٦٠٧). وهو حديث حسن دون قوله: لأنّه ليس شيء.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٦٥). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه أبو يعلى رقم (٢٠٤٤)، وابن جرير (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني رقم (٥٦٨٧)، وأبو نعيم (٤/ ٣٣٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٠٨) بسند ضعيف.

وأخرج الطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن مسعود(١) قال: «قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن عديّ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(٢): «أن اليهود جاءت إلى النبيّ ﷺ، منهم كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيخرج منه الولد. ولم يولد، فيخرج منه شيء».

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وأحمد، والنسائي في اليوم والليلة، وابن منيع، ومحمد بن نصر، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن أبيّ بن كعب(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن».

وأخرج ابن الضريس، والبزار، والبيهقي في الشعب عن أنس(٤) عن النبيّ ﷺ: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتي مرة غُفر له ذنب مائتي سنة». قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلّا الحسن بن أبي جعفر، والأغلب بن تميم، وهما يتقاربان في سوء الحفظ.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن الضريس، والبيهقي في «سننه» عن أنس(٥) قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحبّ هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال رسول الله ﷺ: حبك إياها أدخلك الجنة».

---

(١) أخرجه الطبراني ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٠١) ـ وأبو الشيخ رقمه (٩١) كلاهما رواه عن أبي وائل مرسلاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٢) ـ وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٦٦)، والبيهقي رقم (٦٠٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص١٤٣، ١٤٤)، وأحمد رقم (٢١٢٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٥٢١)، وابن منيع ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٩٣) ـ ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٥)، و«الضياء» رقم (١٢٣٩، ١٢٤٠). وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٦٦)، والبزار ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٤٤) ـ والبيهقي رقم (٢٥٤٢، ٢٥٤٦). وهو حديث منكر. «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٩٥).

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٢٤٣٢)، والترمذي رقم (٢٩٠١)، وابن الضريس رقم (٢٧٨)، والبيهقي (٢/ ٦٠، ٦١) بسند حسن.

وأخرج ابن الضريس، وأبو يعلى، وابن الأنباري في «المصاحف» عن أنس[١] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرّات في ليلة؟ فإنها تعدل ثلث القرآن» وإسناده ضعيف.

وأخرج محمد بن نصر، وأبو يعلى عن أنس[٢] عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مرّة غُفر له ذنوب خمسين سنة» وإسناده ضعيف.

وأخرج الترمذي، وابن عديّ، والبيهقي في «الشُّعب» عن أنس[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتي مرة، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة، ومحى عنه ذنوب خمسين سنة، إلّا أن يكون عليه دين» وفي إسناده حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره، ولفظ الترمذي: «من قرأ في يوم مائتي مرة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، محي عنه ذنوب خمسين سنة، إلّا أن يكون عليه دين»، وفي إسناده حاتم بن ميمون المذكور.

وأخرج الترمذي، ومحمد بن نصر، وأبو يعلى، وابن عديّ، والبيهقي عن أنس[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينام على فراشه من الليل، فنام على يمينه ثم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الربّ: يا عبدي ادخل على يمينك الجنة» وفي إسناده أيضاً حاتم بن ميمون المذكور. قال الترمذي بعد إخراجه: غريب من حديث ثابت. وقد روي من غير هذا الوجه عنه.

وأخرج ابن سعد، وابن الضريس، وأبو يعلى، والبيهقي في «الدلائل»[٥] عن أنس قال: «كان النبيّ ﷺ بالشام، وفي لفظ: بتبوك، فهبط جبريل فقال: يا محمد إن معاوية بن معاوية المُزني هلك، أفتحبّ أن تصلي عليه؟ قال: نعم، فضرب

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٤١١٨) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه محمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٦)، وأبو يعلى ـ كما في «المستزاد من الإتحاف» رقم (٥٤٣٠) وفي «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٠٧) ـ وهو حديث ضعيف.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٩٨)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٦)، وأبو يعلى رقم (٣٣٦٥)، وابن عدي (٢/ ٨٤٤)، والبيهقي رقم (٢٥٤٧). وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي بإثر حديث رقم (٢٨٩٨)، وابن عدي (٢/ ٨٤٥)، والبيهقي رقم (٢٥٤٩). وهو حديث ضعيف.

(٥) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٧١)، وأبو يعلى رقم (٤٢٦٨)، والبيهقي (٥/ ٢٤٦) بسند ضعيف.

بجناحه الأرض، فتضعضع له كل شيء، ولزق بالأرض ورفع له سريره، فصلى عليه، فقال النبيّ ﷺ: مِنْ أيّ شيء أوتي معاوية هذا الفضل، صلى عليه صفان من الملائكة في كل صف ستة آلاف ملَك؟ قال: بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كان يقرؤها قائماً، وقاعداً، وجائياً، وذاهباً، ونائماً»، وفي إسناده العلاء بن محمد الثقفي وهو مُتَّهم بالوضع. وروي عنه من وجه آخر بأطول من هذا، وفي إسناده هذا المتهم.

وفي الباب أحاديث في هذا المعنى وغيره.

وقد روي من غير الوجه أنها [٤/٢٧٥] تعدل ثلث القرآن، وفيها ما هو صحيح، وفيها ما هو حسن؛ فمن ذلك ما أخرجه مسلم، والترمذي وصححه، وغيرهما عن أبي هريرة[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا فإنّي سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم خرج نبيّ الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ثم خرج نبيّ الله ﷺ فقال: إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن».

وأخرج أحمد، والبخاري، وغيرهما عن أبي سعيد الخدري[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» يعني: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وأخرج أحمد، والبخاري، وغيرهما من حديث أبي سعيد[٣] قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن».

وأخرج مسلم، وغيره من حديث أبي الدرداء[٤] نحوه. وقد روي نحو هذا بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة، وحديث ابن مسعود، وحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨١٢)، والترمذي رقم (٢٩٠٠)، وابن الضريس رقم (٢٥٠).
(٢) أخرجه مالك (٢٠٨/١)، وأحمد رقم (٥٠١٣، ٦٦٤٣)، وأبو داود رقم (١٤٦١)، والنسائي رقم (٩٩٤)، وابن الضريس رقم (٢٤٩)، والبيهقي (٢١/٣).
(٣) أخرجه أحمد رقم (١١٠٥٣)، والبخاري رقم (٥٠١٥)، وابن الضريس رقم (٢٥٦).
(٤) أخرجه مسلم رقم (٨١١)، وأبو عبيد في «فضائله» (ص١٤٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٥٣٧).

وروي نحو هذا عن غير هؤلاء بأسانيد بعضها حسن، وبعضها ضعيف، ولو لم يرد في فضل هذه السورة إلّا حديث عائشة عند البخاري، ومسلم، وغيرهما[1]: «أن النبيّ ﷺ بعث رجلاً في سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: سلوه لأيّ شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنَّها صفةُ الرحمٰن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال: أخبروه أنَّ الله تعالى يحبُّه» هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد.

وأخرج البخاري[2] أيضاً في كتاب الصلاة من حديث أنس قال: «كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة، فقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، قال: ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنَّه من أفضلهم فكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبيّ ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: إني أحبُّها، قال: حبك إياها أدخلك الجنة» وقد روي بهذا اللفظ من غير[3] وجه عند غير البخاري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سورة التوحيد والتنزيه لله ﷻ]:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٣٧٥)، ومسلم رقم (٨١٣)، والنسائي رقم (٩٩٢)، والبيهقي رقم (٦١، ٦٠٩).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٧٤).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٩٠١) وقال: «حسن غريب صحيح من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن عمر عن ثابت.

[لا شيء غيره معه، وأن ليس كمثله شيء]:

قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير[١] يجوز أن يكون عائداً إلى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول، وأن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فيكون مبتدأ، والله مبتدأ ثان، وأحد خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر المبتدأ الأوّل، ويجوز أن يكون الله بدلاً من هو، والخبر أحد.

ويجوز أن يكون الله خبراً أوّل، وأحد خبراً ثانياً، ويجوز[٢] أن يكون أحد خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هو أحد. ويجوز أن يكون هو ضمير شأن؛ لأنه موضع تعظيم، والجملة بعده مفسرة له وخبر عنه، والأوّل أولى. قال الزجاج[٣]: هو كناية عن ذكر الله، والمعنى: إن سألتم تبيين ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قيل: وهمزة أحد بدل من الواو، وأصله: واحد.

وقال أبو البقاء[٤]: همزة أحد أصل بنفسها غير مقلوبة، وذكر أن أحد يفيد العموم دون واحد، ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهري[٥]: أنه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى، لا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد؛ كما يقال: رجل واحد، ودرهم واحد، قيل: والواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل فيه فإذا قلت لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف قولك لا يقاومه أحد.

وفرّق ثعلب[٦] بين واحد وبين أحد: بأن الواحد يدخل في العدد وأحد لا يدخل فيه. وردّ عليه أبو حيان بأنه يقال أحد وعشرون، ونحوه، فقد دخله العدد، وهذا كما ترى، ومن جملة القائلين بالقلب الخليل.

قرأ الجمهور[٧]: «قل هو الله أحد» بإثبات قُلْ. وقرأ عبد الله بن مسعود[٨]

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٣٠٩)، و«الفريد» (٤/ ٧٤٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧٧).

(٤) «التبيان» (٢/ ١٣٠٩) وفي «الإملاء» (٤/ ٤٨٧).

(٥) «تهذيب اللغة» (٥/ ١٩٢).

(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٣٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٥٠٨)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٩٦).

(٧) «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٧). القراءة المتواترة قراءة الجمهور وما عداها فشاذ، وقراءة ابن مسعود وأبيّ مخالف للرسم.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٨٢)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢١٤).

وأبيّ «الله أحد» بدون قل. وقرأ الأعمش[١] «قل هو الله الواحد».

وقرأ الجمهور[٢]: بتنوين أحد، وهو: الأصل.

وقرأ زيد بن عليّ، وأبان بن عثمان، وابن أبي إسحاق، والحسن، وأبو السمّال، وأبو عمرو في رواية عنه بحذف[٣] التنوين للخفة، كما في قول الشاعر:

عمرُو الذي هشمُ الثريدُ لقومِه ورجالُ مكَّةَ مُسْنَتُون عجافُ[٤]

وقيل: إن ترك التنوين لملاقاته لام التعريف، فيكون الترك لأجل الفرار من التقاء الساكنين. ويجاب عنه بأن الفرار من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الأوّل منهما بالكسر.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الإسم الشريف مبتدأ، والصمد خبره.

والصمد: هو الذي يُصمد إليه في الحاجات؛ أي: يقصد لكونه قادراً على قضائها، فهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض؛ لأنه مصمود إليه؛ أي: مقصود إليه، قال الزجاج[٥]: الصمد: السند الذي انتهى إليه السؤدد، فلا سيد فوقه. قال الشاعر:

ألا بكَّر الناعي بخيرِ بنِي أسدْ بعمروِ بنِ مسعودٍ وبالسيِّد الصمدْ[٦]

وقيل: معنى الصمد: الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزول، وقيل: معنى الصمد: ما ذكر بعده من أنه الذي لم يلد ولم يولد. وقيل[٧]: هو المستغني عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. وقيل: هو المقصود في الرغائب، والمستعان به في

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٨٢)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ١٧٩).

(٢) «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٩١)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٦٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٦٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بترك التنوين شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو.

(٤) نسب لعبد الله بن الزبعري وهو في «ملحقات ديوانه» (ص٥٣)، ونسب لمطرود بن كعب الخزاعي. «الاشتقاق» (ص١٣).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧٨).

(٦) نسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٦)، للأسدي. ونسبه البغدادي في «خزانة الأدب» (١١/ ٢٦٩) لبنت معبد بن نضلة.

(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٩).

المصائب، وهذان القولان يرجعان إلى معنى القول الأوّل. وقيل: هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. وقيل: هو الكامل الذي لا عيب فيه.

وقال الحسن[١]، وعكرمة، والضحاك، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعبد الله بن بريدة، وعطاء، وعطية العوفي، والسديّ، الصمد هو المصمت الذي لا جوف له، ومنه قول الشاعر:

شهابُ حروبٍ لا تزالُ جيادُه   عوابسَ يعلِكْنَ الشكيمَ المصْمَّدَا[٢]

وهذا لا ينافي القول الأوّل لجواز أن يكون هذا أصل معنى الصمد، ثم استعمل في السيد المصمود إليه في الحوائج، ولهذا أطبق على القول الأوّل أهل اللغة وجمهور أهل التفسير، ومنه قول الشاعر:

علوتُه بحسامٍ ثمَّ قلتَ له   خذْها حذيفُ فأنتَ السيِّدُ الصَّمَدُ[٣]

وقال الزبرقان بن بدر[٤]:

سيروا جميعاً بنصفِ الليلِ واعتمِدُوا   ولا رهينةَ إلّا سيِّدٌ صَمَدُ

وتكرير[٥] الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك، فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية، وحذف العاطف من هذه الجملة؛ لأنها كالنتيجة للجملة الأولى، وقيل: إن الصمد صفة للاسم الشريف، والخبر هو ما بعده. والأوّل أولى؛ لأن السياق يقتضي استقلال كل جملة ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ أي: لم يصدر عنه ولد، ولم يصدر هو عن شيء، لأنه لا يجانسه شيء، ولاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً.

[حقيقة الله ثابتة أبدية أزلية]:

قال قتادة[٦]: إن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله. وقالت اليهود:

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣١ ـ ٧٣٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٧١).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٩).

(٣) «الأمالي» لأبي علي القالي (٢/ ٢٨٨)، و«الصحاح» (٢/ ٤٩٩).

(٤) «جامع البيان» (٢٤/ ٧٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٥٩)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣١٦).

(٥) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٧١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٥٨٩)، و«المسير» (٩/ ٢٦٩).

﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. وقالت النصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، فأكذبهم الله فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ قال الرازي: قدّم ذكر نفي الولد مع أن الوالد مقدّم للاهتمام، لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين: إن الملائكة بنات الله، واليهود: عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، ولم يدّع أحد أن له والداً، فلهذا السبب بدأ بالأهمّ، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ثم أشار إلى الحجة فقال: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ كأنه قيل: الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على أنه ما كان ولداً لغيره، وإنما عبّر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد في الماضي، ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك في المستقبل؛ لأنه ورد جواباً عن قولهم: ولد الله، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢] فلما كان المقصود من هذه الآية تكذيب قولهم، وهم: إنما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفي فيما مضى، وردت الآية لدفع قولهم هذا.

[لم يوجد له مماثل أو مكافئ لا في حقيقة الوجود ولا في حقيقة الفاعلية ولا في أي صفة من الصفات الذاتية]:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها؛ [٤/٢٧٦] لأنه سبحانه إذا كان متصفاً بالصفات المتقدمة كان متصفاً بكونه لم يكافئه أحد، ولا يماثله ولا يشاركه في شيء، وأُخّر اسم كان لرعاية الفواصل(١).

وقوله: ﴿لَّهُ﴾ متعلق بقوله: ﴿كُفُوًا﴾ قدم(٢) عليه لرعاية الاهتمام؛ لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته. وقيل: إنه في محل نصب على الحال، والأوّل أولى. وقد ردّ المبرد(٣) على سيبويه(٤) بهذه الآية؛ لأن سيبويه قال: إنه إذا تقدّم الظرف كان هو الخبر، وههنا لم يجعل خبراً مع تقدّمه، وقد ردّ على المبرد بوجهين:

أحدهما: أن سيبويه لم يجعل ذلك حتماً بل جوّزه.

والثاني: أنا لا نسلم كون الظرف هنا ليس بخبر، بل يجوز أن يكون خبراً ويكون كفواً منتصباً على الحال.

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/٤٥٣) عن ابن الحاجب.
(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٥١٠)، و«الفريد» (٤/٧٤٨ ـ ٧٤٩)، و«التبيان» (٢/١٣٠٩).
(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٠/٥٧٢). (٤) في «الكتاب» (١/٥٥ ـ ٥٦).

وحكى في «الكشاف»[١] عن سيبويه على أن الكلام العربيّ الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقرّ، واقتصر في هذه الحكاية على نقل أوّل كلام سيبويه، ولم ينظر إلى آخره، فإنه قال في آخر كلامه: والتقديم والتأخير والإلغاء، والاستقرار عربيّ جيد كثير. انتهى.

قرأ الجمهور[٢]: «كُفُواً» بضم الكاف والفاء، وتسهيل الهمزة، وقرأ الأعرج، وسيبويه، ونافع في رواية عنه بإسكان الفاء[٣]، وروي ذلك عن حمزة[٤] مع إبداله الهمزة واواً في الوقف، وأبدلها عاصم[٥] واواً وصلاً ووقفاً، وقرأ نافع في رواية عنه: «كفأ» بكسر الكاف، وفتح الفاء من غير مدّ، وقرأ سليمان[٦] بن عليّ بن عبد الله بن العباس كذلك مع المد، وأنشد قول النابغة[٧]:

لا تـقـذِفَـنّـي بـركـنٍ لا كِـفَـاءَ لـه

والكفء في لغة[٨] العرب: النظير، يقول: هذا كفوك؛ أي: نظيرك، والاسم: الكفاءة بالفتح.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والمحاملي في أماليه، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة» عن بريد[٩] لا أعلمه إلّا رفعه. قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له، ولا يصح رفع هذا.

---

(١) في «الكشاف» (٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٣)، و«التيسير» (ص٢٢٦)، و«الكشاف» (٦/ ٤٦٣). قرأ حمزة وخلف ويعقوب كفْؤا بإسكان الفاء مع الهمزة، وقرأ حفص عن عاصم (كفُوا) بضم الفاء، وواو منصوبة، وقرأ باقي العشرة «كفُؤاً» بضم الفاء فهمزة منصوبة منونة وما ذكره الإمام عن نافع وحمزة فشاذ عنهما. اهـ. «النشر» (٢/ ٢١٥، ٢١٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٣)، و«التيسير» (ص٢٢٦)، و«النشر» (٢/ ٢١٥)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤٥٢).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٣).

(٧) «ديوان النابغة» (ص٣٦) وعجز البيت:

وإنْ تـأثَّـفـك الأعـداء بـالـرِّفـدِ

(٨) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٨٦)، الصحاح (١/ ٦٨ ـ ٦٩).

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٣٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «مجموع فتاوى» (١٧/ ٣٢٠) ـ =

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[١] قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له، وفي لفظ: ليس له أحشاء.

وأخرج ابن أبي عاصم، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٢] مثله.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا يَطْعَم، وهو المصمت. وقال: أو ما سمعت النائحة، وهي تقول:

لقد بكَّرَ الناعي بخيرِ بني أسدْ بعمروِ بنِ مسعودٍ وبالسيِّد الصمدْ[٤]

وكان لا يطعم عند القتال، وقد روي عنه أنه الذي يصمد إليه في الحوائج، وأنه أنشد البيت، واستدلّ به على هذا المعنى، وهو أظهر في المدح، وأدخل في الشرف، وليس لوصفه بأنه لا يطعم عند القتال كثير معنى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» والبيهقي في «الأسماء والصفات» من طريق عليّ بن أبي طلحة[٥] عن ابن عباس قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغنيّ الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفة لا تنبغي إلّا له ليس له كفو وليس كمثله شيء.

= والطبراني رقم (١١٦٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٣) وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٤): وهذا غريب جدّاً. والصحيح أنَّه موقوف على عبد الله بن بريدة.
وقال ابن تيمية: ورُوي عن بريدة حديثاً مرفوعاً لكنه ضعيف.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «مجموع فتاوى» (١٧/ ٢٢٠، ٢٢١).
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم رقم (٦٦٥)، وابن جرير (٢٤/ ٧٣١)، والبيهقي رقم (١٠٠) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/ ٧٧٨ ـ ٧٧٩).
(٤) تقدم ذكره.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٣٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «مجموع فتاوى» (١٧/ ٢٢٠) ـ وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٨)، والبيهقي رقم (٩٨) بسند ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي عن ابن مسعود[١] قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو السيد الذي قد انتهى سؤدده، فلا شيء أسود منه.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العَظَمة» عن ابن عباس[٢] قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي تُصمد إليه الأشياء إذا نزل بهم كُرْبة أو بلاء.

وأخرج ابن جرير[٣] من طرق عنه في قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ قال: ليس له كفو ولا مِثْل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي عاصم رقم (٦٦٦)، وابن جرير (٢٤/ ٧٣٥، ٧٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩٩) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «مجموع فتاوى» (١٧/ ٢١٩) ـ وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٣٨) بسند صحيح.

سُورَةُ الفَلَقِ

هي خمس آيات وهي مكيَّة في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس، وقتادة(١).

وأخرج أحمد، والبزار، والطبراني، وابن مردويه من طرق(٢). قال السيوطي(٣): صحيحة عن ابن مسعود أنه كان يحك المعوّذتين في المصحف يقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس مِنْه إنهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبيّ ﷺ أن يتعوّذ بهما، وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما. قال البزار: لم يتابع ابن مسعود أحدٌ من الصحابة، وقد صح عن النبيّ ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، وأثبتتا في المصحف.

وأخرج أحمد، والبخاري، والنسائي، وغيرهم عن زرّ بن حبيش(٤) قال: «أتيت المدينة، فلقيت أبيّ بن كعب، فقلت له: أبا المنذر إني رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوّذتين في مصحفه، فقال: أما والذي بعث محمداً بالحقّ لقد سألت رسول الله ﷺ عنهما، وما سألني عنهما أحد منذ سألته غيرك، قال: قيل لي: قل، فقلت: فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ».

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود(٥): «أن النبيّ ﷺ سئل عن هاتين السورتين، فقال: قيل لي، فقلت: فقولوا كما قلت».

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٦٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢١١٨٨)، والبزار رقم (١٥٨٦)، والطبراني رقم (٩١٤٨ ـ ٩١٥٢) ـ وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٤٢) بسند صحيح.

(٣) في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨٣).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢١١٨٦)، والبخاري رقم (٤٩٧٦، ٤٩٧٧)، والنسائي ـ كما في «تحفة الأشراف» رقم (١٩)، وابن الضريس رقم (٢٩١)، وابن حبان رقم (٧٩٧).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٠٢١١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٠) «فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف».

وأخرج مسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم عن عقبة بن عامر[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليّ الليلة آيات لم أر مثلهنّ قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

وأخرج ابن الضريس، وابن الأنباري، والحاكم وصححه، وابن مردويه في الشعب عن عقبة بن عامر[٢] قال: «قلت يا رسول الله: أقرئني سورة يوسف، وسورة هود، قال: يا عقبة اقرأ: بقل أعوذ بربّ الفلق، فإنك لن تقرأ سورة أحبّ إلى الله، وأبلغ منها، فإذا استطعت أن لا تفوتك، فافعل».

وأخرج ابن سعد، والنسائي، والبغوي، والبيهقي عن أبي حابس الجهني[٣] أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا حابس أخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هما: المعوذّتان».

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري[٤] قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من عين الجانّ، ومن عين الإنس، فلما نزلت سورة المعوّذتين أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك».

وأخرج أبو داود، والنسائي، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٥] «أن النبيّ ﷺ كان يكره عشر خصال، ومنها أنه كان يكره الرقى إلّا بالمعوّذتين».

وأخرج ابن مردويه[٦] عن أمّ سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨١٤)، والترمذي رقم (٢٩٠٢)، والنسائي رقم (٩٥٣)، وابن الضريس رقم (٢٨٦).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٨٢)، والحاكم (٢/ ٥٤٠)، والبيهقي رقم (٢٥٦٦). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن سعد (٢/ ٢١٢)، والنسائي رقم (٥٤٤٧)، والبيهقي رقم (٢٥٧٤). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٠٥٨)، والنسائي رقم (٥٥٠٩)، والبيهقي رقم (٢٥٦٢). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٢٢٢)، والنسائي رقم (٥١٠٣)، والحاكم (٤/ ١٩٥) وقال الألباني: منكر (ضعيف سنن النسائي).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٠/ ٦٨٥).

السور إلى الله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». وأخرج النسائي، وابن الضريس، وابن حبان في صحيحه، وابن الأنباري، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: «أخذ بمنكبي رسول الله ﷺ ثم قال: اقرأ، قلت: ما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾؛ ثم قال: اقرأ، قلت: بأبي أنت وأمي ما أقرأ؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ولم تقرأ بمثلهما».

وأخرج مالك في «الموطأ» عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة[(٢)]: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوّذتين، وينفث، فلما اشتدّ وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه رجاء بركتهما».

وأخرجه البخاري، ومسلم في صحيحيهما من طريق مالك[(٣)] بالإسناد المذكور.

وأخرج عبد بن حميد في مسنده عن زيد بن أرقم[(٤)] قال: «سحر النبيّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى، فأتاه جبريل، فنزل عليه بالمعوّذتين، وقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان، [٤/ ٢٧٧] فأرسل عليّاً فجاء به، فأمره أن يحل العقد، ويقرأ آية، ويحلّ حتى قام النبيّ ﷺ كأنما نَشَط مِنْ عِقَال».

وأخرجه ابن مردويه، والبيهقي من حديث عائشة[(٥)] مطوّلاً.

وكذلك أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس[(٦)].

وقد ورد في فضل المعوّذتين، وفي قراءة رسول الله ﷺ لهما في الصلاة، وغيرهما أحاديث، وفيما ذكرناه كفاية.

[وأخرج الطبراني[(٧)] في الصغير عن عليّ بن أبي طالب قال: «لدغت النبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه النسائي رقم (٥٤٥٦)، وابن الضريس رقم (٢٨٣) بسند حسن.
(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤٣).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٠١٦)، ومسلم رقم (٥١/ ٢١٩٢).
(٤) أخرجه عبد بن حميد رقم (٢٧١ ـ منتخب) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه البيهقي (٧/ ٩٢ ـ ٩٤) والحديث أخرجه البخاري رقم (٣٢٦٨، ٥٧٦٣)، ومسلم رقم (٢١٨٩).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨٧).
(٧) أخرجه الطبراني في «الصغير» ـ كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٤). وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الصغير» وإسناده حسن.

عقربٌ، وهو يصلي، فلما فرغ قال: لعن الله العقرب لا تدع مصليّاً، ولا غيره، ثم دعا بماء، وملْح وجعل يمسح عليها، ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: سورة الكافرون، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: سورة الصمد، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الاستعاذة من شر المخلوقات]:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح، يقال: هو أبين من فلق الصبح، وسمي فلقاً، لأنه يفلق عنه الليل، وهو فعل بمعنى مفعول. قال الزجاج(١): لأن الليل ينفلق عنه الصبح، ويكون بمعنى مفعول، يقال: هو أبين من فلق الصبح، ومن فرق الصبح، وهذا قول جمهور(٢) المفسِّرين، ومنه قول ذي الرُّمة(٣):

حتى إذا ما جَلا عَنْ وجْهِهِ فَلَقٌ ... هاديهِ في أخرياتِ الليلِ منتصبُ

وقول الآخر:

يا ليلةً لم أنمها بتَّ مرتفقا ... أرعَى النجومَ إلى أنْ نوَّر الفلقُ(٤)

وقيل: هو سجن في جهنم، وقيل: هو اسم من أسماء جهنم، وقيل: شجرة في النار، وقيل: هو الجبال والصخور، لأنّها تفلق بالمياه؛ أي: تشقق، وقيل: هو التفليق بين الجبال؛ لأنها تنشق من خوف الله. قال النحاس: يقال لكل ما اطمأنّ من الأرض فلق، ومنه قول زهير(٥):

ما زلتُ أرمقُهم حتى إذا هبطتْ ... أيدي الركابِ بهم مِنْ راكسٍ فَلَقَا

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧٩).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٥٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧١).

(٣) «ديوان ذي الرمة» (١/ ٩٢) مؤسسة الرسالة.

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٤).

(٥) «ديوان زهير» (ص٣٥).

والراكس: بطن الوادي، ومثله قول النابغة[١]:

ودونِـــي راكـــسٌ فـــالـــضـــواجـــعُ

وقيل: هو الرحم تنفلق بالحيوان، وقيل: هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان والصبح والحبّ والنوى، وكلّ شيء من نبات، وغيره قاله الحسن[٢]، والضحاك.

قال القرطبي[٣]: هذا القول يشهد له الانشقاق، فإن الفَلْق: الشقّ، فلقت الشيء فَلْقاً: شققتُه، والتفليق مثله، يقال: فلقتُه، فانفْلق وتفلّق، فكلّ ما انفلق عن شيء من حيوان، وصبح، وحبّ، ونوى، وماء فهو فَلَق، قال الله سبحانه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. انتهى.

والقول الأوّل أولى؛ لأنّ المعنى، وإن كان أعمّ منه وأوسع مما تضمنه لكنه المتبادر عند الإطلاق. وقد قيل في وجه تخصيص الفلق: الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كلّ هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه، ويخشاه، وقيل: طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرَج؛ فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح، كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صباح النجاح، وقيل: غير هذا مما هو مجرّد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ متعلق بأعوذ؛ أي: من شرّ كلّ ما خلقه سبحانه من جميع مخلوقاته، فيعمّ جميع الشرور، وقيل: هو إبليس وذرّيته[٤].

وقيل: جهنم، ولا وجه لهذا التخصيص، كما أنه لا وجه لتخصيص من خصّص هذا العموم بالمضارّ البدنية. وقد حرّف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه، وتقويماً لباطله، فقرءوا[٥] بتنوين شرٍّ على أن: «ما» نافية.

---

(١) «ديوان النابغة» (ص٧٩). وصدر البيت:

وعـيـدُ أبـي قـابـوس فـي غـيـر كـنـهـه

الضواجع: منحنى الوادي.

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٤). (٣) في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٣)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٨٢)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤٦٥) وهي قراءة مردودةٌ مبنية على مذهب باطل. بل هي تحريف للقرآن.

والمعنى[١]: من شرٍّ لم يخلقه، ومنهم عَمْرو بن عبيد، وعمرو بن عائذ.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل، والغسق: الظلمة، يقال: غسق الليل يغسق إذا أظلم. قال الفراء[٢]: يقال غسق الليل، وأغسق إذا أظلم، ومنه قول قيس بن الرقيّات[٣]:

إنَّ هذا الليلَ قد غَسَقَا واشتكيتُ الهمَّ والأَرَقَا

وقال الزجاج[٤]: قيل لليل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار، والغاسق: البارد، والغسق: البرد، ولأن في الليل تخرج السباع من آجامها، والهوامّ من أماكنها، وينبعث أهل الشرّ على العبث والفساد، كذا قال، وهو: قول بارد، فإن أهل اللغة[٥] على خلافه، وكذا جمهور[٦] المفسرين. ووقوبه: دخول ظلامه، ومنه قول الشاعر:

وَقَبَ العذابُ عليهمُ فكأنَّهم لحقتْهُمُ نارَ السُّمومِ فأُخْمِدُوا[٧]

أي: دخل العذاب عليهم، ويقال: وقبت الشمس: إذا غابت، وقيل: الغاسق: الثريا، وذلك أنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين، وإذا طلعت ارتفع ذلك، وبه قال ابن زيد[٨]. وهذا محتاج إلى نقل عن العرب أنهم يصفون الثريا بالغسوق.

وقال الزهري[٩]: هو الشمس إذا غربت، وكأنه لاحظ معنى الوقوب، ولم يلاحظ معنى الغسوق، وقيل: هو القمر إذا خسف، وقيل: إذا غاب. وبهذا قال قتادة، وغيره.

واستدلوا بحديث أخرجه أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عائشة[١٠] قالت: «انظر

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٣٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٦٥).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠١) (٣) ديوان عبد الله بن قيس الرقيَّات (ص١٨٧).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧٩).
(٥) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٥٣)، و«الصحاح» (١/ ٢٣٤).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٥٧٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٥٢/ ٥٧٤).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٤). (٨) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٥).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٤).
(١٠) أخرجه أحمد رقم (٢٥٧١١)، والترمذي رقم (٣٣٦٦)، وابن جرير (٢٤/ ٧٤٨)، وأبو الشيخ في العظمة رقم (٦٨١)، والحاكم (٢/ ٥٤٠) بسند حسن.

رسول الله ﷺ يوماً إلى القمر لما طلع فقال: يا عائشة استعيذي بالله من شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب».

قال الترمذي: بعد إخراجه: حسن صحيح، وهذا لا ينافي قول الجمهور؛ لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلّا فيه، وهكذا يقال في جواب من قال: إنه الثريا. قال ابن الأعرابي(١) في تأويل هذا الحديث: وذلك أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر.

وقيل: الغاسق: الحية(٢) إذا لدغت. وقيل الغاسق: كل هاجم يضرّ كائناً ما كان، من قولهم غسقت القرحة: إذا جرى صديدها، وقيل: الغاسق: هو السائل، وقد عرّفناك أنّ الراجح في تفسير هذه الآية هو ما قاله أهل القول الأوّل، ووجه تخصيصه أن الشرّ فيه أكثر، والتحرز من الشرور فيه أصعب، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل.

[السحر والنفث في العقد، وهي شر يستعاذ منه بالله ويلجأ منه إلى حماه]:

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ النفاثات: هنّ السواحر؛ أي: ومن شر النفوس النفاثات، أو النِّساء النفاثات، والنفث النفخ، كما يفعل ذلك من يرقي ويسحر.

وقيل(٣): مع ريق، وقيل: بدون ريق، والعُقد: جمع عُقْدة، وذلك أنهنّ كن ينفثن في عُقد الخيوط حين يسحرن بها، ومنه قول عنترة:

فإنْ يبرأْ فلم أَنْفُثْ عليه ... وإنْ يَعْقِدْ فحُقَّ له العقودُ(٤)

وقول مُتمِّم بن نُويرة(٥):

نَفَثَ في الخيط شبيهَ الرُّقى ... مِنْ خشيةِ الجِنَّةِ والحاسدِ

---

(١) ذكره عنه أحمد بن يحيى ثعلب. «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٤).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/٤٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٥).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/٥٧٦)، و«روح المعاني» (٢٤/٤٦٨ ـ ٤٦٩)، و«المحرر الوجيز» (١٦/٣٨٦).

(٤) «ديوان عنترة» (ص٤٢).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٥).

قال أبو عبيدة[١]: النفاثات هي: بناتُ لبيد الأعصم اليهودي، سحرن النبيّ ﷺ.

قرأ الجمهور[٢]: «النّفاثات» جمع نفاثة على المبالغة. وقرأ يعقوب، وعبد الرحمٰن بن ساباط، وعيسى بن عمر: «النّافثات» جمع[٣] نافثة. وقرأ الحسن[٤]: «النُّفاثات» بضم النون.

وقرأ أبو الربيع[٤]: «النفثات» بدون ألف.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد: تمنّي زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، ومعنى إذا حسد: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشرّ بالمحسود.

قال عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد، وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال:

قلْ للحسودِ إذا تنفسَ طعنةً   يا ظالماً وكأنّه مظلومُ[٥]

ذكر الله سبحانه في هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شرّ كل مخلوقاته على العموم، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شرّه، ومزيد ضرّه، وهو الغاسق، والنفاثات، والحاسد، فكأن هؤلاء لما فيهم من مزيد الشرّ حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر.

وقد أخرج ابن مردويه عن عمرو بن عبسة[٦] قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فقال: «يا ابن عبسة أتدري ما الفلق؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: بئر في جهنّم».

---

(١) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٧): النفاثات: السحرة ينفثن.
وانظر: «زاد المسير» (٩/ ٢٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٧).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٧)، و«النشر» (٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، و«زاد المسير» (١/ ٣٧٥).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٨٢)، و«زاد المسير» (٩/ ٢٧٥)، و«التبيان» (٢/ ١٣١٠). هي قراءة متواترة قرأ بها رويس عن يعقوب في وجه عنه (النافثات) والوجه الثاني كباقي العشرة، وأما قراءة (النُفاثات) و(النفثات) فقراءتان شاذتان. «النشر» (٢/ ٤٠٤).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٧)، و«النشر» (٢/ ٤٠٥).

(٥) قائله ابن المعتز وهو في «ديوانه» (ص٣٦٤) وفيه صعدة بدل: طعنة.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨٨).

وأخرجه ابن أبي حاتم[١] من قول عمرو بن عبسة غير مرفوع.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ هل تدري ما الفلق؟ باب في النار إذا فُتح سُعّرت جهنم».

وأخرج ابن مردويه، والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٣] قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فقال: هو سجن في جهنم يُحبس فيه الجبّارون والمتكبرون، وإن جهنم لتتعوّذ بالله منه».

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة[٤] عن النبيّ ﷺ قال: «الفلق جُبّ في جهنم».

وهذه الأحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ لكان المصير إليها واجباً، والقول بها متعيناً.

وأخرج ابن جرير[٥] عن ابن عباس قال: الفلق: سجنٌ في جهنم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله[٦] قال: الفلق: الصبح.

وأخرج ابن جرير[٧] عن ابن عباس مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٨] قال: الفلق: الخلق.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أبي هريرة[٩] عن النبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «التخويف من النار» (ص١٢١).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨٨).
(٣) أخرجه الديلمي رقم (٤٦٢٧). وهو حديث ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٢) وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٣) منكر.. إسناده غريب.. ولا يصح رفعه.
وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٠٢٩).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤١) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٢٢) بسند حسن.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٣) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٥٧) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٨)، وأبو الشيخ رقم (٦٩٦، ٦٩٧) وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٤) وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبيِّ ﷺ.

[٤/٢٧٨] في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وقال: «النّجم هو الغاسقُ، وهو الثريا».

وأخرَجه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم من وجه آخر عنه[١] غير مرفوع. وقد قدّمنا تأويل هذا، وتأويل ما ورد أنّ الغاسق القمر.

وأخرج أبو الشيخ[٢] عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ارتفعت النجوم رُفعت كل عاهة عن كل بلد»، وهذا لو صح لم يكن فيه دليل على أن الغاسق هو النجم أو النجوم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ قال: الليل إذا أقبل.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن ابن عباس ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ قال: الساحرات.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه في الآية قال: هو ما خالط السحر من الرقى.

وأخرج النسائي، وابن مردويه عن أبي هريرة[٦] أن النبيّ ﷺ قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومَنْ سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه».

وأخرج ابن سعد، وابن ماجه، والحاكم، وابن مردويه عن أبي هريرة[٧] قال: «جاء النبيّ ﷺ يعودني فقال: ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داء فيك».

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فرقى بها ثلاث مرّات».

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٧) بسند حسن.
(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٩٩) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٤٦، ٧٤٧) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩٠).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٥٠) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه النسائي رقم (٤٠٩٠). وهو حديث ضعيف.
(٧) أخرجه ابن ماجه رقم (٣٥٢٤)، والحاكم (٢/ ٥٤١). وهو حديث ضعيف.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال: نفس ابن آدم وعينه. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩١).

سُورَةُ النَّاسِ

هي ست آيات[١] والخلاف في كونها مكية، أو مدنية كالخلاف الذي تقدّم في سورة الفلق.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: أنزل بمكة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير قال: أنزل بالمدينة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

وقد قدّمنا في سورة الفلق ما ورد في سبب نزول هذه السورة، وما ورد في فضلها، فارجع إليه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

وقرأ الجمهور[٤]: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ بالهمزة. وقرئ[٥] بحذفها، ونقل حركتها إلى اللام.

---

(١) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩٣).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٨)، و«النشر» (١/ ٤٠٨)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ١٩٦).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان، فحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللّام رواية ورش عن نافع وقرأ باقي العشرة بإسكات اللّام والهمزة دون نقل غير أنَّ حمزة يقرأ في الوقف كقراءة ورش. «النشر» (٢/ ٤٠٨).

وقرأ الجمهور[١] بترك الإمالة في الناس. وقرأ الكسائي[٢] بالإمالة.

ومعنى ربّ الناس: مالك أمرِهم[٣]، ومُصْلح أحوالهم، وإنما قال ربّ الناس مع أنّه ربّ جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شرّ ما يوسوس في صدورهم.

وقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ عطف[٤] بيان جيء به لبيان أن رِبِّيته سبحانه ليست كربّية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم، بل بطريق الملك الكامل، والسلطان القاهر.

﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هو أيضاً عطف بيان كالذي قبله لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضمّ إليهما المعبودية المؤسّسة على الألوهية المقتضية للقُدْرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد والإعدام، وأيضاً الربّ قد يكون مَلِكاً، وقد لا يكون ملكاً، كما يقال ربّ الدار، وربّ المتاع، ومنه قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فبين أنه ملك الناس.

ثم الملك قد يكون إلٰهاً، وقد لا يكون، فبيّن أنه إلٰه؛ لأن اسم الإلٰه خاصّ به لا يشاركه فيه أحد، وأيضاً بدأ باسم الربّ، وهو اسم لمن قام بتدبيره، وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلاً كاملاً، فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك، فذكر أنه ملك الناس[٥].

ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وأنه عبد مخلوق، وأن خالقه إلٰه معبود بيّن سبحانه أنه إلٰه الناس، وكرّر لفظ الناس في الثلاثة المواضع[٦]؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار؛ ولأن التكرير يقتضي مزيد شرف الناس.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قال الفرّاء[٧]: هو: بفتح الواو بمعنى الاسم؛ أي:

---

(١) «النشر» (٢/ ٦٢)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ١٩٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص٣٧٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب أنَّ الكسائي قرأ بدون إمالة والذي قرأ بإمالة ألف (النّاس) هو الدوري في وجه عَنْه عن أبي عمرو.ا.هـ.

(٣) «روح المعاني» (٢٩/ ٤٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٧٩).

(٤) «الفريد» (٤/ ٧٥٤).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٨).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧٨)، و«روح المعاني» (٢٩/ ٤٧٧).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠٢).

المُوسِوس، وبكسرها المصدر؛ أي: الوسوسة كالزِّلزال بمعنى الزلزلة.

وقيل: هو بالفتح اسم بمعنى الوَسْوسة[(١)]، والوسوسة: هي حديثُ النفس، يقال: وَسْوستْ إليه نفسُه وسْوسةً؛ أي: حدّثته حديثاً، وأصلها: الصوتُ الخفيّ، ومنه قيل: لأصوات الحُلْي وَسْواس، ومنه قول الأعشى[(٢)]:

تسمعُ للحَلْي وسواساً إذا انصرفتْ

قال الزجاج[(٣)]: الوسواس: هو الشيطان؛ أي: ذي الوسواس، ويقال: إن الوسواس: ابنٌ لإبليس، وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة في تفسير قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] ومعنى ﴿الْخَنَّاسِ﴾ كثير الخَنْس، وهو التأخر، يقال: خَنَس يخنُس: إذا تأخر، ومنه قول العلاء بن الحضرمي[(٤)] يمدح رسول الله ﷺ:

فإنْ دَحَسُوا بالشرِّ فاعفُ تكرُّماً وإنْ خَنَسُوا عندَ الحديثِ فلا تسلْ

قال مجاهد[(٥)]: إذا ذُكر الله خنَس وانقبض، وإذا لم يُذكر انبسط على القلب. ووصف بالخناس؛ لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] يعني: النجوم لاختفائها بعد ظهورها، كما تقدّم، وقيل: الخناس: اسم لابن إبليس، كما تقدّم في الوسواس.

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ الموصول[(٦)] يجوز أن يكون في محل جرّ نعتاً للوسواس، ويجوز أن يكون منصوباً على الذم، ويجوز أن يكون مرفوعاً على تقدير مبتدأ. وقد تقدّم معنى الوسوسة.

قال قتادة[(٧)]: إن الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فإذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له، وإذا ذكر العبد ربه خَنَس. قال مقاتل: إن

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٦٩).

(٢) «ديوان الأعشى» (ص١٠٥).

وعجز البيت:

كما استعان بريحِ عِشرقٌ زَجِلُ

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٨١). (٤) «تهذيب اللغة» (٧/ ١٧٤).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧٥).

وأخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٥٤) بسند صحيح.

(٦) «الفريد» (٤/ ٧٥٥)، و«التبيان» (٢/ ١٣١١).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٥٤)، وعبد الرزاق (٢/ ٤١٠) بسند صحيح.

الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم مَجْرى الدم في عروقه، سلّطه الله على ذلك، ووسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفيّ يصل إلى القلب من غير سماع صوت.

ثم بيّن سبحانه الذي يوسوس بأنه ضربان: جنّي، وإنسي، فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أما شيطان الجنّ، فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس، فوسوسته في صدور الناس أنّه يُرى نفسه كالناصح المشفق، فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته؛ كما قال سبحانه: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ويجوز أن يكون متعلقاً بيوسوس؛ أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجِنّة، ومن جهة الناس، ويجوز أن يكون بياناً للناس. قال الرازي(١)، وقال قوم: من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ لأن القدر المشترك بين الجنّ والإنس يُسمّى إنساناً، والإنسان أيضاً يسمى إنساناً، فيكون لفظ الإنسان واقعاً على الجنس، والنوع بالاشتراك.

والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه لفظ الإنس والجنّ ما روي أنه جاء نفر من الجنّ، فقيل لهم: من أنتم؟ قالوا: ناس من الجنّ. وأيضاً قد سمّاهم الله رجالاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] وقيل: يجوز أن يكون المراد: أعوذ بربّ الناس من الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس، ومن الجِنَّة والناس، كأنه استعاذ ربّه من ذلك الشيطان الواحد، ثم استعاذ بربّه من جميع الجِنَّة، والناس.

وقيل: المراد بالناس: الناسي، وسقطت الياء كسقوطها في قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] ثم بيّن بالجِنَّة والناس؛ لأن كل فرد من أفراد الفريقين في الغالب مُبتلى بالنسيان، وأحسن من هذا أن يكون قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ معطوفاً على الوسواس؛ أي: من شرّ الوسواس، ومن شرّ الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس.

قال الحسن(٢): أما شيطان الجنّ، فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس، فيأتي علانية.

---

(١) في «تفسيره» (٣٢/ ١٩٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٨٣)، و«تفسير أبي الليث» (٣/ ٥٢٨).

وقال قتادة[١]: إن من الجنّ شياطين، وإن من الإنس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الجنّ والإنس، وقيل[٢]: إن إبليس يوسوس في صدور الجنّ، كما يوسوس في صدور الإنس، وواحد الجِنّة جنيّ كما أن واحد الإنس إنسيّ.

والقول الأوّل هو أرجح هذه الأقوال، وإن كان وسوسة الإنس في صدور الناس لا تكون إلّا بالمعنى الذي قدّمنا، ويكون هذا البيان بذكر الثقلين للإرشاد إلى أن من استعاذ بالله منهما ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة.

وقد أخرج ابن أبي داود[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: مثل الشيطان كمثل ابن عِرْس واضعٌ فمَه على فم القلب، [٤/٢٧٩] فيوسوس إليه، فإنْ ذكرَ الله خنَس، وإنْ سكت عاد إليه فهو الوسواس الخنّاس.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» وأبو يعلى، وابن شاهين، والبيهقي في «الشُّعب» عن أنس[٤] عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الشيطان واضعٌ خَطْمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنَس، وإن نسيه التقم قلبه، فذلك الوسواس الخنّاس».

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثٍ على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والضياء في «المختارة»، والبيهقي[٦] عنه قال: ما من مولود يولد إلّا على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله خنَس، وإذا غفل وسوس، فذلك قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٨٧).
(٢) «زاد المسير» (٩/ ٢٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٥٨٤).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩٣).
أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة عن معاوية بن أبي طلحة قال الحديث.
(٤) أخرجه أبو يعلى رقم (٤٣٠١)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» رقم (١٥٤)، والبيهقي رقم (٥٤٠) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٦٩، ٣٧٠)، وابن جرير (٢٤/ ٧٥٤)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٤٢) بسند صحيح. وفي رواية «جاثم».
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٥٣، ٧٥٤)، والحاكم (٢/ ٥٤١)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٧٤٢)، والبيهقي رقم (٦٧٦)، و«الضياء» (١٠/ ١٧٥ رقم ١٧٢) بسند صحيح.

ٱلْخَنَّاسِ﴾ وقد ورد في معنى هذا غيره، وظاهره أنّ مطلق ذكر الله يطرد الشيطان، وإن لم يكن على طريق الاستعاذة، ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز بخيري الدنيا والآخرة.

[خاتمة الكتاب]

وإلى هنا انتهى هذا التفسير المبارك بقلم مؤلفه مُحمّد بن علي بن محمد الشوكاني، غفر الله له ذنوبه. وكان الفراغ منه في ضحوة يوم السبت، لعله الثامن والعشرون من شهر رجب أحد شهور سنة تسع وعشرين، بعد مائتين وألف سنة من الهجرة النبوية.

اللَّهُمَّ كما مننتَ عليّ بإكمال هذا التفسير، وأعنتني على تحصيله، وتفضلت عليّ بالفراغ منه، فامننْ عليّ بقبوله، واجعلْه لي ذخيرةَ خيرٍ عندك، وأجزل لي المثوبة بما لاقيته من التعب والنَّصب في تحريره وتقريره، وانفع به من شئت من عبادك ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي، فإن هذا هو المقصد الجليل من التصنيف، واجعله خالصاً لك، وتجاوز عني إذا خطر لي من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الإخلاص، واغفر لي ما لا يُطابق مرادك، فإنّي لم أقصد في جميع أبحاثي فيه إلا إصابة الحق وموافقة ما ترضاه، فإن أخطأت فأنت غافر الخطيئات، ومسبل ذيل الستر على الهفوات، يا بارئ البريات، وأحمدُك لا أحصي حمداً لك، وأشكرك لا أحصي شكرك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلي وأسلم على رسولك وآله.اهـ.

تم سماعاً على مؤلفه حفظ الله عزته يوم الاثنين صبح اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٤١هـ. [٥/٢٧٢]

كتبه
يحيى بن علي الشوكاني
غفر الله لهما

فهرس موضوعات الجزء العاشر

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 298749